

مركز دراسات الدكتوراه: اللغات والتراث والتهيئة المجالية  
تكوين الدكتوراه: التاريخ والتراث  
محور: الدراسات الإسلامية

أصروحة لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع:



# صورة "الآخر" في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم

دراسة في دلالات النص



إشراف الأستاذ:  
الدكتور سيدي محمد زهير

إنجاز الطالب: هشام عزي  
الرقم الوطني: 2198837717  
رقم التسجيل: 16CED/12

السنة الجامعية:  
1439-1440هـ  
2018-2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إلى والدي عليه رحمة الله المتواليه

عرفان وذكرك ودعوات خير

إلى أمي الكريمه حفظها الله تعالى

اعتراف وامتنان

إلى رفيقه الدرب الصابرة المحتسبه

إخلاصا ووفاد

أهدي هذا البحث المتواضع

هشام عزي

## شكرو تقدير

ما من نعمة ينالها المرء إلا والله تعالى وحده هو المنعم بها، فهو القائل سبحانه:

﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾<sup>(1)</sup>، فلك الحمد يا رب كما تحب وترضى، لك الحمد

طوعا، لك الحمد فرضا، وثيقا عميقا .. سماء وأرضا، لك الحمد ملء الجنان وكل الكيان  
رنوا وغمضا.

ثم إن من أوجب المعروف شكرا، وأحسنه في المحافل نشرًا، الاعتراف بالفضل

لأهله، وردّ الجميل لآله؛ وإنّ لأستاذي المشرف، فضيلة الدكتور سيدي محمد زهير، يدا

طولى على هذا البحث، فبفضل الله ثم بفضله تيسّر لي إتمامه، فأقدم له بخالص الشكر

الجزيل على صبره الجميل، وتحمله الكبير، وتشجيعه الحار، ومتابعته الدؤوبة، ونصحه

الصادق، وإني لأرفع إلى فضيلته في هذا المقام أسمى آيات المحبة والتقدير والامتنان، فإنه

-رفع الله قدره- لم يأل جهدا ولم يدخر حلما ولا صبرا إلا وفاض به في إشرافه على هذا

العمل الذي أرجو من الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناته.

---

(1) سورة النحل، الآية 53.



# المقدمة

- استفتاح
- إشكالية البحث
- أهمية الموضوع
- أسباب اختيار الموضوع
- أهداف البحث
- الدراسات السابقة
- منهج البحث
- خطة البحث
- صعوبات البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

تعد مسألة "الأنا" و "الآخر" من حيث المفهوم والطبيعة، والحدود الفاصلة ونوع العلاقة بينهما، من القضايا الفكرية المطروحة بشدة في عالمنا المعاصر، سيما وأن هذا الأخير يشهد صراعات مادية وتدافعات حضارية، بل وحروباً دامية، وهي إن اختلفت مسمياتها، وأشكالها، ووسائلها، وأهدافها، وغاياتها؛ فإنها ترجع في جوهرها إلى قضية مفصلية تتعلق أساساً بالنسق الفكري والعقدي للذات في علاقتها بالآخر؛ وإن ما يشهده العالم اليوم من صدامات أو دعوات من هنا وهناك إلى الصدام الحضاري والهيمنة الثقافية أو حتى الإبادة المادية، هو النتيجة الحتمية لطبيعة الأزمة الحاصلة بين "الأنا" و "الآخر"، وهي أزمة تجعل من "الآخر" عدواً متحدّياً وخطراً محدقاً وشراً داهماً يلزم التصدي له والتحصن دونه والسعي لنفيه واستئصاله؛ لتهيمن على العقول نظريات المؤامرة، وتسيطر على الوجدان أفكار الريبة والتوجّس والتخوّف من كل ما له صلة بالآخر، فيحل بذلك التوتر والتدابير محل التعارف والتآلف.

وقد دُرست قضية "الآخر" في أبعادها المتنوعة من مختلف الجوانب، وفي العديد من الحقول المعرفية للعلوم الإنسانية كالفلسفة والآداب وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها<sup>(1)</sup>، وذلك بغية تفكيك هذه القضية وتحليلها ودراسة كل ما يتصل بها من مسائل

(1) ومما أُلّف مثلاً في الموضوع من وجهة نظر اجتماعية كتاب "صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه" لطائفة من علماء الاجتماع، تحرير: الطاهر لبيب، ومن إصدار مركز دراسات الوحدة العربية (ط1: 1999م).

ويرتبط بها من مفاهيم؛ ومن ثم محاولة إيجاد الحلول المناسبة للأزمات الواقعة في العلاقة بين "الأنا" و"الآخر".

إلا أن معالجة هذا الأمر من منظور النص الديني يكتسي أهمية بالغة، سيما وأن الإنسان في العموم "كائن متدين"، فعنصر الدين مكون رئيس في الشخصية الإنسانية على اختلاف الأعصار والأمصار، فهو مركز في الضمائر، مغرور في الكيان، ساكن في الوجدان؛ ولذلك كانت النصوص المقدسة والمعتقدات الدينية في الغالب هي ضابط الأخلاق والسلوك لدى الإنسان، والموجه الأسمى لعواطفه وتوجهاته، والمرجع الأعلى للتشريعات التي تحدد مواقفه.

وعليه فالسلام والتعايش والحوار بين أتباع الأديان المختلفة، ينبغي أن يكون نابعا من صميم تعاليمها الدينية ونصوصها المقدسة، فالعقائد والتشريعات والعواطف الدينية لدى الشعوب هي التي تؤسس وتضبط العلاقة مع "الآخر"، وهي المحدد الرئيس للسلام أو الحرب بين الأمم المتديّنة، وهي الدافع المتين وراء التسامح والتعايش بينها، كما أنها مجلبة لنقيض ذلك من التدابر والتطاحن والتصادم؛ فالنصوص الدينية هي الباعث وراء الاعتراف بالآخر وهي أيضا المسوّغ لنفيه واستئصاله؛ فعلى ضوء المعتقدات الدينية وبناء على النصوص المقدسة تؤسس المواقف، وتحدّد الولاءات، وتصنع القرارات، وتتشكل الآراء في حق "الآخر" إما نفيا أو اعترافا؛ وإنّ الدين إذن، بنصوصه وتعاليمه، هو عموما عنصر محدد لطبيعة العلاقات بين الناس، وسلام البشرية وأمنها واستقرارها منوط به، ومتوقف عليه. وإلى هذا المعنى يشير عالم اللاهوت السويسري "هانز كونج" Hans Küng بقوله: "لا سلام بين الأمم دون سلام بين الأديان،

ولا سلام بين الأديان دون حوار بين الأديان، ولا حوار بين الأديان دون التحقيق في أسس الأديان"<sup>(1)</sup>.

وإنّ أسس الأديان لنصوصها المقدسة، فهي أساس الدين وقوامه وعليها مداره، وإنّ الحوار الذي هو طريق السلام وسبيله، لا بد وأن ينطلق ويرجع ويبني على قواعد هذه النصوص، وإلا كان حواراً عقيماً، بعيداً عن محل النزاع، ولا أثر له.

هذا، وإنّ إحلال السلام والأمن للبشرية جمعاء، بمختلف أطيافها الثقافية وألوانها الحضارية، أمل منشود، وغاية مرجوة يسعى وراءها العقلاء من كل الأمم والشعوب؛ فمن أهمّ قضايا العصر التي شغلت الفكر الإنساني وعقول الصفوة من العلماء والمفكرين واستقطبت اهتمام المشتغلين بالدراسات الدينية والعلوم الإنسانية عموماً، قضية التعايش بين الثقافات والحضارات والأديان المختلفة.

فترسيخ قيم التسامح والتعايش بين مختلف المكونات الحضارية للمجتمع الإنساني هدف نبيل يسعى وراءه دوماً كل عاقل حصيف؛ إلا أنه غاية لا يمكن تحقيقها إلا على أسس متينة قوامها الوضوح في الرأي والرؤية، والصدق في القول بلا زيف، والصراحة في الطرح بلا حيف، والأمانة في النقل بلا تلفيق ولا افتراء. وهو ما يؤسس للحوار الجاد والصريح، المبني على قواعد صلبة، أساسها التعارف المتين بين "الأنا" و"الآخر"، بعيداً عن المجاملات والتزييف والتحريف. ولذلك، فإن أيّ اتفاق ووافق وتعايش بين "الأنا" و"الآخر" لا بد وأن يقوم على معطيات حقيقية وأسس واقعية بعيدة عن المثالية الجوفاء، فكلما كانت صورة "الآخر" واضحة وصادقة كلما كان ذلك أدعى لفتح النقاشات الجادة التي من شأنها أن تسهم في تجاوز الخلافات وبناء جسور التعارف

(1) H. Küng, Islam: Past, Present and Future (Oxford: Oneworld, 2007) P.XXIII.

ونسج صلات التآلف، ومد قنوات التواصل والحوار المثمر؛ وكلما كانت هذه الصورة ضبابية وقاتمة ويكتنفها الغموض، كلما شوّش ذلك على الحقائق، وحال دون التعارف البناء، فتضيق دائرة التعايش، ويؤول الأمر إلى الصراع والصدام بدل الحوار والتسامح والتآلف.

وبما أن أتباع الملل إنما يصدرون في آرائهم ومواقفهم من "الآخر" عن كتبهم المقدسة وتعاليمهم الدينية، فلن يكون هنالك حوار مثمر ما لم يكن هناك تعارف متين بين "الأنا" و"الآخر"، تعارف حقيقي وواقعي وصادق، قائم على النص المقدس ومخرجاته ومضامينه، دون تعسف في التأويل، أو تحريف في المدلول، أو تزيف في الحجة، أو تليفق في البيّنة، أو بتر في المعاني، أو انتقائية في الشواهد؛ تعارف يؤدي إلى فهم "الآخر" فهما عميقا ودقيقا وموضوعيا، ويسهم في تحديد الصورة تحديدا صحيحا وصریحا بلا تجميل زائف ولا تشويه متكلف.

وإذن، فالصورة الصادقة "للآخر" عند أتباع الأديان هي التي يصنعها النص المقدس، وتشكلها التعاليم الدينية، وتصوغها العقائد والتشريعات. ولأن التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، هي على التوالي أقدس الكتب عند أصحابها في الديانات الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، فإن أي سعي للكشف عن موقف أتباع هذه الأديان من "الآخر" لا بد وأن ينطلق من هذه الكتب ويؤسس على نصوصها، فهي المرجع الأسمى الذي يصنع الوعي الديني ويشكل الصور الذهنية والعقائد القلبية والمواقف العملية لدى كل من يؤمن بقدسية النص. فصورة "الآخر" التي تطبعها هذه الكتب المقدسة في مخيال "الأنا" هي التي تحدّد سلوك هذا الأخير وموقفه من "الآخر"، وهي التي تحكم وتضبط وتحدّد طبيعة العلاقة مع "الآخر" وتقنّنها.

فكيف تحدثت نصوص التوراة عن "الآخر"؟ وكيف صنع الإنجيل صورة "الآخر"؟ وما موقف القرآن الكريم من "الآخر"؟ هذه الأسئلة وما يندرج تحتها من قضايا هو ما يدخل في صميم إشكالية الموضوع الذي يتناوله هذا البحث بالدراسة والتحليل، وذلك من خلال الرجوع إلى النص الديني المقدس واستنطاق معانيه، وكشف مرامييه، والوقوف على المضامين والمدلولات المتعلقة بالصورة التي تصنعها تلك النصوص حول كل من يقع خارج دائرة "الأنا" من حيث المعتقد والدين.

### ❖ إشكالية البحث:

يؤكد المتمسكون من اليهود بتعاليم التوراة أن كتابهم الخاص جاء بقيم إنسانية تحفظ حرمة الإنسان وتصور كرامة "الآخر"، كما يقرر علماء النصارى الذين ينتصرون للكتاب المقدس أن هذا الأخير جاء بتعاليم المحبة بما يقتضي ذلك من اعتراف ورعاية لحقوق "الآخر". بينما يُتهم القرآن الكريم في كثير من الأحيان بأنه مصدر للتطرف والعنف والإرهاب.

والباحث في هذه الدراسة يرى أن هذه الدّعاوى غير سليمة، لأن النظرة الفاحصة في النصوص الدينية تثبت خلاف تلك المزاعم. وعليه فإن السؤالين العريضين اللذين يروم البحث برمته الجواب عنهما، هما: كيف تحدثت النصوص الدينية للتوراة والإنجيل عن "الآخر" الذي لا ينتمي إلى الديانتين: اليهودية والنصرانية؟ وكيف هي طبيعة صورة "الآخر" الذي يقع خارج دائرة دين الإسلام في القرآن الكريم؟

ويندرج تحت هذين السؤالين أسئلة فرعية عدة، من قبيل: كيف تحدثت التوراة عن "الأنا" اليهودي؟ وكيف صوّرت نصوصها "الآخر" من الأغيار؟ وما المصطلحات التي استعملتها للدلالة عليه؟ وكيف جعلت نصوصها من العرق اليهودي شعب الرب

المختار؟ وما هي أحكام التوراة اليهودية أو العهد القديم المسيحي في التعامل مع "الآخر" في السلم والحرب؟ وهل حقا جعلت نصوص الإنجيل من الديانة النصرانية "ديانة محبة"؟ وهل جاء الإنجيل بمنظومة أخلاقية متكاملة تنجلي من خلالها صورة "الآخر" وتتأصل فيها أحكام التعامل معه؟ وهل اعترف القرآن الكريم بالآخر أم دعا إلى نفيه واستئصاله كما يزعم خصومه؟! وكيف هي المبادئ القرآنية التي صنعت صورة "الآخر" وأصلت للتعامل معه؟

وبالجملة، فإن الإجابة عن إشكالية البحث، بعد تفكيك عناصرها، وتحليل مضامينها، من خلال فصول ومباحث هذه الدراسة سيمكن من استجلاء حقيقة ما تقدّمه النصوص الدينية في كل من التوراة والإنجيل والقرآن الكريم من صور عن "الآخر" وتأصل له من قواعد وأحكام التعامل معه؛ وبناء على مضامين تلك النصوص سينجلي من يعترف من هذه الكتب المقدسة بالآخر؟ ومن يدعو إلى نفيه واستئصاله؟ وكيف هي طبيعة صورة "الآخر" في كل من التوراة والإنجيل والقرآن الكريم؟ ولعل أهمية الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال ما سيأتي من المباحث والفصول هو ما يضيف على هذا البحث أهميته.

### ❖ أهمية الموضوع:

لا يخفى على عاقل أهمية الحوار والتعايش بين أمم الأرض، فالسّماحة والسّلم والأمن مطلب جليل ومسعى نبيل يريده كل إنسان سوي، ويسعى خلفه كل صاحب فطرة سليمة وعقل راجح؛ إلا أن هذا الحوار بين أتباع الأديان والملل المختلفة لا يكون مثمرا إلا إذا كان قوامه الوضوح والصراحة والصدق دون تلبيس ولا تدليس، وكذلك فإن التعايش بين الأمم المتباينة دينا وعقيدة لا يثبت إلا إذا أسّس على قواعد متينة من

التعارف والاعتراف بالآخر، وهذا لا يكون إلا بتوضيح مضامين النص المقدس ومراميه وما ينسجه من صور حول "الأنا" و"الآخر"، فعلى ضوئه تنبلج الحقائق وتتضح المواقف.

وإن النص الديني عموماً هو المصدر المقدس الذي تؤسس على أصوله العقائد، ومنه تستنبط الشرائع والأحكام، وعليه تقوم الصّور والأفهام؛ ثم إن نصوص التوراة والإنجيل والقرآن الكريم على وجه التحديد، هي على التوالي أقدس ما في الديانات الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، فتوضيح صورة "الآخر" في تلك الكتب هو بيان لمواقف الديانات الثلاث من "الآخر" من خلال أقدس مصادرها.

ولهذا، فإن أهمية هذا البحث تتجلى في كشفه عن الصّور الذهنية التي تصنعها تلك النصوص الدينية المقدسة عن "الآخر"، وهو ما يعدّ حجر الزاوية في صرح التعارف الصادق الذي لا يكتنفه الغموض ولا يشوّش على حقائقه التجميل الزائف، وإن هذا التعارف هو ما يمثّل القاعدة الصلبة في طريق الحوار البناء بين الأديان، ثم إن محصلة ذلك كلّ بعد فهم "الأنا" و"الآخر" على ضوء النصّ الديني، هو العمل على إيجاد سبل العيش المشترك بين الأمم والشعوب، إذ التعارف سبيل التآلف، فالتعارف أدعى لتجاوز الخلافات من إخفائها.

ومن المعلوم في عصرنا الحاضر، حاجة أتباع الأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام إلى التعارف الجادّ، لأجل بناء الحوار الهادف، ولإحلال السلام والوثام بين أهل الأرض. سيما وإنه في الآونة الأخيرة، كثر الحديث عن نظريات الصدام بين الثقافات والأديان، وكثيراً ما أشارت أصابع الاتهام إلى دين الإسلام بكونه منبع التطرف والإرهاب، وأن كتابه القرآن الكريم، كتاب عنف ودموية، وأنه يدعو إلى نفى



"الآخر" واستئصاله، فكان في غاية الأهمية أفراد هذا الموضوع بالبحث والدراسة، من خلال الرجوع إلى الكتب المقدسة للديانات الثلاث، للوقوف على حقيقة ما يقدمه القرآن الكريم حول ما يثار ضده من قضايا، ويرمى بها دين الإسلام وأهله، وكذلك لكشف ما تقدمه نصوص التوراة والإنجيل من المواقف والأحكام حول "الآخر". ليتضح بذلك من يعترف به ويدعو إلى محاورته ويؤمن بالتعايش معه؟ ومن ينكر وجوده ويدعو إلى استئصاله؟

### ❖ أسباب اختيار الموضوع:

إن اختيار البحث في هذا الموضوع والخوض في قضاياها، كان خلفه دوافع ذاتية وموضوعية؛ فأما الذاتية فتتعلق برغبتى الشخصية في خوض غمار الدراسات الدينية عموماً، ثم البحث من خلالها في القضايا التي لها صلة بحوار الثقافات والحضارات على وجه الخصوص، تلبية لميول شخصي وقناعة ذاتية تدعوني إلى الانفتاح على مختلف العقائد والأديان ومعرفة ما تحمله من تصورات وآراء وعقائد وتشريعات، لما يُمكن له ذلك من التعارف والحوار مع "الآخر" على بينة من حاله ومعرفة بواقعه، وبصيرة من الدين، كما أمر بذلك المولى تبارك وتعالى: ﴿فُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

ثم إن اختياري للبحث في موضوع: صورة "الآخر" في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، يرجع أساساً إلى ما يحظى به من الأهمية، خصوصاً في عصرنا الحاضر، الذي دعت الحاجة فيه إلى الالتفات إلى مثل هذه القضايا، والاهتمام بنظائر هذه المسائل، وتخصيصها بالدرس والتحليل، سيما وقد علت في سماء الأمة أصوات نشاز من هنا

(1) سورة يوسف، الآية 108.

وهناك، من بني جلدتنا ومن غيرهم، تسيء إلى القرآن الكريم خاصة، وتشير إليه بأصابع آثمة، وتكيل له التَّهم بلا بَيِّنة، فكان لزاما التصدي لمثل هذه الدعاوى الباطلة، وبيان حقيقة ما عليه القرآن الكريم من الهدى والنور.

كما أن صورة "الآخر" التي تحددها النصوص الدينية المقدسة هي مناط العلاقة بين الأديان وضابطها، ولذلك فإن العمل على هذا الموضوع يكتسب أهميته من خلال إسهامه في التعارف الذي هو طريق الحوار والتآلف كما سلف بيانه.

ويمكن إجمالاً تلخيص أسباب اختيار الموضوع فيما يلي:

- أهمية الموضوع، كما سبق بيانها.
- كون الموضوع من قضايا الساعة، فهو وإن كان مطروقا، لا يزال يحتاج إلى المزيد من تعميق الدراسة والبحث والتحليل.
- كونه من المواضيع التي تثير بين الحين والآخر جدلا واسعا في الساحة العلمية اليوم، وذلك كلما ظهرت في أي بقعة من بقاع الأرض أحداث عنف باسم الدين، وكثيرا ما يربط العنف بالمقدس، فكان لزاما بيان موقف المقدس من العنف.
- ومن باب معرفة الفضل لأهله، بيان أن من الأسباب التي دفعتني أيضا لاختار هذا الموضوع، اقتراحه من قبل فضيلة أستاذي المشرف: د. سيدي محمد زهير حفظه الله تعالى.

## ✻ أهداف البحث:

انطلاقاً من قاعدة "الأمر بمقاصدها"، وأن وراء كل عمل مقاصد وأهدافاً، فإن هذا البحث لا يشذّ عن القاعدة ولا يخرج عن المؤلف، فلا يخلو من أهداف أراد الباحث تحقيقها من خلاله، ولعل أول هذه الأهداف وأعظمها نيل ثواب المجتهد الذي لا يعدم أجراً سواء أصاب أم أخطأ.

ويهدف البحث إلى كشف صورة "الآخر" في أقدم المصادر في الديانات الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، وهي على التوالي: التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، ليعلم بحجة النص وسلطانه، من يعترف بمنّ ومن ينكر مَنْ؟! ولعل في نزع الستار عن تلك القضايا، وكشف الغطاء عن تلك الصور، انتصاراً للحق وبياناً للحقائق، وإبطالا للمزاعم، ودعوة للحوار، ومساهمة في نشر الوعي بما تتضمنه تلك الكتب المقدسة من عقائد وأحكام اتجه "الآخر".

هذا، وإن حدود مجال البحث خلال الحديث عن "الآخر" سيقصر على "الآخر" الديني: أي المخالف في الدين والمعتقد، لا "الآخر" الثقافي أو العرقي أو غيره؛ وهذا ما لا يتأتى إلا بتتبّع واستقراء النصوص المتعلقة بموضوع البحث في كل من التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، ومن ثم استنطاقها واستعراض مضامينها وكشف معانيها، وتحليل عناصرها، بكل ما أمكن من الأمانة والحياد والموضوعية، دون تحامل أو تحيز.

## ✻ الدراسات السابقة

إن موضوع البحث ليس من المواضيع التي لم تطلها أقلام الباحثين، أو لم تطرقها أبحاث السابقين، فلا أدعي في ذلك إحراز قصب السبق، ولا أزعم أنني أتيت فيه بما لم يأت به الأولون، ولا أحسبني فيه من الفاتحين، بل سبقني إلى الخوض فيه العديد من الدارسين، وقد استفدت من مؤلفاتهم، ومن نافلة القول ذكر أن التراكمية سمة المعرفة العلمية.

فكثيرة هي الدراسات التي تناولت الحديث عن "الآخر"، من وجهات نظر مختلفة، وفي حقول معرفية متنوعة من فلسفة وعلم اجتماع وعلم نفس وغيرها، إلا أن جلّ ما وقع تحت يدي من الدراسات التي عنيت بموضوع بحثي على وجه التّحديد، اتسمت إما بالاختصار وعدم التوسع ببسط الحجج والشواهد، وإطالة النفس في التحليل والنقد، وإما اقتصرت على جانب واحد من جوانب البحث وعلى عنصر من عناصره وتوسعت فيه دون غيره؛ فحاولت في هذا البحث أن أُلِمَّ بالموضوع من كل جوانبه، وأن أجمع شتات ما تفرق في ثنايا تلك المصنفات، للخروج بعمل متكامل أقرب ما يكون إلى الشمول في قالب فهمي الخاص للموضوع وتحليلي المتواضع لقضاياها؛ ومن أمثلة ما كتب في هذا الموضوع:

- مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ضمن سلسلة التأصيل النظري للدراسات الحضارية، تحرير: منى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى. والكتاب عبارة عن مقال حول مفهوم "الآخر" لدى الجماعات اليهودية الحديثة لرقية علواني، إضافة إلى مقالات حول مفهوم "الآخر" في الرؤية المسيحية من وجهة نظر كنائسها المختلفة للأبوين "كريستيان فان نيسبن" وإكرام لمعي إضافة إلى سمير مرقس،

ويغلب على الكتاب على العموم طابع الإيجاز المخلّ، كما أن الأسلوب الدعوي الرّعويّ سمة بارزة في مقالات الكتاب المسيحيين.

- العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، لمحمد الناصري. والكتاب أطروحة للدكتوراه أسهب فيها مؤلفها في ذكر عناصر بحثه بشكل تفصيلي جعل من فهرس الكتاب قائمة من المواضيع المتفرقة التي ينقصها التنظيم المحكم، ويعوزها التركيز على القضايا المحورية التي يمكن أن تكون الأساس الذي يقوم عليه غيرها.

فحاولت في هذا البحث تفصيل ما تمّ إجماله أو إهماله مما يعد أساساً في تحديد النظرة إلى "الآخر" بناء على النصّ الديني، كما عملت أيضاً على التركيز وتبسيط الضوء على أهم العناصر المحورية التي تؤسس لهذه النظرة وتبيّن الموقف من "الآخر" وتأصل لأحكام التعامل معه.

### ✻ منهج البحث

اقتضت طبيعة موضوع البحث، أن أسلك في معالجته منهجاً استقرائياً، أتبع من خلاله النصوص المتعلقة بموضوع البحث في متن كلّ من التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، للخلوص إلى رؤية شمولية حول القضية موضع الدرس، ثم إن للمنهج الوصفي في البحث نصيب، بما يستلزمه هذا المنهج من ذكر للوقائع كما هي في الواقع، وتحليل للمعطيات بناء على سياقها التاريخي والموضوعي، سيما إذا تعلق الأمر بموقف الديانات الثلاث من "الآخر" من خلال ما تقرّره نصوصها المقدسة، فتنقل الصورة وفقاً لما يصوّرها النص المقدس، دون تعسف أو تكلف؛ لتأتي بعد ذلك مرحلة التحليل والنقد من خلال النصوص الدينية نفسها والشواهد التاريخية، التي تعبر عن المواقف العملية للمؤمنين بقدسية النص. ولهذا سأجرح عندئذ إلى المنهج التحليلي التقدي بعد الوصف

والتشخيص. ويكون من مقتضيات هذا المنهج تفكيك الظاهرة الدينية وتفسيرها، ثم نقدها وفق الضوابط العلمية والموضوعية، لاستنباط العقائد والتصورات اتجاه "الآخر"، ومن ثم الخلوص إلى الصورة الشاملة التي تصنعها النصوص المقدسة وتنسجها عن "الآخر"، هذا، وإنه لا يخلو البحث أيضا من بعض المقارنات متى لزم ذلك.

### ✧ تقنيات البحث

إن منهجيتي في التدوين والتوثيق قامت على كتابة الآيات القرآنية مشكّلة برواية ورش عن نافع، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش. أما الأحاديث النبوية فاعتمدت في تخريجها على مصادرها الأصلية، مكتفيا بعزو الحديث أو الأثر إلى واحد من الرواة من أصحاب الصحاح أو السنن أو المسانيد أو غيرها من مصادر السنة.

وأما نصوص الكتاب المقدس، فأشرت في توثيقها إلى اسم الترجمة المعتمدة والصفحة منها بعد ذكر اسم السفر ورقم الإصحاح، وقد اعتمدت في الاستشهاد بتلك النصوص على ثلاث ترجمات:

الترجمة البروتستانتية لسميث (Eli Smith 1801-1857) وكرنيليوس فان دايك (Cornelius Van Allen Van Dyck 1818-1895)، من إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط بالقاهرة (ط1: 2007م). وترجمة الرهبانية اليسوعية، الصادرة عن دار المشرق في بيروت (ط3: 1994م)، وهي ترجمة كاثوليكية قام بإعدادها جماعة من الآباء اليسوعيين، ودام العمل عليها تحقيقا وتدقيقا من سنة 1881م إلى غاية عام 1980م. والترجمة العربية الحديثة أو كتاب الحياة، وهي ترجمة تفسيرية بروتستانتية اكتملت عام 1988م، من إصدار مؤسسة ببليكا Biblica بالمملكة المتحدة.

وإضافة إلى هذه الترجمات العربية، فإن الباحث لا يجد بداً أحياناً من الرجوع بخصوص العهد القديم أو التلمود إلى الأصل العبري مع ما يقابله من ترجمة عربية أو إنجليزية، مستعيناً في ذلك بكتاب: العهد القديم العبري: ترجمة بين السطور، للأبوين بولس الفغالي وأنطوان عوكر، وكذلك كتاب Hebrew-English Tanakh الصادر عن دار Varda Books بمدينة Skokie بالولايات المتحدة الأمريكية، مع الرجوع أحياناً أيضاً إلى النص العبري للتلمود وتعليقاته من خلال موسوعة "سفاريا" للتراث الكتابي العبري على موقعها الإلكتروني: [www.sefaria.org](http://www.sefaria.org).

هذا، واتبعت في توثيق نصوص المراجع والمصادر العربية النمط الذي يقوم على ذكر عنوان المؤلف أولاً، ثم اسم المؤلف، ثم الناشر ومكانه، ثم عدد الطبعة وسنتها، ثم الصفحة. وعند تكرار ورود الكتاب يُكتفى بذكر عنوانه ومؤلفه والصفحة منه. أما إذا تعلّق الأمر بالمراجع الأجنبية فقد سرت على ما درجت عليه الكتب الأجنبية من تقديم اسم المؤلف على عنوان الكتاب، وفقاً لنمط (MLA (Modern Language Association)، وهو أسلوب الجمعية الأمريكية للغات الحديثة، المعتمد في توثيق المراجع في حقل العلوم الإنسانية على العموم، وفي الآداب واللغات على وجه الخصوص. وتيسيراً للقراءة فقد أتيت بخلاصات عقب كل فصل تتضمن أهم نتائجه. كما أدرجت في الأخير فهارس لتسهيل عملية البحث، إضافة إلى ملحق للنصوص الأجنبية التي تمّ الإفادة منها، وتجدر الإشارة بخصوصها إلى أن الترجمة لا تكون حرفية، ولا تتناول دائماً جميع عناصر النص، بل أكتفي أحياناً باستخلاص بعض معانيه، مما تدعو الحاجة إليه فقط، دون باقي السرد.

## ✻ خطة البحث:

فرضت طبيعة البحث ومادته بناءه على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة؛ فكانت المقدمة توطئة عرّفت خلالها بالموضوع وقضاياه، كما تضمنتها الحديث عن إشكالية البحث ومنهجه، ودوافع اختيار الموضوع وأهميته، والدارسات السابقة فيه، والأهداف المرجوة منه، وخطة البحث وصعوباته.

وأما الفصل الأول فعنوانه " مفاهيم حول مصطلحات البحث"، وفيه بيان لمفاهيم المصطلحات التي يدور حولها البحث برمّته، وقد اشتمل على ثلاثة مباحث. يتناول المبحث الأول الدلالة الاصطلاحية لصورة "الآخر"، أما المبحث الثاني ففيه حديث عن بعض المفاهيم الأساسية حول التوراة والإنجيل، وأقصد بها ما ضمّنته في ثلاثة مطالب، من حديث في المطلب الأول عن منزلة التوراة والإنجيل في القرآن الكريم، وكذلك ما تناوله المطلب الثاني من معالجة لقضية التحريف في التوراة والإنجيل على ضوء القرآن الكريم، ثم الإشارة إلى هذه القضية نفسها في الفكر الغربي كما جاء ذلك مبيناً في المطلب الثالث. ليبقى بعد ذلك تحديد المعنى المراد من هذه الكتب التي سبق الحديث عن منزلتها وتحريفها، وهو ما يتناوله المبحث الثالث، الذي عالجته فيه من خلال ثلاثة مطالب التعريف بالتوراة والإنجيل والقرآن الكريم، حتى تتضح المعاني ولا يقع الالتباس.

أما الفصل الثاني فتناولت فيه مسألة صورة "الآخر" في التوراة، ويتضمن ثلاثة مباحث، تحدثت في المبحث الأول عن مفهوم "الأنا" ومصطلح "الآخر" في التوراة، من خلال مطلبين اثنين، الأول منهما فيه تحديد لمفهوم "الأنا" والثاني فيه ذكر لمصطلح "الآخر" كما وردا في التوراة. أما المبحث الثاني فعملت فيه على إيضاح معالم صورة



"الآخر" من خلال القضية الجوهرية في الفكر الديني اليهودي، فحاولت مقارنة هذه الصورة في التوراة بناء على عقيدة "الشعب المختار"، وذلك في ثلاثة مطالب، تحدثت في الأول عن النظرة الاستعلائية الموغلة في القدم والضاربة في عمق التاريخ، إذ منذ البدايات في حياة البشرية والتوراة تنحو بالشعب وأسلافه منحى انعزاليا سيخلص في الأخير الى انتخاب واصطفاء واجتباء "الشعب المختار" دون سائر العالمين، فعملت في هذا المطلب على استخلاص صورة "الآخر" من خلال ما ورد في التوراة حول ذرية نوح منذ عهودها الأولى من مباركة لسام ولعن لكنعان. أما المطلب الثاني ففيه محاولة لكشف صورة "الآخر" من خلال بعض النصوص التوراتية التي تؤسس لعقيدة "الشعب المختار". كما تناولت في المطلب الثالث الحديث عن صورة "الآخر" بناء على مفهومي العهد والاختيار. أما المبحث الثالث ففيه محاولة لكشف صورة "الآخر" في التوراة من خلال أحكام التعامل مع الأغيار في السلم والحرب، وقد اشتمل على مطلبين اثنين، الأول فيه وصف لبعض أحكام التعامل مع "الآخر" في أوقات السلم، أما الثاني فيتحدث عن بعض أحكام التعامل مع "الآخر" زمن الحرب.

وأما الفصل الثالث وعنوانه صورة "الآخر" في الإنجيل، ففيه ثلاثة مباحث، يتناول المبحث الأول قضية الانفتاح على "الآخر" من خلال وصف الرؤية المسيحية للعالمية والمحبة بناء على نصوص الإنجيل، ويشتمل على مطلبين، تحدثت في المطلب الأول عمّا ورثته المسيحية عن اليهودية من مبادئ ونصوص "مقدسة" تكرّس الانغلاق على الذات، وما جاءت به بعض نصوص العهد الجديد من ثورة على هذه المبادئ من خلال العالمية والدعوة إلى الانفتاح على سائر الأمم. أما المبحث الثاني، وعنوانه صورة "الآخر" في الإنجيل بين القبول والنفي، فيتضمّن مطلبين، الأول فيه حديث عن قضية المساواة في الخلق كمبدأ لقبول "الآخر"، أما المطلب الثاني فيتناول ما يخالف ذلك من نصوص

إنجيلية تدعو بشكل صريح أو ضمني إلى نفي "الآخر". أما المبحث الثالث فيتحدث عن تضارب القيم في أحكام التعامل مع "الآخر" وفقاً لما جاء به الإنجيل من نصوص متناقضة تدعو إلى الشيء وضده، فتناولت فيه الحديث حول ذلك من خلال مطلبين تضمنا بعض الشواهد الكتابية والواقعية العملية لهذا التضارب في القيم، فبيّنت في المطلب الأول بعض الشواهد الإنجيلية المتناقضة بخصوص التعامل مع "الآخر"، وذكرت في المطلب الثاني بعض النماذج من الشواهد التاريخية التي أبانت عن أعمال النصارى لنصوص العنف والدموية التي جاء بها العهد القديم، بدلاً من التحلي بالسّماحة مع "الآخر" كما حثّت عليها ودعت إليها بعض نصوص الإنجيل.

أما الفصل الرابع والأخير فبعنوان صورة "الآخر" في القرآن الكريم، ويتضمن أربعة مباحث، حاولت في الأول إبراز السياق التاريخي لصورة "الآخر" في القرآن الكريم، من خلال بيان بعض ما كانت عليه الأمم الجاهلية قبل نزول القرآن الكريم من أحوال وأهوال ضاعت فيها كرامة الإنسان، وساد فيها احتقار "الآخر" وهضم حقوقه. أما في المبحث الثاني فتحدثت فيه عن "الآخر" في القرآن من حيث كونه إنساناً مكرّماً، وعرضت فيه لبعض الأسس والمبادئ والقضايا التي تبرز النظرة القرآنية إلى الإنسان على العموم، وإلى "الآخر" على وجه الخصوص. وحاولت في المبحث الثالث استخلاص صورة "الآخر" من خلال عالمية الخطاب القرآني، وما جاء به من دعوة هادية قوامها السّماحة والرحمة، أما في المبحث الرابع، فعملت فيه على بيان بعض القيم القرآنية التي تتضمن مبادئ للتعايش "الآخر".

وفي نهاية البحث، ضمّنت الخاتمة أهم ما توصلت إليه من النتائج بناء على ما سبق بيانه والحديث عنه في جميع فصول هذه الدراسة ومباحثها.

## ☆ صعوبات البحث

يكاد لا يخلو أي عمل علمي من صعوبات تعترضه، ولعل أول ما يواجهه الباحث في موضوعات الدراسات الدينية عموماً هو شح المكتبة العربية أحياناً، سيما فيما يتعلق ببعض المباحث والقضايا الخاصة في علم مقارنة الأديان، وذلك مقابل سيل عرم من الأبحاث والدراسات في القضية نفسها إذا تعلق الأمر بالمكتبات الأجنبية، ولعل هذا راجع إلى اهتمام الغرب بترائه الكتابي، مما يجعل الباحث مضطراً إلى التعامل مع المراجع الأجنبية وإلى كثرة الرجوع إليها، وبذل المجهود في ترجمة نصوصها.

ويضاف إلى ذلك خطورة الخوض في مجال العقائد والأديان والملل، فإن البحث في مثل هذه الموضوعات يتطلب تمحيصاً وتدقيقاً شديداً حتى لا تزل القدم في أصل من أصول الدين، ولا يقع الخلط والالتباس في ثوابت وقطعيات الشريعة. كما أن اتساع موضوع البحث وتعدد عناصره وكثرة مصادره ومراجعته يطرح صعوبة أخرى تتجلى في عسر حصر محاوره. ويبقى هذا العمل مع استفراغ الجهد فيه بشرياً، يلزمه ما يلزم البشر من النقص والتقصير والاختلاف والعجلة، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(1)</sup>، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾<sup>(2)</sup>. فما كان فيه من صواب فبتوفيق من الله تعالى، وأرجو منه سبحانه ثوابه، وما كان فيه من زلل فمن نفسي، وأستغفر الله تعالى عليه، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْمِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

(1) سورة النساء، الآية 81.

(2) سورة الإسراء، الآية 11.

(3) سورة البقرة، الآية 285.

## **الفصل الأول**

### **مفاهيم حول مصطلحات البحت**

- المبحث الأول: الدلالة الاصطلاحية لصورة "الآخر".
- المبحث الثاني: مفاهيم أساسية حول التوراة والإنجيل.
  - المطلب الأول: منزلة التوراة والإنجيل في القرآن الكريم.
  - المطلب الثاني: تحريف التوراة والإنجيل في القرآن الكريم.
  - المطلب الثالث: تحريف التوراة والإنجيل في الفكر الغربي.
- المبحث الثالث: التعريف بالتوراة والإنجيل والقرآن الكريم.
  - المطلب الأول: التعريف بالتوراة.
  - المطلب الثاني: التعريف بالإنجيل.
  - المطلب الثالث: التعريف بالقرآن الكريم.

## الفصل الأول: مفاهيم حول مصطلحات البحث.

إن الحديث عن صورة "الآخر" في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، يستلزم في البداية توضيح المعاني المقصودة من المفردات والمصطلحات الواردة في هذا العنوان، لكي يتضح المراد ولا يقع الالتباس في الفهم؛ خاصة وأن الجمع بين هذه الكتب السماوية في سياق واحد قد يحيل على معان لا يريدها الباحث، سيما إذا تعلق الأمر بالتوراة والإنجيل اللذين تحدث عنهما القرآن الكريم وأثنى عليهما وأعلى من شأنهما في أكثر من موضع، ودعا أهل الكتاب إلى تحكيمهما كما قال سبحانه: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾<sup>(1)</sup> وقال سبحانه: ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمْونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾<sup>(2)</sup>؛ ولكون هذين المسميين: التوراة والإنجيل يقعان أيضا على الكتابين اللذين يقدسهما غير المسلمين من اليهود والنصارى؛ كان من الواجب توضيح وبيان عن أي توراة وإنجيل نتحدث؟ وذلك بالكشف عن المعاني المقصودة من الكتابين في القرآن الكريم، وكذلك بذكر دلالات المصطلحين عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وبناء عليه، يتناول هذا الفصل الحديث عن المفاهيم الأساسية والمصطلحات الرئيسية التي يدور حولها البحث، بدءا بدلالة مصطلحي "صورة الآخر"، ومرورا بالحديث عن المفاهيم والمعاني المتعلقة بالتوراة والإنجيل، وانتهاء بالتعريف بالقرآن الكريم.

(1) سورة المائدة، الآية 49.

(2) سورة المائدة، الآية 45.

## المبحث الأول: الدلالة الاصطلاحية لصورة الآخر.

إن من لوازم طبيعة الإنسان، ومن مقتضيات كونه كائناً عاقلاً، أعمال هذه الخبيصة في التفكير والتصور؛ فالإنسان كائن مفكر، وكل ما يصدر عنه من أحكام ومواقف اتجاه جميع ما يحيط به من الأعيان، ويدور بخلد من المعاني، إنما هو فرع عن تصوّره لها، بناء على خلفيته الفكرية، ومصادره المعرفية، وتجاربه الوجدانية.

ولا يكاد يخفى على أحد من المطلعين مدى أهمية الصورة في وقتنا الحاضر في تشكيل وعي العقل الجمعي<sup>(1)</sup> لمختلف المجتمعات، والطوائف الفكرية والجماعات الدينية، والتجمعات البشرية عموماً، على اختلاف أجناسها، وتنوع مشاربها ومذاهبها. لكن الذي يعنينا هنا ليس تلك الصورة البصرية المادية المتداولة في الوسائط الإعلامية، التي تُستخدم في صناعة الرأي العام، وتستعمل لنمذجة المجتمعات، بالإجهاز على القنوات والمعتقدات، والترويج لقوالب مفاهيمية وإيديولوجية جاهزة، تستهدف الإنسان في عقله فتغثاله، وفي عواطفه فتستلبها. ليصير المتتبع لها، والواقع في حبال شركها، أسير نمط تفكيري معيّن، ليسير بعد ذلك وفق مسالك أعدت له سلفاً، ويغدو رهين دروب رسمت له قبلاً. وإنما المقصود بالحديث هنا هو تلك الصورة الذهنية<sup>(2)</sup>، التي تصنعها المصادر المعرفية والخلفيات الدينية والتوجهات الفكرية، والتي

(1) العقل الاجتماعي: هو مجموعة المشاعر والمعتقدات والآراء والتصورات الجمعية التي تكوّن الوحدة العقلية الجمعية للجماعة. (الشامل: قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، مصلح الصالح، دار عالم الكتب: الرياض، ط1: 1999م ص503).

(2) الصورة الذهنية: هي تمثّل عقلي مجرد لموضوع فئة معينة من الموضوعات. (المرجع السابق، ص267)

تتشكل في مخيال "الذات"<sup>(1)</sup>، بناء على المفاهيم والمعتقدات، التي يبثها النص الديني المقدس.

وإن ما ينطبع في مرآة "الأنا"<sup>(2)</sup> من مفاهيم وأحكام ومواقف هو الصورة التي لا تعدو أن تكون "مجرد تصور ذهني قد يكون حقيقة صادقة أو وهما باطلا".<sup>(3)</sup> ومن خصائصها إجمالاً، كونها بنية تكاملية من المعاني أو السمات التي تتداعى إلى عقل الفرد عند ذكر شيء معين، كما تعدّ إحدى الخبرات المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد، فهي بصفة عامة تشير إلى المعتقدات التي توجد لدينا.<sup>(4)</sup>

وإن مما يتداول في سياقات الحوار بين الثقافات والحضارات، وفي المواضيع ذات الصلة بالتعارف والتواصل بين الشعوب والديانات، عبارة "صورة الآخر"، ويراد منها مجموع التصورات والرؤى والانطباعات الذهنية حول "الآخر". ويعد الحديث في هذا الباب "من أكثر المواضيع حضوراً وتداولاً في عالمنا اليوم، وبات يتصل بالعديد من المجالات والميادين ويتلون بها، ففي المجال السياسي هناك حديث عن الآخر السياسي،

(1) ذات الشيء نفسه وعينه، ويطلق لفظ الذات في المنطق على مجموع المقومات التي تحدد مفهوم الشيء ومنه الذاتي، وهو ما يخص الشيء ويميزه. (المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني: بيروت، ط: 1982م ج1، ص579-580).

(2) الأنا هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعاً، وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائماً واحد ومطابق لنفسه وليس من اليسير فصله عن أعراضه، ويقابل الغير والعالم الخارجي. (المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بمصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: القاهرة، ط: 1983م ص23).

(3) الصور الذهنية والإعلامية: عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير، أيمن منصور ندا، المدينة برس: مصر، ط1: 2004م ص25.

(4) ينظر: المرجع السابق، ص25.

وفي المجال الديني هناك حديث عن الآخر الديني، وفي المجال الفلسفي هناك حديث عن الآخر الفلسفي، وهكذا في المجال الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وغيرها.<sup>(1)</sup>

هذا، وإن مدلول لفظ "الآخر" في اللغة العربية إذا أطلق وأريد به الإنسان، فلا يعدو أن يقصد به "الغير" فحسب، دون أن يشير إلى أي معنى آخر فوق ذلك ولا دون ذلك؛ فلا يحمل بين ثناياه مدحا ولا قدحا، بل يدل بداهة على من هو خارج "الذات" أو "الأنا" دون أن يحيل إلى مواقف إيجابية أو سلبية اتجاهه.

فمادة كلمة "آخر" من الهمزة والخاء والراء، أصل واحدٌ إليه ترجع فروعُه، وهو خلاف التقدم<sup>(2)</sup>، فأصله أَفْعَلٌ من آخر أي تأخر، ثم صار يدل على المغاير، فالآخر يعني: الغَيْر، كقولك رجل آخر وثوب آخر؛ وهو أيضا أحد الشيئين.<sup>(3)</sup> ويكونان من جنس واحد.<sup>(4)</sup>

وفي هذا إشارة إلى أن لفظة "الآخر" في الثقافة العربية الإسلامية من حيث الأصل، مصطلح محايد، سواء دلّ على الإنسان أو غيره. فهو لا يتجاوز دلالاته اللغوية. ويترادف مع لفظ "غير" دون أن يكون في ذلك دلالة على المخالفة أو الموافقة؛ فالآخر

(1) "مفهوم الآخر: بين المعنى السلبي والمعنى الإيجابي، زكي الميلاد، جريدة بِنَات، العدد: 323،"  
<http://arabic.bayynat.org.lb/nachratbayynat/makalat/makalat\_323.htm>.

(2) ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل: بيروت، ط1: 1991م باب الهمزة والخاء وما معهما في الثلاثي، ج1، ص 70.

(3) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (1145-1205هـ)، تحقيق: إبراهيم التريزى، مطبعة حكومة الكويت: الكويت، ط: 1982م. باب الراء، فصل الهمزة، مادة أ خ ر، ج10، ص33-34.

(4) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بمصر، ص8.



قد يكون منا، وقد يكون من غيرنا. كما قال تعالى: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾<sup>(1)</sup>، فوصف الآخر بأنه منهم، أي ممن لحق بأصحاب النبي ﷺ في إسلامهم، من أي جنس كان؛ فهذا يعني أن "الآخر" قد يراد به الموافق، كما قد يقصد به المخالف.<sup>(2)</sup> في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَأَخَّرُوا يَفْقُمُونَ مَقَامَهُمَا﴾<sup>(3)</sup> ومعناه: وآخران من غير دينكم من النصارى واليهود.<sup>(4)</sup> فدّل اللفظ هنا على المخالف في الدين.

وبهذا يمكن الخلوص إلى أن كلمة "الآخر" من حيث اللغة لفظ محايد، ليس فيه أيّ إيحاء إلى الازدراء أو الاستعلاء، ولا يشير إلى أيّ من معاني الاستصغار أو الاحتقار، خلافا لما عليه الشأن أحيانا لدلالة المصطلح وحمولته وإيحاءاته في الفكر الفلسفي الغربي؛ الذي قد يعتبر وجود "الآخر" مشكلة، بل "من أهم المشكلات الفلسفية عموماً"<sup>(5)</sup>

فبالرجوع إلى الجذور اليونانية للثقافة الغربية، نجد عند أرسطو<sup>(6)</sup> Aristote مركزية "الأنا" الإغريقي ومحوريّته بالنظر إلى "الآخر" من باقي شعوب الأرض، فيذكر في

(1) سورة الجمعة، الآية 3.

(2) ينظر: الموقف من الرأي الآخر، محمد بن شاكر الشريف، مجلة البيان، العدد: 206، نوفمبر 2004 ص 6.

(3) سورة المائدة، الآية 109.

(4) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الرّبيدي، ج 10، ص 34.

(5) الموسوعة العربية، مسعود بوبو وآخرون، دار الفكر: دمشق، ط 1: 1998 م ج 1، ص 536.

(6) أرسطو طاليس (384-322 قبل الميلاد) واحد من أهم فلاسفة الإغريق على الإطلاق، فهو فيلسوف يوناني قديم، وكان أحد تلاميذ أفلاطون، وكتب في مواضيع متعددة تشمل الفيزياء والأحياء والمنطق والسياسة. (المعجم الفلسفي، مصطفى حسيبة، دار أسامة: عمان، ط 1: 2009 م ص 51).

كتابه "السياسة" في سياق حديثه عن الصفات والكيوف الطبيعية التي تشترط في مواطن الجمهورية الفاضلة؛ أن شعوب الأقطار الباردة حتى في أوروبا، وإن كانت فيهم الشجاعة فإنهم منحطون في الذكاء وفي الصناعة، أما شعوب آسيا في نظره وإن كانوا أذكاء فإنهم جنباء، بينما العنصر الإغريقي بحكم الوضع الجغرافي وسط، لذلك فإنه يجمع بين كيوف الفريقين، فيه الذكاء والشجاعة معاً، فهو جدير إذا اجتمع في دولة أن يفتح العالم.<sup>(1)</sup> فكانت الطبيعة والموقع الجغرافي هي مستند هذا التفوق العرقي للإغريق في الفكر الأرسطي.

والعالم الذي يتحدث عنه أرسطو هو كل ما يقع خارج دائرة الإغريق، فالآخر عنده هو كل أجنبي لا ينتمي إلى الحضارة اليونانية، فجميع من لا يستخدم ولا يفهم اللغة اليونانية بربري، وموطن للفتح ومحل للاستعباد.<sup>(2)</sup> وبهذا المعنى نشأت الثنائية التّقابلية: اليوناني مقابل البربري<sup>(3)</sup>، فكانت "الأنا" الإغريقية المتحضرة مستعلية دائماً على "الآخر" المتوحش. وفي الفكر الفلسفي الغربي الحديث، نجد قضية "الآخر" في قلب الإشكاليات التي تتناولها الدراسات الفلسفية، فهي من أكبر الأسئلة التي يسعى المفكرون والفلاسفة لعلاجها ووضع حلول لمسائلها.

(1) ينظر: السياسة، أرسطو طاليس، ترجمة: أحمد لطفي السيد، الدار القومية للطباعة والنشر: القاهرة، د.ت ص 254-255.

(2) ينظر: مفهوم وموارث العدو في ضوء عملية التوحيد والسياسات الأوروبية، فيلهو هارلي، ضمن: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، ط1: 1999م ص 54.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 58.

يذكر محمد يحي أن أصل مسألة "الآخر" تستند أساساً إلى تراث أوربي، ويرجع إلى ميراث فكري وفلسفي غربي بعيد الغور وطويل التاريخ، فهو متأصل مثلاً في النزعة "الإنسانية"<sup>(1)</sup> التي غلبت على الفكر الغربي فيما يسمى عصر النهضة<sup>(2)</sup> وما تلاه من عصور فلسفية، حيث تضخم إحساس الفرد بذاته، وصارت الذوات الأخرى مشكلة أو قضية تفرض نفسها من حيث كيفية التعامل مع هؤلاء، وتحقيق الذات في مواجهتهم أو على الأقل بتنسيق معهم.<sup>(3)</sup> وفي الفلسفة الوجودية<sup>(4)</sup> مثلاً، نجد أن "الآخر" متناقض مع الأنا منطقياً ومتعارض معها أنطولوجياً، ويذهب سارتر Sartre «1905-1980م» إلى

<sup>(1)</sup> والإنسانية عند الفلاسفة القدماء هي المعنى الكلي المجرد الدال على ما تقوم به ماهية الإنسان. وفي الفلسفة الحديثة هي المعنى الكلي الدال على الخصائص المشتركة بين الناس. أو مجموع خصائص الجنس البشري المقومة لفصله النوعي، التي تميزه عن غيره من الأنواع القريبة. أو مجموع أفراد النوع الإنساني من حيث أنهم يؤلفون موجوداً جماعياً. (المعجم الفلسفي، جميل صليبا، الجزء الثاني، الصفحة: 158-159)

<sup>(2)</sup> مصطلح يطلق على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة (القرون 14-16)، ويؤرخ لها بسقوط القسطنطينية 1453م، حيث نزح العلماء إلى إيطاليا ومعهم تراث اليونان والرومان. ويدل مصطلح عصر النهضة غالباً التيارات الثقافية والفكرية التي بدأت في البلاد الإيطالية في القرن 14، ومنها انتشرت النهضة إلى سائر أنحاء أوروبا (الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غربال وآخرون، دار القلم: القاهرة، ط: 1965م ص 1216).

<sup>(3)</sup> ينظر: قضية الآخر: في كتابات المثقفين العرب، محمد يحي، مجلة البيان، العدد: 75، أبريل 1994م ص 108.

<sup>(4)</sup> الوجودية existentialism، تيار فلسفي يعلي من قيمة الإنسان ويؤكد على تفردّه، وأنه صاحب تفكير وإرادة وحرية واختيار ولا يحتاج إلى موجه، وهي جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة وليست نظرية واضحة المعالم؛ وهي حركة فلسفية تقترح بأن الإنسان كفرد يقوم بتكوين جوهر ومعنى لحياته، وظهرت كحركة أدبية في القرن العشرين، على الرغم من وجود من كتب عنها في حقب سابقة، ومن أشهر زعمائها المعاصرين الفيلسوف الفرنسي جون بول سارتر. (المعجم الفلسفي، مصطفى حسيبة، ص 680).

<sup>(5)</sup> الموسوعة العربية، مسعود بوبو وآخرون، ج 1، ص 536.

حدّ يقول فيه: "الآخر هو الجحيم ويقصد بذلك، أن الآخر عقبة في طريق حريته، أي حرية الأنا، وتضييق لمجال اختياراته."<sup>(5)</sup> وإن مفهوم "الآخر"، في الفلسفة الغربية تشكّل في مقابل "الأنا"، ومن خلال التمحور حول الذات، وهو مفهوم ضارب في عمق التاريخ الفلسفي الغربي، وقد خضع لتطورات وتغيرات متتالية عبر المراحل التاريخية المختلفة التي مر بها الفكر الأوربي وفلسفته وحضارته.

وإنّ المراد من إيراد هذه الومضة اليسيرة عن المصطلح في الثقافة الغربية، هو بيان بعض معانيه، والإشارة إلى أن له استعمالات متعددة في علوم وحقول معرفية شتى؛ وإلا فإن مجال البحث هنا هو "الآخر الديني" ومن وجهة نظر دينية بحثية، قائمة على دراسة النصوص المقدسة، فهي التي تصنع صورة "الآخر" في ذهن من يقدّسها، وهي المرجعية العليا التي تنبثق منها الأحكام والمفاهيم والتصورات، وعلى ضوءها تتحدّد المواقف، وبناء على مقتضياتها تؤسس المبادئ، وهي الموجه الأعظم للسلوك، ومن أجلها تقام الولاءات، وتنصب العداوات، وهي من يرسم الحدود الفاصلة بين "الأنا" و"الآخر"، وهي من يحدد طبيعة العلاقة معه، وهي المنبع الثرّ لمشاعر التّراحم والتّسامح والتّعايش، وهي أيضاً على النقيض من ذلك، المعين الذي لا ينضب لدوافع الكراهية والاحتقار. فالآخر محلّ الدراسة في هذا البحث هو المخالف في الدين، مهما كان لونه أو جنسه أو بلده أو لغته، أو غير ذلك من الصفات القسرية التي لا يد للإنسان فيها؛ فالذي يمايز ويفرّق ويفرز في هذا السياق بين الذات والذوات الأخرى، ويضع الحد الفاصل بين "الأنا" و"الآخر" هو الدين والمعتقد، الذي يبنيه ويؤسسه النص الديني.

(5) الموسوعة العربية، مسعود بوبو وآخرون، ج1، ص536.

## المبحث الثاني: مفاهيم أساسية حول التوراة والإنجيل.

تعدّ التوراة والإنجيل من أكثر الكتب حضوراً وذكرًا في القرآن الكريم، فقد وردت فيه كلمة التوراة ثماني عشرة مرة، بينما ذكر لفظ الإنجيل في اثنتي عشرة آية، وهذا فيه دلالة على قدر الكتابين ومنزلتهما السنيّة في القرآن الكريم، الذي اعترف بهما، وجاء فيه تصديقه لهما بكونهما وحي إلهي وتنزيل سماوي؛ فهما من جملة ما أنزل الله من الكتب التي يجب الإيمان بها؛ وفيما يأتي حديث عن منزلة هذين الكتابين في العقيدة الإسلامية، وفقا لما يقرره القرآن الكريم، وتحدّده السنة النبوية؛ كما يتناول المبحث أيضا حديثا عمّا اعترى هذين الكتابين من التحريف، بناء على ما أخبر به القرآن الكريم وأكدّه العلم الحديث.

### المطلب الأول: منزلة التوراة والإنجيل في القرآن الكريم.

إن الإيمان بالكتب السماوية من ركائز دين الإسلام، ومن صميم الإيمان، بل هو ركن من أركانه، فلا يصح لمسلم إيمان، ولا يسلم له اعتقاد، إلا إذا آمن بما أنزل الله تعالى من الكتب على رسله الكرام، لقوله تعالى: ﴿أَمَرَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ أَمَرَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾<sup>(1)</sup>.

فبيّن المولى سبحانه أن الإيمان بهذه الكتب التي أنزلها على رسله، من لوازم الإيمان به وبرسله عليهم السلام، فلا تفريق في الإيمان والتصديق بين رسل الله تعالى ولا بين كتبه، أمر سبحانه أن نؤمن بالرسول جميعا وبالكتب جميعا، قال سبحانه: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا

(1) سورة البقرة، الآية 285.

﴿وَتَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ رَبِّهِمْ لَآ تُقِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

وإن إنكار نبوة واحد من الرسل كإنكار نبوتهم جميعاً، لأنهم حملة رسالة واحدة، ودعاة دين واحد، ومرسلهم واحد؛ قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(2)</sup> ، وقال: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(3)</sup>، وقال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(4)</sup> ، وقال: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(5)</sup>، ومن المعروف أنَّ كلَّ أمةٍ من هذه الأمم إنما كذَّبت رسولها، إلا أنه سبحانه وصفها بتكذيب المرسلين جميعاً، ذلك أن التكذيب برسول واحد يعدّ تكذيباً بجميع الرسل، فهم وحدة، يبشر المتقدم منهم بالمتأخر، ويصدق المتأخر المتقدم.

ومن هنا كان الإيمان ببعض الرسل والكفر ببعض كفراً بهم جميعاً، وقد وسم الله من هذا حاله بالكفر<sup>(6)</sup>، قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقْرِفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾<sup>(7)</sup>.

(1) سورة البقرة، الآية 136.

(2) سورة الشعراء، الآية 105.

(3) سورة الشعراء، الآية 123.

(4) سورة الشعراء، الآية 141.

(5) سورة الشعراء، الآية 160.

(6) ينظر: الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس: عمان، ط6: 1995م. ص24-25.

(7) سورة النساء، الآية 149.

فلا سبيل إذن إلى التفريق بين رسل الله تعالى، كما لا سبيل إلى التفريق بين كتبه سبحانه، فالتكذيب بواحد منها، تكذيب بالكتب جميعاً، وذاك ضلال بعيد، كما قال جل شأنه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ اِلٰذِى نَزَّلَ عَلٰى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ اِلٰذِى اُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهٖ وَكِتٰبِهٖ وَرُسُلِهٖ ءَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰلًا بَعِيْدًا﴾<sup>(1)</sup>.

وبين النبي أن من أركان الإيمان، الإيمان بكتب الله تعالى، قال ﷺ: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، وبلقائه، ورسله وتؤمن بالبعث."<sup>(2)</sup>

وعليه، فإن الإيمان بالكتب والرسل من شعائر الإسلام، ومن تعاليم الدين الحنيف الثابتة بالكتاب والسنة، فبه جاء القرآن الكريم و عليه نصت عليه أحاديث النبي ﷺ.

وإن هذا الإيمان بالكتب والرسل يكون على وجه الإجمال، بالتصديق بكل ما أنزل الله من الكتب وأرسل من الرسل ممن علمنا وممن لم نعلم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّنْ فَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّمْ نَفْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ اَنْ يَّاتِيَ بِغَايَةٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ﴾<sup>(3)</sup>.

(1) سورة النساء، الآية 135.

(2) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم الحديث: 50، ج 51، ص 19. (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة: بيروت، ط 1: 1422هـ.).

(3) سورة غافر، الآية 77.

قال ابن كثير رحمه الله «ت 774هـ» في تفسير الآية: "أي: منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسول العاقبة والنصرة، «وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ» وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف<sup>(1)</sup>، فما من أمة من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النذر<sup>(2)</sup>، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾<sup>(3)</sup>.

وقد أنزل على هؤلاء المنذرين لهذه الأمم من الكتب ما لا يحيط بعلمه إلا الله سبحانه، إذ لا نعلم على وجه التفصيل كل أسماء وعدد هؤلاء الأنبياء ولا تلك الكتب، فالإيمان بها يكون على وجه الإجمال، باعتقاد أن الله تعالى بعث العديد من الرسل وأنزل معهم الكتب، ليكونوا مبشرين ومنذرين لأمتهم، قال جل شأنه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا إِخْتَلَفُوا فِيهِ﴾<sup>(4)</sup>.

والكتاب في الآية بمعنى الكتب، فهو اسم جنس أفاد الاستغراق، والتعبير عنها باسم الجنس لدلالة هامة، وهي اتفاق كتب الله المختلفة التي أنزلها على رسله في الموضوع والمهمة والأثر والهداية، فكأنها كتاب واحد، رغم اختلاف زمانها ومكانها<sup>(5)</sup>؛ وإلى معنى الاستغراق أشار الطاهر بن عاشور بقوله: "والتعريف في الكتاب للاستغراق،

(1) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض، ط 2: 1999م. ج 7، ص 158-159.

(2) المصدر السابق، ج 6، ص 543.

(3) سورة فاطر، الآية 24.

(4) سورة البقرة، الآية 211.

(5) ينظر: حديث القرآن عن التوراة، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار العلوم للنشر والتوزيع: عمان، ط: 2004م. ص 22.



أي وأنزل مع النبيين الكتب التي نزلت كلها وهو من مقابلة الجمع بالجمع على معنى التوزيع، فالمعنى أنزل مع كل نبي كتابه.<sup>(1)</sup>

ويكون الإيمان بهؤلاء الأنبياء وكتبهم على وجه التفصيل بالتصديق بنبوّة جميع الأنبياء الذين قصّ الله تعالى علينا خبرهم في القرآن الكريم، وكذا التصديق بكل الكتب التي أنزلت عليهم، والتي ذكرها تعالى بأسمائها.

وإنّ مما ورد ذكره في القرآن الكريم من الكتب السماوية المنزلة: التوراة والإنجيل؛ قال سبحانه: ﴿فُلْ يَتَأَهَّلَ أَلَكِتَابِ لِسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفِيمُوا التَّوْرِيَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ﴾<sup>(2)</sup>.

جاء عند ابن جرير الطبري رحمه الله «ت: 310هـ» في تفسير الآية: "يقول تعالى ذكره له: قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى: «يا أَهْلَ الْكِتَابِ» التوراة والإنجيل، «لستم على شيء» مما تدعون أنكم عليه مما جاءكم به موسى ﷺ معشر اليهود، ولا مما جاءكم به عيسى معشر النصارى، حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم مما جاءكم به محمد ﷺ من الفرقان، ... وتقرّوا بأن كلّ ذلك من عند الله فلا تكذبوا بشيء منه ولا تفرّقوا بين رسل الله فتؤمنوا ببعض وتكفروا ببعض، فإن

(1) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، الدار التونسية للنشر: تونس، ط:

1984م. ج2، ص307-308.

(2) سورة المائدة، الآية 70.

الكفر بواحد من ذلك كفر بجميعه، لأن كتب الله يصدّق بعضها بعضاً، فمن كذب ببعضها فقد كذب بجميعها.<sup>(1)</sup>

وإذن، فأهل الكتاب من اليهود والنصارى، ليسوا على شيء ما لم يقيموا الوحي المنزل على أنبيائه، والذي يصدّق بعضه بعضاً؛ فالتوراة التي هي الوحي المنزل على نبي الله موسى، والإنجيل الذي هو الوحي المنزل على نبيه عيسى، والقرآن الكريم الذي هو وحيه لمحمد عليه وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام، كل هذه الكتب لينات متراكبة مترابطة في صرح الوحي الإلهي المنزل، يشد بعضها بعضاً، فلا يكون لأهل الكتاب شأن عند الله تعالى ما لم يقيموا الوحي الإلهي بجملة، فلا يفرقوا بين كتب الله تعالى، فقد أمروا أن يؤمنوا بها جميعاً؛ يقول الجصاص «ت 370هـ»: "وقوله تعالى «لستم على شيء» مقتضاه لستم على شيء من الدين الحق حتى تعملوا بما في التوراة والإنجيل والقرآن."<sup>(2)</sup>

وقد وصف الله تعالى هذه الكتب، التوراة والإنجيل والقرآن، بالهدى والنور، فقال سبحانه عن توراة موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾.<sup>(3)</sup>

وبذلك وصف سبحانه إنجيل عيسى عليه السلام، بعدما بين الترابط بين رسالتي التبيين عليهما السلام، وأنه لا تعارض بينهما، وأن عيسى عليه السلام جاء مصدقاً لما قبله من التوراة، غير مكذب بها ولا جاحد لها، فقال سبحانه: ﴿وَفَقَّبْنَا عَلَى

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر: مصر، ط1: 2001م. ج8، ص572.

(2) أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت 370هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: 1992م. ج4، ص105.

(3) سورة المائدة، الآية 46.

ءَاثِرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ  
وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ<sup>(1)</sup>،

إن التأكيد على التصديق سمة واضحة في هذه الآية، وفي ذلك إشارة إلى وحدة الرسالة، وأنها كلها من عند مرسل واحد سبحانه؛ وبالوصف نفسه وصف القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾<sup>(2)</sup>.

فالذي أنزل التوراة والإنجيل من قبل ووصفهما بالهدى والنور، هو سبحانه الذي نزل على نبيه محمد ﷺ الكتاب مصدقا لما قبله، ووصفه أنه التور عينه، في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدُجَاءَ كُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾<sup>(3)</sup>؛ وإلى هذا أشار ابن عجيبة «ت1224هـ» في لطيفة يقول فيها: "قد وصف الله تعالى القرآن بأعظم مما وصف به التوراة ... فجعل التوراة ظرفاً للهداية والنور، وجعل القرآن نفس النور والهداية."<sup>(4)</sup>

وإنّ فيما سبق ذكره من الآيات البيّنات دلالة واضحة على أن الكتب السماوية الموحى بها إلى أنبيائه موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، حلقات متصلة، يشد بعضها بعضا، فهي نظم محكم، وبناء متراس؛ فقد كانت بعثة النبي ﷺ ونزول

(1) سورة المائدة، الآية 48.

(2) سورة آل عمران، الآية 2.

(3) سورة النساء، الآية 173.

(4) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن عجيبة (ت 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي: القاهرة، ط: 1419هـ، ج 2، ص 43.

القرآن الكريم عليه، خاتمة العقد، واللّبة الأخيرة التي أتمت البنيان في دين الله تعالى؛ وهذا ما وصفه النبي ﷺ بقوله: "إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ".<sup>(1)</sup>

وبناء عليه، ببعثة النبي ﷺ ونزول القرآن الكريم اكتمل صرح الرسالات السماوية، وأتم الله النعمة وأكمل الدين. هذا، وإنه مع الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة التي وصفت بها التوراة في القرآن الكريم، وكذلك الإنجيل، فإن القرآن لم يُغفل ما اعتري هذين الكتابين من التحريف والتزييف، بل بيّن ما حل بهما من صنائع أهل الكتاب، وكشف ما قاموا به من تزوير في كلام الله تعالى، كما سيأتي بيانه في المطلب الموالي.

### المطلب الثاني: تحريف التوراة والإنجيل في القرآن الكريم.

تحدّث القرآن الكريم عن عبث أهل الكتاب بكتابهم، وأنهم لم يحفظوا الوحي المنزل كما أمروا بذلك، قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾<sup>(2)</sup>

فأخبر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الأحبار والرهبان استحفظوا كتاب الله، يعني استودعوه، وطلب منهم حفظه، ولم يتعهد الله بحفظه، ولئن لم يبيّن سبحانه في

<sup>(1)</sup> رواه البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، رقم: 3535، ج 4، ص 186.

<sup>(2)</sup> سورة المائدة، الآية 46.

هذا الموضع هل امثلوا الأمر في ذلك وحفظوه، أو لم يمثّلوا الأمر في ذلك وضيعوه؟ فإنه قد بيّن في مواضع أخر من القرآن أنهم لم يمثّلوا الأمر، ولم يحفظوا ما استحفّظوه، بل حرفوه وبدلوه عمداً،<sup>(1)</sup> كما في قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾<sup>(2)</sup>.

والتّحريف في القرآن والكلمة: تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها، إذ التّحريف في اللّغة: التّغيير والتّبديل<sup>(3)</sup>، وفي الاصطلاح: تغيير النّص لفظاً أو معنى.<sup>(4)</sup>

جاء في "التحرير والتنوير"، أن التحريف هو الميل بالشيء إلى الحرف، أي إلى جانبه وحافته، وهو في قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ مستعمل في الميل عن سواء المعنى وصريحه إلى التأويل الباطل، كما يقال: تنكّب عن الصراط، إذا أخطأ الصواب وصار إلى سوء الفهم والضلال، فهو على هذا تحريف مراد الله في التوراة إلى التأويلات باطلة.<sup>(5)</sup>

ولا يقتصر التّحريف في التوراة على المعنى فحسب بالتأويل الفاسد، بل يطال اللفظ أيضاً بالحذف أو الزّيادة أو التّغيير والتّبديل، يضيف ابن عاشور قائلاً: "ويجوز

(1) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت 1393هـ)، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع: مكة المكرمة، ط1: 1426هـ. ج2، ص120.

(2) سورة النساء، الآية 45. وسورة المائدة، الآية 14.

(3) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الرّبيدي (ت: 1205هـ). باب الفاء، مادة (ح ر ف)، ج23، 134.

ولسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ)، دار صادر: بيروت، ط3: 1414هـ. باب حرف الفاء، فصل الحاء المهملة، ج9، ص43.

(4) فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن للنشر: الرياض. ص18.

(5) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج5، ص75.

أن يكون التحريف مشتقاً من الحرف وهو الكلمة والكتابة، فيكون مراداً به تغيير كلمات التوراة وتبديلها بكلمات أخرى لتوافق أهواء أهل الشهوات في تأييد ما هم عليه من فاسد الأعمال.<sup>(1)</sup>

فالمراد إذن بالتحريف المذكور في الآية سالفه الذكر، هو تغيير كلام التوراة بكلام آخر عن جهل أو قصد أو خطأ في تأويل معاني التوراة أو في ألفاظها. فهو إبعاد للكلام عن مواضعه، أي إزالة للكلام الأصلي سواء عوض بغيره أو لم يعوّض.<sup>(2)</sup>

أما في قوله سبحانه: ﴿يُحَرِّبُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾<sup>(3)</sup>، فيذهب ابن عاشور إلى أن المراد بالتحريف في هذا الموضع هو إلغاء العمل بالنص الذي بقي ثابتاً في التوراة، فيقول: "لفظ «بعد» يقتضي أنّ مواضع الكلم مستقرّة وأنّه أبطل العمل بها مع بقائها قائمة في كتاب التوراة".<sup>(4)</sup>

وإذن، وحسب ابن عاشور، فإن «تحريف الكلم عن مواضعه» في توراة اليهود، هو إبعاده عن موضعه الذي وضع له، بتغيير معناه بالتأويل الباطل، أو تغيير لفظه بالتبديل أو الزيادة أو النقصان، ويقول: "والظاهر أنّ كلا الأمرين قد ارتكبه اليهود في كتابهم"<sup>(5)</sup>، أما تحريف الكلم «مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ» فيعني عنده، إلغاء وإبطال العمل به بعدما استقرّ في موضعه.

(1) التحرير والتنوير، ج 5، ص 75.

(2) ينظر: المصدر السابق، ج 6، ص 200.

(3) سورة المائدة، الآية 43.

(4) التحرير والتنوير، ج 6، ص 200.

(5) المصدر السابق، ج 5، ص 75.

وإلى التفريق في المعنى بين اللفظتين: «عَنْ مَوَاضِعِهِ» و «مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ» ذهب أيضا النّسفي في تفسيره «ت: 710هـ»، فنسب الأولى إلى التحريف المعنوي بالتأويلات الباطلة والتفسيرات الفاسدة، ونسب الثانية إلى التحريف اللفظي بالتّغيير والتبديل في كلمات التوراة.

فيذكر أن تحريف الكلم عن مواضعه يعني، "إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه، ومعنى مِنْ بَعْدِ مواضعه أنه كانت له مواضع هو جدير بأن يكون فيها، فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره." <sup>(1)</sup>

وعليه، فتحريف الكلام عن المواضع في توراة اليهود عند النّسفي يقتضي أنهم يبدلون المعنى بغيره، و"يفسرونه على غير ما أنزل." <sup>(2)</sup> أما تحريفه من بعد الموضع فيعني الإمالة والإزالة للألفاظ والمعاني، فهم "يحرفون الكلم من بعد مواضعه: أي يزيلونه ويميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا موضع." <sup>(3)</sup>

أما الفخر الرازي «ت: 606هـ» فأشار إلى أنه إذا فسّرنا التحريف بالتأويلات الباطلة في قوله تعالى: «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ»، ومعناه: أنهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص، وليس فيه بيان أنهم يخرجون تلك اللفظة من

<sup>(1)</sup> تفسير النّسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد النّسفي (ت: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب: بيروت، ط: 1: 1998م، ج: 1، ص: 362.

<sup>(2)</sup> المصدر السابق، ج: 1، ص: 434.

<sup>(3)</sup> المصدر نفسه، ج: 6، ص: 447.

الكتاب؛ فإن الآية المذكورة في سورة المائدة: ﴿يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، فيها دلالة على أنهم جمعوا بين الأمرين، فكانوا يذكرون التأويلات الفاسدة، وكانوا يخرجون اللفظ أيضا من الكتاب، فقلوه: ﴿يُحَرِّقُونَ الْكَلِمَ﴾ إشارة إلى التأويل الباطل وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ إشارة إلى إخراجهم عن الكتاب.<sup>(1)</sup>

وبالجملة، مهما اختلفت عبارات المفسرين وتأويلاتهم بخصوص الآيتين، فإنهم مجمعون على حصول التحريف اللفظي والمعنوي في تورا اليهود؛ بل إن القول بتحريف كتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى هو محل إتفاق علماء المسلمين قاطبة، وإن اختلفوا في معنى وحدود هذا التحريف؛ يقول علي البار: "والمسلمون متفقون على وقوع التحريف في التوراة، فهو ثابت بنص القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكنهم يختلفون في مدى ونوعية هذا التحريف."<sup>(2)</sup>

وإنّ هذا الاختلاف في معاني التحريف الذي تحدث عنه القرآن الكريم هو ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني «ت 852هـ» في الفتح، حينما بيّن أن الاختلاف في هذه المسألة على أربعة أقوال:

أحدها: أنها بدلت كلها، وأشار أنه ينبغي حمل إطلاق من أطلق هذا القول على الأكثر، وإلا فهي مكابرة. فالآيات والأخبار كثيرة في أنه بقي منها أشياء لم تبدل، من ذلك قوله

(1) ينظر: تفسير الفخر الرازي، محمد بن عمر الرازي (ت: 606هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ط 1: 1981م. ج 10، ص 121-122.

(2) تحريف التوراة وسياسة إسرائيل التوسعية، محمد علي البار، دار القلم: دمشق، ط 1: 1998م. ص 20.



تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾<sup>(1)</sup>. ومن ذلك قصة رجم اليهوديين وفيه وجود آية الرجم، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَلْ يَقَاتُوا بِالتَّوْرَةِ قَاتِلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

ثانيها: أن التبديل وقع ولكن في معظمهما وأدلته كثيرة وينبغي حمل الأول عليه.

ثالثها: وقع في اليسير منها ومعظمها باق على حاله.

رابعها: أنما وقع التبديل والتغيير في المعاني لا في الألفاظ<sup>(3)</sup>

ويبدو أن هذا القول الرابع بعيد عن الصواب، لمخالفته الواضحة لواقع التوراة، ففيها من النصوص ما يدل بداهة على أنها ليست على الإطلاق من عند الله تعالى، بل هي من زيادات المحرّفين من كتبة التوراة، ذلك أن أحبار اليهود لم يقتصروا في التحريف على التفسيرات الضالة، والتأويلات الباطلة، والمعاني الفاسدة فحسب، بل قاموا بإضافات وزيادات كثيرة في الألفاظ مما لم ينزل الله تعالى<sup>(4)</sup>.

(1) سورة الأعراف، الآية 157.

(2) سورة آل عمران، الآية 93.

(3) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة: بيروت، ط: 1379هـ. باب قول الله تعالى بل هو قرآن مجيد، ج 13، ص 523-524.

(4) من ذلك على سبيل المثال لا الحصر: إيرادهم في التوراة أن الله تعالى وتقدس صارع يعقوب طوال الليل ولم يتغلب عليه، فجاء تحت عنوان: يعقوب يصارع الله ما نصه: "فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. لَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخَذَهُ فَأَنخَلَ حُقَّ فَخَذَ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: «أُطْلِقْنِي لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لَا أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». فَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». فَقَالَ: «لَا يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ». وتعلق الهيئة العلمية اليسوعية التي نشرت الكتاب بقولها: "المقصود في هذه الرواية الغامضة، اليهودية =

أما وقوع أهل الكتاب في تحريف المعاني فهو محل إجماع المسلمين، بل وأهل الكتاب أيضاً، كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية «ت 728هـ» وهو يتحدث عن تحريف النصارى لكتابهم، بقوله: "فأما تحريف معاني الكتب بالتفسير والتأويل وتبديل أحكامها فجميع المسلمين واليهود والنصارى يشهدون عليهم بتحريفها وتبديلها؛ كما يشهدون هم والمسلمون على اليهود بتحريف كثير من معاني التوراة وتبديل أحكامها."<sup>(1)</sup>

وقد ذكر ابن القيم «ت 751هـ» كيفيات التّحريف في الكتب السماوية السابقة، بناء على ما ورد في القرآن الكريم؛ وبَيّن أنّ من صورها التحريف اللفظي والمعنوي، فقال: "وأما التحريف فقد أخبر سبحانه عنهم في مواضع متعددة، وكذلك ليّ اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه، فهذه خمسة أمور:

أحدها: لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

---

= ولا شك، هو الصراع الجسدي، أي الصراع مع الله، يبدو فيه يعقوب الغالب أولاً، لكنه حين عرف طبيعة خصمه السامية، اغتصب بركته. "ثم يذكرون كلمة المؤلف، للدلالة على أن النص من تألف صاحبه وليس من عند الله، فيقولون: "يستعمل المؤلف قصة قديمة لتفسير اسم فنوئيل -بني ايل- «وجه الله» لإيجاد أصل لاسم إسرائيل. وبذلك يضيف على القصة معنى دينياً" (الكتاب المقدس، ترجمة الرهبانية اليسوعية، دار المشرق: بيروت، ط3: 1994م ص:118).

و من مثيلات تلك النصوص: زعمهم أن الله منع آدم من الأكل من شجرة المعرفة حتى يبقى جاهلاً، فلا يستطيع أن ينافس الرب في ملكوته... ومثل زعمهم أن الله تعب بعد خلق السماوات والأرض فاستراح في اليوم السابع وهو يوم السبت... ومثل زعمهم أن لوطاً زنى بابنتيه بعد أن شرب الخمر... ومثل زعمهم أن إبراهيم عليه السلام تزوج أخته سارة... ومثل زعمهم أن نوحاً شرب الخمر حتى تعرّى... ومثل زعمهم أن داوود زنى بحليلة جاره... وأن هارون هو الذي صنع لبني إسرائيل العجل وهو الذي أمرهم بعبادته... والقائمة أطول من أن تذكر وأكبر من أن تحصر. (ينظر: المدخل لدراسة التوراة، محمد علي البار، دار القلم: دمشق، ط1: 1990م ص118).

<sup>(1)</sup>الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت 728هـ)، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة: الرياض، ط2: 1999م ج2، ص380-381.

الثاني: كتمان الحق.

الثالث: إخفاؤه، وهو قريب من كتمان.

الرابع: تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه.

الخامس: ليّ اللسان به، ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره.<sup>(1)</sup>

وما نصّ عليه ابن القيم رحمه الله هو استقراء لما جاء في القرآن الكريم في موضوع التحريف وصوره، فقد تحدث الله عز وجلّ عن شتى أنواع التحريف وما شابهه من صنائع اليهود والنصارى مع كتبهم، ومن ذلك ما يأتي:

إخفاء الحق: إنّ كل ما أنزل الله تعالى في كتبه حق لا ريب فيه، وصدق لا مرية فيه، فتوراة موسى وإنجيل عيسى عليهما السلام وحي منزل ونور وهدى؛ وقد أخبر الله تعالى في القرآن أن اليهود والنصارى كانوا يخفون كثيراً مما جاءهم من الحق، فقال تعالى: ﴿فُلْ مَنَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾<sup>(2)</sup>.

وفي الآية نعي لما فعلته يهود من تحريف التوراة وتغييرها، وفيها توييخ لهم على سوء صنيعهم، إذ أخرجوا التوراة من جنس الكتاب لينزلوه منزلة القراطيس المفرقة، ليتسنى لهم إخفاء ما يريدون، وإظهار ما يروق لهم.

(1) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت 751هـ)، تحقيق محمد أحمد الحاج، دار القلم: دمشق، ط1: 1996م ص312.

(2) سورة الأنعام، الآية 92.

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْبَهُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(1)</sup>. ومعنى الآية كما عند الطبري: "يبين لكم محمد رسولنا كثيرا مما كنتم تكتُمونه الناس ولا تبينونه لهم مما في كتابكم".<sup>(2)</sup>

كتمان الحق: بستره وعدم تبينه والصدع به، "وكتمانهم الحق أن يقولوا: لا نجد في التوراة صفة محمد ﷺ، أو حكم كذا. أو يمحوا ذلك. أو يكتبوه على خلاف ما هو عليه".<sup>(3)</sup>

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيفًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(4)</sup>، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ هُوَ اللَّهُمَّ لَيَكْتُمَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾<sup>(5)</sup>.

وكتمان الحق قريب من إخفائه، وقد لا يظهر الفرق واضحا بينهما، فكتمان الحق إخفاؤه وإخفاء الحق كتمان، لكن القرآن الكريم قد سجل على أهل الكتاب الأمرين معا: الكتمان والإخفاء، فإذا تأملنا فيما أخفاه اليهود من الحق وما كتموه، تبين أن بينهما فرقا دقيقا؛ ذلك أنه إذا تعلق الحق بالغير، وكان سيرجعه عليه بالفضل الكبير

(1) سورة المائدة، الآية 16.

(2) تفسير الطبري، ج 8، ص 262.

(3) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري (ت 538هـ)، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخران، مكتبة العبيكان: الرياض، ط 1: 1998م. ج 1، ص 260.

(4) سورة البقرة، الآية 145.

(5) سورة آل عمران، الآية 187.

والمنزلة العظيمة كتموه حقدا وكراهية، كما قال سبحانه: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(1)</sup>.

ولذلك فقد كتموا ما علموه من أوصاف النبي ﷺ ونبوته، كما أنكروا نبوة عيسى عليه السلام، أما الإخفاء فغالبا ما يكون في المخازي والعيوب والمثالب، فكل ما فيه خزيهم، وكل أمر يسيئهم، فإنهم يعمدون إلى إخفائه وعدم إظهاره للناس لئلا يفتضح أمرهم، ويظهر عيبهم؛ فالإخفاء إخفاء صيانة -يصونون به أنفسهم ويغطون به عارهم- والكتمان كتمان الفضل والنعمة إذا تعلق بالغير.<sup>(2)</sup>

إلباس الحق بالباطل: والمراد به خلط الحق بالباطل حتى يلتبس على الناس ولا يميزوا بينهما، فينطلي عليهم الباطل، يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْهَلِ الْكِتَابُ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(3)</sup>، ومعنى "لا تلبسوا الحق بالباطل" في الآية كما ينص على ذلك الزمخشري «ت 538هـ» في تفسيره هو: "لا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيخلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتكم، حتى لا يميز بين حقها وباطلكم".<sup>(4)</sup>

(1) سورة البقرة، الآية 104.

(2) ينظر: من قضايا التوراة دراسة وتحليل، محمد شلبي شتيوي، ص 60.

(3) سورة آل عمران، آية 70.

(4) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، ج 1، ص 259.

ومن الآيات أيضا في هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

**تعطيل الحق:** والمقصود به تعطيل أحكام التوراة والإنجيل، وعدم إقامتها ولا العمل بتعاليمها. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَفَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ بَوْفِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُفْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(2)</sup>، وقال تعالى: ﴿فَلْيَتَأْهَلِ الْكِتَابُ لِسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفَيْمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>(3)</sup>. وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْقَاراً بِيسَ مَثَلُ الْفُؤَمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْفُؤَمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(4)</sup>.

**إهمال الحق:** بتركه وراء الظهر، والتخلي عنه، وعدم الالتفات إليه، كتجاهلهم لحقيقة نبوة محمد ﷺ، كما في قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(5)</sup>. أي: اطرَح طائفة منهم كتاب الله الذي بأيديهم، مما فيه البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم، بمعنى: تركوها، كأنهم لا يعلمون ما فيها.<sup>(6)</sup>

(1) سورة البقرة، الآية 41.

(2) سورة المائدة، الآية 68.

(3) سورة المائدة، الآية 70.

(4) سورة الجمعة، الآية 5.

(5) سورة البقرة، الآية 100.

(6) تفسير ابن كثير، ج 1، ص 345.

و من ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

وعني بذلك تعالى ذكره كما عند الطبري: واذكر يا محمد من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب، إذ أخذ الله ميثاقهم ليبين للناس أمر نبوتك الذي أخذ ميثاقهم على بيانه للناس، في كتابهم الذي هو التوراة والإنجيل، ولا يكتُمونه، «فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» أي: فتركوا أمر الله وضيعوه، ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك، فكتُموا أمرك، وكذبوا بك، «وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» بمعنى: وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتُموه من أمر نبوتك، عوضا منه، خسيسا قليلا من عرض الدنيا.<sup>(2)</sup>

نسيان الحق: قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَفَضِهِم مِّثْلَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ فَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْبِحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

وفسر قوله تعالى: «ونسوا حظا مما ذكروا به»، أن الله عز وجل أخذ ميثاق بني إسرائيل في التوراة أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويصدقوا به، كما هو مكتوب عندهم في التوراة، فلما بعثه الله عز وجل كفروا به وحسدوه، وقالوا: إن هذا ليس

(1) سورة آل عمران، الآية 187.

(2) ينظر: تفسير الطبري، ج 6، ص 193-294.

(3) سورة المائدة، الآية 14.

من ولد إسحاق، وهو ولد من إسماعيل، فقال الله عز وجل: «ولا تزال تطلع على خائنة منهم»، وهو الغش للنبي صلى الله عليه وسلم.<sup>(1)</sup>

لِي اللسان بالكتاب والكذب: وعن ذلك أخبر الله عز وجل بقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَبَعِيفًا يَلُودَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(2)</sup>، بمعنى أنهم يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب ليظنه السامع من الكتاب، وهو ليس كذلك؛ ويذكر الزمخشري في تفسيره أن قوله تعالى: «وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» تأكيد لقوله: هو من الكتاب، وزيادة تشنيع عليهم، وتسجيل بالكذب، ودلالة على أنهم لا يعرضون ولا يورون وإنما يصرّحون بأنه في التوراة هكذا، وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جرامتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة.<sup>(3)</sup>

فهم لا يجدون حرجا في افتراء الكذب على الله تعالى، قال سبحانه: ﴿قُلْ قَاتُوا بِالْتَّوْبَةِ قَاتُلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(4)</sup> بَمَسِ إِبْتِرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ قَاءَ وَلَيْكَ هُمْ الظَّالِمُونَ<sup>(4)</sup>.

الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض الآخر: كما في قال تعالى: ﴿أَقْتُمُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ

(1) تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان البلخي (ت: 150هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث بيروت، ط1: 1423هـ، ج1، ص461.

(2) سورة آل عمران، الآية 77.

(3) ينظر: الكشاف للزمخشري، ج1، ص573.

(4) سورة آل عمران، الآية 93-94.



الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ<sup>(1)</sup>. وفي الآية تقرير وتوبيخ لأهل الكتاب على التفريق بين أحكام الله تعالى، بإعمال بعضها، وإهمال بعضها الآخر، وانتقاء ما يروق لهم وتشتيه نفوسهم من أحكام، وترك ما يخالف أهواءهم.

**الظن:** كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّمُوتُ وَلَا يَعْلَمُونَ أَلَكُتَبِ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾<sup>(2)</sup>. والظن في هذا الموضع: الشك، فمعنى الآية: ومنهم من لا يكتب ولا يخط ولا يعلم كتاب الله ولا يدري ما فيه إلا تخرصاً وتقولاً على الله الباطل ظناً منه أنه محق في تخرصه وتقوله الباطل.<sup>(3)</sup>

**التزوير:** كما وصف الله تعالى ذلك في بقوله: ﴿بَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ أَلَكُتَبِ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً بَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَبَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(4)</sup>.

يذكر أبو زهرة في تفسيره أن في قوله تعالى: «يكتبون الكتاب بأيديهم» تأكيد لبيان أنهم هم مصدر الإعلام به، وأنه ليس صادراً من عند الله تعالى، ليضلوا به الجهلة منهم. وفي قوله تعالى: «بأيديهم» بيان أنهم كتبوه حقيقة لا مجاز فيه؛ وهذا الوجه، يكون في قوله تعالى عنهم: «يقولون هذا من عند الله»، والإشارة هاهنا إلى المكتوب لا إلى التأويلات التي يتأولونها خارجين بالكلام عن مواضعه؛ وهناك تأويل آخر في قوله:

(1) سورة البقرة، الآية 84.

(2) سورة البقرة، الآية 77.

(3) تفسير الطبري، ج 2، ص 161.

(4) سورة البقرة، آية 78.

«يقولون هذا» تكون الإشارة فيه إلى التأويلات التي يحرفون بها الكلام عن مواضعه. والحقيقة أنه وقع منهم الأمران، فهم كتبوا كتابهم محرفاً زادوا فيه، ونقصوا منه، وعبثوا بحقائقهم، وتأولوا بالباطل ما صدقوا في نقله. كان منهم الأمران، العبث بما أنزل الله تعالى عبثاً بينا، كما أنهم غيروا وبدّلوا، وأولوا تأويلات باطلة.<sup>(1)</sup>

ويعلق محمد خليفة حسن على ما سبق سرده من أساليب التحريف والتزييف التي عُرف بها أهل الكتاب مع كتبهم، بقوله: "وتوضّح هذه الوسائل مجتمعة الطرق التي تحوّلت بها التوراة والإنجيل وغيرها من كتب إلهية سماوية إلى كتب بشرية خطها رجال الدين من اليهود والنصارى بأيديهم."<sup>(2)</sup>

وإنّ كل ما ذكر سلفاً من آيات بينات من القرآن الكريم لتشهد بما لا يدع مجالاً للشك على حصول التحريف بكل معانيه في كتب اليهود والنصارى، من تحريف المعاني والألفاظ، ومن حذف وإضافة، وزيادة ونقصان وكذب وكتمان، وهو ما أشار إليه مصطفى أحمد الرفاعي بقوله: "هذه الآيات الكريمات كافية في إثبات أنواع التحريف الثلاثة، التحريف اللفظي بكتابة الألفاظ من عندهم، وقولهم إنها من عند الله، والتحريف المعنوي بتحريف الكلم عن مواضعه، والحذف بنسيان حظّ وجزء مما ذكروا به."<sup>(3)</sup>

(1) ينظر: زهرة التفاسير، محمد بن أحمد أبو زهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي: القاهرة، ط: 2001م ج 1، ص 283-284.

(2) علاقة الإسلام باليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة، ط: 1988م. ص 43-45.

(3) موقف الإسلام من كتب اليهود والنصارى، مصطفى أحمد الرفاعي، المطبعة السلفية: القاهرة، ط: 1353هـ. ص 78.

وإذن، بناء على كل ما ذكر سلفاً، يتبيّن إجماع المسلمين على تحريف المعاني عند أهل الكتاب؛ أما الخلاف الذي كان عند بعض علماء الإسلام في هذا الشأن، فهو محصور فقط في مدى وقدّر التحريف اللاحق بألفاظ كتب اليهود والنصارى، وهل التّغيير والتّبديل واقع على اليسير منها أم الكثير؟ أما من قال منهم بأنّ التحريف في التأويل لا في التنزيل فقد أبعد النجعة، وكلامه ظاهر البطلان، لما تقدم ذكره من بعض الشواهد القرآنية والتوراتية.

وإنّ الصواب في هذا الباب، أن التّغيير والتّبديل في ألفاظ التوراة والإنجيل، كثير وكبير، وهذا القول هو ما عليه جماهير علماء المسلمين، وغير المسلمين من اليهود والنصارى أنفسهم، ممن اطلعوا على التوراة والأنجيل بعقل حاضر وعين فاحصة، وتوسعوا في ذلك، ودرسوها دراسة تحليلية ونقدية.

وأما ما جنح إليه بعض علماء الإسلام<sup>(1)</sup> من المفسرين القدامى لآيات التحريف الواردة في القرآن، من أنّ هذا التحريف في كتب اليهود والنصارى يسير، أو أنه في

(1) كالإمام البخاري رحمه الله، الذي أورد في صحيحه كلاماً ينسبه لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه فسر الآية: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ بمعنى يزيلون، ثم عقّب على ذلك فقال: "وليس أحدٌ يزيل لفظ كتاب الله عزّ وجلّ، ولكنهم يحرفونه: يتأولونه عن غير تأويله." على أنه يحتمل أن يكون هذا بقية لكلام ابن عباس؛ كما أشار إلى ذلك ابن حجر، مع أن هذا الأخير نفى أن يكون تفسير "يحرفون: يزيلون" موصولاً بكلام ابن عباس من طريق ثابت. ثم نقض ابن حجر كلام البخاري بما أورده عن شيخه ابن الملقن من أن اليهود والنصارى بدّلوا التوراة والإنجيل. ثم قال: "وقد وجد في الكتابين -التوراة والإنجيل- ما لا يجوز أن يكون بهذه الألفاظ من عند الله عزّ وجلّ أصلاً، وقد سرد أبو محمد بن حزم في كتابه (الفصل في الملل والنحل) أشياء كثيرة من هذا الجنس." (ينظر: فتح الباري لابن حجر، ج 13، ص 523-524)

المعاني فقط دون الألفاظ فيحمل على أنهم فسروا ذلك "بناء على ما كان متوافرا لديهم من المعلومات طبقا للبيئة الثقافية التي عاشوا فيها".<sup>(1)</sup>

وعن رأي أولئك يردّ محمد شتيوي قائلا: "فهذا الرأي فيه تساهل وتفريط، فلفظ التحريف صريح ولا يؤخذ بغيره إلا بوجود قرينة تصرف اللفظ عن ظاهره وليس هناك قرينة تستدعي ذلك، على أن الله تعالى قال في آية ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، وفي الآية الأخرى قال: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾، والحرف «عن» للمكان ورفع الشيء عن الشيء، ولفظ «بعد» ظرف مكان، وكلا اللفظين يرجحان أن يكون التحريف بمعنى التبديل لا التأويل".<sup>(2)</sup>

وإن القول بتحريف المعاني والألفاظ في التوراة والإنجيل يكاد يكون محل إجماع المسلمين وغيرهم ممن اضطلعوا بهذين الكتابين، وعلموا بخباياهما وخفاياهما؛ وإن أهل الإنصاف من المحققين البارزين في علم الأديان ليشهدون أن التحريف فيهما حاصل؛ يقول ابن عاشور: "اتفق المحققون من العلماء الباحثين عن تاريخ الدين على أن التوراة قد دخلها التحريف والزيادة والتلاشي".<sup>(3)</sup>

(1) "منهج جديد لتفسير المصطلحين القرآنيين التحريف والتبديل في ضوء اتجاهات نقد التوراة، أحمد محمود هويدي، مجلة المعيار، كلية أصول الدين- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، المجلد 17، العدد 33، سنة 2013، ص: 601.

(2) من قضايا التوراة دراسة وتحليل، محمد شلي شتيوي، دار السحاب: القاهرة، ط1: 2008م. ص49.

(3) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1، ص578.

وإن استعراض التاريخ النقدي للتوراة والإنجيل عند علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب، وعند الغربيين المحدثين سيخرج البحث عن مساره، ولذا سأكتفي بذكر يسير يفي بالغرض عن حركة النقد للكتاب المقدس في التاريخ المعاصر.

### المطلب الثالث: تحريف التوراة والإنجيل في الفكر الغربي.

إن من الحقائق العلمية في العصر الحديث، الاعتراف بالتدخل البشري في النصوص المقدسة؛ فقد صار الإقرار بالتحريف زيادة ونقصا في الكتابين من المسلمات التي لا تقبل الجدل لدى علماء النقد النصي<sup>(1)</sup> في الغرب؛ وما علم النقد الكتابي عامة إلا محاولة للوصول إلى أقرب نسخة ممكنة مشابهة للأصل، وإلا فإن الأصل في الأصل مفقود، سواء تعلق الأمر بالعهد الجديد أو القديم من الكتاب المقدس.

(1) النقد النصي Textual Criticism، وهو فرع من مجال النقد الكتابي Biblical Criticism: وهذا الأخير عبارة عن دراسة وتحقيق المدونات الكتابية بغرض الوصول إلى أحكام في شأنها قائمة على بصيرة وإدراك، ويعالج بشكل عام المسائل التي لها صلة بمخطوطات الكتاب المقدس، من حيث ظروف حفظها وانتقالها، وتاريخها، ومكانها، وعلاقتها ببعضها؛ كما يبحث في نصوص المخطوطات من حيث موثوقيتها وأصلها وأصالتها، بما في ذلك الإجابة على الأسئلة التالية: متى وأين وكيف كتبت؟ ومن كتبها؟ ولماذا ولمن كتبها؟ وفي أي ظروف تم إنتاج هذه النصوص والمخطوطات؟ وماهي الأمور المؤثرة حين إنتاجها؟ وماهي المصادر التي كوّنتها واستخدمت في إنتاجها؟ وماهي الرسالة التي عبرت عنها بلغتها الأصلية؟ بما في ذلك المعاني التي تحملها العبارات المكتوبة، والطريقة التي ركبت بها لتصير ذات معنى.

أما النقد النصي فهو جزء من النقد الكتابي، الهدف منه هو: العمل على إعادة تركيب وبناء النص بصيغته الأصلية، أو محاولة الوصول قدر الإمكان إلى الشكل الأصلي للنص في الكتاب المقدس. ينظر:

P.J. Achtemeier, R.S. Boraas, HarperCollins and Society of Biblical Literature, The Harpercollins Bible Dictionary: Revised Edition (HarperCollins, 1996) P.141.

يقول سامي عامري: "جميع النقاد في الغرب، من النصارى وغير النصارى، على اتفاق أنّ هذه الأسفار قد حرّفت، وإنما الخلاف بينهم هو حول إمكانية استعادة النصّ قبل تحريفه، ووسائل ذلك."<sup>(1)</sup>

وهذا أحد المعاصرين من المهتمين إلى الإسلام، فيصل عازر، رئيس مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان يقول عن نفسه: "وقد اكتشفت بعد سفري منذ سنوات بعيدة أنّ جميع الطوائف الدينية والمذاهب الفكرية في الغرب متّفقة على تحريف النصّ -وليس كما يزعم النصارى العرب أن التشكيك في أصالة نصّ الكتاب المقدس ما هو إلا ادّعاء إسلامي-. وقد ترك النقاد أمر الجدل في إمكان التحريف -بعد أن أصبح مسلّمة تاريخيّة- إلى مواجهة سؤال جديد، هو: هل بالإمكان استعادة النصّ الأصلي للعهد الجديد «الإنجيل» بعد التحريفات التي أصابت النصّ على مدى قرون مديدة؟"<sup>(2)</sup>

ويعترف مؤلفو الترجمة اليسوعية للكتاب المقدس باستحالة الوصول إلى النصّ الأصلي، وأنّ أسمى ما يطمح إليه المشتغلون بعلم التّقدّ التّصي هو الوصول إلى أقرب نص يشبه الأصل؛ فيقولون: "المثال الأعلى الذي يهدف إليه علم نقد النصوص هو أن يمحّص هذه الوثائق المختلفة لكي يُقيم نصّاً يكون أقرب ما يمكن من الأصل الأوّل، ولا يرجى في حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه."<sup>(3)</sup>

(1) استعادة النصّ الأصلي للإنجيل، سامي عامري، مركز الفكر الغربي للنشر والتوزيع: الرياض، ط1: 2017. ص18.

(2) المرجع السابق، سامي عامري، من مقدمة الكتاب لفصل عازر، ص10.

(3) الكتاب المقدس، ترجمة الرهبانية اليسوعية، دار المشرق: بيروت، ط3: 1994م مدخل إلى العهد الجديد، ص13.

وإن أحد أعلام الغرب في القرن السابع عشر، والبارزين في علم النقد النصي، "ريتشارد سيمون"<sup>(1)</sup> Richard Simon الذي لُقّب بـ "أب النقد الكتابي"<sup>(2)</sup>، ونُظر إليه على أنه هو أبو النقد التاريخي في الدراسات الكتابية<sup>(3)</sup>، يؤكد ما ذكر سلفا من ضياع المخطوطات الأصلية للعهد الجديد، وعدم سلامة النسخ الموجودة من التحريف بقوله: "اليوم، لا يمكن أن تكون هناك أية نسخة من العهد الجديد، سواء كانت: يونانية، أو لاتينية، أو سريانية، أو عربية يمكن تدعى بصدق مخطوطة أصلية. لأنه ليس هناك واحدة منها وبأي لغة كانت خالية تماما من الإضافات."<sup>(4)</sup>

وقبل "سيمون" ألّف الفيلسوف الهولندي "باروخ سبينوزا"<sup>(5)</sup> كتابه "رسالة في اللاهوت والسياسة" بيّن فيه أن الوحي المكتوب طاله التحريف، ويُجمل ماذهب إليه في سياق حديثه عما قد يصدر ممن يقدسون النص المدوّن اتجاه ما قرّره في شأن تحريفه قائلا: "إن من يعتقدون أن التوراة على ما هي عليه الآن رسالة من الله بعث بها من

(1) ريتشارد سيمون Richard Simon: مستشرق وباحث فرنسي، ولد في ديب Dieppe سنة 1638م؛ توفي هناك في 21 أبريل 1712م. كان أستاذا للفلسفة في جويلي Juilly، وعين قسيسا في باريس سنة 1701م، ومن أبرز كتاباته: "التاريخ النقدي للعهد القديم" سنة 1678م.

H. Margival, Essai Sur Richard Simon Et La Critique Biblique Au Xviie Siècle (Genève: Slatkine, 1970) P.7.

(2) A. Hunwick, Richard Simon Critical History of the Text of the New Testament: Wherein Is Established the Truth of the Acts on Which the Christian Religion Is Based (Brill, 2013) P.XXXIII.

(3) J. Van Seters, The Edited Bible: The Curious History of the "Editor" in Biblical Criticism (Penn State University Press, 2006) P.185.

(4) Hunwick, Richard Simon Critical History of the Text of the New Testament: Wherein Is Established the Truth of the Acts on Which the Christian Religion Is Based P.69 .

(5) سبينوزا، باروخ أو بنديكت «1677-1632م»، فيلسوف ومفكر ديني هولندي. أكد على دور العقل في الأخلاق وماوراء الطبيعة، وكان من أكبر القائلين بوحدة الوجود والمدافعين عنها. وقد اتهمه كثيرون بالإلحاد على الرغم من الشعور الديني العميق الذي تنبض به كتاباته. ومن أشهر آثاره: "كتاب الأخلاق" عام 1677م. (معجم أعلام المورد، منير البعلبكي. ص233).

السماء إلى البشر، لن يفوتهم أن يصرخوا قائلين بأني ارتكبت الخطيئة في حق الروح القدس؛ إذ لقد قلت فعلا إن كلام الله مزيف ومنقوص ومحرّف؛ وإننا لا نملك منه إلا شذرات.<sup>(1)</sup> وينفي "سبينوزا" أن يكون موسى هو كاتب التوراة، فيقول معلّقا على كلمات جاءت في شرح ابن عزرا<sup>(2)</sup> لسفر التثنية: "بهذه الكلمات القليلة يبيّن، ويثبت في الوقت ذاته، أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة، بل إن مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمان طويل، وأن موسى كتب سفرا مختلفا."<sup>(3)</sup> وإذا كان هذا هو شأن أقدس أسفارهم، فإن الكتاب المقدس برمته يفقد مصداقيّته، سيما وبصرف النظر عن المفقود فإن الموجود أيضا من النسخ والمخطوطات غير الأصلية مثقل بتحريفات النساخ.

(1) رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سبينوزا، ترجمة: حسن حنفي، دار التنوير: بيروت، ط1: 2005م. ص327.

(2) وهو إبراهيم ابن عزرا (1089-1164م)، إسباني من دائرة الثقافة الإسلامية، قيل إن ابنه الوحيد موسى تحوّل إلى الإسلام فارتحل ابن عزرا عن بلاد الإسلام لا يقربها بقية حياته متنقلا بين أواسط اليهود في فرنسا وإيطاليا. وهو من فحول شعراء العبرية يقرضه على الطريقة العربية الأندلسية، ومن خلاله انتقل التأثير العربي إلى الشعر اليهودي الأوروبي. وفلسفته أفلوطينية تنتثر في تفسيراته للتوراة. ومذهبه يقرب كثيرا من مذهب الحلوليين. ويحمل ابن عزرا بشدة على الأخطاء التاريخية في أسفار التوراة الخمسة، وكان سبينوزا من المتأثرين بنقده. (الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، عبد المنعم الحفني، مكتبة مذبولي: القاهرة، ط1: 1980م. ص33-34).

ويعتبر "سبينوزا" "ابن عزرا" أول من تنبه إلى عدم صحة نسبة الأسفار الخمسة لموسى، وغاب عنه أن ابن حرزم الأندلسي المتوفى سنة 456هـ أي قبل وفاة ابن عزرا بما يقارب مائة سنة وقبل وفاة سبينوزا نفسه بأكثر من ستة قرون، قد قرّر أن الأسفار الخمسة المسماة بالتوراة والرائجة بين اليهود والنصارى، ليست هي التي أوحاها الله إلى موسى عليه السلام، ولم يكتبها لبني إسرائيل، ولا تثبت إليه بسند متصل، وأن اليهود ينسبونها إلى موسى كذبا وباطلا. (ينظر: بحوث ودراسات في مقارنة الأديان، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل: بيروت، ط2: 1990م. ص90).

(3) رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سبينوزا، ص258.



وأسوق هاهنا اعترافاً بالتحريف من قبل الآباء اليسوعيين مترجمي الكتاب المقدس، يقولون فيه: "من الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مرّ القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر فكان النص الذي وصل آخر الأمر إلى عهد الطباعة مثقلاً بمختلف ألوان التّبديل."<sup>(1)</sup>

حتى تساءل أحد أعلام الدراسات الكتابية، من كبار النقاد في العصر الحاضر عن جدوى كل هذا العدد الكبير من المخطوطات المتكاثرة للكتاب المقدس، والتي تختلف فيما بينها في آلاف المقاطع، إذا كنا لا نملك أصولها، يقول "بارت إيرمان"<sup>(2)</sup> Bart D. Ehrman: "ماذا يفيدنا أن نقول إن الكتاب المقدس كلام الله المعصوم عن الخطأ، إذا كنا لا نملك في الواقع الكلام المعصوم من الخطأ الموحى به من قبل الله. لدينا فقط كلمات كتبها النساخ بشكل صحيح أحياناً، وبشكل غير صحيح في أحيان كثيرة؟ ماذا ينفع إن قلنا إن الكتابات الأصلية كانت وحياً؟ ونحن لا نملك المخطوطات الأصلية! لدينا فقط نسخ مليئة بالأخطاء ... وتختلف فيما بينها في آلاف الأوجه."<sup>(3)</sup>

وبين "بارت إيرمان" أن الأمر لا يقتصر على عدم وجود المخطوطات الأصلية فقط، بل إننا لا نملك النسخ الأولى عن الأصلية، بل ولا حتى النسخ عن النسخ عن

<sup>(1)</sup> الكتاب المقدس، ترجمة الرهبانية اليسوعية. مدخل إلى العهد الجديد، ص 13.

<sup>(2)</sup> بارت إيرمان Bart D. Ehrman: من أشهر علماء نقد الكتاب المقدس المعاصرين، وهو أستاذ بارز في شعبة الدراسات الدينية في جامعة ولاية كارولينا الشمالية University of North Carolina بمدينة تشابل هيل Chapel Hill في الولايات المتحدة الأمريكية، له العديد من الكتب في مجال الدراسات الدينية والنقد النصي للعهد الجديد، بلغ عددها الثلاثين كتاباً ما بين التأليف والتحرير. ينظر: Bart D. Ehrman;

/Curriculum Vitae, Available: <https://www.bartdehrman.com/curriculum-vitae>

<sup>(3)</sup> D. Ehrman, Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why (HarperCollins, 2005) P.7.

الأصلية، بل ولا النسخ عن النسخ عن النسخ عن المخطوطات الأصلية، ما نملك إلا نسخا متأخرة جدًا قد كتبت في أحسن تقدير بعد عدة قرون، وكلّها مختلفة فيما بينها، في آلاف المواضع، حتى إننا لا نستطيع معرفة كم يوجد فيها من هذه الاختلافات التي يفوق عددها كلمات العهد الجديد نفسه.<sup>(1)</sup>

ويذكر "بارت إيرمان" أيضا أن مسألة عدم موثوقية النص الكتابي، وأن فيه صناعة بشرية، كان مما تعلمه باكرا في الفصول الدراسية الأولى في أحد معاهد الدراسات الدينية، فذاك إذن من الأمور التي يعلمها ويتعلّمها المبتدئون في الدراسات الدينية، فضلا عن أهل الاختصاص ممن قطعوا أشواطا كبيرة في علم التّقد النصّي للعهد الجديد والقديم. يقول "إيرمان" Ehrman :

"تعلمنا في الفصول الأولى من المقرر في معهد مودي Moody أننا لا نملك حاليا النسخ الأصلية للعهد الجديد، والذي عندنا هو نسخ لهذه الكتابات، كتبت بعد الأصلية بسنوات، وفي غالب الأحيان بعد سنوات عديدة، فضلا عن ذلك، لا يوجد واحدة من هذه النسخ دقيقة تماما، مادام النّساخ الذين كتبوها غيّرّوها متهاونين أو عامدين في أماكن عدة، وجميع النّساخ فعلوا ذلك، لذا بدل امتلاكنا الكلمات الموحى بها في المخطوطات الأصلية، لدينا نسخ مليئة بالأخطاء عن المخطوطات الأصلية."<sup>(2)</sup>

(1) Ehrman, Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why P.10.

(2) Ibid. P.4-5.

وفي مقابل "بارت إيرمان"، نجد "دانيال والس" <sup>(1)</sup> Daniel B. Wallace، وهو أبرز عالم نصراني معاصر مدافع عن أصالة نصوص العهد الجديد في أمريكا خاصة، وفي العالم الغربي عامة؛ وهو وإن كان مخالفا لبارت في تعصبه للنصرانية، ودفاعه المستميت عنها، فإنه يعترف أن ثمة أموراً يتفق معه فيها، منها:

إقراره أن في نسخ مخطوطات العهد الجديد الكثير من الاختلافات التي لا نعلم بالضبط عددها، ويتراوح ما بين 300.000 و 400.000 اختلاف <sup>(2)</sup>. ومن أهم ما اتفقا عليه، وأخطره على العقيدة النصرانية، إقرارهما بأن النص الوحيد الصريح في عقيدة التثليث محرف. وهو ما جاء في رسالة يوحنا: [الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ: الْآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ]. <sup>(3)</sup>

ويعلق "دانيال والس" Daniel B. Wallace على هذا النص بقوله: "قد يكون هذا أوضح تعبير عن التثليث في الكتاب المقدس، لكنه بلا شك لا يوجد في النص الأصلي. وهذه حقيقة قد عرفها العلماء منذ أزيد من نصف الألفية." <sup>(4)</sup> وإنه لاعتراف كبير لأحد الأعلام البارزين اليوم في علم النقد النصي من المدافعين بشراسة عن النصرانية.

<sup>(1)</sup> دانيال والس Daniel B. Wallace: أستاذ دراسات العهد الجديد في معهد دالاس اللاهوتي، والمدير التنفيذي لمركز دراسة مخطوطات العهد الجديد، كتب وشارك في أزيد من ثلاثين كتاباً في الدراسات الكتابية، وبخاصة النقد النصي للعهد الجديد، ويعد من أبرز رواد هذا الاختصاص في العالم. ينظر:

Daniel B. Wallace, Biography, Available: <https://danielbwallace.com/cv/>.

<sup>(2)</sup> D.B. Wallace, Revisiting the Corruption of the New Testament: Manuscript, Patristic, and Apocryphal Evidence (Kregel Publications, 2011) P.20.

<sup>(3)</sup> رسالة يوحنا الأولى 5: 7 (الكتاب المقدس، ترجمة سميث وفان دايك، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط: القاهرة، الإصدار 7، ط1: 2007م. ص325).

<sup>(4)</sup> Wallace, Revisiting the Corruption of the New Testament: Manuscript, Patristic, and Apocryphal Evidence P.21.

وعليه، فنحن أمام نص تمّ إقحامه في العهد الجديد ولا زال متداولاً في بعض الطبقات، ليُكتشف فيما بعد أنه من إضافات النّسّاخ، ليتم حذفه بعد ذلك في الترجمات الحديثة للكتاب المقدس، ومن بينها ترجمة الرهبانية اليسوعية، التي حذفت النص وعلقت على ذلك بقولها: "لم يرد هذا النص في المخطوطات فيما قبل القرن الخامس عشر، ولا في الترجمات القديمة، ولا في أحسن أصول الترجمة اللاتينية، والراجع أنه ليس سوى تعليق كتب في الهامش ثم أقحم في النص في أثناء تناقله في الغرب".<sup>(1)</sup> وهذا التعليل فيه تبرير لفعل النّاسخين، وتبرئة لهم من التحريف العمدي؛ مع أن ذلك قد يكون مقصوداً لأجل إضفاء الشرعية على العقائد الدخيلة التي لا تسعفهم فيها النصوص الموجودة.

وبعد هذه الومضة اليسيرة عن حقيقة التّحريف في الكتب المقدسة، وإقرار بعض المحققين من أهل الكتاب بوقوعه، وكذلك بعد ذلك السرد السالف حول الكتب السماوية السابقة، ومنزلتها في دين الإسلام وموقف القرآن الكريم منها، وما طالها من عوادي الزمان، من ضياع أصولها، وعبث المحرفين بباقيها، يلوح في ذهن سؤال عريض، هو: عن أي توراة وإنجيل نتحدث حينما نبحث عن صورة "الآخر"؟

والجواب أن المقصود في هذه الدراسة هو ما يوجد بين أيدي اليهود والنصارى اليوم من الكتب، مما يسمونه التوراة والإنجيل، ويعتقدون قدسيته، ويصدرون عنه في الآراء والمعتقدات والسلوك؛ فما هو مفهوم هذه التوراة وهذا الإنجيل عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

(1) الكتاب المقدس، ترجمة الرهبانية اليسوعية. مدخل إلى رسائل يوحنا، ص764.

### المبحث الثالث: التعريف بالتوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

يتناول هذا المبحث حديثاً مختصراً عن التوراة والإنجيل، بناءً على ما يدل عليه المصطلحان عند كل من اليهود والنصارى، كما يشتمل على كلام موجز حول القرآن الكريم؛ ذلك أن التعريف بهذه الكتب يعدّ لبنة أساسية في البحث بمجمله، فنصوصها المقدسة هي مادّته، وهي التي تحدّد موقع "الأنا" ومكانته، وعلى مبادئها تتشكّل صورة "الآخر"، وهي التي تصنع معايير منظومة القيم والأخلاق التي تطبع نمط العلاقة مع "الآخر".

#### المطلب الأول: التعريف بالتوراة.

إذا كانت التوراة في التصور القرآني، كتاب الله تعالى المنزل على رسوله موسى عليه السلام، ليكون هداية ونورا لبني إسرائيل، كما قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾<sup>(1)</sup>؛ وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً﴾<sup>(2)</sup>؛ وتعرض هذا الكتاب فيما بعد للتحريف كما أخبر بذلك جلّ شأنه: ﴿بِمَا نَفْضِهِمْ مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا فُلُوبَهُمْ قَلْيسَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾<sup>(3)</sup>.

(1) سورة الإسراء، الآية 2.

(2) سورة المائدة، الآية 46.

(3) سورة المائدة، الآية 14.

فإن لأهل الكتاب من اليهود والنصارى تصورات أخرى عن مفهوم هذه التوراة، يجعلون مدلولها فيها أوسع من كونها كتاباً منزلاً على نبي فحسب؛ إذ تنطبق تسمية التوراة عندهم على كتب كثيرة، بل على تراث ديني ضخم، يدخل فيه العديد من المكتوبات والمؤلفات كما سيأتي بيانه.

هذا، وقد فسرت كلمة التوراة عند المسلمين وفق اتجاهين اثنين، أحدهما يجعلها كلمة عربية فينحت لها من صميم اللغة معان ودلالات؛ أما الاتجاه الثاني فيرى أنها كلمة أعجمية تم تعريبها؛ وهذا ما تحدث عنه عرفان عبد الحميد بقوله: "قد اختلف علماء العربية والتفسير في أصل معناها، فمنهم من قال عَلمَ اخْتَرَعَ ووُضِعَ ليدل على الوحي، الذي نزل على موسى عليه السلام، هذا ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله وأيده فيه أكثر المفسرين، ومنهم من قال بأنها مشتقة، أصلها من: الوري، من وري الزند، يرى، ورّياً: إذا خرجت ناره: يريد أن التوراة: ضياء ونور، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي التَّوْرَةِ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾<sup>(1)</sup>، وينسب هذا الرأي إلى الفراء<sup>(2)</sup>، وذهب الإمام الطبري في تفسيره إلى أنها مأخوذة من التورية، وهي التعريض بالشيء والكتمان لغيره، فكان أكثر التوراة: معارض وتلويحات من غير تصريح وإيضاح."<sup>(3)</sup>

(1) سورة المائدة، الآية 46.

(2) الفراء، أبو زكرياء يحيى بن زياد (144-207هـ): رأس نحاة الكوفة في زمنه، عهد إليه المأمون بتأديب ولديه، وسأله أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو. من آثاره «معاني القرآن»، وهو تفسير للقرآن الكريم ضمّنه آراء نحوية كثيرة، و«الأيام والليالي والشهور»، و«المذكر والمؤنث». (معجم أعلام المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين: بيروت، ط1: 1992م ص316).

(3) اليهودية والحركات الحديثة في اليهودية: عرض تاريخي، عرفان عبد الحميد فتاح، دار البيارق: بيروت، ط1: 1997م. ص72.

وقد ردّ الزمخشري في الكشف كلّ تلك الآراء، فقال: "التّوراة والإنجيل اسمان أعجميان. وتكلّف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وأفعيل، إنما يصح بعد كونهما عربيين."<sup>(1)</sup>

كما أكّد محمد جمال الدين القاسمي «ت: 1332هـ» في تفسيره على عجمة الكلمة، بقوله: "التوراة اسم عبرانيّ معناه «الشرعة». والإنجيل لفظة يونانية معناها «البشرى» أي الخبر الحسن. هذا هو الصواب كما نص عليه علماء الكتابين في مصنفاتهم. وقد حاول بعض الأدباء تطبيقهما على أوزان لغة العرب واشتقاقهما منها، وهو خبط بغير ضبط."<sup>(2)</sup>

ولذلك، صرّح أحد أهل الكتابين<sup>(3)</sup> هؤلاء، وهو الأب أس مرمرجي الكومني، أستاذ بالمعهد الكتابي في القدس الشريف، بقوله: "مما لا ريب فيه أن كلمة -توراة- بلفظها ومدلولها الحاليين، ليست بعربية بل عبرية."<sup>(4)</sup>

(1) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري، ج1، ص526.

(2) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1: 1418 هـ ج2، ص254.

(3) والكتابان هما التوراة والإنجيل، وأهل الكتاب هم أهل التوراة والإنجيل من اليهود والنصارى، وهذا هو المعنى الذي جاء به القرآن الكريم. أما ما يوجد اليوم عند اليهود فهو الكتاب العبري أو ما يسموه "التناخ"، والكتاب العبري المقدس عند اليهود، هو نفسه العهد القديم عند المسيحيين مع بعض الإضافات وإعادة الترتيب لبعض النصوص. ومع أن المسيحيين واليهود يختلفون في طريق قراءته، فإن الكتاب العبري مشترك بينهما. ينظر:

M.A. Morrison, S.F. Brown and J. O'Brien, Judaism (Chelsea House, 2009) P.70.

(4) المعجمية العربية على ضوء الثنائية و الألسنية السامية، الأب أس مرمرجي الدومني، مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس: القدس، ط: 1937م ص72.

فإذا سلّمنا أنها أعجمية عبرية، أي أن كلمة "التوراة" هي المقابل العربي للكلمة العبرية תּוֹרָה «Torah»، فإنها وكما جاء في الموسوعة اليهودية مشتقة من الجذر יָרָא «yará» الذي يعني «يعلّم»، ليكون معنى الكلمة: التعليم، أو الوصيّة.<sup>(1)</sup>

كما أن كلمة التوراة استخدمت في البنتاتوك<sup>(2)</sup> Pentateuch نفسه لتدل على القوانين والتشريعات، ومثال ذلك ما ورد في سفر التثنية ٥:١٧:

[וְזֵאת הַמִּצְוָה אֲשֶׁר-שָׂם מֹשֶׁה לִפְנֵי בְנֵי יִשְׂרָאֵל:]<sup>(3)</sup> وترجمته:

[هَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ الَّتِي وَضَعَهَا مُوسَى أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ]<sup>(4)</sup>، فكان المقابل العربي

في النص العبري لكلمة תּוֹרָה "تورا" هو الشريعة أو القانون.

وبالنظر إلى الكتاب المقدس<sup>(5)</sup> جملة، فإن الكلمة -أي التوراة- تحيل إلى توراة موسى خاصة، أي البنتاتوك كجزء مميز في الكتاب العبري الذي يطلقون عليه اسم

(1) F. Skolnik and M. Berenbaum, Encyclopaedia Judaica (New York: Thomson Gale, 2007) Vol.20, P.39.

(2) البنتاتوك Pentateuch كلمة يونانية، مكونة من كلمة Pente أي خمسة، و teuchs أي الحاوية التي تحمل فيها لفائف الأسفار المكتوبة؛ وتشير الكلمة ككل إلى الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم (أي التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، والتثنية)، التي اعتبرتها التقاليد الحاخامية كتابا واحدا أطلقوا عليه اسم التوراة، ويعنون به التعاليم، وفي الترجمات الإنجيلية للكتاب المقدس يطلق على تلك الأسفار الخمسة القانون، وهو تعبير مضلل وغير دقيق ولا يعبر عن محتوى البنتاتوك، لأن الجزء الأكبر من هذه الأسفار ليس بقانون على الإطلاق. ينظر:

Holman Reference, Holman Illustrated Pocket Bible Dictionary (B&H Publishing Group, 2007) P.279 .

(3) Hebrew-English Tanakh: The Jewish Bible (Skokie-USA: Varda Books, 2009) Deuteronomy 4:44; P.351.

(4) سفر التثنية 4: 44. (ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص 366).

(5) الكتاب المقدس أو The Bible وهو كلمة اشتقت من العبارة اليونانية: ta biblia التي تعني "الكتب"، وهذه الكلمة بصيغة الجمع أنسب لما يسمى Bible، إذ يحتوي على العديد من الكتب، لا على كتاب=



التناخ: תנ"ך، وهو مجموع الحروف الأولى للكلمات العبرية المكونة لكتابهم المقدس، وهي: תורה، نفيئيم נביאים أي الأنبياء، كتوفيم כתובים أي الكتب.<sup>(1)</sup>

وعليه، فمصطلح التوراة في دلالة الضيقة، يطلق على البنتاتوك، وهو الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى، كما أنه يحيل أيضا وبصفة خاصة إلى أسفار موسى الخمسة المكتوبة بخط اليد والمستخدم في الكنيس اليهودي.<sup>(2)</sup>

إلا أن هذا المصطلح لم يقف عند هذا الحد، بل تم تمديده في الفكر الكتابي عامة ليكون له معان ودلالات أكبر وأوسع من كونه مجرد خمسة كتب تنسب لموسى عليه السلام. فهو يدل أيضا في معناه العام على الكتاب العبري أي العهد القديم<sup>(3)</sup>

---

=واحد. فالعهد الجديد وهو أحد قسبي الكتاب المقدس يحتوي وحده على 27 كتاب، أما العهد القديم ففيه عند اليهود والبروتستانت 39 سفرا، بينما زاد الكاثوليك عليها 7 أخرى، ليصير عدد الأسفار عندهم 46 سفرا. ينظر:

L. Boadt, R.J. Clifford and D.J. Harrington, Reading the Old Testament: An Introduction (Paulist Press, 2012) Chap.1.

<sup>(1)</sup> Skolnik and Berenbaum, Encyclopaedia Judaica Vol.20, P.39.

<sup>(2)</sup> A. Avery-Peck and J. Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism (Taylor & Francis, 2004) P.165.

<sup>(3)</sup> يعد مصطلح العهد القديم The Old Testament مصطلحا مسيحيا يعكس المفاهيم المسيحية التي ترى العهد القديم في مقابل العهد الجديد في صورته المسيحية. فالأسفار التي تندرج تحت العهد القديم تتضمن العهد القديم الذي أبرمه الرب مع بني إسرائيل على جبل سيناء (إرميا 31: 31-34). بينما الأسفار التي تندرج تحت العهد الجديد تتضمن العهد الجديد في صورته المسيحية. ويشير مصطلح العهد القديم إلى قائمة الأسفار التي تؤلف مجموعة النصوص الدينية المقدسة عند اليهود والمسيحيين. (نقد العهد القديم: دراسة تطبيقية على سفري صموئيل الأول والثاني، شريف حامد سالم، مكتبة مدبولي: القاهرة، ط1: 2010م ص13).

برمته، بل ويمتد إلى أبعد من ذلك، ليشمل كل التوراة المكتوبة منها والشفوية<sup>(1)</sup>، وهكذا قد نقف مع هذا المصطلح على كامل محتوى الديانة اليهودية نفسها.<sup>(2)</sup>

يقول عبد الوهاب المسيري: "وتستخدم كلمة التوراة كذلك للإشارة إلى كل التراث الديني اليهودي بقضه وقضيضه، وكل ما أوصى به الإله لجماعة إسرائيل، أو للعالم كله من خلال جماعة إسرائيل. وفي المصادر الكلاسيكية اليهودية لم يكن يشار إلى اليهودية وإنما إلى التوراة."<sup>(3)</sup>

والتوراة المكتوبة اسم آخر لـ "التناخ" الذي يحتوي بالطبع على التوراة بالمعنى الخاص، إلا أن هذا المسمى صار علما على الكتاب كله. أما التوراة الشفوية فهي تراكم لمدة ألفي عام من الشروحات والتعليق الحاخامية على نصوص ووصايا التوراة المكتوبة، فهي توضيح لمعانيها وبيان لكيفية تنزيلها؛ وكان لهذه التوراة أو القانون الشفوي دور هام أيضا في ربط الشعب اليهودي بتوراته المكتوبة لآلاف السنين، في ظروف كانت فيه

(1) التوراة الشفوية أو الشريعة الشفوية مفهوم أساسي في اليهودية الحاخامية، التي بحسبها موسى لم يتلق من قبل الرب في جبل سيناء التوراة المكتوبة وحدها، التي يتضمنها الكتاب المقدس؛ بل أوحى إليه أيضا ما يساويها من التقاليد المعقدة —وهي التوراة الشفوية التي تتضمن الأدب الحاخامي—، والتي بها يصير الكتاب المقدس قابلا للتطبيق في الحياة، وهكذا نشأ عندهم مفهوم التوريتين two Torot. ينظر: H.L. Strack and Günter Stemberger, Introduction to the Talmud and Midrash (Fortress Press, 1991) P.31.

ويشير لفظ التوراة المكتوبة إلى: البنتاتوك والأنبياء والكتب، أي الكتاب العبري بكامله؛ بينما التوراة الشفوية هو تجميع لتفسير ومقولات الحكماء حول النص المكتوب، وتنطبق على ما يسمى بالتلمود Talmud. وكلتا الكلمتين —التوراة، والتلمود— تشيران إلى المعنى نفسه: "تعليم" أو "تدريس". ينظر:

M.L. Rodkinson, The History of the Talmud: From the Time of Its Formation, About 200 B. C., up to the Present Time (New Talmud Publishing Company, 1903) P.5.

(2) Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism P.165.

(3) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب محمد المسيري، دار الشروق: القاهرة، ط1:

الديانة اليهودية في ذوبان لانهائي؛ فهي بحسبهم الأداة الفعالة التي حفظت بها تعاليم تلك الديانة، وهي سر بقاء الشعب اليهودي.<sup>(1)</sup> الذي كان في حاجة لهذه التقاليد الشفوية لتصاحب توراته المكتوبة، التي وإن اشتملت على 613 وصية، إلا أنها تبقى غير كافية لترشد الفرد اليهودي في كامل حياته.<sup>(2)</sup>

ولتكتسب هذه التوراة الشفوية قدسيته، فإنهم ينسبون لها موسى أيضاً، فيذكرون أن موسى استلم التوراة كاملة في جبل سيناء؛ فكل التفاصيل، وكل الشروحات، وكل التقاليد المتداولة شفهيًا عند حاخامات اليهود تلقاها موسى وحياً طيلة الأربعين يوماً التي قضاها على الجبل حينما أملى عليه الرب التوراة المكتوبة.<sup>(3)</sup>

وإذن، فإن مدلول التوراة عند اليهود مفهوم مرن وقابل للتمدد، فهو ابتداءً يحيل على الكتب الخمسة الأولى من الكتاب المقدس أو ما يسمى البنتاتوك pentateuch، ويدل عن طريق الاختزال على الوصايا العشر التي تلقاها موسى من الرب، ثم في الأخير، وعن طريق تضخيم المفهوم، فإن أي كلمة مكتوبة أو شفوية يفترضون أن يكون مصدرها هو الكلمات التي تلقاها موسى في سيناء، أي التوراة الشفوية والمكتوبة.<sup>(4)</sup> وبحسب هذا الفهم، فإن جميع الكلمات المكتوبة أو الشفوية في التقليد والتراث الديني العبري نابعة مما تلقاه موسى في جبل سيناء.

(1) R.M. Schneier, I.S. Ali, B. Clinton and S.G. Freedman, Sons of Abraham: A Candid Conversation About the Issues That Divide and Unite Jews and Muslims (Beacon Press, 2013) P.33.

(2) S.K. Patro, A Guide to Religious Thought and Practices (Augsburg Fortress, 2015) P.95.

(3) N.T.L. Cardozo, The Written and Oral Torah: A Comprehensive Introduction (Jason Aronson, Incorporated, 1998) P.7.

(4) J.E. Renault, La Loi Et La Croix: L'écriture De La Croix Dans L'écriture De La Loi (Faculté de théologie de Lugano, 2009) P.36.

فيعتقدون لذلك أن مصطلح التوراة وضع ليشمل كل ما أوحى به الرب لأجل البشرية، فهي تضم الشريعتين المكتوبة «Torah shebikhtab» والشفوية «Torah shebe'al peh»؛ فالأولى تمثّلت في أسفار الكتاب العبري، التي قيل أنّ موسى تلقاها عن الرب كتابة، والثانية فتتجلّى في الأدب التلمودي الذي يحسبونه متضمّنا لتعاليم تلقاها موسى شفويا من قبل الرب، وتوراثتها الأجيال من بعده، إلى أن تم تدوينها في بداية القرن الأول الميلادي لحفظها من الضياع، وأضفوا عليها صبغة الوحي، واعتبروها تفسيراً لما يريده الرب بالضبط من اليهود.<sup>(1)</sup>

وقد استخدم الكتاب العبري كلمة الجمع للتوراة في "توروت תורות Torot" للدلالة حسب فهمهم على نوعي الوحي اللذين تلقاهما موسى في جبل سيناء، أي الشفوي والمكتوب.<sup>(2)</sup> ومثال ذلك ما جاء في سفر التكوين ونصه:

[יִצְחָק אֲנִשְׁר־שִׁמְעָ אֲבִרָהֶם בְּקֹלִי וַיִּשְׁמַר מִנְּשִׁמְרָתִי מִצִּוֹתַי חֻקֹּתַי וְתוֹרֹתַי:]<sup>(3)</sup>  
وتعريبه: [لأنّ إبراهيم أطاع قولي، وحفظ أوامري ووصاياي وفرائضي وشرائعي]<sup>(4)</sup>،  
فالنص عندهم دليل على أن الأمر يتعلق بتوراتين لا بتوراة واحدة، إذ إن كلمة תורות Torot تدل على الجمع لا الأفراد.

ومما يزيد الأمر عندهم بيانا، ويكشف التّنصيب واضحا على التوراتين المكتوبة والشفوية، ما ورد أيضا في سفر الخروج، ونصه:

(1) Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism P.165.

(2) Skolnik and Berenbaum, Encyclopaedia Judaica Vol.20, P.39.

(3) GENESIS. 26:5 (Hebrew-English Tanakh: The Jewish Bible P.47.)

(4) سفر التكوين 26: 5. (ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص 106).

[וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל-מֹשֶׁה כְּתֹב-לְךָ אֶת-הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה כִּי עַל-פִּי הַדְּבָרִים

הָאֵלֶּה כָּרָתִי אִתְּךָ בְּרִית וְאֶת-יִשְׂרָאֵל]<sup>(1)</sup>، وترجمته الحرفية هي:

[وأمر "يهو" موسى أكتب- لك الكلمات هذه لأن على-فم الكلمات هذه قطعت

معك عهدا ومع إسرائيل].<sup>(2)</sup>

فكانت كلمة "أكتب" כְּתֹב «ketav» في هذا النص هي السند الشرعي للقانون المكتوب، أي التوراة المكتوبة «Torah she-bi-khetav»، أو التوراة التي تضمنتها كلمة "أكتب"، في حين تشير عبارة «على-فم لا-פִּי» «al pi» إلى التوراة الشفوية «Torah she-be-al peh»، أي التوراة التي تضمنتها عبارة «على فم al pi»<sup>(3)</sup>. وبهذه الطريقة أوجدوا تخریجا شرعيا لتقديس ما لم يكن مقدسا، "فالعبرة: «على فم هذه الكلمات» «עַל-פִּי הַדְּבָרִים הָאֵלֶּה» «al pi hadevarim haeleh» في التقليد الحاخامي كانت هي الأساس الذي قام عليه مفهوم القانون الشفوي الذي رافق القانون أو التوراة المكتوبة، من أجل توضيح معانيها وبيان مقاصدها.<sup>(4)</sup> وفقا لما يمليه ويميل إليه الفكر الحاخامي.

ومن هؤلاء الحاخامات نجد مثلا شمعون بن لاكيش<sup>(5)</sup> שמעון בן לקיש Simeon Ben Lakish، الذي كان يرى أن موسى لم يوح إليه كل الوصايا مع تأويلاتها

(1) Exodus 34:27 (Hebrew-English Tanakh: The Jewish Bible P.173-174.)

(2) العهد القديم العبري ترجمة بين السطور، الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر، الجامعة الأنطونية: لبنان، ط1: 2007م ص148.

(3) Skolnik and Berenbaum, Encyclopaedia Judaica Vol.20, P.39.

(4) M. Sicker, The Convocation at Sinai: A Study in Biblical Interpretation (New York: iUniverse, 2008) P.167.

(5) وهو عندهم من بين أهم حكماء فلسطين في القرن الثالث بعد الميلاد، وكان الزميل الأصغر للحاخام يوهانان Yohanan، وكانت له الريادة في ظهور التلمود الفلسطيني. ينظر:

فقط، بل أيضا كل كلمات "الأنبياء" و"الكتب" - أي باقي مكتوبات التناخ-، إضافة إلى المشنا والتلمود<sup>(1)</sup>. ورأيه ذاك قائم على تأويله لنص ورد في سفر الخروج<sup>(2)</sup> وفيه:

[וַיֹּאמֶר יְהוָה אֶל-מֹשֶׁה: עֲלֶה אֵלַי הַהָרָה וְהִיִּה-נָשָׁם וְאַתָּנָה לִי אֶת-לֶחֶת הָאֶבֶן  
וְהַתּוֹרָה וְהַמִּצְוָה אֲשֶׁר כָּתַבְתִּי לְהוֹרֹתָם:]<sup>(3)</sup> وترجمته:

[وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْعَدْ إِلَيَّ إِلَى الْجَبَلِ وَأَقِمْ هُنَاكَ حَتَّى أُعْطِيَكَ لَوْحِي الْحِجَارَةَ  
وَالشَّرِيعَةَ وَالْوَصِيَّةَ الَّتِي كَتَبْتُهَا لِتُعَلِّمَهُمْ»].<sup>(4)</sup>

فجاء في التلمود أن الحاخام بن لكيش يرى أن هذا النص فيه دلالة على أن موسى لم يتلق من قبل الرب التوراة المكتوبة فقط، بل كل التوراة، كما سيتم تناقلها عبر

E. Orlin, Routledge Encyclopedia of Ancient Mediterranean Religions (Taylor & Francis, 2015) P.882.

<sup>(1)</sup> تعني كلمة المشنا מִשְׁנָה في العبرية: التّعلم أو التكرار، وهي مشتقة من الفعل מִשַׁנָּה، بمعنى كرّر وأعاد، وفي الاصطلاح، تعرف بأنها مجموعة من الأحكام والتعاليم والتفاسير والوصايا التشريعية التي تناقلتها الأجيال عبر العصور شفاهة؛ من عهد موسى على عهد "يهودا هناسي" الذي قام بتدوينها، فكانت مادة التلمود ومتمنه، الذي تتابعت وتطاولت أجياله تاريخيا، مروراً بأجيال المشنا وما سبقها، وانتهاء بالجمارا التي تشرحها وجمعاً معها تحت مسمى التلمود، لفترة امتدت عشرة قرون، خمسة قبل الميلاد ومثلها بعده. وتتضمن المشنا شروحا وتفسير مفصلة للتوراة وأحكامها، كما تشتمل على أحكام وقوانين لم ترد في التوراة، من اجتهادات واستنباطات الحاخامات عبر العصور. ينظر: (الأدب اليهودي في المرحلة التلمودية، المشنا: تاريخها وأقسامها وأهم عقائدها الدينية، مصطفى عبد المعبود منصور، رواج للإعلام والنشر: القاهرة، ط1: 2005م ص11-12).

ويطلق على التلمود التوراة الشفوية، وحرفيا: توراة الفم، التي كانت تنقل شفويا من الفم إلى الأذن عبر الأجيال لتدون في الأخير تحت مسمى التلمود. ينظر: (مدخل إلى التلمود، أدين شتاينسالتز، ترجمة: فينيثا بوتشيفا الشيخ، دار الفرقد: دمشق، ط1: 2006م ص5).

<sup>(2)</sup> A.J. Heschel and G. Tucker, Heavenly Torah: As Refracted through the Generations (Continuum, 2005) P.563.

<sup>(3)</sup> Exodus 24:12 (Hebrew-English Tanakh: The Jewish Bible P.150.)

<sup>(4)</sup> سفر الخروج 24: 12 (ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص194-195)

الأجيال، فعبرة: "لَوْحِي الْحِجَارَةِ" «אֶת־לִּוְחֵי הָאֲבָנִים» تعني عنده الوصايا العشر التي كتبت على حجارة العهد، كما أن كلمة תּוֹרָה Torah في النص تعني كتب موسى الخمسة. أما كلمة מצוּוּה mitzva، فتعني المشنا التي تتضمن شرح الوصايا وكيفية القيام بها. وأما عبارة: "الَّتِي كَتَبْتُهَا" ففيها إشارة إلى الأنبياء والمكتوبات التي تم تدوينها عن طريق الوحي. وأما كلمة "لِتَعْلِيمِهِمْ" فهي تحيل على التلمود الذي يشرح المشنا. وهكذا كان هذا النص عند هذا الحاخام شرحا لكل أنواع التوراة التي تلقاها موسى على جبل سيناء.<sup>(1)</sup>

وبناء على ما ذكر سلفا، يتبين أن مصطلح التوراة عرف تطورات متتالية، وقد صاحب تطور ما يسمى باليهودية. ففي نهاية مرحلة تشكّل هذه الديانة في القرنين الخامس والسادس بعد الميلاد، فقدت كلمة التوراة معناها الخاص، وصارت تعني أي شيء يمكن أن يكون بمنزلتها وفي مقامها. فكل ما يمكن أن يوثق بوصفه وصية الرب لشعب إسرائيل نعت بالتوراة. وذلك كله ما جمع ولقراءة الألف سنة في لفافة أو كتاب ليصير رمزا للنظام الديني بأكمله؛ وعندما يتحدث الحاخام باسم التوراة فإنه لا يقصد شيئا بعينه فقط، كاللفافة ومحتوياتها؛ فالكلمة صارت تحيل آنذاك على كل ما حدّته الديانة اليهودية من تصورات، ومنهج للحياة.<sup>(2)</sup>

كما أن التوراة ابتداء من الأدب الحاخامي في أواخر العصور القديمة، كانت تطلق على طائفة واسعة من المفاهيم؛ فكانت الكلمة إذا أطلقت آنذاك تشير إلى الحاخامات

(1) Talmud Bavli; the William Davidson Talmud. Berakhot 5a:3, Available: <https://www.sefaria.org/Berakhot.5a.3?lang=bi>.

(2) Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism P.165.

أنفسهم الذين يدرسونها، وكذلك إلى المجتمع الذي قبل تعاليمها، فهي تعبر عن وضع اجتماعي، وفئة اجتماعية، وإلى نوع من العلاقات الاجتماعية.<sup>(1)</sup>

وإن أهم خطوة في توسيع مفهوم التوراة-حسب قاموس الديانة اليهودية-، كانت بظهور «باب الآباء»<sup>(2)</sup> Tractate Abot -وهو ضمن كتاب الأضرار «سدر نزيقين»- من المشنا حوالي عام 250 بعد الميلاد، ففي باب "الآباء" صار للتوراة التي كانت تحيل إلى مجرد كتاب موحى به معنى آخر، فهي مرتكز المشنا، وغايات الحكيم وأهدافه ووجهته، وتم اعتبار ما يقوم به الحكيم دراسةً للتوراة، وجوهرها ومضمونها هو ما يقوله الحكيم، سواء ذكر استشهاده من نصوصها أم لا. وعادة في باب "الآباء" لا يذكر الحكماء نصوص التوراة ليشرحوها، ولا يتحدثون باسم الرب، ومع ذلك، كان واضحاً أنهم يتحدثون التوراة. ويترتب على ذلك أن كل ما يتكلم به الحكيم يصنف ضمن التوراة. وإذن فباب "الآباء" جعل من دراسة التوراة مؤشراً لمكانة الحكيم، وكان الوثيقة الأولى لعقيدة تجسيد

(1) Avery-Peck and Neusner, *The Routledge Dictionary of Judaism* P.165.

(2) ويقصد بالآباء واضعي الشريعة اليهودية ومعلميها، والباب عبارة عن حكم وأمثال وأقوال مأثورة جاءت على لسان علماء الشريعة أو نسبت إليهم، كما يتضمن ثناء على الشريعة والإعلاء من قدر دارسيها، والحظ على احترامهم والالتزام بتعاليمهم، وتنبيه ليلي أبو المجد على أن هذا الباب لا ينتمي إلى المشنا في لغته ولا في مضمونه ولا في زمنه، وتقرر أنه تمت إضافته إلى المشنا حوالي القرن التاسع الميلادي بعد ظهور عنان بن داود (أواخر القرن الثامن الميلادي) في العراق وتأسيسه للفرقة "القرائية"، وهي الفرقة التي انشقت عن اليهودية الربانية التي تؤمن بالمشنا والتلمود، وتشكيكه في وجود أي صلة بين علماء المشنا والتلمود وموسى وتوراته، فكان لزاماً على الربانيين أو الحاخامات أن يدافعوا عن أنفسهم وأن يأتوا بدليل على أن شريعتهم ترتقي إلى موسى فقاموا بوضع علماء المشنا والتلمود في سلسلة وحاولوا أن يجعلوها متصلة بموسى عليه السلام، وأطلقوا على هذه السلسلة اسم "الآباء" "أفوت" وأقحموه في المشنا بعد ظهور عنان بن داود. (ينظر: مدخل إلى دراسة التلمود، ليلي إبراهيم أبو المجد، الدار الثقافية



الحكيم للتوراة وأنه إنسان مقدس. فالادعاء في البداية أن مقولات الحكيم تدخل ضمن التوراة، يخلص في النهاية إلى أن الحكيم هو التوراة نفسها، وأنه تجسيد للتوراة.<sup>(1)</sup>

وأما الخطوة الرئيسة التالية في توسيع معني كلمة "التوراة" كانت مع ظهور التلمود الأورشليمي<sup>(2)</sup>، الذي ساوى المشنا بالتوراة، وبعد دخولها في صنف المكتوبات المقدسة، لن يتطلب الأمر سوى خطوة قصيرة لحبك نظرية تجعل منها جزءاً من الوحي الذي تلقاه موسى في جبل سيناء؛ وهي قصة التوراة الشفوية، فصار ينظر إلى المشنا بأنها تحتوي على الكلمات التي تلقاها موسى من قبل الرب. وبهذا ظهر تعبير واضح لالبس فيه يميّز بين شاكين تلقى بهما موسى التوراة الواحدة في جبل سيناء، جزء منها مكتوب، والآخر شفوي.<sup>(3)</sup>

وهكذا أضحت التوراة أوسع مدلولاً من مجرد الوحي، وصار الحكيم رجلاً مقدساً وليس مجرد متعلّم. وبهذه الطريقة صارت كلمة التوراة محور تاريخ إسرائيل ومستقبله.<sup>(4)</sup> واحتلت مفاهيمها مركز الصدارة بين الشعب اليهودي، فقضية الشفوي

<sup>(1)</sup>Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism. P.166

<sup>(2)</sup> وهناك تلمودان:

1. التلمود الفلسطيني: وينسب به اليهود خطأً إلى أورشليم «القدس» فيقولون «التلمود الأورشليمي»، رغم أن

القدس خلت من المدارس الدينية بعد هدم الهيكل الثاني.

2. التلمود البابلي: وهو نتاج الحلقات التلمودية في العراق «بابل».

وكلا التلمودين مُكوّن من المشناه والجماراه. والمشناه في كل منهما واحد، أما الجماراه فاثنتان: إحداها وُضعت في فلسطين، والأخرى في العراق. ولما كانت الجماراه البابلية أكمل وأشمل من الجماراه الفلسطينية، فإن التلمود البابلي هو الأكثر تداولاً، وهو الكتاب القياسي عند اليهود. ولذا، فحين يُستخدَم لفظ «التلمود» وحده، يقصد به التلمود البابلي. ويبلغ ثلاثة أضعاف حجم التلمود الفلسطيني، قد كتب بأكثر من لغة. (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية

الموجزة، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق: القاهرة، ط5: 2009م، ج2، ص33)

<sup>(3)</sup>Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism P.166

<sup>(4)</sup> Ibid. P.166

والمكتوب من التراث جزء جوهريّ في الكيان العبري؛ يقول عبد الوهاب المسيري: "تحتل التوراة بمعنيها الضيق والواسع مكاناً مركزياً في الوجدان الديني اليهودي، فهي أقدم من العالم، بها ولها خلق الإله الدنيا، وهي عروس الربّ التي تجلس على جواره على العرش... ومن أقدس الأماكن في المعبد اليهودي الدولاب الذي يسمى تابوت العهد الذي يحتفظ فيه بلفائف الشريعة."<sup>(1)</sup>

ومثل هذه المشاعر اتجاه ما يسمى بالتوراة، مما لا يزال يحتفظ به العديد ممن ينتسبون إلى الديانة اليهودية، يقول أحد المعاصرين من شعراء اليهود<sup>(2)</sup> في حفل افتتاح الجامعة العبرية عام 1925م: "التوراة هي أداة الخالق، وبها ولأجلها خلق الكون، وإنها أقدم من الكون، وإنها أسمى فكرة روح حيّة في العالم، بدونها لم يكن من الممكن أن يوجد العالم، وحتى ليس له الحق أن يوجد."<sup>(3)</sup>

ويرون أن التوراة هي السبب في اتخاذ الرب لهم شعباً مختاراً دون سائر أهل الأرض، كما أن الصلوات اليهودية تحتوي على شكر الإله لإرساله هذه التوراة، وحينما ينادى على أحد المصلين ليقرأ أسفار موسى، فإنه يقول: "مبارك الربّ الذي خلقنا من أجل جلاله، وفضلنا عن ضلوا سواء السبيل، وأرسل لنا التوراة..."<sup>(4)</sup>

وبناء على ما سبق، يمكن أن نخلص إلى أن مصطلح التوراة ذو مكانة عالية ومركزية في الديانة اليهودية، وقد اشتمل على كل تعاليمها الدينية، فكان اليهود

(1) موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري، ج 5، ص 87.

(2) وهو حاييم نحمان بياليك Hayim Nahman Bialy (ت 1934م).

(3) نقلاً عن: الأغيار في الثقافة اليهودية، يوسف يوسف، دار القلم: دمشق، ط 1: 200م ص 17.

(4) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية للمسيري، ج 5، ص 88.

يستخدمونه للإشارة إلى اليهودية ككل، ثم أصبح علما على البنتاتوك في مقابل باقي أسفار التناخ، ثم صارت الكلمة تعني العهد القديم كله مقابل التفاسير الحاخامية<sup>(1)</sup>، التي جمعت فيما بعد وأطلق عليها: التوراة الشفوية أو التلمود.

ومن هنا، فإن عملي على موضوع صورة "الآخر" في التوراة في هذا البحث لن يشذّ عن مدلول المصطلح في الديانة اليهودية، ولذلك فستتناول الدراسة صورة "الآخر" في التوراة بمعناها العام، بكامل شقيها، المكتوب منه والشفوي. وذلك بالوقوف على نماذج من نصوص التوراتين بالدراسة والتحليل. ثم إن هذه التوراة المكتوبة أو ما يسمى عند اليهود بالتناخ، وعند النصارى بالعهد القديم، جزء مشترك بين الديانتين، على خلاف بينهما في عدد الأسفار وترتيبها، وأحيانا في تفسير وتأويل مضامينها؛ كما يوجد عند طوائف كلتا الديانتين نفسيهما خلاف داخلي في قانونية<sup>(2)</sup> بعض المكتوبات.

وإن الكتاب المقدس العبري الذي يشار إليه بالتناخ يتضمن أربعة وعشرين سفرا، موزعا على ثلاثة أقسام: التوراة، والأنبياء، والمكتوبات. ويتضمن القسم الأول وهو التوراة «Torah תורה» الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى: سفر التكوين «בראשית

(1) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية للمسيري، ج 5، ص 86-87.

(2) كلمة قانون Canon يونانية، وتعني قصبة القياس أو العصا المستقيمة، قد استخدمتها الكنيسة في القرون الأولى، وبصفة خاصة منذ أن استخدمها القديس اثناسيوس الرسولي في رسالته الفصحية سنة 367م للتعبير عن الأسفار المقدسة الموحى بها، سواء أسفار العهد القديم أو الجديد، وتمييزها عن الكتب الأخرى غير الموحى بها، مثل التلمود وكتب آباء الكنيسة الأولى. ينظر: (البدع و الهرطقات لماذا وكيف ظهرت في فجر المسيحية؟ عبد الله الفادي، شركة كتاب للنشر الإلكتروني، ط: 2015م. ص 22).

«berechit»، والخروج «שְׁמוֹת chimot»، واللاويين أو الأحبار «וַיִּקְרָא vayikra»، والعدد «בְּמִדְבָּר bamidbar»، والتثنية «דְּבָרִים davarim».<sup>(1)</sup>

أما القسم الثاني وهو الأنبياء «נְבִיאִים neviim» فيشتمل على ثمانية أسفار: أربعة أسفار للأنبياء الأوائل «يشوع، القضاة، صموئيل، الملوك»، وأربعة أخرى للأنبياء المتأخرين «إشعيا، إرميا، حزقيال، والأنبياء الصغار الاثني عشر: هوشع، يوئيل، عموس، عوبديا، يونا، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجي، زكرياء، ملاخي. وكل هؤلاء يعدّون في الكتاب العبري سفرا واحداً».

وأما القسم الثالث ويسمى المكتوبات «כְּתוּבִים ketouvim»، فيشتمل على اثني عشر سفراً: المزامير، الأمثال، أيوب، نشيد الأناشيد، راعوث، المراثي، قوهلت، إستير، دانيال، عزرا / نحميا - سفر واحد -، الأيام.<sup>(2)</sup> وقد اعتمدت طائفة البروتستانت<sup>(3)</sup>

<sup>(1)</sup> ومن الأمور العجيبة المريبة أن تختتم هذ الأسفار المنسوبة لموسى عليه السلام بإعلان وفاته، في هذا النص الغريب: [فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. وَدَفَنَهُ فِي الْجَوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَعُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ. وَكَانَ مُوسَى ابْنَ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً حِينَ مَاتَ وَلَمْ تَكَلَّ عَيْنُهُ وَلَا ذَهَبَتْ نَضَارَتُهُ] سفر التثنية 34: 5-7. (ترجمة سميث وفان دايك، ص251). فإذا كان موسى صاحب هذه الأسفار، فكيف يخبر عن موته وبصيغة الغائب!

<sup>(2)</sup> J.J. Collins, Introduction to the Hebrew Bible: Second Edition (Fortress Press, 2014) P.2.

<sup>(3)</sup> هي أحد الفرق الثلاثة الكبرى في المسيحية، نشأت في ظل إصلاح القرن السادس عشر الميلادي، وينطبق مصطلح البروتستانتية على معتقدات المسيحيين الذين لا يتبعون الكنيستين الكاثوليكية الرومانية والأرثوذكسية الشرقية، وسبب نشوء هذه الطائفة هو الإصلاح الديني الذي قاده مارتن لوثر Martin Luther (ت1546م) الذي أسس الكنيسة الإنجيلية في ألمانيا واسكندنافيا؛ كانت دعوتهم الإصلاحية مؤسسة على سيادة الكتاب المقدس في قضايا الإيمان والأوامر الدينية، وأنّ الحصول على الخلاص أو غفران الخطايا والتبرير يكون بالرحمة عن طريق الإيمان وليس بالعمل، وأن درجة الكهنوتية هي لجميع المؤمنين.

Britannica Concise Encyclopedia (Chicago: Encyclopaedia Britannica, 2006) P.1556. "Protestantism."

من النصارى على هذه الأسفار نفسها، التي يؤمن بها اليهود، إلا أنها اتخذت لها تقسيما آخر مخالفا لما عند اليهود، فدعت أسفار موسى الخمسة "بنتاتوتك" بدلا من التوراة، وجعلت من الأسفار: صمويل، والملوك، وعزرا/نحميا، والأيام سفرين، كما عدت سفر الأنبياء الصغار الاثني عشر اثناعشر سفرا، ليصير عدد أسفار العهد القديم عند البروتستانت تسعة وثلاثين سفرا.<sup>(1)</sup> موزعة بعد "البنتاتوتك" على ثلاثة أقسام: الكتب التاريخية، وكتب الشعر والحكمة، ثم كتب الأنبياء. وهو التقسيم نفسه عند طائفة الكاثوليك<sup>(2)</sup>، إلا أن هذه الأخيرة زادت على ما يؤمن به اليهود والبروتستانت أسفار سبعة أخرى، مما أضافته الترجمة السبعينية<sup>(3)</sup>، ليصير مجموع عدد أسفار العهد القديم عند الكاثوليك ستة وأربعين سفرا.

(1) J.J. Collins, Introduction to the Hebrew Bible P.2.

(2) الطائفة الكاثوليكية وتسمى كنيستها بالكنيسة الجامعة أو الغربية، مركزها الرئيس هو الفاتكان في روما بإيطاليا، ويعود تأسيسها إلى بطرس أحد الحواريين الإثني عشر، ويرأس هذه الكنيسة البابا المنتخب من قبل الكرادلة، وهو في مفهوم الكاثوليكية خليفة المسيح، فقراراته حاسمة في مختلف شؤون الحياة، وأتباع هذه الطائفة هم معظم الغرب اللاتيني.

(ينظر: ترجمان الأديان، أسعد السحمراني، دار النفائس: بيروت، ط1: 2009م ص356-357).  
(3) والترجمة السبعينية: هي أقدم ترجمة للعهد القديم من العبرية إلى اليونانية، سميت بالسبعينية لأنها ترجمة السبعين رئيسا، ويطلق عليها أيضا الترجمة اليونانية السكندرية. وقد تمت في الإسكندرية بأمر من الحاكم الإمبراطور بطليموس فلاذيلفيوس الثاني «247-285 ق.م» في سنتي: 282 و 283 ق.م على يد اثنين وسبعين عالما من شيوخ اليهود، وتشتمل على أربعة عشر سفرا لا يوجد في الأصل العبري.

(ينظر: اليهود واليهودية، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر: القاهرة، ط6: 2008م ص19).  
وزادت الترجمة السبعينية عن الأصل العبري أسفار سبعة هي: طوبيا، ويهوديت، والحكمة، ويشوع بن سيراخ، وباروخ، والمكابيين الأول، والمكابيين الثاني، مع تنمة لأستير وتنمة لدانيال «الفتيان الثلاثة، سوسنة، بال والتنين». (الأسفار القانونية الثانية: الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية، جمعية الكتاب المقدس في لبنان، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط: القاهرة، ط3: 2013م. ص: مقدمة الكتاب)

هذا، ونجد في الديانة اليهودية نفسها خلافا بين طوائفها في شأن أسفارها المقدسة، فطائفة السّامريين<sup>(1)</sup> لا يؤمنون إلا بالأسفار الموسوية الخمسة، ويضيفون إليها سفرَي يشوع والقضاة، أما طائفة الصدوقيين<sup>(2)</sup> فيرفضون كلّ ما يأتي به الشيوخ والكتبة مما هو خارج عن الوحي المدوّن في أسفار التناخ. وفي زمن متأخر وبعد ظهور الإسلام نشأت فرقة القرائين<sup>(3)</sup> التي أنكرت العمل بالتلمود وتمسّكت بأسفار العهد القديم وحده.

<sup>(1)</sup> السامريون كلمة معربة من "شوميرونيم" العبرية وتعني سكان السامرة، الذين يشار إليهم من قبل اليهود الحاخاميين في التلمود بلفظة "الغريب"، وأحيانا تحتل فيه كلمة "السامريون" محل كلمة "الأغيار" ل يبدو كما لو أن السباب موجه لهم وحدهم، أما هم فيطلقون على أنفسهم "بني إسرائيل" أو "بني يوسف" أو "حفظة الشريعة"، وهم لا يعترفون بأنبياء اليهود ولا بكتب العهد القديم، بل إن أسفار موسى المتداولة بينهم تختلف عن الأسفار المدونة في نحو ستة آلاف موضع، وهم ينكرون الشريعة الشفوية، شأنهم في ذلك شأن الصدوقيين والقرائين.

(ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة، عبد الوهاب المسيري، ج 2، ص 118-119).  
<sup>(2)</sup> الصدوقيون فرقة مؤلفة من مثقفين جلّهم من الأغنياء ذوي المكانة المرموقة. فتضم رؤساء الكهنة والأرستقراطية الكهنوتية. وقد كان صادوق الذي تنسب إليه الطائفة رئيس الكهنة في أيام داود وسليمان. وفي عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابيين فسمي خلفاؤه وأنصاره صدوقيين، حصروا إيمانهم على أسفار التوراة وحدها، ولا يؤمنون بالعالم الأخروي، وينكرون القيامة والجزاء ووجود الملائكة. (ينظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص 539)

<sup>(3)</sup> هي أحدث الفرق اليهودية جميعها. فقد أنشأها عنان بن داود، أحد علماء اليهود في بغداد في أواخر القرن الثامن بعد الميلاد، وفي عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور -الذي كانت خلافته من سنة 754 إلى 775 بعد الميلاد-، أي بعد نشأة الديانة اليهودية بنحو عشرين قرنا. ويقوم مذهبا على التمسك بما جاء في العهد القديم وحده، وعدم الاعتراف بأحكام التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات. ومن ثم أطلق على فرقهم "العنانيين" نسبة إلى منشئها عنان بن داود، واسم "القرائين" نسبة إلى "مقرا" بمعنى الكتاب أو المكتوب، وهي الكلمة التي كانت تطلق عند اليهود على أسفار العهد القديم، فمعنى القرائين المتمسكون بالكتاب وحده أي أسفار العهد القديم وحدها. ينظر: (اليهودية واليهود، علي عبد الواحد وافي، ص 103).

وفي العصر الحديث أزلت اليهودية الإصلاحية<sup>(1)</sup> هالة القداسة عن أسفار التوراة والتلمود، وفقدت الشريعة عندها سلطتها الإلزامية، ورفضت كامل التشريعات الموسوية والحاخامية، ودعت إلى الانصهار والاندماج في المجتمعات الغربية، وإلغاء كل ما من شأنه أن يميز اليهود عن غيرهم.

وأما اليهودية المحافظة<sup>(2)</sup> والأرثوذكسية<sup>(3)</sup> وعامة طوائف اليهود قديما وحديثا فإنها امتداد طبيعي لليهودية الحاخامية التوراتية التلمودية<sup>(4)</sup>، فيؤمنون جميعا أن موسى تلقى في سيناء التوراتين، المكتوبة التي دونها موسى؛ والشفوية التي تناقلتها عنه الأجيال وشكّلت فيما بعد مادة التلمود.<sup>(5)</sup>

(1) فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر في ألمانيا، وانتشرت منها إلى بقية أنحاء العالم، خصوصا الولايات المتحدة الأمريكية. (موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري، ج2، ص146)

(2) الحركة المحافظة تمخضت عن الحركة الإصلاحية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، أعلنت التزامها الصارم بالتقاليد المتوارثة عن الحاخامات، وسمحت بتأويل الشريعة الموسوية بما يتلاءم مع مصالح ومقتضيات العصر. (مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير منى أبو الفضل، ص38-39).

(3) "اليهودية الأرثوذكسية" فرقة دينية حديثة ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر، وجاءت كرد فعل للتيارات التنويرية والإصلاحية بين اليهود. وتُعتبر الأرثوذكسية الامتداد الحديث لليهودية الحاخامية التلمودية. (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة، ج2، ص152)

(4) "اليهودية الحاخامية" أو "التلمودية" أو "الربانية" أو "الكلاسيكية" أو "المعيارية" مصطلحات تستخدم للإشارة إلى جوهر العقيدة اليهودية السائدة بين معظم الجماعات اليهودية في العالم، بدءا من حوالي القرن التاسع الميلادي حتى نهاية القرن الثامن عشر. وبتحول القرائين -وهي الجماعة التي اقتصر على التوراة وبدعت جهود الحاخامات التفسيرية- إلى جماعة هامشية أصبح مصطلح "يهودية الحاخامية" و "يهودية" مترادفين. (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة، ج2، ص32-33)

(5) ينظر: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، رقية علواني وآخرون، تحرير: منى أبو الفضل ونادية مصطفى، دار الفكر: دمشق، ط1: 2008م. ص35-36-50.

وتذكر رقية علواني أنه على الرغم من تباين مواقف الجماعات اليهودية اتجاه التوراة بشقيها، وحتى من أنكرت مصداقيتها، فإنها جميعها جعلت من العهد القديم مرتكز الحياة اليهودية، مؤكدين جميعاً أن اليهود عبر تاريخهم صدروا عن التوريتين: المكتوبة والشفوية، وعلى هذا فإن النقد التاريخي للتناخ لم يلغ تعلق اليهود به، حتى الملحدون<sup>(1)</sup> واللا دينيون منهم<sup>(2)</sup>.

وقد جاء في "موسوعة أديان العالم" ما نصه: "من الممكن أن تكون يهوديا دون أن تكون متديّنا، بمعنى ملتزما، فمصطلح «يهودي» لا ينطبق فقط على الذين يتّبعون القوانين الدينية والتعاليم اليهودية. وفي القانون والفكر اليهودي من الممكن اعتناق اليهودية، لكن اليهودي بالولادة يبقى يهوديا وإن اعتنق دينا آخر."<sup>(3)</sup>

وحسبنا في هذا البحث إبراز صورة "الآخر" كما وردت في نصوص الكتاب العبري المقدس عند عامة اليهود والنصارى، وكذا في التوراة الشفوية أي التلمود، دون الخوض في مسألة قانونية أفراد النصوص المستشهد بها عند الجماعات الدينية المختلفة، ودون الدخول في قضية قانونية وثبوت النص من عدمه، فالبحث ليس في مجال النقد النصي. إنما الهدف من هذه الدراسة هو إيراد ما تقدمه تلك الأسفار المقدسة من نظرة إلى "الآخر" بناء على ما جاء في نصوصها، التي يؤمن بها عامة اليهود والنصارى.

(1) يقول المسيري: "مصطلح (يهودي ملحد) يبدو وكأنه تركيب واضح التناقض، إذ نتصور أن اليهودي من يؤمن باليهودية ... ولكن معيار تعريف اليهودي ليس كونه مؤمنا بالعقيدة وإنما كونه مولودا لأُم يهودية. وبحسب الشريعة اليهودية يمكن أن يكون اليهودي من الناحية النظرية يهوديا وملحدا في الوقت نفسه" (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة، ج1، ص228)

(2) مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير منى أبو الفضل، ص50.

(3) Michel Malherbe, Encyclopédie Des Religions De L'humanité (Paris Fleurus, 1997) P.36.



## المطلب الثاني: التعريف بالإنجيل.

إذا كان القرآن الكريم قد تحدّث عن الإنجيل المنزّل على المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام، ووصفه بأنه وحي سماوي فيه هدى ونور، يصدق ما قبله من توراة موسى عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَفَقَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(1)</sup>؛ فإن مفهوم الإنجيل في الديانة المسيحية يختلف تماما عمّا جاء في القرآن، فهو في واقع الأمر أناجيل متعددة، انتخبوا منها أربعة<sup>(2)</sup>، وجعلوها عماد كتابهم المقدس، الذي يتضمن العهد القديم وهو كتاب اليهود العبري، والعهد الجديد الذي هو ما بين أيديهم من هذه الأنجيل والمكتوبات التي لا يؤمن بها اليهود. والتي "لم يملها المسيح، ولم تنزل عليه هو بوحى إلهي، ولكن كتبت من بعده"<sup>(3)</sup>.

ومن المعلوم لدى النصارى أن أناجيلهم لم يكتبها عيسى ولم توح إليه، يقول أحدهم وهو الأب سیداروس اليسوعي: "ليس الكتاب المسيحي كتابا منزّلا كتبه الله،

(1) سورة المائدة، الآية 48

(2) وهي على التوالي: متى ومرقس ولوقا ويوحنا. و"يوجد العديد من الأنجيل والرسائل الإنجيلية التي كتبت عن أقوال وتعاليم المسيح، والتي لم تصبح أبدا جزءا من العهد الجديد، وهي معروفة من كتابات المؤرخين، وآباء الكنيسة المبكرة، ومن خلال اكتشاف مخطوطات "نجع حمادي" ولفافات البحر الميت؛ ونظرا لوجود عدد وافر من المؤلفات التي كتبت حول حياة المسيح، فقد كانت هناك خلافات كثيرة بين سلطات الكنيسة المبكرة حول الكتب التي يمكن اعتمادها واعتبارها قانونية، كما وجدت كتب أخرى كانت في وقت ما قد اعتبرت قانونية إلا أنها لم تضاف إلى ما يطلق عليه اليوم العهد الجديد".

Robert W. Mood, The New Testament in Question (Saudi Arabia: world assembly of muslim youth-eastern province) P.3.

(3) محاضرات في النصرانية، محمد أبوزهرة، دار الفكر العربي: القاهرة، ط3: 1966م ص42.

بل كتاب كتبه بشرٌ بإلهام الروح القدس<sup>(1)</sup>، وسيجرنا الحديث إلى أن نقرّ بأن الكتاب كان في بداية الأمر عبارة عن روايات شفوية، تداولتها الجماعة المسيحية الأولى، ودونها الإنجيليون الأربعة، كلّ بأسلوبه الخاص، وقصده اللاهوتي الخاص.<sup>(2)</sup>

فهذه شهادة أن النصارى يعلمون أن أناجيلهم لم ينزلها الله عزّ وجلّ على أحد من أنبيائه، إنما كتبها عند التحقيق أربعة مجاهيل، ومع إقرار "آرثر جوزيف بيلينزوني" Arthur J. Bellinzoni بأن جميع الأناجيل الأربعة مجهولة، فإنه يعقب على ذلك بأنه بحلول منتصف القرن الثاني، بدأ المسيحيون في تعيين المؤلف لهذه الأناجيل، وهو إما رسول، وبالتالي، شاهد عيان مفترض لحياة يسوع وخدمته - كما في حالة رسلا يسوع متى ويوحنا؛ أو أحد تلاميذ الرسول، وبالتالي، شاهد ثانوي على يسوع، كما في حالة مرقس، تلميذ بطرس. ولوقا تلميذ بولس.<sup>(3)</sup>

وهو ما يردّه "بيل زيرشر" Bill Zuersher بقوله: "جميع الأناجيل الأربعة مجهولة، ولا تحتوي مخطوطاتها القديمة على إشارات إلى مؤلفيها، ولا توقيعات، ولا أسانيد. وإن إسناد تأليف الأناجيل إلى ما نعرفه، إنما قامت به الكنيسة في أواخر القرن الثاني الميلادي، والقاعدة تقول إن المجهولية تقلّل المصداقية، لأننا لا نعلم مؤهلات ودوافع الكاتب. كما أن الأناجيل لا تدّعي أن كُتّابها أو رَوّاتها شهود العيان. إنما كُتبت

(1) الروح القدس في الفكر المسيحي هو أحد الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس، فهو عندهم أقنوم في اللاهوت، وهو واحد مع الآب والابن، وإن كان متميزاً عنهما. (دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبة بباوي وآخرون، ج 4، ص 148)

(2) تكوين الأناجيل الأربعة، الأب سیداروس اليسوعي، دار المشرق: بيروت، ط 1: 1990 م ص 5.

(3) A.J. Bellinzoni, The New Testament: An Introduction to Biblical Scholarship (Wipf & Stock Publishers, 2016) P.306.

الأنجيل الأربعة في طبقة الراوي الثالث، وليس الأول، ودوّنت هذه الأربعة باللغة اليونانية، وليست الآرامية التي هي اللغة الشائعة في وقت ومكان الأحداث المزعومة.<sup>(1)</sup> ومع كل هذه السجلات وغيرها حول موثوقية ومصداقية أنجيلهم وباقي أسفارهم المقدسة، فإن جماهير المسيحيين يعتبرون الكتاب المقدس جملة وحي إلهي؛ فجاء في دائرة المعارف الكتابية ما نصه: "الكتاب المقدس هو مجموعة أسفار العهدين القديم والجديد، التي تؤمن الكنيسة المسيحية بأنها موحى بها من الله."<sup>(2)</sup>

فكتابهم المقدس إذن، بكل أسفاره ومضامينه ونصوصه، وبعهديه القديم والجديد يحسبونه وحيا إلهيا مقدسا وملزما، ففي دائرة المعارف سألقة الذكر ما نصه: "والمسيحيون يعتبرون الكتاب المقدس جديرا بكل ثقة، ويعتمدون عليه اعتمادا مطلقا لأنه كلمة الله، فالله هو صاحب الرسالة، وقد هيا من يكتبها كما أراد هو."<sup>(3)</sup> وقد سبق الحديث فيما مضى عن التوراة ومدلولها واختلاف الكنائس المسيحية في عدد أسفارها؛ مما يضيفونه إلى العهد الجديد الذي يكاد يكون موحدًا لدى جميع الطوائف المسيحية، التي تجعل منه سبعة وعشرين سفرا، يلحقونها بالعهد القديم في القداسة، ليكتمل عندهم مجموع أسفار ما يسمونه الكتاب المقدس "The Bible".

وإن كلمة Bible مشتقة من اليونانية biblos وتعني وثيقة أو كتاب، وتحيل تسمية Bible أو الكتاب المقدس على الكتب التي اعتبرت الكنيسة قانونية ومقدسة، وكلمة

(1) B. Zuersher, Seeing through Christianity: A Critique of Beliefs and Evidence (Xlibris US, 2014) P.145.

(2) دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبة بباوي وآخرون، دار الثقافة: القاهرة، ط2: 1999م ج6، ص313.

(3) المرجع السابق، ج6، ص326-327

الرب وسبيل ورسالة الخلاص، فهو عندهم كتاب الله، والرب نفسه هو مؤلفه الأولي، وكل مواده وحي سماوي.<sup>(1)</sup>

كما أن كلمة "الإنجيل" مشتقة هي أيضا من اليونانية "إفانجيليوس" وتعني "البشارة" أو الخبر السار.<sup>(2)</sup> ومع أن لغة المسيح لم تكن اليونانية، بل كان يتلکم اللغة التي كانت سائدة في ذلك اليوم في فلسطين، وهي السريانية، لهجة من لهجات اللغة الآرامية<sup>(3)</sup>، فإن كل أصول أسفار العهد الجديد كتبت بلغة غير لغة المسيح، فجميعها تم تدوينها باللغة اليونانية، ولا يوجد اليوم نسخة واحدة من المخطوطات الأصلية لهذه الترجمات اليونانية، وإن أقدم النصوص المتبقية متباينة وغير متطابقة، لذا يحاول علماء النقد النصي قدر الإمكان إعادة بناء النص الأصلي المفقود.<sup>(4)</sup>

وأما عبارة "العهد الجديد" فأساسها عندهم ما جاء في نبوءة إرميا<sup>(5)</sup>، ونصها: [ها إنَّهَا تَأْتِي أَيَّامٌ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَقْطَعُ فِيهَا مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ (وَبَيْتِ يَهُوذَا) عَهْدًا جَدِيدًا، لَا

(1) John Anthony McGuckin, The Encyclopedia of Eastern Orthodox Christianity (Oxford: Blackwell, 2011) V.1, P.70.

(2) ينظر: دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبة بباوي وآخرون، ج1، ص441.

(3) ينظر: المرجع السابق، ج3، ص290.

(4) Robert S. Ellwood and Gregory D. Alles, The Encyclopedia of World Religions (New York: Facts On File, 2007) P.321.

(5) إرميا: اسم عبري معناه "الرب يؤسس" أو "الرب يثبت"، وأطلق هذا الاسم على واحد من أنبياء إسرائيل العظام. وينسب إليه سفر إرميا، ومرثي إرميا. (ينظر: دائرة المعارف الكتابية، ج1، ص183-184). وتنكر هيئة الترجمة اليسوعية أن يكون سفر المراثي لأرميا، فتقول: "نسبت الترجمة السبعينية هذا الكتاب إلى إرميا"، ثم تعقب بعد ذكر بعض الشواهد من السفر نفسه الدالة على التناقض قائلة: "وقد تدل الفروق في المعنى والمبنى على أننا أمام خمس قصائد من مصادر مختلفة. فالمراثي ليست لإرميا." (الكتاب المقدس، ترجمة الرهبانية اليسوعية، مدخل سفر المراثي، ص1740)

كالعهد الذي قطعته مع آبائهم، يوم أخذت بأيديهم لإخراجهم من أرض مصر لأنهم نقضوا عهدي مع أنني كنت سيدهم، يقول الرب.<sup>(1)</sup>

ففهم التقليد المسيحي المبكر هذا النص على أنه إشارة إلى عهد جديد، يتمحور حول يسوع، ويحل محل الميثاق الموسوي القديم؛ وهذا الفهم هو ما قادهم إلى نحت مصطلح "العهد الجديد" في مقابل "العهد القديم" وهي التسمية التي يرفضها اليهود.<sup>(2)</sup> ويتضمن مجموع الأنجيل الأربعة والرسائل الملحقة بها، التي تنسب إلى ثمانية من المحررين ينتمون إلى الجيل الأول والثاني من النصرانية، وهم: متى ومرقس ولوقا ويوحنا أصحاب الأنجيل، ثم بولس صاحب الأربع عشرة رسالة، ثم بطرس ويعقوب ويهوذا. وهؤلاء الثمانية منهم من كان من تلاميذ المسيح كمّتي ويوحنا وبطرس ويعقوب ويهوذا، ومنهم من تنصر بعد المسيح كبولس ومرقس ولوقا.<sup>(3)</sup>

ولفظ الإنجيل مختص بالكتب الأربعة الأولى، وقد يطلق مجازا على مجموع كتب العهد الجديد.<sup>(4)</sup> الذي لم يصل إلى الصورة التي عرف بها اليوم بأسفاره السبعة والعشرين، ولم يتم إقراره والمصادقة عليه من قبل الكنيسة الكاثوليكية الغربية، واعتبار أسفاره قانونية إلا في القرن الخامس الميلادي.

(1) سفر إرميا 31: 31-32. (ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص 1699)

(2) Marc Zvi Brettler, How to Read the Bible (Philadelphia: The Jewish Publication Society, 2005) P.7-8.

(3) هل العهد الجديد كلمة الله؟ منقذ بن محمود السقار، دار الإسلام للنشر والتوزيع: مصر، ط1: 2007م ص9.

(4) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية: الرياض، ط1: 1989م ج1، ص103.

فيذكر "جيمس تشارلزورث" James H. Charlesworth، أن المكتوبات التي جمعت في العهد الجديد، والتي دونت في الفترة الممتدة بين عام 50م و150م، لم يغلق قانونها في الكنيسة اللاتينية إلا في وقت متأخر، ومن المؤكد أنه ليس قبل أواخر القرن الرابع وكذلك بعد فترة طويلة من اعتماد قسطنطين<sup>(1)</sup> Constantine المسيحية كدين رسمي للإمبراطورية الرومانية. فجميع الكتب السبعة والعشرين من العهد الجديد، أدرجت لأول مرة -بصفتها الكتب القانونية الوحيدة- ضمن الأسفار المقدسة للعهد الجديد عام 367م، من قبل أثاناسيوس<sup>(2)</sup> Athanasius، أسقف الإسكندرية. وإذا قبلت الكنيسة اللاتينية في النهاية الأسفار السبع والعشرين ككتب قانونية للعهد الجديد في القرن الخامس. فإن الكنيسة اليونانية لم تكن مقتنعة بقانونية سفر الرؤيا، حتى حلول

(1) واسمه: قسطنطينوس الأول، الكبير «Constantine I, the Great»: وهو إمبراطور روماني عاش بين 306م و337م. كان من أتباع ديانة شمسية تنزع إلى التوحيد. وقد أدى ذلك إلى تعاطفه مع الديانة المسيحية، ويبدو أنه اعتنق هذه الديانة في آخر أيامه، وكان له الفضل في انتصارها داخل الإمبراطورية الرومانية، فقد منح المسيحيين حرية العبادة وأفرج عن أموال الكنيسة، وحى المسيحيين من الاضطهاد. كما تدخل قسطنطينوس في أمور الديانة المسيحية ونزاعات مجمع أنقرة «عام 314م»، ومجمع نيقيا «عام 325م» الذي تواجه فيه الأريوسيون والأرثوذكس. وقام قسطنطينوس بإنشاء عاصمة جديدة تضاهي روما وأطلق عليها اسم القسطنطينية نسبة لاسمه وذلك بغية تقريب مركز الإمبراطورية البيزنطية من الشرق. ينظر: (معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، جروس برس: طرابلس-لبنان، ط2: 1991م ص 685-686).

(2) أثاناسيوس Athanasius: أسقف الإسكندرية، لاهوتي، وقديس، ومن آباء الكنيسة، ولد حولي 300م، وربما في عام 298م، وحددت الأساطير القبطية مكان ولادته في صعيد مصر، لكن الذي يبدو أن هذه الادعاءات تناقض تعليمه اليوناني، عين شماسا في كنيسة الإسكندرية زمن النزاع مع أريوس، ثم عين أسقفا لها في صيف 328م.

القرن العاشر.<sup>(1)</sup> أما الكنيسة الشرقية فلم تصادق نهائياً على قانونية تلك الأسفار إلا في سنة 692 بعد الميلاد.<sup>(2)</sup>

وكان أول مجمع مسيحي عقد للموافقة على العهد الجديد بأسفاره السبع والعشرين هو مجمع هيبو ريجيوس<sup>(3)</sup> Hippo Regius بشمال إفريقيا، عام 393م، وقد فُقدت نصوص قرارات مجلسه، إلا أن خلاصة ما جاء فيه هو ما تم إقراره في المجمع الثالث لقرطاج Carthage بشمال إفريقيا عام 397م.<sup>(4)</sup>

وخلاصة المقال في هذا الباب، إن كل تلك المجمع وقراراتها كانت سعيًا نحو بناء الديانة عقيدة وشريعة، وتقنين نصوصها، وتشكيل كتابها المقدس، الذي ضمّ التوراة والإنجيل معاً، وإن ما يُقصد به الإنجيل عن النصارى، هو أحد تلك الكتب الأربعة التي بمجموعها، وإضافة إلى رسائل من يسمونهم بالرّسل، يكتمل ما أطلقوا عليه اسم "العهد الجديد"، الذي يعتقدون فيه أنه كتب بإلهام من الرّوح القدس، وقد يطلق عليه اسم "الإنجيل" مجازاً من باب إطلاق الجزء على الكلّ، كما أطلق اسم التوراة على كامل أسفار العهد القديم؛ وإنّ كلا العهدين القديم والجديد ليشكلان الكاتب المقدس في الديانة المسيحية.

(1) J.H. Charlesworth, The Old Testament Pseudepigrapha (Hendrickson Publishers, 2010) P.XXIII.

(2) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية: القاهرة ص228.

(3) هيبو ريجيوس، أو هيبون، هو الإسم القديم لمدينة عنابة الحالية في أقصى الشمال الشرقي للجزائر، وهو ما أشار إليه المؤرخ الفرنسي فرنان بروديل Fernand Braudel، في كتابه "تاريخ الحضارات".

Fernand Braudel, Grammaire Des Civilisations (Paris: Flammarion, 1993) P.376.

(4) Bellinzoni, The New Testament: An Introduction to Biblical Scholarship P.428.

## المطلب الثالث: التعريف بالقرآن الكريم.

يخاطب الله تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، الذين آتاهم سبحانه التوراة والإنجيل، بقوله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۖ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۚ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ۚ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(1)</sup>

وفي هاتين الآيتين إعلان واضح من المولى تبارك تعالى للناس أجمعين، ولأهل الكتاب خاصة، أنه سبحانه أرسل رسوله محمدا ﷺ بالبينات والهدى، وأنزل عليه كتابا ونورا مبينا، يهدي به من آمن إلى سبل الرشاد؛ وإن الله تعالى يتحدث هنا عن القرآن الكريم الذي أنزل على نبينا محمد ﷺ، والذي تحدى فيه وبه الخلائق كلها أن يكون محض افتراء أو تقوّل، بل بين سبحانه أن هذا القرآن جاء مصدقا ومؤكّدا ومقرّرا ومهيّما وناسخا للكتب السماوية التي قبله، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(2)</sup>

ويذكر ابن كثير رحمه الله أن في هذه الآية بيانا لإعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، في فصاحته وبلاغته وعظمته وبيانه، ولا يكون إلا من عند الله الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا صفاته، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين؛ ولهذا قال

(1) سورة المائدة، الآية 16-18.

(2) سورة يونس، الآية 37.



تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله، ولا يشبه هذا كلام البشر، ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب المتقدمة، ومهيمننا عليها، ومبيننا لما وقع فيها من التحريف والتأويل والتبديل.<sup>(1)</sup>

وقد أمر سبحانه بتدبر هذا القرآن الكريم، وإمعان النظر في آياته، والتأمل في عظمة بيانه، والاعتبار بانسجام نظمه وتراص كلامه؛ فلو كان من عند غير الله تعالى لبان نقصه، وظهر خلله، وبدا عليه عيوب المخلوقين، من الاختلاف والتضارب؛ لكن لما كان من قبل الخالق الكامل في ذاته وصفاته، إلهي المصدر، ورباني المعاني والمباني، كان المعجزة الخالدة، والآية الباهرة، التي دعا الله تعالى الناس جميعاً إلى أعمال عقولهم فيها، وتدبر معانيها، والتفكر ملياً في جلال مغازيها، فلا يرى اللبيب في آياته سبحانه عوجاً، كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾<sup>(2)</sup>، ولا يجد فيها اختلافاً، قال جلّ شأنه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلُفْرَعَانٌ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافاً كَثِيراً﴾<sup>(3)</sup>

والقرآن من حيث التسمية، قيل إنه اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله، وقيل إن القرآن في الأصل مصدر من قرأت الشيء قرأنا بمعنى جمعته، أو قرأت الكتاب

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ج 4، 268.

(2) سورة الكهف، آية 1.

(3) سورة النساء، الآية 81.

قرآنا بمعنى تلوته، ثم نقله العرف إلى المجموع المخصوص، والمتلو المخصوص: وهو كتاب الله المنزل على محمد.<sup>(1)</sup>

ويعرّف علماء أصول الفقه القرآن الكريم بقولهم: "هو كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد ﷺ باللفظ العربي، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف، المتعبد بتلاوته، المتحدي بأقصر سورة منه، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس".<sup>(2)</sup>

وفي هذا بيان أن القرآن وحي الله تعالى لنبينا محمد ﷺ، نزل عن طريق جبريل ﷺ بلسان عربي مبين، فنظمه ومعناه من عند الله تعالى، ومنقول بالتواتر: وهو ما رواه جمع عن جمع عن رسول الله بحيث يستحيل عادة تواطؤهم على الكذب، فهو إذن يفيد العلم اليقيني، فلقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يتلقونه عنه عليه الصلاة والسلام ويحفظونه في صدورهم ويكتبونه على ما تيسر لهم، وقد بلغ كتاب الوحي أربعين صحابيا، ثم انتقل من جمهور الصحابة إلى جمهور التابعين الذين حفظوه أيضا في الصدور وكتبوه في السطور، ونقلوه إلى من بعدهم حتى وصل إلينا كما أنزل، عن طريق التواتر جيلا بعد جيل، كتابة ومشافهة في كل عصر.<sup>(3)</sup>

(1) الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت 1094هـ).

تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط2: 1998م ص720.

(2) الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي، مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط1:

2002م ص91.

(3) ينظر: الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي، مصطفى سعيد الخن، ص91-93.

ويلاحظ أنه روعي في تسمية وتعريف القرآن الكريم أمران: الأول كونه قرآنا متلوّاً بالألسن، والثاني كونه كتاباً مدوناً بالأقلام؛ وفي تسميته بالقرآن والكتاب إشارة إلى أن حفظه يكون في الموضعين: السطور والصدور.<sup>(1)</sup>

فحفظ القرآن بالفعل في الوعاءين الصدر والسطر، ولا بد في النص القرآني أن يوافق المكتوب المحفوظ، وكذلك لا بد أن يوافق المحفوظ في الصدور المحفوظ في السطور. يقول محمد عبد الله درّاز: "فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة، ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر."<sup>(2)</sup>

وإن النّقل بالتواتر كتابة وحفظاً جعل القرآن الكريم قطعي السند، فثبوته يقيني لا مجال فيه للريب أو الشك، ولا يحتمل الخطأ والتغيير، فالقرآن الكريم قطعي الثبوت.<sup>(3)</sup>

ويذكر درّاز أنه بتلك العناية المزدوجة التي حظي بها القرآن كتابة وحفظاً، التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداءً بنبيها بقي القرآن محفوظاً في حرز حريز، إنجازاً لوعده الذي تكفل بحفظه حيث يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَحْفِظُوهُ﴾<sup>(4)</sup>، فلم يصبه ما أصاب الكتب السماوية السابقة من التحريف والتبديل وانقطاع السند، حيث لم يتكفل الله بحفظها، بل وكلها إلى حفظ الناس فقال تعالى:

(1) ينظر: النبأ العظيم: نظرات جيدة في القرآن، محمد عبد الله درّاز، تحقيق: عبد الحميد الدّخاني،

دار طيبة: الرياض، ط2: 2000م ص5-6.

(2) النبأ العظيم، محمد عبد الله درّاز، ص6.

(3) الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي، مصطفى سعيد الخن، ص94

(4) سورة الحجر، الآية 9.

﴿وَالْأَخْبَارُ وَالرَّبَّنِيُّونَ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾<sup>(1)</sup>، أي بما طلب إليهم حفظه.<sup>(2)</sup> ففي الآية بيان على أن الله تعالى لم يتعهد بحفظ تلك الكتب، إنما أوكّل حفظها لمن أنزلت لأجلهم.

ثم بين درّاز أن من أسرار هذه التفرقة بين القرآن الكريم الذي حفظ والكتب الماضية التي ضاعت ولم تحفظ، هو أن سائر تلك الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأييد، بمعنى أنها كانت صالحة للزمان الذي نزلت فيه، وللقوم الذين أنزلت لأجلهم، أما هذا القرآن فجاء به مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه،<sup>(3)</sup> كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾<sup>(4)</sup> ونزول القرآن مهيمناً أبطل ما خالفه، ونزوله مصدقاً أيّد ما وافقه وزكّى ما لم يخالفه.<sup>(5)</sup> فهو الحاكم على ما بين يديه من الكتب السابقة، وهو خاتمة الرسالات كلها، فوجب أن يكون صالحاً لكافة الناس في كل الأزمان.

وإن هذا القرآن الكريم الذي بين أيدي المسلمين اليوم هو الوحي عينه، فكله من عند الله تعالى، بألفاظه ومعانيه، وكل ما يسمعه السامع منه أو يقرؤه هو وحي الله تعالى، جاء في كتاب الكليات: "القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلي"<sup>(6)</sup>.

(1) سورة المائدة، الآية 46.

(2) ينظر: النبأ العظيم، محمد عبد الله درّاز، ص 7-9.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص 9.

(4) سورة المائدة، الآية 50.

(5) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج 6، ص 222.

(6) الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص 722.

وعليه فالترجمة ليست بقرآن، فلا يتعبد بتلاوتها، ولا يمكن أن توصف إطلاقاً أنها كلام الله تعالى، إنما هي ما فهمه المترجم من كلام الله جلّ جلاله؛ إنما القرآن الذي هو وحي الله تعالى ما دوّن بين دفتي المصحف الشريف باللسان العربي المبين، فهذا هو كلام الله تعالى بألفاظه ومعانيه، وبحروفه ومبانيه، يقول صاحب الكليات: "الأمة من السلف مجمعة على أن القرآن كلام الله تعالى، وهو منتظم من الحروف والأصوات، ومؤلف ومجموع من سور وآيات، مقروء بالسنتنا، محفوظ في صدورنا، مسطور في مصاحفنا، ملموس بأيدينا، مسموع بأذاننا، منظور بأعيننا، ولذلك وجب احترام المصحف وتبجيله حتى لا يجوز للمحدث مسه ولا القربان إليه، ولا يجوز للجنب تلاوته." (1)

وقد أحسن جلال الدين السيوطي «ت911هـ» في وصفه لعظمة القرآن الكريم وإعجازه للعالمين، بما تضمنه من المعاني الجليلة، والحكم الجميلة، والأحكام النبيلة، في نظم لا يضاهها، وحبك لا يجارى، فذكر: "أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مُضمّناً أصح المعاني من توحيد الله تعالى وتنزيهه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان لطريق عبادته، من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ... مودعاً أخبار القرون الماضية وما نزل من مَثَلات الله بمن مضى وعاند منهم، منبئاً عن الكوائن

(1) المصدر السابق، ص721.

المستقبل في الأعصار الآتية من الزمان، جامعا في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه..."<sup>(1)</sup>

فالقرآن الكريم بهذا الوصف، في معانيه ومبانيه، وطرائق حفظه وانتقاله، من جيل إلى جيل، مخالف تماما لما عليه الكتب السابقة، وما عُلم من حالها، من انقطاع أسانيدها، وتضارب مضامينها، وضياح أصولها، والعبث فيها من قبل مَنْ وُكل إليهم حفظها ورعايتها؛ كما سلف بيان ذلك.

وإذن، فطبيعة النص القرآني، مخالفة تماما لطبيعة نصوص الكتاب المقدس، ومن العبث إسقاط النظريات النقدية الغربية على نصوص القرآن الكريم، ذلك أن مناهج النقد النصي تتوافق وتتناسب مع طبيعة نصوص التوراة والإنجيل، وتنطبق على الإشكاليات التي يطرحها النص الكتابي في ذاته وموضوعه، من حيث تدوينه ولغاته ومضامينه، وكذلك من جهة طرائق حفظه وانتقاله، وما خضعت له أسفاره وكتبه من عمليات الانتقاء والتّقنين البشريين؛ من خلال ما يسمونه قانون الأسفار، وما هو إلا تدخل بشري في النص الديني، قبولا ورفضاً زيادة ونقصاً، وفقا للرغبات والأهواء والميولات والانتماءات الطائفية والعقدية والفكرية لمن يقننها، فلزم من ذلك هيمنة وانتشار الأسفار والنصوص الدينية لمذهب معين واندثار أو انحصار أخرى. ولا سبيل للإنسان أيا كان أن يلحق مكتوبا من المكتوبات بالوحي إلا بوحى، ولا أهلية لأحد على

<sup>(1)</sup> الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ط: 1974م ج4، ص15.

ذلك إلا بنبوّة، وما كان أولئك المقتنين للكتب المقدسة أنبياء ولا رسلا، فلزم من ذلك ما ظهر وبان على كتابهم المقدس من العيب والخلل والنقص البشري.

هذا، وإن الناقد الحصيف، والباحث المنصف، والناظر بعين البصر والبصيرة، إذا فتح عقله وقلبه، وعقد مقارنة علمية بين التوراة والإنجيل والقرآن الكريم لا يمكن إلا أن يصل إلى نتيجة واحدة مفادها: أن القرآن الكريم كلام الله رب العالمين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل العزيز الحميد؛ وأن كلّ تلك الكتب السابقة له، طالتها عاديّات الزمان، وخاضت فيها أيادي العابثين.

وإن الطبيب الفرنسي موريس بوكاي «ت 1998م» Maurice Bucaille، بعد أن خاض في مقارنات دقيقة بين التوراة والإنجيل والقرآن الكريم على ضوء حقائق العلم الحديث، خلص إلى عصارة فكرية في خاتمة الكتاب قال فيها: "إن للوحي القرآني تاريخا مختلفا جوهريا عن تاريخ العهد القديم والأنجيل، فتنزيله كان على مدى حوالي عشرين سنة، وما إن يتلقاه محمد [ﷺ] من سيد الملائكة جبريل، إلا ويحفظه المؤمنون عن ظهر قلب، وفي الوقت نفسه يثبت كتابةً حتى ومحمد [ﷺ] لا يزال حيّا. وإنّ التنقيحات الأخيرة في جمع القرآن في خلافة عثمان، التي عملت بين اثنتي عشرة وأربعة وعشرين سنة من وفاة النبي [ﷺ]، قد استفادت من الرقابة التي مارسها أولئك الذين كانوا يحفظون النصّ القرآني من قبل عن ظهر قلب، الذين حفظوه أيام نزول الوحي حتى، واستظهروه باستمرار بعد ذلك. وهكذا نعلم أن النص قد تم الحفاظ عليه منذ ذلك الحين على نحو دقيق. فمشكل صحة القرآن غير مطروح."<sup>(1)</sup>

(1) Maurice Bucaille, La Bible, Le Coran Et La Science: Les Ecritures Saintes Examinées A La Lumière Des Connaissances Modernes (Paris: Seghers, 1990) P.254.

فهذه شهادة عالم خبير، ودارس موضوعي قدير، ساقه حياده إلى هذه النتيجة العلمية، التي تحكي الحقيقة والواقع بكل تجلياته، فالقرآن الكريم وحي إلهي وتنزيل سماوي، لم تمسه يد البشر، ولم تطله تحريفات العابثين، ولم تؤثر فيه عادات الزمان ولا أحداث التاريخ، كما هو الشأن في التوراة والإنجيل، بل بقي على هيئته التي أنزل عليها أول مرة غصاً طرياً، بكل ألفاظه ومعانيه، حلو البيان، عظيم البرهان، لا يمل قارئه من تلاوته، وإن سامعه لا تمجّه مسامعه، بل إن كثرة الإنصات إلى آياته، والإكباب على قراءته وترديد كلماته، ليزيده حلاوة ومحبة، وكل قول عند كثرة الترداد يملّ، إلا كلام الله عزّ وجلّ، فهو يزداد تجمّلاً.

كما قال الشاطبي «538-590هـ» في منظومة حرز الأمانى<sup>(1)</sup>:

وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ      وَأَعْنَى غَنَاءٍ وَاهِباً مُتَفَضِّلاً  
وَحَيْرٌ جَلِيسٍ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ      وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً

وفي ختام هذا الفصل يمكن الخلوص إلى أن التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، جميعها في الأصل كتب منزلة ووحى سماوي، والإيمان بذلك من أركان الإيمان في دين الإسلام، إلا أن توراة اليهود وكتاب النصارى المقدس طالهما التحريف زيادة ونقصا، في الألفاظ والمعاني، بشهادة القرآن الكريم، وباعتراف المحققين من أهل الكتاب أنفسهم. فبقيت العصمة للقرآن العظيم، لأن الله تعالى هو من تعهّد بحفظه، وهياً له من

(1) حرز الأمانى ووجه التهاني في القراءات السبع، أبو محمد القاسم بن فيره الشاطبي (ت 590هـ)،

تحقيق: أيمن رشدي سويد، مكتبة ابن الجزري: دمشق، ط1: 2013م. ص 1-2.



أسباب الحفظ مالم يتهماً للكتب التي سبقته، وبهذه الحقيقة يشهد كل متجرد للحق مريد للصواب، باحث عن الحقيقة من العلماء المنصفين.

وإنّ المراد من التوراة والإنجيل في سياق هذا البحث، هو ما يوجد اليوم بين أيدي اليهود والنصارى من المكتوبات التي يقدسونها، مع ملاحظة أن مفهوم التوراة في الفكر الديني اليهودي أعمّ مسمّى وأشمل مضمونا مما يعتقده غيرهم في هذه التسمية؛ فالتوراة عند اليهود هي نمط الحياة، وهي العقيدة، وهي الديانة اليهودية؛ ومنها المكتوبة أي أسفار موسى الخمسة أو أسفار التناخ بأجمعها؛ ومنها الشفوية أي تفاسير وشروحات الحاخامات حول التوراة المكتوبة، فهي تعاليم الحكماء في كل الجوانب التشريعية والعقدية، وهي التي تداولها اليهود عبر العصور وتوارثوها جيلا عن جيل، فهي التراث العبري برمّته.

أما مفهوم الإنجيل فيعني به كل ما يقدّسه النصارى من أسفار العهد الجديد، الذي يشمل الأناجيل الأربعة وما تلاها من مكتوبات ورسائل القديسين.

## الفصل الثاني

### صورة "الآخر" في التوراة

- المبحث الأول: مفهوم "الأنا" ومصطلح "الآخر" في التوراة.
  - المطلب الأول: مفهوم "الأنا" في التوراة.
  - المطلب الثاني: مصطلح "الآخر" في التوراة.
- المبحث الثاني: صورة "الآخر" في التوراة من خلال عقيدة "الشعب المختار".
  - المطلب الأول: صورة "الآخر" من خلال مباركة سام ولعن كنعان.
  - المطلب الثاني: صورة "الآخر" من خلال التأسيس لعقيدة "الشعب المختار".
  - المطلب الثالث: صورة "الآخر" من خلال مفهومي العهد والاختيار.
- المبحث الثالث: صورة "الآخر" في التوراة من خلال أحكام التعامل في السلم والحرب.
  - المطلب الأول: أحكام التعامل مع "الآخر" في السلم.
  - المطلب الثاني: أحكام التعامل مع "الآخر" في الحرب.

## الفصل الثاني: صورة "الآخر" في التوراة.

تعدّ التوراة المورد الثّر للأحكام والتعاليم في الديانتين اليهودية والمسيحية، وعلى أسسها ومبادئها تقوم النظرة إلى "الآخر" الذي يقع خارج دائرة التراث الكتابي عامة، أو الذي لا ينتمي إلى سلالة بني إسرائيل على وجه الخصوص. ويتحدث هذا الفصل عن بعض ما جاءت به هذه التوراة من الأحكام والرؤى والتصورات، حول "الآخر" ومكانته وقيّمته، وطبيعة العلاقة معه.

بداية من فكرة تقسيم الشعوب إلى ساميين وحاميين ويافثيين، بما يحمله هذا التقسيم من المعاني والدلالات التي تؤكد على حب التمييز واحتقار "الآخر"، فسام هو المحبوب أما الآخرون فمنهم الملعون، والباقون فتبع وخدم له.

ومرورا بالنصوص التوراتية التي تؤصل لعقيدة الشعب المختار، وما يترتب عنها من أحكام ومواقف أعلنت من شأن "الأنا" وتجاوزت به في التّعالى منزلة الطهر إلى سماء القداسة، حتى صار الاختصاص متبادلا بين الشعب وربّه، فالرب "يهوه" خاص ببني إسرائيل، والشعب هو خاصة الرب من بين سائر الأمم.

وانتهاء بالتنزيل العملي لهذه التصورات التوراتية، من خلال ما تقرّره نصوصها المقدسة في حق "الآخر"، من أحكام التعامل معه زمن السلم ووقت الحرب.

## المبحث الأول: مفهوم "الأنا" ومصطلح "الآخر" في التوراة.

يتناول هذا المبحث الحديث عن المفاهيم الأساسية والمصطلحات المفتاحية لمسألة الأنا والآخر في التوراة، بوصفها المرجع المقدس الأعلى في الديانة اليهودية، والقسم الموسوعي في كتاب النصارى المقدس؛ ويشتمل على مطلبين؛ يتناول الأول قضية الأنا اليهودي والأساس الذي تقوم عليه الهوية العبرانية، أما الثاني ففيه حديث عن مصطلح "الآخر" في التوراة، أنواعه ومدلولاته.

### المطلب الأول: مفهوم "الأنا" في التوراة.

يعد تحديد "الأنا" وبيان مفهومه أمراً أساسياً عند تناول الحديث عن موضوع "الآخر"، فهذا الأخير لا يمكن تصوّره ولا تمثّل المعاني المتعلقة به، إلا بعد معرفة "الأنا" ورسم حدوده وتعيين دائرة الانتماء إليه؛ وتبصّر مساحة هذه الدائرة التي تشكّل وتبيّن وتميّز الهوية الجماعية، ومن خلالها ينبجلي مجال "الذات" وينماز، ويمكن حينئذ تصنيف وتعريف "الآخر" بكونه كل من يقع خارج نطاقها.

ذلك أن "الهوية الجماعية بناء اجتماعي قائم على رسم الحدود التي تميز الكيان الجماعي عن غيره، ومن شأن هذا البناء تحديد ما ومن ينتمي إلى الداخل، وكذلك تمييز ما ومن ينتمي إلى الخارج، وبعبارة أخرى، فإن تحديد الهوية الثقافية، يستلزم حتما عمليات الإدماج والاستبعاد.<sup>(1)</sup>

وتشير "كريستين هيز" Christine E. Hayes إلى أن تعارض ثنائية "الأنا" و"الآخر" يمكنها أيضاً أن تؤسّس على عناصر مختلفة داخل الجماعة العرقية أو الدينية نفسها، مما

(1) Sasja Tempelman, "Constructions of Cultural Identity: Multiculturalism and Exclusion," Political Studies 47.1 (1999): P.17.

يؤدي إلى صراع داخلي حول تعريف "الأنا" وحدود هذه الجماعة. وقد تساهم هذه التوترات في تشكيل طوائف متميزة، تتبنى وجهات نظر مختلفة حول هوية الجماعة وطبيعة الحدود التي يمكنها أن تميّز وتحفظ هذه الهوية. وبالتالي، فإن بناء الهوية مهمة معقدة، حيث إن الجماعة تعرّف نفسها ليس فقط كمقابل لباقي الجماعات الأخرى «الآخر الخارجي»، ولكن أيضا كمناقض لباقي أعضاء الجماعة نفسها، الذين ينافسونها في الهوية أو يتبنّونها بطريقة مختلفة «الآخر الداخلي».<sup>(1)</sup>

وإنّ بيان من ينتمي إلى دائرة "الأنا" ومن يقع خارج مجالها، قائم دوما على منهج الضم والإبعاد، والإلحاق والإقصاء، وهو ما يدخل في جوهر إشكالية تحديد "الأنا" و"الآخر" وتبيين ماهية الهوية وتمييزها عن غيرها، والتي يمكن إجمالاً وصفها بأنها "بناء اجتماعي وثقافي، يمكن تعريفه بأنه الإحساس الذاتي للمجموعة نفسها على أنها مختلفة عن باقي المجموعات الأخرى".<sup>(2)</sup>

وإن هذا الشعور بالاختلاف والتميّز عن الآخرين هو ما طبع مفهوم "الأنا" اليهودي في التوراة، فالهوية الإثنية لشعب إسرائيل في القديم بُنيت على التعارض مع «الأغيار»، أو «الأجانب»، «الآخرين»<sup>(3)</sup> وفي مقابلهم.

فالأغيار - أي غير اليهود - بمختلف أوصافهم، هم "الآخر الخارجي" في تعاليم حاخامات اليهود، وهم فيها كالمرآة المقابلة أو الصورة المعاكسة للإسرائيليين، وهم من

(1) C.E. Fonrobert and M.S. Jaffee, The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature (Cambridge University Press, 2007). P.243.

(2) C.E. Hayes, Gentile Impurities and Jewish Identities: Intermarriage and Conversion from the Bible to the Talmud (Oxford University Press, 2002) P.7.

(3) Ibid. P.7

يشحذ التعريف الحاخامي للشعب. وحيث إن هذه الأدبيات تجعل من الحاخام اليهودي المثالي، فإن غير الحاخام هو "الآخر الداخلي" في جماعة اليهود نفسها، فهو الصورة المعاكسة للحاخامات، وهو من يشحذ ويغذي تعريف الحاخامات لأنفسهم وتحديدهم لصنفهم وطبقته<sup>(1)</sup>.

ويشير اليهود إلى عقيدتهم بكلمة "التوراة"، فهي جوهر "الأنا" ومعدن الهوية في الديانة اليهودية، كما أن كلمتي "يهودية" و"توراة" مترادفتان، إلا أن مصطلح "اليهودية" يشار به إلى الجانب البشري، بينما يشير مصطلح التوراة إلى الجانب الإلهي<sup>(2)</sup>.

ويذهب عبد الوهاب المسيري إلى القول باستعصاء تحديد من هو اليهودي؟ وذلك بسبب صعوبة تحديد ماهية الديانة اليهودية نفسها، لغياب التجانس في نسقها الديني، فقد استوعبت وتشربت الكثير من العناصر الدينية والثقافية والحضارية لأديان وحضارات الأمم والشعوب التي جاورتها أو عاشت في كنفها، فتسرّب إليها العديد من الخصائص الحضارية المصرية والآشورية، كما تأثرت عميقا بالإسلام والمسيحية، إلى جانب استيعابها للكثير من العناصر الشعبية والخرافية، وهذا ما جعل منها على حد تعبير المسيري تركيا جيولوجيا تراكميا مكونا من عدة طبقات مختلفة وغير متجانسة، الواحدة فوق الأخرى؛ إلى أن قال المسيري: "وبسبب غياب التجانس يكون من الصعب تعريف هوية اليهودي"<sup>(3)</sup>.

(1) Fonrobert and Jaffee, The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature P.243.

(2) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق: القاهرة، ط5: 2009م ج2، ص19.

(3) المرجع السابق، ج2، ص19.

ذلك أن الديانة اليهودية تشكيلة فسيفسائية غير متراسة ولا مستقرة، فهي في تجدد مستمر وتغير دائم على توالى العصور وتعاقب الدهور، "فعبر التاريخ، وعلى مدى خمس وثلاثين قرناً، وعلى امتداد جميع أراضي العالم المتحضر التي استوطنها اليهود، لم تحتفظ هذه الديانة اليهودية على الشكل والخصائص نفسها".<sup>(1)</sup>

بل أثرت فيها عوامل التاريخ، التي كان لها الدور الكبير في صياغة الديانة اليهودية، إلى حد يمكن الحكم معه حسب خليفة حسن، على الديانة اليهودية بأنها ديانة تاريخية، تتحكم فيها مسيرة التاريخ اليهودي قديماً وحديثاً.<sup>(2)</sup> فإن تطور الديانة اليهودية عبر الزمان كان خاضعاً لتأثير مختلف الحضارات التي كان الشعب اليهودي في اتصال بها.<sup>(3)</sup> ولذلك، فإن ثنائية "الأنا" و"الآخر" في الفكر اليهودي لم تكن ثابتة على الدوام، بل كانت خاضعة للتغيرات السياسية والظروف الثقافية التي أحاطت بالحياة اليهودية في العصور القديمة، والتي أدت حتماً إلى إعادة النظر في هذه الثنائية «الأنا والآخر».<sup>(4)</sup> كما أن تاريخ الهويات اليهودية طويل ومركب ويغطي عدة أزمنة وأمكنة لا يربطها رابط في كثير من الأحيان.<sup>(5)</sup> فانعكس ذلك على "الأنا" اليهودي المتلون، وفقاً لمحيطه، وتبعاً للسياقات التاريخية والثقافية والحضارية التي يوجد فيها.

(1) Isidore Singer, The Jewish Encyclopedia A Descriptive Record of the History (New York Funk & Wagnalls, 1901-1906) Vol.7, P.359.

(2) ينظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، دار قباء: القاهرة، ط1: 1998م ص 189-190.

(3) Singer, The Jewish Encyclopedia Vol.7, P.359.

(4) Fonrobert and Jaffee, The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature P.243.

(5) من هو اليهودي، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق: القاهرة، ط1: 1997م. ص19.

هذا، وإن مصطلحي "اليهودي" و"الديانة اليهودية" لم يظهر إلا بعد السبي البابلي لا قبله، فقد "استعمل مصطلح «يهود» أو «يهودي» أول مرة من قبل البابليين إشارة إلى من جيء بهم من يهوذا<sup>(1)</sup>... وقد وردت مثل هذه التسمية وبهذا المعنى على لسان سنحاريب<sup>(2)</sup> «681-705 ق.م» أثناء وصفه لانتصاراته على يهوذا حيث أشار إلى «حزقيا اليهودي»<sup>(3)</sup> أي الذي أحضر من يهوذا.<sup>(4)</sup>

ونجد أيضا في قاموس الكتاب المقدس أن كلمة "يهود" أطلقت أولا على سبط أو مملكة يهوذا تمييزا لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا إسرائيل، إلى أن تشتت الأسباط

(1) وقد انقسمت مملكة داود وسليمان بعدهما إلى قسمين: مملكة الشمال وتدعى إسرائيل وعاصمتها شكيم التي سميت لاحقا بالسامرة، ومملكة الجنوب وتدعى يهوذا وعاصمتها أورشليم. فبعد وفاة سليمان حوالي 930 ق.م، تولى الملك بعده على يهوذا ابنه رحبعام، إلا أنه رفض من قبل مجلس شيوخ القبائل الشمالية في شكيم، مما أدى في انقسام المملكة، وظهور مملكة في الشمال التي انتخبوا لها يربعام ملكا عليها، ثم توالى عليها السلالات الحاكمة إلى أن سقطت السامرة حوالي عام 722 ق.م، بينما بقيت مملكة الجنوب مستقرة إلى أن حصل تحطيم أورشليم حوالي 586 ق.م.

T. Dowley and K. Publications, The Kregel Bible Atlas (Kregel Publications, 2004) P.42.

(2) سنحاريب أو سنحاريب «681-704 ق.م» Sennachérîb: اسمه الأكادي «سن آحي أريبا» ومعناه "الإله سين زاد عدد الإخوة"، وهو ملك آشور وابن سرجون الثاني وخليفته. حكم بلاد آشور وبابل وكنعان، ودفع له الجزية حَزَقِيَّا ملك يهوذا. (ينظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي. ص 495-496)

(3) حَزَقِيَّا: الملك الخامس عشر ليهوذا، المملكة الجنوبية، ويصفه الكتاب المقدس بأنه كان ملكا وثيق الصلة بالله، قام بتطهير البيت -الهيكل- وهدم كل المذابح والأصنام والمعابد الوثنية. (التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، وليم وهبة وآخرون، شركة ماستر ميديا: القاهرة، ط1: 1997. ص 827.)

(4) أوهام التاريخ اليهودي، جودت سعيد، الأهلية للنشر والتوزيع: عمان، ط1: 1998 ص 147.



وأخذت يهوذا إلى السبي. ثم توسع معناها فصارت تشمل جميع من رجعوا من الأسر من الجنس العبراني. ثم صارت تطلق على جميع اليهود المشتتين في العالم<sup>(1)</sup>.

وقد "بدأت اليهودية بالظهور والترسُّخ أثناء السبي البابلي؛ حيث قضى ملك الكلدانيين<sup>(2)</sup> بختنصر «أو نبوخذ نصر»<sup>(3)</sup> على دولة يهوذا في القدس، وسبى اليهود إلى عاصمته بابل سنة 586 ق.م، وهناك أطلق عليهم اسم «يهود» نسبة إلى دولتهم «يهوذا»<sup>(4)</sup>. ولذلك فإن إطلاق مصطلح يهودية على المراحل السابقة للسبي البابلي ولتدوين العهد القديم، يتضمّن تناقضا واضحا، فالعبرانيون في ذلك الوقت لم يصبحوا بعد

(1) ينظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، دار الثقافة: القاهرة، ط1: 1995م ص1084.

(2) الكلدانيون: هم الآراميون الذين كانوا يقيمون في كلدة، وكانت تقع في أقصى جنوب دلتا وادي دجلة والفرات. ويستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى الشعب الذي أخذ في الهيمنة على المنطقة بدءا من القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وقد قام هذا الشعب في القرن السابع قبل الميلاد بإسقاط حكم الآشوريين وتأسيس الإمبراطورية الكلدانية. من أهم ملوكهم نبوخذ نصر الذي أسس إمبراطورية ضخمة تمتد من آشور حتى الحدود المصرية، وقضى على المملكة الجنوبية وهجر سكانها إلى بابل. (موسوعة اليهود واليهودية الموجزة، عبد الوهاب المسيري، ج:1، ص393).

(3) وهو نبوخذ نصر الثاني «562-605 ق.م» Nabuchodonosor II، أحد ملوك بابل كان في صراع مستمر مع مصر للسيطرة على سوريا وفلسطين، وفي العام 206 ق.م انتصر على الفرعون نكو الثاني فطلب هذا الأخير مساعدة اليهود، فهاجم نبوخذ نصر أورشليم واحتلها بعد حصار طويل وسبى الآلاف من وجهاء المدينة وحرفيّيها وهجرهم إلى مصر، ونصب ملكا جديدا هو صدقيا «586-597 ق.م» الذي لم يلبث هو وملك صور بطلب الدعم المصري، ونجح البابليون في دحر الجيش المصري واستولوا مجددا على أورشليم عام 587 ق.م فدمروها وهجّروا السكان إلى بابل وضموا المنطقة إلى مملكتهم. وعرف هذا التهجير بالسبي البابلي. وهو بداية التشتت اليهودي. (معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، ص841).

(4) ينظر: سفر التاريخ اليهودي، رجا عبد الحميد عرابي، دار الأوائل: دمشق، ط2: 2006م ص74.

يهودا.<sup>(1)</sup> وعبارة "«ديانة يهودية» لم تظهر في المراحل الأولى من كتابة الأسفار ... جاءت متأخرة عن السبي ولم يبدأ الحديث عن «الديانة اليهودية» إلا بعد القرن الرابع قبل الميلاد. فالديانة اليهودية كما نعرفها تكونت في بابل أثناء السبي (538-586 ق.م) وتطورت بعده."<sup>(2)</sup>

وإذا كان أصل تسمية اليهود هو انتسابهم إلى قبيلة يهوذا<sup>(3)</sup> -أحد أسباط بني إسرائيل-، وكانت اليهودية ديانة الشعب اليهودي الذي ثبت اختلاط أجناسه وعدم صفاء عرقه؛ فإن هذا يوقع في إشكالية الهوية، ومأزق تحديد من هو اليهودي؟ وإلى ماذا يجب أن يرجع انتسابه؟ هل إلى انتمائه الديني أم العرقي؟ فمن العضلات العويصة التي تواجه تعريف الهوية اليهودية في العصر الحديث خاصة، مسألة الانتماء والتسمية اليهودية، وعلى ماذا يجب أن تقوم؟ فهل يمكن تحديد الهوية بالعرق أو الدين؟! بمعنى هل تقوم على أساس ديني أم قومي؟

(1) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة، عبد الوهاب المسيري، ج1، ص19.

(2) أوهام التاريخ اليهودي، جودت سعيد، ص147.

(3) يهوذا هو الابن الرابع ليعقوب عليه السلام من بين اثني عشر ابنا الذين خرج منهم الأسباط الاثنا عشر، وأعطى كلهم نصيبا من الأرض في عهد يشوع -فتى موسى-. فوقع في نصيب بني يهوذا من أورشليم إلى أقصى الجنوب. وكان داود عليه السلام من هذا السبط. وانحازت مملكة بني إسرائيل كلّها إليه، فعظم أمر سبط يهوذا. ثم ورث الملك بعده ابنه سليمان، وبني الهيكل في دار ملكه، فزاد ذلك عظمة أخرى لسبط يهوذا وملكهم. ثم بعد ذلك وقع بينهم اختلاف، فصارت هذه الأمة فرقتين: يهوذا على جانب، وبقية بني إسرائيل على آخر، ثم بعد ما سباهم الكلدانيون صار "اليهود" اسما عاما لبني إسرائيل. وذلك يدل على عدم فرقهم بين "يهوذا" بالذال المعجمة و "يهود" بالذال المهملة.(مفردات غريب القرآن، عبد الحميد الفراهي، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط1: 2002م ص324-325).

وإلى هذه الصعوبة يشير عرفان عبد الحميد بقوله: "من أعقد المشاكل المستعصية التي واجهتها اليهودية في العصر الحديث، وتعاني من وطأتها إسرائيل اليوم، قضية تحديد الهوية اليهودية، وتعريف من هو اليهودي؟"<sup>(1)</sup>

ومن المعروف أن اليهودية تضم أجناسا مختلفة تجمعها جملة من التعاليم والمعتقدات التي تبلورت عبر المسيرة التاريخية لهذه الديانة، فهناك من اعتنق اليهودية من القبائل العربية والرومانية واليونانية والفارسية والخزرية والإفريقية... ومثل هذه الأجناس انضوت تحت لواء الديانتين المسيحية والإسلامية: وكل فئة - داخل الدين الواحد - تختلف عن الأخرى بالأصول العرقية والتراثية والتاريخية. لذا لم نجد من العلماء الذين يعتدّ برأيهم من يقول بوجود جنس أو عرق إسلامي واحد أو أمة إسلامية واحدة ولا وجود لأمة مسيحية واحدة، والأمر ينطبق على اليهودية كذلك.<sup>(2)</sup>

وادعاء الصفاء العرقي لليهود يخالف واقع القوم، فقد انتسب إلى الديانة اليهودية أمم وأجناس لا صلة لهم بإبراهيم ولا بموسى ولا بيعقوب عيلهم السلام جميعا، بل إن الأسباط الاثني عشر الذين ينتمي إليهم اليهود قد تنصّر عشرة منهم، وهم أسباط السامرة<sup>(3)</sup> اليهودية، فقد سباهم سرجون الثاني<sup>(4)</sup> ملك الآشوريين عام 720 ق.م، ونفاهم

(1) اليهودية والحركات الحديثة في اليهودية: عرض تاريخي، عرفان عبد الحميد فتاح. ص 123.

(2) ينظر: أوهام التاريخ اليهودي، جودت سعيد، ص 260.

(3) السامرة اسم الإقليم الذي عاصمته مدينة السامرة - نابلس الحالية -، وهو الذي احتله الأسباط العشرة. والسامرة اسم المملكة الشمالية، أي مملكة إسرائيل. (قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص 448)

(4) - سرجون الثاني Sargon II: ملك اشور «722-705 ق.م» خلف شلمنصر الخامس. فتح السامرة بعد حرب دامت ثلاث سنوات «722 ق.م»، وقد عمد سرجون تبعا للسياسة التي كان استنها تجلات =

إلى كردستان، حيث تنصروا هناك عند ظهور النصرانية. أما السبطان الباقيان واللدان يشكلان دولة يهوذا في القدس فقد سباهم بختنصر ملك بابل سنة 586 ق.م، وبعد أن سمح لهم قورش الثاني<sup>(1)</sup> ملك الفرس بالعودة إلى فلسطين بقي قسم منهم في بابل، وتوزعوا في الإمبراطورية الفارسية، والقسم الثاني الذي عاد شتته الرومان بقيادة تيطس<sup>(2)</sup> Titus، ومنع اليهود من العيش في فلسطين.<sup>(3)</sup>

فكان الشتات في أرجاء المعمورة، والتهود من قبل الأجناس المختلفة، من الأسباب الواضحة في عدم حفاظ اليهود على نقاء السلالة ولا صفاء العرق، ومع ذلك وبالنظر

---

=بيلاصر، إلى تهجير سكانها إلى حاران وقليلية، وأحل مكانهم آراميين من إقليم حماة. (معجم الحضارات السامية، ص 471).

<sup>(1)</sup> وهو قورش الثاني الكبير Kourash II le Grand: ملك الفرس «528-558 ق.م» وملك بابل «539-528 ق.م» مؤسس السلالة الفارسية الأخمينية. ابن قمبيز الأول. دخل قورش إلى بابل عام 539 ق.م وأعاد الآلهة المهجرة إليها وأعاد إلى اليهود المسبيين فيها الأنبة الذهبية التي سبق أن استقدمت من هيكل أورشليم وسمح لليهود بالعودة إلى فلسطين في السنة الأولى من حصوله على لقب ملك بابل. امتدت إمبراطورية قورش من البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج العربي ويعرف هذا الملك أيضا باسمه الإغريقي سيروس. (معجم الحضارات السامية، ص 695)

<sup>(2)</sup> تيطوس Titus: إمبراطور روماني «79-81 م»، ابن فيسباسيانوس. صحب والده إلى اليهودية لقمع ثورة نشبت فيها، أوكل إليه حين توج إمبراطوريا مهمة حصار أورشليم فاستولى عليها عام 70 م، بعد حصار دام خمسة أشهر، لقي فيه اليهود مصيرا مفعجا فقد عمدوا إلى قتل زوجاتهم وأبنائهم وتعمدوا بقتل بعضهم بعضا لئلا يقعوا بأيدي الرومان. هدم تيطوس المدينة وأحرق المعبد الذي بناه هيرودوس وقُدِّر عدد اليهود القتلى بمليون نسمة ومُنِع من تبقى من اليهود من الاقتراب من أورشليم وزالت اليهودية من الوجود كدولة سياسية وأصبح اليهود منذ ذلك الحين شعبا بدون وطن. (معجم الحضارات السامية، ص 290).

<sup>(3)</sup> ينظر: سفر التاريخ اليهودي، رجا عبد الحميد عرابي، الصفحة: 76-77.

إلى التقاليد اليهودية العتيقة، نجد أن اليهودي "هو من ولد من أم يهودية" (النسب الأمومي) أو من اعتنق الديانة اليهودية وفقا لطقوس شعائرية معينة<sup>(1)</sup>.

فجعلوا من الانتماء إلى "الأنا" اليهودي شأنا سلاليا أو دينيا. ويعد يهوديا كل من يربطه بالشعب أو اصر دموية من الانتساب إلى أم يهودية، وكل شخص اعتنق اليهودية حسب مقتضيات تعاليم «الهالاخا»<sup>(2)</sup> Halakhah، بمعنى وفق الأحكام الحاخامية التي تنص على أن اعتناق اليهودية لا يتم إلا بعد الحتان إذا تعلق الأمر بالرجال، وبحمام شعائري للجنسين<sup>(3)</sup>.

وفي العصر الحديث، وحسب عرفان عبد الحميد، فإن النزعة السائدة بين اليهود الأرثوذكس هي حصر اليهودية في النسب المحض، بمعنى أن المولود من أم يهودية حصرا هو اليهودي، وهذه النزعة مستمدة من تعاليم التوراة والتلمود والشرعة الموسوية «الهالاخا»، كما فصلتها المدونة الفقهية الجامعة التي صنفها يوسف كارو<sup>(4)</sup> Joseph Caro

(1) R.L. Eisenberg, Dictionary of Jewish Terms: A Guide to the Language of Judaism (Taylor Trade Publishing, 2011) P.195.

(2) كلمة "هالاخاه" من أصل آرامي معناها "الطريق القويم"، ووردت الكلمة لأول مرة في كتابات معلمي المشناه وكانت تعني بداية الأمر "الحكم الشفهي الذي يصدره الفقهاء"، ثم أصبحت تشير إلى "الفقرة الواحدة المتضمنة في سنة واحدة في الفقهيات الشرعية"، ثم أصبحت تشير إلى الجانب التشريعي في اليهودية ككل وضمن ذلك الشريعة الشفوية. أي أنها أصبحت تضمّ العرف والعادة والقوانين المحلية والمراسيم الشرعية، وأحيانا يضيق نطاقها الدلالي لتعني الشعائر فقط. (موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة للمسيري، ج2، ص36).

(3) Q. Ludwig, Comprendre Le Judaïsme (Paris: Eyrolles, 2003) P.100.

(4) يوسف كارو «1575-1488م»: ولد في طليطلة بإسبانيا، وأثبت تألقه مبكرا، حيث عين في سنة 1520م الحاخام الأكبر لأدريانبول بتركيا، بعد تأليفه لشرح على كتاب "مشنا التوراة" لموسى بن ميمون، وصار له تلاميذ كثر من كل أنحاء العالم؛ ومن أهم أعماله، "بيت يوسف Bet Joseph" وهي مجموعة من القوانين والتشريعات اليهودية، التي كرّس عشرين سنة من عمره لتأليفها، من سنة 1522م إلى =

في القرن السادس عشر، فعند هؤلاء جميعا ومذهبهم هو الدين الرسمي للكيان الإسرائيلي، يكون المرء يهوديا إذا ولدته يهودية ولو سفاحا من قبل غير يهودي، بينما الطفل الذي ولد من أب يهودي وأم غير يهودية لا يعتبر يهوديا عندهم، وهذا ما يرفضه اليهود الإصلاحيون، الذين اعتبروا كل من ولد لأب يهودي يهوديا وإن لم تكن أمه كذلك، ودون الحاجة لمراسيم اعتناق الديانة اليهودية.<sup>(1)</sup>

وهذا طبعا مخالف لأحكام التوراة المكتوبة والشفوية، التي تنص على أن المرء لا يكون يهوديا إلا من قبل الأم؛ ويشير الحاخام المعاصر كنيث كوهن Kenneth Cohen إلى أنه يوجد في التوراة موضعان يتناولان قضية النسب الأمومي الذي يكون به المرء يهوديا؛ الأول جاء في موضوع استعباد اليهودي بسبب سرقة لما لا يستطيع غرمه؛ وكشكل من أشكال إعادة التأهيل، ستعين له المحكمة أسرة يهودية يعيش في كنفها ويعمل لصالحها لست سنوات، وخلال هذه المدة، قد يعطيه سيده أمة غير يهودية لتنجب معه الأطفال؛ والتوراة دقيقة جدا حينما تخبرنا أنه في نهاية السنوات الست هذه، يصير العبد العبري حراً، بينما تبقى زوجته «غير اليهودية» وأطفاله تحت العبودية

=1542م، وبعد فترة وجيزة من نشره، تم قبوله كأعظم قانون تشريعي موجود، أظهر أن كارو أعمق عالم بالتلمود في عصره. في البندقية عام 1551م وهو ما جمعه واختصره في مدونة "Shulchan Aruch" שולחן ערוך الذي نشره عام 1564م، ليصير "كارو" بعد ذلك من أكبر علماء ومعلمي اليهود في زمانه. C. Leviant, Masterpieces of Hebrew Literature: Selections from 2000 Years of Jewish Creativity (Jewish Publication Society, 2008) P.521.522

<sup>(1)</sup> ينظر: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، عرفان عبد الحميد فتاح، ص124-

عند سيده؛ فتعتبر التوراة الأطفال أولادها وليسوا أبناء له، كما أنهم يصيرون في وضع العبيد الكنعانيين.<sup>(1)</sup>

ولعله يشير إلى ما جاء في سفر الخروج، ونصه: [إِنْ اشْتَرَيْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا فَلْيَخْدُمْكَ سِتَّ سَنَوَاتٍ، وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ تُطْلِقُهُ حُرًّا مَجَّانًا. وَإِذَا اشْتَرَيْتَهُ وَهُوَ أَعْزَبٌ يُطْلَقُ وَحْدَهُ. وَإِنْ اشْتَرَيْتَهُ وَهُوَ بَعْلُ امْرَأَةٍ، تُطْلَقُ زَوْجَتُهُ مَعَهُ. وَإِنْ وَهَبَهُ مَوْلَاهُ زَوْجَةً وَأَنْجَبَتْ لَهُ بَنَيْنَ وَبَنَاتٍ، فَإِنَّ زَوْجَتَهُ وَأَوْلَادَهَا يَكُونُونَ مِلْكًا لِسَيِّدِهِ، وَهُوَ يُطْلَقُ وَحْدَهُ حُرًّا].<sup>(2)</sup>

والدليل الثاني الذي أشار إليه "كنيث كوهن" لقضية النسب الأمومي هو ما جاء في سفر التثنية حول مسألة حظر الزواج من الأغيار<sup>(3)</sup>، ونصه: [وَلَا تُعْطِ ابْنَتَكَ لِابْنِهِ، وَلَا تَأْخُذِ ابْنَتَهُ لِابْنِكَ، لِأَنَّهُ يُبْعَدُ ابْنُكَ عَنِ السَّيْرِ وَرَائِي، فَيَعْبُدُ آلَهَةً أُخْرَى]<sup>(4)</sup>، وبيان ما اشتمل عليه هذا النص من أحكام، جاء مفصلاً في تفسيرات الحاخامات الواردة في التلمود، وجاء فيه: "بما أن في هذه الآية تخوفاً من أنه بعد أن تتزوج البنت اليهودية من أممي، فإن الأب سيقود أبناءه بعيداً عن خدمة الله، وهذا يدل على أن ابنك، أي حفيدك، من امرأة يهودية هو الذي يسمى ابنك من قبل التوراة، لكن ابنك من المرأة غير اليهودية

<sup>(1)</sup> Kenneth Cohen, *Her Son Not Your Son*, AUGUST 5, 2017, Available: <http://blogs.timesofisrael.com/her-son-not-your-son/>.

<sup>(2)</sup> سفر الخروج 21: 2-4، (الكتاب المقدس، الترجمة العربية الحديثة (كتاب الحياة)، ببليكا: بيلفاست- المملكة المتحدة، ط: 1988م ص 97).

<sup>(3)</sup> Cohen, *Her Son Not Your Son*.

<sup>(4)</sup> سفر التثنية 7: 3، (الكتاب المقدس، ترجمة الرهبانية اليسوعية، دار المشرق: بيروت، ط: 1994م ص 370).

لا يدعى ابنك، بل ابنها هي.<sup>(1)</sup> لأن التخوف هاهنا دائر حول المرأة اليهودية التي تتزوج من غير اليهودي أن يقود الأب الأممي أبناءها بعيدا عن الرب، فخاطبت التوراة أبا البنت قائلة: سيقود ابنك أي حفيدك من بنتك، فظهر أن الابن الذي يعد يهوديا في الفكر التوراتي هو الذي يولد من جهة الأم، فالتوراة لم تتعرض للحديث عن أبناء اليهودي الذي يتزوج من المرأة غير اليهودية بأنها ستبعد أبناءه عن الرب، وفي ذلك إشارة حسب هذا الفهم الحاخامي إلى أنهم ليسوا أبناء بل أبناءها. وذاك بعض ما جاء في التلمود في قضية تعليل مسألة النسب الأمومي.

كما أن عزرا<sup>(2)</sup> بعد عودته من السبي البابلي كان قد شدد هو ونحميا<sup>(3)</sup> على وجوب الحفاظ على الطهر العرقي لليهود، منعا لمخاطر الانصهار في الأغيار، ومن ثم إلزام من تزوج من اليهود بغير اليهودية بوجوب الانفصال والطلاق<sup>(4)</sup>، فجاء في سفر عزرا: "قَامَ عِزْرَا الْكَاهِنُ وَخَاطَبَهُمْ: «لَقَدْ خُنْتُمْ عَهْدَ الرَّبِّ وَتَزَوَّجْتُمْ مِنْ نِسَاءٍ غَرِيبَاتٍ لِتَزِيدُوا مِنْ

(1) Seder Nashim; Kiddushin 68b:3; Talmud Bavli; the William Davidson Talmud. available: <https://www.sefaria.org/Kiddushin.68a?lang=bi&p2=Deuteronomy.7.3&lang2=bi&w2=Kiddushin&lang3=en>

(2) عزرا ١:٦، حوالي 480-440 ق.م، كاهن معاصر لنحميا، عاد من بابل إلى القدس، وقام بمجرد عودته بقراءة ناموس موسى أمام اليهود وتفسيره لهم بمعونة اللاويين، مما جعل اليهود يعتبرونه زعيما لهم بعد موسى الذي أخرجهم من مصر، ولقبوه بالكاهن أو الكاتب، ويعتقد اليهود أنه هو الذي جمع أسفار الكتاب المقدس ونظمها. (قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص621)

(3) نحميا اسم عبري معناه "تحنن يهوه"، وهو من العائدين من السبي في بابل، حوالي 445 ق.م، بعد أن تمكن من إقناع الملك الفارسي ارتخشستا ساقيا، الذي أرسله في كوكبة من الفرسان لحراسته، وعينه حاكما على ولاية اليهودية، وكان الكاهن عزرا قد سبقه إلى القدس منذ ثلاث عشرة سنة. (قاموس الكتاب المقدس، ص961-962)

(4) اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، عرفان عبد الحميد فتاح، ص124-125



وَطَاةَ إِثْمَ إِسْرَائِيلَ. فَاعْتَرَفُوا الْآنَ لِلرَّبِّ إِلَهِ آبَائِكُمْ وَأَطْلَبُوا مَرْضَاتَهُ، وَانْفَصَلُوا عَنْ أُمَمِ الْأَرْضِ وَعَنِ النِّسَاءِ الْغَرِيبَاتِ»<sup>(1)</sup>.

فطلب الكاهن عزرا من بني قومه التخلي عن كل النساء الأجنبية، للحفاظ على طهارة النسب اليهودي من رجاسات الأمم، وجاء وصف ما حصل من بني إسرائيل بعد عودتهم من السبي في سفره، وفيه: "إِنَّ شَعْبَ إِسْرَائِيلَ وَالْكَهَنَةَ وَاللَّوِيِّينَ مَا بَرَحُوا مُنْعَمِينَ فِي رَجَاسَاتِ أُمَمِ الْأَرْضِ كَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفَرِزِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ وَالْعَمُونِيِّينَ وَالْمُؤَابِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ، وَلَمْ يَنْفَصِلُوا عَنْهُمْ، لِأَنَّهُمْ تَزَوَّجُوا هُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ مِنْ بَنَاتِهِمْ، فَاخْتَلَطَ النَّسْلُ الْمُقَدَّسُ بِأُمَمِ الْأَرَاضِيِّ" <sup>(2)</sup>.

ومما سبق، فإن الديانة اليهودية في قضية النسب تختلف اختلافا جوهريا عن المسيحية والإسلام؛ فالهوية اليهودية لا تعتمد في المقام الأول على قبول منظومة العقائد أو على اتباع أسلوب معين في الحياة؛ بل وفقا للقانون اليهودي، يكون الشخص يهوديا إذا كان منحدرًا من الأم اليهودية<sup>(3)</sup>. فالأنا اليهودي يتحدّد مبدئيا على أساس عرقي، وهو ما كرّسته تعاليم التوراة بشقيها المكتوب والشفوي.

ثم إن التوراة المكتوبة تعد مرجعا روحيا في الديانة المسيحية أيضا، فهي الجزء الذي يشترك في الإيمان به المسيحيون مع اليهود، ذلك أن العهد الجديد الذي جاءت به المسيحية لم يبلغ العهد القديم بل بقي مقدسا في دين النصارى، وتم إضافته إلى كتاب المسيحيين المقدس، بل إنه هو الذي يشكل الجزء الأكبر والأوفر منه. فالمسيحيون

(1) سفر عزرا 10: 10-11. (كتاب الحياة، ص 629)

(2) سفر عزرا 9: 1-2. (كتاب الحياة، ص 627)

(3) D. Cohn-Sherbok, Judaism (Routledge, 1999) P.27.

يؤمنون بكامل أسفار الكتاب العبري، ويزيدون عليه أحيانا كما هو الشأن عند الكاثوليك، الذين يضيفون أسفارا لا توجد في كتاب اليهود المقدس. فالنصارى إذن لا ينكرون ولا ينفون ما جاء في العهد القديم، بل يؤمنون بكل ما جاء في أسفاره.

وهو ما يؤكدّه "ماثيو هنري" «1662 – 1714» Matthew Henry حينما تحدث عن ارتباط العهد القديم بالعهد الجديد، وذكر أن هذا الأخير لم يبطل ولم ينسخ الأول أو يحل محله، بل جاء العهد الجديد تنويجا وتتميما للعهد القديم. فيبقى العهد القديم مجيدا ولو فاقه الجديد في المجد.<sup>(1)</sup>

ومقتضى ذلك، أن "الأنا" في التوراة لا يكون محصورا في المكون اليهودي فقط، بل يشمل أيضا كل من يعتقد قدسية النص العبري من أتباع الديانة المسيحية، على اختلاف أحيانا بين الفريقين في تأويل وتوجيه النص المقدس. وعليه يتحدّد "الآخر" في التوراة من هذا المنطلق بوصفه كل من يقع خارج دائرة التراث العبري بالنسبة لليهود والنصارى جميعا؛ فصورة "الآخر" في التوراة عقيدة مشتركة بين اليهود والنصارى، مع ملاحظة خصوصية الفكر الديني اليهودي في تحديده للأغيار كما سيأتي بيانه في المطلب الموالي.

(1) M. Henry and J.B. Williams, Exposition of the Old and New Testament (James Nisbet, 1860) V.1, P.33.

## المطلب الثاني: مصطلح "الآخر" في التوراة.

تحدثت التوراة في كثير من نصوصها عن الشعوب والقبائل الوثنية التي عاش اليهود بجوارها، فذكرت العديد من مسمياتها، وحكت عن الكثير من أخبارها، كما بينت طبيعة العلاقة التي ربطت شعب إسرائيل بهذه الأمم<sup>(1)</sup>، ويوجد في الكتاب المقدس العبري أربعة عشر مصطلحا يونانيا وعبريا تُرجم إلى "الناس"، تشير في مجملها إلى الفئات المختلفة منهم، كالأفراد والتجمعات والحشود، وسكان أرض ما، وما إلى ذلك<sup>(2)</sup>؛ وإن من المفردات التي تداولها الكتاب العبري بكثرة، للدلالة على مسمى "الشعب أو الأمة، كلمة: Goy גוי، وجمعها Goyyim גוים، وهي المرادف لكلمة Am אִם<sup>(3)</sup> التي تدلّ على الأمة أو الملة؛ ومؤنث גוי هو Goya גויה وتعني المرأة غير اليهودية، أو غير المتدينة؛ ومن نفس الجذر اللغوي، يمكن اشتقاق كلمة Goyut גוינות التي تدلّ على الوثنية والكفر.<sup>(4)</sup>

وكان مسمى الأمة أو الشعب هو المراد من اللفظة العبرية Goy גוי في الكتاب المقدس، فلا يقصد بها حصرا الأُمّية أي "غير اليهود" من الشعوب الأخرى، خلافا لما

(1) ومن ذلك على سبيل مثال ما ورد في سفر التثنية، ونصه: [وَإِذَا أَدَخَلَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَرْتِهَا وَطَرَدَ مِنْ أَمَامِكَ أُمَمًا كَثِيرَةً، الْحِثِّيَّينَ وَالْجَرْجَاشِيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفَرِزِيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبْعَ أُمَمٍ أَكْثَرُ وَأَقْوَى مِنْكَ، وَأَسْلَمَهُمُ الرَّبُّ إِلَهُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَحَرَّمَهُمْ تَحْرِيمًا. لَا تَقْطَعْ مَعَهُمْ عَهْدًا وَلَا تَرَافُ بِهِمْ، وَلَا تُصَاهِرُهُمْ، وَلَا تُعْطِ ابْنَتَكَ لَابْنِهِ، وَلَا تَأْخُذِ ابْنَتَهُ لِابْنِكَ] (سفر التثنية: 3-1/7، الترجمة اليسوعية، ص 370)

(2) W.E. March, Great Themes of the Bible (Presbyterian Publishing Corporation, 2006). P.101

(3) Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism P.47.

(4) ينظر: قاموس عبري عربي، يحزقيال قوجمان، دار الجيل: بيروت، ط: 1970 م ص 34. ص 97.

عليه الشأن في لغة مرحلة -الأدب الحاخامي- ما بعد الكتاب المقدس<sup>(1)</sup>، الذي تم تدوينه على يد عزرا<sup>(2)</sup> Ezra «440-480 ق.م» خلال حقبة الحكم الفارسي<sup>(3)</sup> في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، وإذا كان هذا الاعتقاد صحيحا، فإن التمييز بين "المرحلة الكتابية" والتي تليها أي "مابعد الكتابية" يكون بسيطا، حيث إن الفترة الفارسية هي الفارق بين المرحلتين الكتابية وما بعدها، فالكتابية Biblical تحيل إلى ما قبل الفترة الفارسية، أما ما بعد الكتابية Postbiblical هي ما بعد الفارسية، إلا أن هذا الاعتقاد خاطئ حسب "شاي كوهين" Shaye J. D. Cohen، لأن الكتاب المقدس يحتوي على العديد من الأعمال التي كتبت بعد الفترة الفارسية.<sup>(4)</sup>

وكان في المرحلة الكتابية لدلالة الكلمة Goy גוי معنى بسيطا غير مركب، يحيل على الشعب، أو الأمة أيّا كانت، دون تخصيص، ولهذا فالمفردة كانت تطلق على شعب اليهود،

(1) D.P. Elkins and A. Treu, The Bible's Top 50 Ideas: The Essential Concepts Everyone Should Know (SPI Books, U.S., 2005) P.71.

(2) وتنسب لعزرا عشرة أسفار من قسم المكتوبات في الكتاب المقدس، وتتحدث حسب الفكر اليهودي عن قصة رجوع اليهود من السبي البابلي إلى أرض إسرائيل خلال القرن السادس قبل الميلاد، وذلك بعدما حصل عزرا مع نحميا من الحاكم الفارسي على الإذن بقيادة اليهود للرجوع بهم إلى القدس إعادة بناء الهيكل. وقد قام عزرا بإصلاحات دينية، كتأسيسه لطقس القراء الدورية مع التفسير لأسفار لتوراة. ينظر:

Eisenberg, Dictionary of Jewish Terms: A Guide to the Language of Judaism P.126.

(3) لما فتح قورش الأخميني الفارسي بلاد بابل (538-539 ق.م) سار في فتوحاته حتى احتل سورية وفلسطين ومن ضمنها أورشليم، فسمح لمن أراد من اليهود المسيبين في بابل، الذين أسرههم نبوخذ نصر (في أسر 597 وأسر 586 ق.م) بالرجوع إلى فلسطين، وأعاد لهم كنائز الهيكل التي كان قد سلبها نبوخذ نصر، وأمر بإعادة بناء الهيكل في أورشليم على نفقة بيت الملك، فعاد فريق منهم، وفضل البقاء عدد كثير ممن صارت لهم أموال وممتلكات في ظل ما نعموا به من رغد العيش في الحضارة البابلية. (ينظر: العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، العربي للإعلان والنشر: دمشق، ط2: د.ت. ص323-324).

(4) S.J.D. Cohen, From the Maccabees to the Mishnah (Westminster Press, 1987) P.20.

كما كان يقصد بها أيضا غير اليهود من باقي الأمم. ومثال ذلك ما ورد في سفر الخروج في سياق حديث الرب مع موسى، ونصّه:

[כִּי-לִי כָל-הָאָרֶץ: וְאַתֶּם תְּהִי-לִי מִמְּלֶכֶת כְּהִנִּים וְיֹדֵי קָדוֹשׁ אֱלֹהֵי הַדְּבָרִים  
אֲשֶׁר תְּדַבֵּר אֶל-בְּנֵי יִשְׂרָאֵל:]<sup>(1)</sup> وترجمته:

[لَأَنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا لِي. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً مِنَ الْكَهَنَةِ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هذا هو  
الكلامُ الَّذِي تَقُولُهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ.]<sup>(2)</sup>

ففي هذا النص، أطلقت كلمة "جوي" גוי Goy مضافة إلى קדוש Kadosh، على  
شعب إسرائيل نفسه، لتدل العبارة [יְדֵי קָדוֹשׁ] Goy Kadosh على "الأمة المقدسة".  
والذي يعنينا من هذا كله أن هذه اللفظة "جوي" لا تحيل بالضرورة على الازدراء، ولا  
تشير دوماً إلى المعاني السيئة، كالاحتقار والاستصغار، بل إنها تستعمل في سياقات  
متعددة، فتشمل شعب إسرائيل أيضاً، سيما في المرحلة الكتابية.

وقد ورد ذكر هذه الكلمة في التناخ في أكثر من ثلاث مائة موضع، وتحيل فيها إلى  
معان تتضمن في مجملها الإشارة إلى شعب مرتبط بإقليم معين أو بنظام حكم خاص،  
كما يصور الكتاب العبري في عمومها الشعب الإسرائيلي على أنه أمة Goy وسط الأمم  
Goyyim.<sup>(3)</sup> إلا أن التناخ يفضل الإشارة إلى شعب إسرائيل بكلمة Am، التي ورد  
ذكرها فيه أزيد من ألف وثمان مائة مرة؛ وتركز هذه الكلمة على مفهوم الأصول

(1) Exodus 19: 5-6 (Hebrew-English Tanakh: The Jewish Bible P.140.)

(2) سفر الخروج 19: 5-6، (الترجمة اليسوعية، ص185)

(3) S.L. Gravett, K.G. Bohmbach and F.V. Greifenhagen, An Introduction to the Hebrew Bible: A Thematic Approach (Westminster John Knox Press, 2008) P.202.

المشتركة وعلاقات القرابة، وبالتالي، فهي المصطلح الأقرب إلى ما يسمى في العصر الحديث بالمجموعة الإثنية.<sup>(1)</sup>

هذا، وإن مصطلح "جوي" Goy قد يحمل بين طياته في بعض السياقات دلالات جد سلبية حينما يراد به الشعوب الوثنية أو المعادية لليهود، وخاصة في عبرية ما بعد الكتاب المقدس Postbiblical التي صار له فيها معاني الازدراء لغير اليهودي.<sup>(2)</sup> فدلّت الكلمة على إشارات جد سلبية في حق الأمم غير الإسرائيلية، التي ينظر إليها على نحو ما تهديدا لهوية شعب إسرائيل.<sup>(3)</sup>

ونجد في الكتابات الحاخامية العتيقة أنها تشير إلى الوثني؛ وفي هذه المدونات نفسها نجد أيضا أن جميع البشرية منقسمة إلى صنفين: شعب إسرائيل وهم من يعرفون الرب ويقبلون التوراة، والأغيار الذين يعبدون الأوثان. وإذا ماتوا لا يقومون من موتهم، بينما شعب إسرائيل يقومون من قبورهم ليوم الحساب، لينالوا الوعد الأخروي العظيم، بالحياة الأبدية في جنة عدن. وفي اللغة المعاصرة، يشار إلى احتقار الأغيار بوصفهم "جويش" goyish وهو ما يستمد سلبيته من كون الموصوف به غير يهودي.<sup>(4)</sup> وعلى هذا النحو ألغى اليهود "الآخر" من عالم الآخرة، وانفردوا به لأنفسهم.

ويشير الحاخام "ماكس كدوشين" Max Kadushin إلى أنه لا يمكن استخلاص معنى مصطلح "جوي" Goy في الفكر الحاخامي من خلال ورودها وما استعمل لأجله في الكتاب المقدس، فالمعنيان مختلفان جذريا، فالمصطلح في التناخ يعني "الأمّة" أو الشعب

(1) S.L. Gravett and others, An Introduction to the Hebrew Bible P.202.

(2) March, Great Themes of the Bible P.101.

(3) S.L. Gravett and others, An Introduction to the Hebrew Bible P.202.

(4) Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism P.47.

- كما سبق بيانه-، وينطبق على إسرائيل وعلى غيره من الأمم، بينما استخدم المصطلح عند الحاخامات للدلالة على الفرد غير اليهودي، وتحفظ الكلمة عندهم بهذا المعنى، حتى إنهم على ذلك النحوي تأولونها حين ورودها في نصوص الكتاب المقدس، وإن هذا المعنى الجديد للكلمة هو ما استلزم بنية لغوية جديدة لها، ففي الاستخدام الحاخامي للكلمة، لم تعد اسم جمع بل صارت تدلّ على المفرد، كما أنها غير قاصرة على صيغة المذكر كما في التناخ، بل صارت صالحة للدلالة على المؤنث أيضاً، وصيغة الجمع في التذكير والتأنيث ما عادت تنطبق على المجموعة المنسجمة بل صارت تحيل على الأفراد المتباينين.<sup>(1)</sup>

ومن المصطلحات التي استخدمها الحاخامات للدلالة على الأغيار أيضاً، كلمة "نوكري" נוכרי Nokri وتعني الغريب، وعلى الرغم من دلالتها على الفرد غير اليهودي، فإنه قد يقصد بها أحيانا الشخص اليهودي الغريب الذي لا ينتمي إلى العشيرة نفسها. ويبدو أن مصطلحي "جوي" و"نوكري" ما هي إلا مفاهيم فرعية، للمفهوم والمصطلح العام والشامل: "أوموت ها عولام" אומות העולם Ummot Ha-Olam، فهو أيضاً من المصطلحات الشائعة في الفكر الحاخامي للدلالة على "الآخر" أيّا كان، حيث إن عبارة אומות העולם Ummot Ha-Olam تعني أمم العالم، وتنظر اليهودية الحاخامية من خلالها إلى جميع سكان الأرض من غير اليهود على أنهم كيان واحد.<sup>(2)</sup>

(1) M. Kadushin, The Rabbinic Mind (Global Publications, 2001) P.40.

(2) Ibid. P.41.

فكل الشعوب على اختلاف أجناسها، وكل الأقوام على تنوع أديانها في سياق هذه العبارة كيان واحد، في مقابل الشعب اليهودي. فالحاخامات والأخبار "من كتاب التلمود وشارحيه، لا يعرفون سوى نوعين من البشر: اليهود، وغير اليهود."<sup>(1)</sup>

وتستخدم الترجمات الإنجليزية للكتاب المقدس مصطلح Gentile، "وأصله اللاتيني Gentilis، وهو أي شخص ينتمي إلى عشيرة أو أمة Gens"<sup>(2)</sup>، كمقابل للكلمة العبرية גוי «Goy» المرادفة لنوكري נוכרי «Nokri» أي الغريب أو غير اليهودي، وتذهب الموسوعة اليهودية إلى أن هذا المصطلح -Gentile- لا يحمل أية نظرة دونية أو احتقار لغير اليهود، وبما أن الأمم أو "الغوييم" في ذلك الوقت كانوا وثنيين وعباد أصنام فإن المصطلح ينطبق عليهم ويدل على الوثنية لا غير، فلا ينطبق بزعمهم على المسيحيين أو المسلمين، إنما يشير إلى الوثنيين كـ "العكوم" "akum".<sup>(3)</sup> לַאֲכֻמִּים وهو مصطلح يجمع الحروف الأولى من كلمات العبارة: לַבִּזְזִים דְּנִכְרִים וּמִזְלֹזֹת التي تعني عبادة النجوم والكواكب؛ أو عبارة: לַאֲכֻמִּים דְּנִכְרִים וּמִזְלֹזֹת وتدل على عبدة النجوم والكواكب؛ وقد وُضع المصطلح في الأصل للدلالة على الكلدانيين الذين يعبدون النجوم، ثم صار يطلق بصفة عامة على كل أشكال العبادات الوثنية و الأقوام الوثنيين، وتصرّ دائرة المعارف اليهودية أن هذا المصطلح لا ينطبق على المسيحيين.<sup>(4)</sup>

(1) اليد الخفية دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق: القاهرة، ط2: 2001م ص25.

(2) W.E. Mills and R.A. Bullard, Mercer Dictionary of the Bible (Mercer University Press, 1990) P.324.

(3) Singer, The Jewish Encyclopedia V.5, P.615.

(4) Skolnik and Berenbaum, Encyclopaedia Judaica V.1 P. 569.



بينما يشير عبد الوهاب المسيري إلى حدوث الخلط عند اليهود بين المسيحيين والوثنيين، وقد وُجّه إلى التلمود اتهام بأن كلمة "عكوم" الواردة فيه ليست هي في الواقع اختصاراً للعبارة العبرية "عوفيد كوخانيم أومزالوت"، أي "عابد الكواكب وأبراج النجوم"، وإنما هي اختصار لعبارة "عبودت كريستوس وميريام"، أي "عبد المسيح ومريم"، أي المسيحيين. وإن كانت هذه المسألة موضع نقاش ونظر فإنها تبين طبيعة الخلط.<sup>(1)</sup>

ويظهر من خلال المقولات السابقة مدى حرص الدراسات اليهودية الحديثة، على تضيق مفهوم المصطلحات التي تزدرى "الآخر"، فتعمل على تضيق مجال دلالاتها، وتحديد دائرتها في الوثنيين، للتكيف مع ظروف تحتم على الجماعات اليهودية العيش في واقع يضم مختلف الأجناس والبشر.<sup>(2)</sup> وكان يسجل في مستهل كل صفحة من التلمود من قبل الحاخامات المعاصرين إعلان رسمي يقرّر أن قوانين التلمود ضد الوثنيين لا تنطبق على الأمم التي يعيش اليهود بين ظهرانيها، وأنها لا تنطبق إلا على الوثنيين فقط، وتقرر بعض الطبعات أن المعني بالهجوم هو "اليشماعيلي" وتعني به "المسلم العربي". فكافة المحاولات من قبل اليهود المعاصرين سعت إلى تضيق المجال الدلالي لكلمة "الأغيار" وتخصيصها، لتصير مقصورة إما على عبدة الأوثان فحسب، أو على جماعة محددة من الناس.<sup>(3)</sup>

(1) ينظر: اليد الخفية دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، عبد الوهاب المسيري، ص 36.

(2) ينظر: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، رقية العلواني و آخرون، ص 47.

(3) ينظر: اليد الخفية، عبد الوهاب المسيري، ص 25.

بينما نجد في كثير من المعاجم الأجنبية أن مصطلح Gentile عام يشمل كل من هو غير يهودي، وكل من يقع خارج دائرة الشعب الإسرائيلي، ففي قاموس الكتاب المقدس لـ "أوغستين كالمي" Augustin Calmet نجد أن كلمة Gentile "الأغيار" هي الاسم الذي أطلقه العبريون على كل من لم يتلق القوانين<sup>(1)</sup>. وإن الذي لا ينتمي إلى الأمة اليهودية أو الإيمان اليهودي كالمسيحيين داخل في مسمى Gentile، حسب قاموس merriam webste<sup>(2)</sup>. وعليه، فمن الشائع الإشارة إلى "الآخر" بهذا المصطلح، الذي يستخدم على نطاق واسع، فكل من لا يدخل ضمن "الأنا" الداخلي اليهودي ينطبق عليه؛ وأما عند المسيحيين، فالمصطلح يشير إلى كل شعب لا رابط له بالثقافة والإرث الديني لإسرائيل<sup>(3)</sup>. وكلّ خارج عمّا ورثه النصارى من التراث العبري داخل عندهم في معنى الأغيار، ولا انتماء له إلى "الأنا" المسيحي.

وإجمالاً، فالمصطلحات المعبرة عن "الآخر" في التوراة بمعناها الشامل، لها صيغ متعددة، وتحيل على معان متباينة، ودلالات مختلفة، حسب موقع ورودها وسياقها الموضوعي في النص، وتخضع لسلطان السياق التاريخي، وتوجّهها إكراهات الظروف التي يعيش اليهود في ظلها؛ فتتسع مدلولاتها حيناً، وتضيق أحياناً أخرى، حسب ما يحيط باليهود من أحوال الخوف أو الأمن، وبناء على ما يشعرون به من الضعف أو القوة. وتحمل على العموم في طياتها نظرة الدونية والاحتقار للأغيار، إذ قامت في مقابل "الأنا"

(1) A. Calmet, Calmet's Dictionary of the Holy Bible (Crocker & Brewster, 1856) P.454.

(2) Gentile, Available: <https://www.merriam-webster.com/dictionary/gentile>.

(3) D.C. Sim and J.S. McLaren, Attitudes to Gentiles in Ancient Judaism and Early Christianity (Bloomsbury Publishing, 2014) P.2.

المتضخم المقدس، فكل خارج عن دائرة القداسة فهو مدنس. كما سيأتي تفصيله وبيانها فيما يلي من الورقات.

سبق الإشارة إلى أن كريستين هايز Christine Hayes -أستاذة الدراسات الدينية بجامعة يال Yale الأمريكية- تقرّر أن ثنائية "الأنا" و"الآخر" في الفكر الديني اليهودي لم تكن في قيمها ثابتة على الدوام، بل خضعت لمراجعات وإعادة النظر تبعاً للتغيرات السياسية والظروف الثقافية التي عاشها اليهود في العصور القديمة.<sup>(1)</sup>

ثم إن هذه الثنائية، وهذا الانفصال بين "الأنا" و"الآخر" قد يخضع لمعايير مختلفة ويتشكّل من عناصر متباينة داخل الجماعة الواحدة، مما ينتج عنه نزاع داخلي حول تحديد هوية "الأنا"، وهو ما سيجرّ حتماً إلى تشكيل طوائف متميزة عن بعضها ضمن أفراد الجماعة الواحدة، تتبنى وجهات نظر مختلفة حول هوية الجماعة وطبيعة الحدود التي تصلح لتمييز وحفظ الهوية الجماعية، فالهوية إذن حسب "كريستين هايز" بناء معقد، كما أن تشكيلها مهمة صعبة، فالجماعة اليهودية لا تعرّف نفسها بأنها النقيض أو المقابل للجماعات الأخرى فقط، وهنا نتحدث عن "الآخر الخارجي"، وإن المراد منه في التعاليم الحاخامية هو كل من لا ينتمي إلى شعب إسرائيل، فالجنتايل Gentile أو الأغيار هم الصورة العكسية للإسرائيليين.<sup>(2)</sup>

وبناء عليه، فالآخر في التوراة أو في الديانة اليهودية عموماً، باعتبارها نظاماً شاملاً للعقائد والتشريعات اليهودية المكتوبة والشفوية، هو المقابل أو النقيض للأنا

(1) Fonrobert and Jaffee, The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature P.243.

(2) Ibid. P.243

اليهودي عموماً، أي أن "الآخر" في هذا المعنى هو جميع من يقع خارج دائرة الهوية اليهودية، وأحياناً يكون "الآخر" هو المقابل للحاخامات على وجه الخصوص، باعتبار الحاخام اليهودي النموذجي أو المثالي، وباقي عامة اليهود دونه في الدرجة والمنزلة، وهنا نتحدث عن الآخر الداخلي، داخل الطائفة اليهودية نفسها.

## المبحث الثاني: صورة "الآخر" في التوراة من خلال عقيدة "الشعب المختار".

تعدّ عقيدة الشعب المختار مرتكزا أساسيا في بنية الفكر الديني اليهودي برمّته، وهي المحور الذي تدور حوله سائر أحكام التوراة، التي عملت نصوصها المتوالية وبشكل تدريجي على بناء منظومة من المفاهيم المترابكة التي تنتهي إلى نتيجة "الاختيار" لشعب إسرائيل. وفي هذا المبحث حديث عن صورة "الآخر" وموقعه خلال هذه المتوالية المفاهيمية التي تعرضها النصوص المقدسة في طريقها إلى تأسيس مفهوم وعقيدة الشعب المختار.

### المطلب الأول: صورة "الآخر" من خلال مباركة سام ولعن كنعان.

ترجع أصول الاختيار الإلهي لشعب إسرائيل حسب التعاليم اليهودية إلى زمن سحيق، إذ تجعل التوراة من رُقيّ "الأنا" اليهودي وسموّه وعلوه على غيره، وعراقة نسبه وأصالة نسله، أمرا قديما موعلا في القدم، ضاربا في عمق التاريخ، حتى لا يكاد أحد يتبين أوائله في أغوار الماضي البعيد، فهو قديم قدم وجود الإنسان نفسه؛ وبدءا من آدم عليه السلام أبي البشرية الذي انحدر منه نوح أبو البشرية الثاني، ومرورا بإبراهيم وانتهاء بموسى عليهم السلام، يمتدّ حسب الفكر الديني اليهودي نسبهم الأصيل، فيما يسمونه بمرحلة الآباء من تاريخ ديانتهم.

ويذكر خليفة حسن أن المقصود بالآباء هو مجموعة من الشخصيات التي سبقت موسى عليه السلام في التراث القديم، ومن أشهرهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام جميعا، بينما يتجه بعض المؤرخين اليهود إلى ضم آدم ونوح إلى مجموعة الآباء

لأجل تبرير الروايات التاريخية الخاصة بهم في سفر التكوين، إضافة إلى التأكيد على أن سلسلة النسب الخاصة ببني إسرائيل تعود إلى بداية الخليقة.<sup>(1)</sup>

ونجد أيضا في الفكر الديني المسيحي أن الرهبانية اليسوعية وضعت عنوانا للفصل الخامس من سفر التكوين نصه: "آباء ما قبل الطوفان"<sup>(2)</sup> إشارة منهم إلى ما تضمنه ذاك الفصل من الشخصيات من ذرية آدم، ومن أبرزهم نوح عليه السلام.

ونلاحظ منذ البدايات وفي الفصول الأولى للتوراة جنوحا نحو نزعة الاستعلاء للأنا اليهودي في مقابل "الآخر" الذي كتبت عليه العبودية وقدّر له الهوان، فتسجّل التوراة في معرض ذكرها لأبناء نوح عليه السلام، أن الله تعالى بارك سام الذي ينحدر منه بنو عابر<sup>(3)</sup>، في حين لعن كنعان الذي هو أبو الكنعانيين<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، ص 193

(2) الكتاب المقدس، ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص 76

(3) عابر: اسم عبري معناه "عابر"، وقد تعني من جاء عبر النهر، أو المرتحل أي العابر في البلاد. وهو اسم: عابر بن شالح بن أرفشكاد بن سام بن نوح. وقد ولد له فالج ويقطان. وكان فالج ابنه الجد الأكبر لإبراهيم. كما أن يقطان هو الجد الأكبر للقبائل العربية. والأرجح أن "العبرانيين" أطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى "عابر" هذا، أو لأنهم جاءوا "عبر" نهر الفرات. وذلك لارتحال إبراهيم وقومه من أور الكلدانيين إلى حاران، ومنها إلى كنعان (دائرة المعارف الكتابية، ج 5، ص 149)

(4) يطلق اسم "كنعان" على فلسطين (أرض الموعد حسب الفكر الكتابي) الواقعة غربي نهر الأردن، والتي استوطنها بنو إسرائيل بعد عبورهم نهر الأردن بقيادة يشوع. وكان يطلق على سكانها بعامّة اسم الكنعانيين. ومن جدول الأمم (المذكور في الأصحاح العاشر من سفر التكوين) نعرف أن كنعان بن حام بن نوح "وُلد صيدون بكره وحثا واليبوسي والأموري والجرجاشي والحوي والعربي والسيني والأروادي والعماري والحماتي" (تك 10: 15-19)، أي خرجت منه إحدى عشرة قبيلة استوطنت سورية وفلسطين.

(دائرة المعارف الكتابية، ج 6، ص 393)

فبعد أن تحكي التوراة عمن نجا من أبناء نوح من الطوفان، ممن كان معه في الفلك، كما جاء في هذا النص: [أَمَّا أَبْنَاءُ نُوحَ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ مِنَ الْفُلِّ فَكَانُوا: سَامًا وَحَامًا وَيَافَثَ. وَحَامٌ هُوَ أَبُو الْكَنْعَانِيِّينَ. هَؤُلَاءِ كَانُوا أَبْنَاءَ نُوحَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تَفَرَّعَتْ مِنْهُمْ شُعُوبُ الْأَرْضِ كُلِّهَا]<sup>(1)</sup> الملاحظ في هذا السياق أنه بعد سرد أسماء الأبناء الثلاثة لنوح، انفرد حام بإعادة الذكر، وتم التركيز عليه دون سواه، مع الإشارة إليه بأنه هو أبو الكنعانيين، وكأن في ذلك إحياء وتلميحا إلى حاجة في نفس كاتب التوراة، ويبدو أن هذا الأسلوب يحمل بين ثناياه خطابا مبطنًا موجهًا للعهد الذهني عند اليهود، أي ما كان معهودا ذهنا عندهم، مما ينصرف الفكر إليه بمجرد النطق به، فبمجرد سماع كلمة كنعان، يتبادر إلى الذهن العبري الكثير من المعاني المتصلة بالوثنية والكفر وبتاريخ الحروب والنزاعات التي قامت بينهم وبين الكنعانيين، ويتوارد على المخيال اليهودي العديد من التصورات حول ماضي وحاضر وطبيعة العلاقات التي ربطت بينهم وبين بني كنعان، وإذن فالعهد الذهني الذي يخاطبه كاتب هذا السفر هو العداوة الراسخة والخصومة الدائمة القائمة بين شعب إسرائيل والكنعانيين، فهذا هو ما تشحذه وتغذيه نصوص التوراة حول "الآخر" الكنعاني.<sup>(2)</sup>

(1) التكوين 9: 18-19. (كتاب الحياة، ص 11)

(2) وتوجد في التوراة العديد من النصوص التي تتحدث عن الكنعانيين، وتستبيح منهم كل شيء، الأرض والعرش، الدماء والأموال، وتصفهم بكل الأوصاف المزرية والقبیحة، بداية من نص لعنة كنعان وذريته وجعلهم خدما لأسيادهم من بني سام ويافث، وانتهاء بالنصوص التي تدعو إلى استئصالهم من أرضهم وإخراجهم منها، ومثال ذلك ما ورد في سفر العدد: [وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى فِي سُهُولِ مُوَابَ بِالْقُرْبِ مِنْ نَهْرِ الْأُرْدُنِّ مُقَابِلَ أَرِيحَا: «أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ لَا بُدَّ عَابِرُونَ نَهْرَ الْأُرْدُنِّ نَحْوَ أَرْضِ كَنْعَانَ، فَاطْرُدُوا جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ»] العدد 33: 50-54 (كتاب الحياة، ص 225) وسيأتي الحديث عن باقي النصوص المتعلقة بهذا الشأن في مبحث صورة الآخر من خلال أخلاق الحرب في التوراة.

وحسب المتخصص في الدراسات الكتابية، الأمريكي "كurt نول" Kurt L. Noll فإن العلاقة بين اليهود والكنعانيين كانت علاقة جدلية، قائمة على الخلافات التي يصنعها الكتاب المقدس، فقد قام هذا الأخير ببناء جدار من الاختلافات بين شعب إسرائيل والكنعانيين.<sup>(1)</sup> وكان في الواقع هذا الجدار شديد السماكة وعازلاً متين البنية، استطاع اليهود من خلاله أن يضعوا حداً فاصلاً بين "الأنا" و "الآخر". فالروايات التوراتية في مجملها موجهة ضد الشعوب الأصلية في أرض كنعان.<sup>(2)</sup>

وبالرجوع إلى نص التوراة سالف الذكر نجد أنها تستأنف حديثها بعد ذكرها لأبناء نوح، بالكلام عن اللعنة التي حلت بكنعان، فجاء في سفر التكوين: [وَأَشْتَعَلَ نُوحٌ بِالْفَلَاحَةِ وَغَرَسَ كَرْمًا، وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خَيْمَتِهِ، فَشَاهَدَ حَامُ أَبُو الْكَنْعَانِيِّينَ عُرْيَ أَبِيهِ، فَخَرَجَ وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ الَّذِينَ كَانَا خَارِجًا... وَعِنْدَمَا أَفَاقَ نُوحٌ مِنْ سُكْرِهِ وَعَلِمَ مَا فَعَلَهُ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ قَالَ: «لِيَكُنْ كَنْعَانُ مَلْعُونًا، وَلِيَكُنْ عَبْدٌ الْعَبِيدِ لِأَخَوْتِهِ». ثُمَّ قَالَ: «تَبَارَكَ اللَّهُ إِلَهِي سَامٌ. وَلِيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُ. لِيُوسِعَ اللَّهُ لِيَاثَ فَيَسْكُنَ فِي خِيَامِ سَامٍ. وَلِيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُ»]<sup>(3)</sup> ومن خلال هذا السرد لهذه الرواية، يمكن ملاحظة بوضوح أن أمر لعنة كنعان غير منطقي، فكيف يؤخذ الابن بجريرة أبيه، كما أن بين طيات هذه الحبكة إصراراً على وصف حام بأنه أبو الكنعانيين، الذين سينتهي النص بإنزال اللعنة عليهم، وجعلهم خدماً لأسيادهم من بني سام ويافث؛ كما أن سمة العلو والسمو بارزة في "الأنا" السامي في هذا النص، فسام مبارك وله السيادة

(1) K.L. Noll, *Canaan and Israel in Antiquity: A Textbook on History and Religion: Second Edition* (Bloomsbury Publishing, 2012) P.2.

(2) M.G. Brett, *Ethnicity and the Bible* (Brill Academic Publishers, 1996) P.21.

(3) التكوين 9: 20-27 (كتاب الحياة، ص11)



والمنزلة الرفيعة، بينما يافث يعيش في كنفه ويسكن في خيامه، أما كنعان فيصير عبدا لهما معا.

ويبدو جليا حسب شفيق مقار أن الحكاية كتبت وهدفها منذ البداية الوصول إلى لعنة كنعان الذي لم يكن الذنب ذنبه، بل ذنب أبيه حام الذي رأى عورة أبيه فلم يسترها، ويرى مقار أنه من اللافت للنظر كون النص يؤكد تأكيدا متواصلا حافظا للفكر على كنعان كما في العبارات التالية: "وحام هو أبو كنعان"، "فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه"، ثم جاء فيه: "عبد العبيد يكون لإخوته"، ثم زاد: "وليكن كنعان عبدا لهم" وكررت هذه العبارة مرتين على سبيل التأكيد، ووسط هذا الغضب من نوح ووسط هذه اللعنات المنصبة على رأس الكنعانيين، نجد أن نوحا يقول "مبارك الرب إله سام" أي إله العشيرة التي كتبت الحكاية من أجل إعطاء البعد الإلهي والسلطة الإلهية لاشتغالها أرض كنعان.<sup>(1)</sup>

ويذكر صلاح الخالدي أن الأحبار أرادوا من خلال هذا النص أن يذمّوا خصومهم الكنعانيين، الذين زاحموهم في الأرض المقدسة، أرض كنعان - أي فلسطين فيما بعد - فجعلوهم ملعونين منذ عدة قرون، عبيدا أذلاء منذ قديم الزمان.<sup>(2)</sup>

وقد شكل نص اللعنة هذا، بإشكالياته وتناقضاته وعدم معقوليته، موضوع نقاشات كثيرة وآراء متباينة، للحاخامات وآباء الكنيسة قديما وكذا للدراسين

(1) ينظر: قراء سياسية للتوراة، شفيق مقار، رياض الريس للكتب والنشر: لندن، د.ت ص 37.

(2) ينظر: سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم من آدم إلى إبراهيم، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار العلوم: عمان، ط1: 2004م ص 124.

الكتابيين حديثاً، وإلى هذا الخط والاضطراب أشار "ديفيد م. غولدنبرغ" David M. Goldenberg في فصل عنوانه "حام يخطئ وكنعان يلعن؟!"، يقول فيه: "رواية الكتاب المقدس بخصوص سكر نوح ولعنة العبودية التي صدرت منه واضحة جداً في تحديد من تمّ لعنه، وعلى الرغم من أن حام هو الذي تصرف بشكل غير لائق مع والده نوح، لم يكن حام هو الذي لعن، بل بدلاً من ذلك لعن ابنه كنعان" ثم يطرح السؤال: "لماذا كنعان هو الذي لعن إذا كان حام هو من أخطأ؟" ويعلق قائلاً: "هذا السؤال هو محل سجلات دامت لأكثر من ألفي سنة ماضية"<sup>(1)</sup>

وتعددت التأويلات والآراء والإجابات على هذا السؤال الذي حيّر من يقدسون النص، وحاولوا أن يجدوا له مخرجاً مقنعاً، أو على الأقل يزيل عنه الغموض القاتم الذي يجعل القارئ له في حيرة ودهشة؛ فقدّموا آراء لا تعدو أن تكون محاولات للفهم، وفق اتجاهات وتأويلات لخصها أستاذ الأدب الكتابي، الأمريكي "جاي كارل لاني" J. Carl Laney، في أربع تأويلات؛ أحدها ينص على أن اللعنة نالها كنعان بسبب أنها انتقلت إليه من أبيه الذي سبقت مباركته من الرب، والمبارك لا يمكن أن تلحقه اللعنة لذا انتقلت إلى أصغر أبنائه وهو كنعان؛ أما الاتجاه الثاني فيرى أن الملعون هو حام وليس كنعان، فيوجهون النص بإضافة كلمة "أب" ليصير المعنى: "ملعون أبو كنعان" بدلاً من "ملعون كنعان"، فالمقصود الأول هو حام، لكن تمّ تغييره إلى كنعان لينطبق الكلام مع حقيقة استعباد الكنعانيين من قبل شعب إسرائيل بعد دخول أرضهم. أما الاتجاه الثالث فيقرر أن كنعان لعن بسبب ذنبه هو، إذ شارك في الذنب مع أبيه، فيفترضون أنه

<sup>(1)</sup> D.M. Goldenberg, The Curse of Ham: Race and Slavery in Early Judaism, Christianity, and Islam (Princeton University Press, 2009) P.157.

هو من رأى عورة جدّه نوح ثم أخبر أباه حام. والاتجاه الرابع فيذهب إلى القول بأن سلالة كنعان هي الملعونة وليس كنعان نفسه، لأن حاماً أبا كنعان لم يوقر أباه نوحا وهو مكشوف العورة، وهو ما يشكل خطوة كبيرة نحو التخلي عن الأخلاق، ورأى نوح أن كنعان هو وارث شر أبيه، وذريته ستكون كذلك، ولذلك ألحق بهم اللعنة. فالمقصود باللعنة حسب هذا الاتجاه هم سلالة من الكنعانيين وليس كنعان نفسه، هم ملعونون لا بسبب ذنب حام، بل لأنهم سيصنعون مثل صنيعه من التخلي عن الأخلاق، فكانت لعنة كنعان حسب هذا الرأي نبوءة وحكما تحقّقا عند انتزاع الأرض من الكنعانيين زمن يشوع.<sup>(1)</sup>

فهذه أقوال أربعة قد تفرقت شذر مذر، لا يجمعها خيط ناظم، غير أنها جاءت تأويلات للخروج من معضلة النص، وقد أغفلت كلها أن وقوع البصر على عورة رجل ثمل عرّته عربدته، لا يستوجب هذا العقاب كله، ولا يستحق أن يكون سببا للّعنة الأبدية التي تطال الأب والأبناء وسلالة الأجيال من بعده ممن لا ذنب لهم أصلا، ومن خلال دعوة مستجابة دعا بها رجل سكران!!؟

ويتحدث تفسير أوكسفورد للكتاب المقدس في استغراب عن هذا النص الوارد في لعن كنعان، الذي أشار إلى خطأ حام وأغفل خطيئة سكر نوح، فالنص لم يتحدث مطلقا عن نوح بأنه قد أخطأ بسكره، لكنه تحدث عن حام بأنه هو الذي أخطأ لأنه رأى أباه عاريا، فكان ذلك هو العمل الذي استدعى إطلاق اللعنة على كنعان بن حام. وأشار هذا التفسير إلى أن التناقض الحاصل في إطلاق اللعنة على الابن بدل الأب راجع

(1) J.C. Laney, Answers to Tough Questions: A Survey of Problem Passages and Issues from Every Book of the Bible (Wipf & Stock Publishers, 2010) PP.23-24.

إلى العداء والكراهية التقليدية التي يكنها بنو إسرائيل للكنعانيين، الذين يُنظر إليهم بأنهم سيصبحون للإسرائيليين عبيدا.<sup>(1)</sup>

وبناء على ما سبق، فالموقف التوراتي من "الآخر" الكنعاني مرتبط بالسياق التاريخي والصراع القديم القائم بين بني إسرائيل والكنعانيين؛ وقد تم إخضاع النص المقدس للظروف التاريخية والاعتبارات الخارجية من المواقف والتّمثلات المنطبعة في مخيال "الأنا" الإسرائيلي عن "الآخر" الأممي. فصار النص بهذا الاعتبار تابعا ونابعا من طبيعة العلاقات التي ربطت شعب الرب المختار بالأمميين الذين حكم عليهم الرب بالعبودية أو الفناء، وأن تنتزع منهم أرضهم لتصير لبني إسرائيل ملكا أبديا. وعليه فهذا الصراع القائم على الأرض الموعودة التي تقع تحت يد الكنعانيين والنظرة الدونية اتجاههم هو الذي وجّه النص التوراتي في تحديد طبيعة "الآخر" والموقف منه ونوع العلاقة التي يجب أن يقوم على أساسها التعامل مع هذا "الآخر" الذي لا ينتمي إلى الأمة المقدسة والشعب المختار.

<sup>(1)</sup> J. Barton and J. Muddiman, The Oxford Bible Commentary (OUP Oxford, 2007) P.47.

## المطلب الثاني: صورة "الآخر" من خلال التأسيس لعقيدة "الشعب المختار".

تعد فكرة الشعب المختار واحدة من المواضيع التي تناولتها العديد من الدراسات الأكاديمية وغير الأكاديمية، ومن وجهات نظر مختلفة، لاهوتية، وفلسفية، ونفسية؛ فهي من المواضيع الرائجة لدى الباحثين على اختلاف مجالات تخصصهم، وذلك لكونها عقيدة أصيلة وراسخة في الفكر الديني اليهودي، فهي من المبادئ الجوهرية والمؤسسة في الديانة اليهودية.

إن عقيدة الاختيار، التي تدل أساساً على العلاقة الخاصة بين الرب وشعب إسرائيل، هي ما شكّل جوهر الكينونة وعلة الوجود للديانة اليهودية، وللشعب اليهودي. وإن الشيء الفريد في هذه العقيدة هو ارتباطها بتصور يجعل من اليهودية حقيقة قائمة على غُضْرَي الدين والعرق معاً، فهي دين وجنسية في آن واحد.<sup>(1)</sup>

ويعبر مصطلح "الشعب المختار" حسب المسيحي على مقولة أساسية في النسق الديني اليهودي، كما أن فكرة الاختيار ذاتها على وجه العموم، تؤسس للانفصال وتؤكد على الانعزال عن الآخرين.<sup>(2)</sup> فالموقف من "الآخر" في التوراة لا ينفك عن هذه العقيدة، وله صلة وثيقة بالنصوص التي تكرّس تفوق واستعلاء "الأنا" اليهودي عن غيره، بناء على اختيار إلهي، واصطفاء سماوي، وحب خالص من ربّ خاصّ.<sup>(3)</sup>

(1) S.L. Gurkan, The Jews as a Chosen People: Tradition and Transformation (Taylor & Francis, 2008) P.1.

(2) موسوعة اليهود واليهودية الموجزة، عبد الوهاب المسيري، ج 2، ص 26.

(3) وإن ادّعاء اليهود والنصارى معاً أنهم أفضل أمم الأرض جميعها، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وخاصته من خلقه وأصفيائه، هو ما أخبر به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُهُ، فُلْ قُلِ لِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ [سورة المائدة، الآية: 20]

وقد مهّد الربّ حسب نصوص التوراة لهذا الاختيار وهيّا لهذا الاجتباء، بدعوة أبرام<sup>(1)</sup> للخروج من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان التي سيهبه إياها، لتكون له ولذريته من بعده ملكاً أبدياً، ولتكون تلك الهجرة إلى الأرض الموعودة بداية تؤسس للعهد الذي سيكون بينه وبين الربّ، ومن ثمّ في مرحلة لاحقة بين الرب وما سينحدر من نسل إبراهيم من الشعب المختار، فجاء في سفر التكوين: [وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: "اذهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأَعْظَمَ اسْمَكَ، وَتَكُونُ بَرَكَهً."]<sup>(2)</sup>

فهذا النص يمهد للأمة التي ستخرج من صلب إبراهيم، والتي ستكون أمة مباركة، وبناء على ما جاء فيه، وتنفيذا لأمر الرب، انتقل أبرام من أور الكلدانيين<sup>(3)</sup>

(1) في الفكر الديني الكتابي: هو اسم إبراهيم في سفر التكوين من (الأصحاح 11: 26 – الأصحاح 17: 4)، وولد وعاش إبراهيم بن تارح من نسل سام حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد في أور الكلدانيين في جنوبي العراق، ثم ارتحل مع تارح أبيه وعائلته مسافة 600 ميل إلى الشمال الغربي من أور، واستقروا في حاران على البليخ أحد روافد نهر الفرات (تك 11: 26-32). وفي سن الخامسة والسبعين ارتحل إبراهيم وزوجته ساري وابن أخيه لوط وكل ممتلكاتهما، تلبية لدعوة الله، إلى أرض كنعان على بعد 400 ميل إلى الجنوب من حاران. (دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبة وآخرون، ج 1، ص 20-23) وتعني كلمة أبرام: الأب الرفيع أو الأب المكرم، أما معنى إبراهيم أو أبو رهام أي [أَبُو جُمْهُورٍ] (تكوين ١٧/٥). (قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص 9)

(2) التكوين 12: 1-3. (الكتاب المقدس، ترجمة فان دايك، ص 12).

(3) أور الكلدانيين: هي مسقط رأس إبراهيم التي ولد ونشأ فيها ولكنه خرج منها طاعة لدعوة الرب وذهب إلى حاران ومنها ذهب إلى كنعان (تكوين: ١١ / ٢٨ و ٣١، ١٥ / ٧ ونحميا ٩ / ٧). ومكان أور اليوم خرائب تدعى المغبر في منتصف المسافة بين بغداد والخليج الفارسي، وعلى مسافة عشرة أميال شرقي مجرى نهر الفرات في الزمن الحاضر. (قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص 128)

إلى حاران<sup>(1)</sup> ومنها إلى كنعان<sup>(2)</sup>، ومن ثمّ قطع الله معه عهداً، وأخبره أنه سيكون مؤسساً لأمة عظيمة. وقال له أيضاً إنه لن يبارك هذه الأمة فحسب، بل ستتبارك بها أُمم العالم الأخرى. وكل ذلك من أجل أبرام. فأمة بني إسرائيل التي ستخرج من أبرام، ستكون شعباً يتبع الربّ، ويكون لها تأثيرها في الشعوب الذين تتصل بهم.<sup>(3)</sup>

وبعد انتهاء رحلة أبرام بوصوله إلى أرض الكنعانيين، ظهر له الرب من جديد ليؤكد له على الوعد الذي وعده به، وجاء في التوراة: [فَشَرَعَ أَبرَامُ يَتَنَقَّلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى أَنْ بَلَغَ مَوْضِعَ شَكِيمَ إِلَى سَهْلِ مُورَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ آتِئِدِ يَقْطُنُونَ تِلْكَ الْأَرْضَ. وَظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ: «سَأُعْطِي هَذِهِ الْأَرْضَ لِدُرِّيَّتِكَ»].<sup>(4)</sup> وإبان استقراره بالأرض واستئناسه بها، جدّد الرب له الوعد، فقال الربّ لأبرام: «ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَتَلَفَّتْ حَوْلَكَ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، شِمَالاً وَجَنُوباً، شَرْقاً وَغَرْباً، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ الَّتِي تَرَاهَا، سَأُعْطِيهَا لَكَ وَلِدُرِّيَّتِكَ إِلَى الْأَبَدِ. وَسَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَثْرَابِ الْأَرْضِ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يُحْصِيَ تُرَابَ الْأَرْضِ يَقْدِرُ آتِئِدُ أَنْ يُحْصِيَ نَسْلَكَ قُمْ وَامْشِ فِي طُولِ الْأَرْضِ وَعَرِّضْهَا

(1) حاران: مدينة بين النهرين، على نهر بليخ وهو فرع للفرات وتقع على مسافة 280 ميلاً إلى الشمال الشرقي من دمشق. وكانت المدينة مركزاً تجارياً، لكونها على أحد الطرق التجارية الرئيسية بين بابل والبحر المتوسط. (قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص 281)

(2) أي إلى أرض كنعان، أما كنعان فهو ابن حام الرابع (تكوين 10/6). وحفيد نوح، وهو جد القبائل التي قطنت أراضي غربي الأردن المسماة كنعان. وأرض كنعان هي: (تكوين 5/12) هي الأرض التي سكنتها ذرية كنعان وقد استولى عليها العبرانيون فيما بعد (خر 6: 4 ولا 25: 38). وكانت حدودها الأصلية مدخل حماة إلى الشمال وبادية سوريا والعرب إلى الشرق وبادية العرب إلى الجنوب وساحل البحر المتوسط إلى الغرب. (قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص 789)

(3) ينظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، وليم وهبة وآخرون، ص 33.

(4) التكوين 12: 6-7 (كتاب الحياة، ص 14)

لَأَنْتِي لَكَ أُعْطِيهَا».<sup>(1)</sup> وبذلك نال إبراهيم الوعد الإلهي بمباركة نسله وتكثير ذريته، وبأن يحصل على الأرض إلى الأبد، لتكون له ملكاً متوارثاً، ترثه أجياله من بعده، قال له الرب: «انْظُرِي إِلَى السَّمَاءِ وَعُدِّي النُّجُومَ إِنْ اسْتَطَعْتَ ذَلِكَ». ثُمَّ قَالَ لَهُ: «هَكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ» ... وَقَالَ لَهُ: «أَنَا هُوَ الرَّبُّ الَّذِي أَتَى بِكَ مِنْ أَوْرِ الْكَلْدَانِيِّينَ لِأُعْطِيكَ هَذِهِ الْأَرْضَ مِيرَاثًا».<sup>(2)</sup>

فهذه النصوص التوراتية كلها تؤكد على حقيقة واحدة، وتحوم حول فكرة جوهرية واحدة هي ارتباط الأمة بالأرض بناء على الوعد الإلهي، الذي سيكون من مقتضياته المباركة لإبراهيم ونسله، والتملك الأبدي للأرض، والاصطفاء والاختيار دون سائر العالمين، وبأن يكون الرب رب إبراهيم ونسله. فالأمر إذن يتعلق بالثالث المقدس في الفكر الديني اليهودي: الأرض الخاصة، للشعب الخاص، بناء على عهد الرب الخاص، وهذا ما ورد تأكيده أيضاً في سفر التكوين، فجاء في سياق مخاطبة الرب لإبراهيم قوله: [فَأَجْعَلْ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأَكْثَرِ نَسْلِكَ جِداً ... هَا أَنَا أَقْطَعُ لَكَ عَهْدِي، فَتَكُونُ أَباً لِأُمَمٍ كَثِيرَةٍ. وَلَنْ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدَ الْآنَ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ لِأَنِّي أَجْعَلُكَ أَباً لِرِجَالٍ كَثِيرِينَ مِنَ الْأُمَمِ؛ وَأَصِيرُكَ مُثَمِّراً جِداً، وَأَجْعَلُ أُمَّماً تَتَفَرَّغُ مِنْكَ، وَيَخْرُجُ مِنْ نَسْلِكَ مُلُوكٌ. وَأَقِيمُ عَهْدِي الْأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ جِلاً بَعْدَ جِيلٍ، فَأَكُونُ إِلَهاً لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ. وَأَهْبِكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتَكَ مِنْ بَعْدِكَ جَمِيعَ أَرْضِ كَنْعَانَ، الَّتِي نَزَلْتَ فِيهَا غَرِيباً، مُلْكاً أَبَدِيّاً. وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً].<sup>(3)</sup>

(1) التكوين 13: 14-17 (كتاب الحياة، ص 15)

(2) التكوين 15: 5-7 (كتاب الحياة، ص 17)

(3) التكوين 18: 1-8 (كتاب الحياة، ص 18)



دلّت هذه الفقرة بوضوح على فكرة الاختيار بالتأكيد على اختصاص الرب بإبراهيم وذريته "فَأَكُونُ إِلَهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ"، واختصاص العهد بإبراهيم ونسله أيضا "وَأُقِيمُ عَهْدِي الْأَبَدِيَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ"، كما أكدت على ما سبق ذكره من تكثير النسل وامتلاك الأرض.

ومن المفارقات العجيبة في التوراة ألا ينصرف هذا العهد إلى جميع ذرية إبراهيم كما أكثر النصوص وأطنبت في التأكيد على ذلك، بل ينحرف العهد ويميل الوعد في تحايل عجيب إلى أحد أبناء إبراهيم فقط دون الآخر، ومن هنا كانت بداية الإقصاء لأمة عريضة من نسل إبراهيم؛ فشمّل العهد إسحاق ومن يأتي بعده من نسله، واستثني منه إسماعيل وذريته؛ فمع أن الذريتين ترجعان إلى إبراهيم نفسه، إلا أن الأمة المفضلة والشعب المختار لا ينبغي أن يكون حسب الفكر التوراتي إلا من نسل إسحاق الذي تلده سارة، أما إسماعيل ابن هاجر وذريته فلا يدخلون في العهد الذي يقتضي الاصطفاء والاختيار والتميز. بل اكتفى الرب بمباركته بعد سؤال إبراهيم للرب أن يحفظه، وكانت مباركته وتكثير نسله استجابة لطلب أبيه إبراهيم ليس إلا، فلولا ذلك الدعاء وتلك المسألة ما كان الرب ليحفل به، فحسب سياق النص لم يكن الرب ليهتمّ بشأن إسماعيل لولا طلب إبراهيم ذلك.

وإلى كل هذه المعاني سالفه الذكر يشير ما ورد في سفر التكوين: [وَقَالَ الرَّبُّ لِإِبْرَاهِيمَ: «أَمَّا سَارَائِي زَوْجَتُكَ فَلَا تَدْعُوهَا سَارَائِي بَعْدَ الْآنَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُهَا سَارَةَ (وَمَعْنَاهُ أَمِيرَةٌ). وَأَبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ ابْنًا مِنْهَا. سَأَبَارِكُهَا وَأَجْعَلُهَا أُمًّا لِشُعُوبٍ، وَمِنْهَا يَتَحَدَّرُ مُلُوكٌ أُمَمٌ» ... وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِلَّهِ: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَحْيَا فِي رِعَايَتِكَ». فَأَجَابَ الرَّبُّ:

«إِنَّ سَارَةَ زَوْجَتَكَ هِيَ الَّتِي تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَقَ (وَمَعْنَاهُ يَضْحَكُ). وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ وَمَعَ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَهْدًا أَبَدِيًّا. أَمَّا إِسْمَاعِيلُ، فَقَدْ اسْتَجَبْتُ لِطَلْبَتِكَ مِنْ أَجْلِهِ. سَأُبَارِكُهُ حَقًّا، وَأَجْعَلُهُ مُثْمِرًا، وَأَكْثُرُ ذُرِّيَّتَهُ جَدًّا ... غَيْرَ أَنَّ عَهْدِي أُبْرِمُهُ مَعَ إِسْحَقَ الَّذِي تُنْجِبُهُ لَكَ سَارَةُ ...»<sup>(1)</sup>

فكان العهد من نصيب إسحاق وذريته دون أخيه إسماعيل، ومن ثم نال يعقوب بن إسحاق ونسله بركة إبراهيم دون غيره من إخوته، كما نصت على ذلك التوراة، وجاء فيها: [فَاسْتَدْعَى إِسْحَقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ وَأَوْصَاهُ قَائِلًا: ... وَلْيُبَارِكْكَ اللَّهُ الْقَدِيرُ وَيُنَمِّكَ وَيُكَثِّرَكَ لِتَكُونَ أُمَّةً تَتَفَرَّغُ مِنْهَا شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ، وَلْيُعْطِكَ أَنْتَ وَذُرِّيَّتُكَ مَعَكَ بَرَكَهَ إِبْرَاهِيمَ لِتَرِثَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ الَّتِي تُقِيمُ فِيهَا الْآنَ؛ هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي وَهَبَهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ].<sup>(2)</sup>

وإذن، فيعقوب الذي سينحدر منه بنو إسرائيل "شعب الرب المختار"، هو من انتهت إليه سلسلة الاصطفاءات من قبل الرب، وهو من نال بركة إبراهيم كلها، فهو الذي انفرد بها دون سائر إخوته، وهو من سيخلف إبراهيم في أرضه التي وهبه الله إياها، فهو ومن سيأتي من بعده من سلالته من سيحكم الأرض وتُسعبد لهم الأمم؛ وكل ذلك ناله يعقوب بعد أن اختلس البركة من أبيه بمكر وخديعة!!؟، كما تخبر بذلك التوراة.

(1) التكوين 18: 15-21 (كتاب الحياة، ص 19)

(2) التكوين 28: 1-4 (كتاب الحياة، ص 19)

فجاء في سفر التكوين في فصل تحت عنوان: "يعقوب يختلس بركة إسحاق" كما في الترجمة اليسوعية<sup>(1)</sup>، أو "يعقوب يسرق البركة" كما جاء في ترجمة كتاب الحياة<sup>(2)</sup>، أنه لما شاخ إسحاق وأحسّ بقرب أجله وكلّت عيناه عن النظر، دعا ابنه الأكبر عيسو وطلب منه أن يصطاد له صيدا ويصنع له به طعاما ليباركه قبل وفاته، فلما سمعت رفقته أم يعقوب ما دار بين إسحاق وابنه الأكبر عيسو، أرادت أن ينال هذه البركة ابنها الأصغر يعقوب، فطلبت منه أن يحضر سريعا جديين من غنمهم، لتعدّ لأبيه الطعام الذي يحبه قبل رجوع عيسو من صيده؛ فلما هيأتته أعطته لابنها يعقوب بعد أن ألبسته ثياب أخيه عيسو كي يلبسوا على إسحاق ويحسب أنه ابنه الأكبر، ووضعت على يديه وعنقه جلود جدي المعزى ليحتالوا على إسحاق، حتى إذا جسّ يعقوب ومسه ظنّ أنه عيسو الذي كان أشعرا.

وبالفعل كان الأمر كما خطّط له، فبعد دخول يعقوب على أبيه، أوهمه أنه عيسو وقد رجع من صيده، فقال لأبيه في كذب محض وافتراء بيّن: "أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتني"، وطلب منه أن يباركه، ولما استفسره عن سرعة رجوعه، كذب عليه بقوله: "إن الربّ إلهك قد يسر لي" فلم يخبره بحقيقة أمره، ولما أراد أن يباركه، جسّه فالتبس عليه الأمر، فلم يدر من أمامه على وجه اليقين، فسأله هل هو بصدق عيسو، فأجابه يعقوب في افتراء جلي: "أنا هو"، وبعد تحريّات إسحاق التي لم تفلح في كشف من أمامه،

(1) الترجمة اليسوعية، ص 108.

(2) كتاب الحياة، ص 34.

دعا له وباركه، وكان مما قاله له: "لِيُسْتَعْبَدَ لَكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدَ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدًا لِإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمَّكَ. لِيَكُنْ لَاعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ".<sup>(1)</sup>

فدل هذا السفر على أن يعقوب نال ما ناله من السيادة بعد كثير من التلبيس والتدليس، وحصل على المباركة باستعمال الحيل والمكر مع أبيه، واستأثر بالعهد دون أخيه عيسو من خلال مطية الكذب والخداع، فكيف ينال خير بشر!!؟. وكيف لم ينصرف الدعاء بالمباركة إلى أخيه عيسو وفقا لنية أبيه!!؟

فالملاحظ إذن، إنه حتى في ذرية يعقوب نفسه تم إقصاء شطر من نسله، وفي المقابل تم اصطفاء يعقوب ومن ثم بنوه من بعده، أي بنو إسرائيل؛ فيعقوب صار بموجب مباركة أبيه له سيذا على غيره، وكل الناس له عبيد، بما فيهم إخوته المقربون، وهذا ما نصت عليه التوراة، وذلك أنه لما جاء عيسو يسأل هل بقي لإسحاق ما يباركه به، أجابه إسحاق قائلا: «إِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ سَيِّدًا لَكَ، وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ عَبِيدًا...»<sup>(2)</sup> فسياسة الاستعباد بدأت مع القريب قبل البعيد من سائر الأمم.

ومع أن المسلك الذي سلكه يعقوب في حصوله على المباركة، لم يكن مسلكا شريفا، بل قام على أساليب المكر والخداع والكذب، مع ذلك كله، فإن الرب وافق على الطلب واستجاب الدعاء وأنعم بالبركة، فحصل يعقوب على وسام العهد الذي كان قد صنعه الرب بينه وبين جده إبراهيم، ثم بينه وبين أبيه إسحاق، لينتهي أمر عهد الرب إلى يعقوب، ومن مقتضياته أن يبارك الرب نسله، ويسكنه الأرض التي وعدها إبراهيم

<sup>(1)</sup> ينظر: سفر التكوين 27: 1-29. (ترجمة فان دايك، ص 30-31). (والترجمة اليسوعية، ص: 108-

<sup>(2)</sup> سفر التكوين 27: 37 (ترجمة فان دايك، ص 31).

وإسحاق. فجاء في سفر التكوين أن الرب قال ليعقوب: «أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَقَ. إِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَرَقُدُ عَلَيْهَا الْآنَ أُعْطِيهَا لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ، الَّتِي سَتَكُونُ كَثْرَابِ الْأَرْضِ، وَتَمْتَدُّ غَرْبًا وَشَرْقًا، وَشَمَالًا وَجَنُوبًا، وَتَتَبَارَكُ بِكَ وَبِذُرِّيَّتِكَ جَمِيعُ شُعُوبِ الْأَرْضِ. هَا أَنَا مَعَكَ وَأَرْعَاكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ، وَأَرُدُّكَ إِلَى هَذِهِ الْأَرْضِ. وَلَنْ أَتْرُكَكَ إِلَى أَنْ أَفِي بِكُلِّ مَا وَعَدْتُكَ بِهِ.»<sup>(1)</sup>

ومن تمام المباركة أن يغيّر الإله اسم يعقوب إلى إسرائيل، كما جاء خبر ذلك في قصة غريبة مريبة تتحدث عن مصارعة يعقوب مع الرب، والتي انتهت إلى أن يجبر يعقوب الرب على منحه البركة، فورد في التوراة في فصل تحت عنوان: "مصارعة الله"، ما نصه:

[وَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. فَصَارَعَهُ رَجُلٌ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَرَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَلَمَسَ حُقَّ وَرِكَه، فَانْخَلَعَ حُقُّ وَرِكَ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ لَهُ. وَقَالَ: «إِصْرِفْنِي، لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ يَعْقُوبُ: «لَا أَصْرِفُكَ أَوْ تُبَارِكْنِي». فَقَالَ لَهُ: «مَا أَسْمُكَ؟» قَالَ: «يَعْقُوبُ». قَالَ: «لَا يَكُونُ أَسْمُكَ يَعْقُوبَ فِيمَا بَعْدَ، بَلْ إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّكَ صَارَعْتَ اللَّهَ وَالنَّاسَ فَغَلَبْتَ». وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ قَالَ: «عَرَّفْنِي أَسْمَكَ». فَقَالَ: «لِمَ سُؤَالُكَ عَنِّي أَسْمِي؟»، بَارَكَهُ هُنَاكَ. وَسَمَّى يَعْقُوبُ الْمَكَانَ فَنُؤَيْلَ قَائِلًا: «إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ وَجْهًا إِلَى وَجْهِهِ، وَنَجَّتْ نَفْسِي.»<sup>(2)</sup>

ويعترف الآباء اليسوعيون، مؤلفوا هذه الترجمة، بغموض الرواية سالفه الذكر، ويؤكدون أن المقصود بها هو الصراع الجسدي مع الله - تعالى عما يقولون علوا كبيرا -

(1) التكوين 28: 13-15. (كتاب الحياة، ص 36)

(2) التكوين 32: 25-32. (ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص 118-119)

والتي انتهت بانتزاع يعقوب بركة الرب غصبا منه، ويحملون القصة ككل على أنها محاولة من كاتب السفر لإيجاد أصل لاسم إسرائيل، الذي اغتصب بركة ستكون واجبا على الله نحو الذين سيحملون بعده اسم إسرائيل.<sup>(1)</sup>

وبعد تغيير اسم يعقوب إلى إسرائيل، باركه الرب، ومنحه عهد الآباء، ووعد به بما كان قد وعد به إبراهيم وإسحاق، من تكثير النسل، وبأن يكون من صلبه سادات الأمم وملوك الأرض التي ستصير له ولذريته إرثا أبديا، فقال الرب في التوراة: [وَقَالَ اللَّهُ لَهُ: «أَنَا هُوَ اللَّهُ الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ، فَيَكُونَ مِنْكَ أُمَّةٌ وَطَوَائِفُ أُمَمٍ، وَمِنْ صُلْبِكَ يَخْرُجُ مُلُوكٌ. وَالْأَرْضُ الَّتِي وَهَبْتُهَا لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ أُعْطِيهَا لَكَ وَلِذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَيْضًا»].<sup>(2)</sup>

وبناء على ما سبق، فإن قصة العهد والاصطفاء والمباركة لم تنته إلا في رحاب بني إسرائيل، وكذلك لن تكتمل فصولها إلا مع نبي الله موسى الذي سينحدر من نسل يعقوب؛ والذي سيعقد الرب عهده معه من جديد، كما صنع مع آباءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فيباركه الرب هو ومن معه من بني إسرائيل، الذين صاروا بموجب مسلسل اصطفاءات الرب للأنسال عبر العصور، صفوة الله من خلقه وشعبه المختار.

فجاء في سفر الخروج: [وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: «أَنَا الرَّبُّ. أَنَا الَّذِي تَرَأَيْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ إِلَهًا قَدِيرًا، ... وَأَقَمْتُ مَعَهُمْ عَهْدِي لِأُعْطِيَهُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ، أَرْضَ غُرْبَتِهِمُ الَّتِي نَزَلُوا بِهَا. وَقَدْ سَمِعْتُ أَيْضًا أَنِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ آسَعَبَدَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ، فَذَكَرْتُ عَهْدِي. لِذَلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ، لِأَخْرِجَنَّكُمْ مِنْ تَحْتِ

(1) الكتاب المقدس، ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص118.

(2) التكوين 35: 11-12 (كتاب الحياة، ص46)

سُخْرَاتِ الْمِصْرِيِّينَ ... وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا ... وَسَادُخِلُكُمْ الْأَرْضَ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي مُقْسِمًا أَنْ أُعْطِيَهَا لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ فَأُعْطِيَهَا لَكُمْ مِيرَاثًا أَنَا الرَّبُّ»<sup>(1)</sup>

وهكذا انتهت سلسلة العهود والمباركات إلى اتخاذ شعب إسرائيل شعبا خاصا، يكون له الرب إلهها خاصا، ويورثه الأرض الخاصة، أرض كنعان. يقول عبد الوهاب المسيري:

"يدور التفكير الديني اليهودي حول العهود التي قطعها الإله على نفسه، وهي عهود متكررة عبر التاريخ المقدس الذي يحل فيه الإله ويوجهه حسب الرؤية الدينية اليهودية. فهذا التاريخ يبدأ بالعهد الذي قطعه الإله على نفسه لإبراهيم بأن يصطفيه دون العالمين وأن يُورث نسله أرض كنعان. وقد تم تأكيد العهد لإسحق ويعقوب. ثم جُدد هذا العهد مع الشعب ككل في سيناء، وذلك بعد الخروج من مصر، حيث يعلن الإله لأفراد الشعب أنه أخرجهم من مصر واختارهم شعباً له."<sup>(2)</sup>

فكانت التوراة في بنائها لنظرية الشعب المختار تنحو منحى قوميا شيئا فشيئا، بخطوات متوالية ومتدرّجة. بدءا باصطفاء سام بن نوح من بين أخويه حام ويافث، ليكون مباركا وتبارك أيضا ذريته من بعده. مرورا باختيار إبراهيم من بين نسل سام وتخصيصه بالبركة والأرض التي سيرثها ملكا أبديا له ولذريته من بعده.

إلا أن التوراة أعادت الفرز من جديد في ذرية إبراهيم نفسها، وضيّقت فيها حدود المباركة والاجتباء، لتنتخب منها وتصفّي إسحاق وذريته لنيل بركة إبراهيم دون

(1) الخروج 6: 2-8. (كتاب الحياة، ص 161)

(2) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب محمد المسيري، ج 5، ص 76.

أخيه إسماعيل ونسله. وكذلك صنعت مع ذرية إسحاق نفسه باصطفاء يعقوب أو إسرائيل ليُريث بركة آبائه من السيادة على الأمم وامتلاك الأرض دون أخيه الأكبر عيسو.

وانتهاء بتسلّم موسى وقومه مشعل العهد وتقلدهم جميعا وسام المباركة والقداسة، ونيلهم بركة الميثاق الذي كان قد عقده الرب بينه وبين آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب. لتصل التوراة في النهاية إلى نتيجة مفادها أن شعب إسرائيل أُمته المقدسة، وشعب الله المختار، فهو خيار من خيار من خيار، والرب إلهه هو الرب الخاص بشعبه دون غيره من بقية الأمم والشعوب، فيقدسه ولا يقدر غيره، ويباركه ولا يبارك سواه، ويمنحه الأرض المباركة ويطرده منها آخرين.

وبهذه المعاني تغنت وترنّمت التوراة في مزاميرها: [يَا ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِي، يَا بَنِي يَعْقُوبَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ. هُوَ الرَّبُّ إِلَهُنَا، أَحْكَامُهُ تَمْلَأُ الْأَرْضَ كُلَّهَا. لَمْ يَنْسَ عَهْدَهُ قَطُّ وَلَا وَعْدَهُ الَّذِي قَطَعَهُ إِلَى أَلْفِ جِيلٍ، الْعَهْدَ الَّذِي أَبْرَمَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَالْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ بِهِ لِإِسْحَاقَ. ثُمَّ ثَبَّتَهُ لِيَعْقُوبَ فَرِيضَةً، وَلِإِسْرَائِيلَ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا، قَائِلًا: «لَكَ أُعْطِيَ أَرْضُ كَنْعَانَ نَصِيبَ مِيرَاثٍ لَكُمْ».<sup>(1)</sup>

فكان مقتضى هذه العهود كلها الاستئثار بأمر ثلاث: البركة والأرض والإله. ومن ثم السيادة على العالمين، كما أن العهد والوعد أمران متلازمان، فكل عهد الرب وعودٌ للشعب والآباء بالمباركة والتمكين في الأرض الموعودة، وبأن يصيروا فيها ملوكا، وتصير لهم شعوبها خدما وعبيدا.

(1) المزامير 105: 6-11. (كتاب الحياة، ص 756)



وتأسيساً على كل ما سبق بيانه، فإن النظرة إلى "الآخر" في التوراة تنبني على ما تمّ التعييد له من فكرة الاختيار والاصطفاء لشعب إسرائيل في مقابل الأمم التي لم تنلها بركة الآباء، ولم تحض بشرف الدخول في العهد مع الربّ، ولا نصيب لها من القداسة. وهذا ما يؤصل لنظرة استعلاء "الأنا" اليهودي على "الآخر" بوصفه خارج العهد، فلا مكرمة له لذلك ولا كرامة، بل هو موطن الاستعباد والاستبعاد، ومحل الإذلال، كما نصت التوراة على ذلك في كثير من مقاطعها، بالتصريح بأن تصير الشعوب خادمة لكل من دخل في عهد الربّ من الآباء ومن جاء بعدهم من ذريّتهم من النسل الذي اختير أن يكون منه شعب الله المختار، بناء على سلسلة من الاجتباءات والمباركات.

#### المطلب الثالث: صورة "الآخر" من خلال مفهومي العهد والاختيار.

إن العهد بما يتضمّنه من تعاقد بين طرفين، والاختيار بما يعنيه من الاصطفاء والاجتباء، لأمران متلازمان في الفكر الديني اليهودي. فمن ثمرات العهد الاختيار والاصطفاء لشعب إسرائيل وما قبله من أسلافه دون سواهم، ليكونوا ریحانة الدنيا وورثة الأرض وسادات الأمم، وشعباً خاصاً للرب من دون العالمين. ومن مقتضيات هذا الاختيار ولوازمه تنفيذ العهد المبرم من الطرفين: الرب والشعب المختار. فالعهد والاختيار كلاهما علامة على الآخر ودال عليه، وكلاهما معنيان متلازمان ومتداخلان، ذلك أن "الله قطع عهداً مع آدم وجدّده من ثمّ مع نوح وإبراهيم من بعده. وفي قرابة 1250 ق.م، بعد مغادرة العبرانيين ومن صحبهم من غرباء مصر بقيادة موسى، عقدوا

بسيناء عهدا يعترفون بموجبه بيهوه إلهها وحيدا، ويعترف بهم يهوه شعبا مختارا له. ويتعهدون فيه كذلك بالتقيد بشرعية موسى لا سيما الوصايا العشر.<sup>(1)</sup>

ففي العهد إذن التزامات وواجبات من جهة الشعب أيضا، للقيام بأمر محدّد من الإيمان والعمل. ويشير المسيحي إلى أن العهد مع إبراهيم كان في بداية الأمر منحة إلهية ولم يكن عقداً بين طرفين. ولكن تحت تأثير تعاليم الأنبياء، ظهرت فكرة العقد المتبادل، وهو أن الشعب يُطيع الإله ويتبع الشريعة، وإن الإله بذلك سيرعاه ويحميه، أي إن الاختيار كان مشروطاً بفعل الخير. لكن هذا الموقف سرعان ما تآكل وأصبح العهد مرة أخرى عهداً أبدياً. فقد يخطئ هذا الشعب، وقد يعصي ويفسد، بل قد يعاقبه الإله، لكنه سيبقى مع ذلك شعباً مختاراً. ويذكر المسيحي أن بعض مفكري اليهود يرون أن هذا العهد الذي بين الإله والشعب مُلزم للرّب وحده، وليس مُلزماً للشعب، لأنه هو الذي قطعه على نفسه.<sup>(2)</sup> وعلى هذا يحصل الشعب على القداسة الدائمة كوصف ملازم له، لا ينفك عنه مهما صدر منه من أعمال موجبة للخروج من العهد، وسيظلّ دوماً موسوماً بشعار شعب الله المختار.

وبالرجوع إلى بنود العهد ومقتضياته وعلاماته في كل مرحلة من مراحلها، نجد أن علامة العهد مع نوح كانت قوس قزح، وهو دليل الأمان من قبل الرب لأهل الأرض، كما في سفر التكوين: [وَقَالَ اللَّهُ: «هَذِهِ عَلَامَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ كُلِّ ذَوَاتِ الْأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ إِلَى أَجْيَالِ الدَّهْرِ: وَضَعْتُ قَوْسِي فِي السَّحَابِ

(1) معجم الحضارات السامية، هنري س عبودي، ص 625.

(2) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب محمد المسيحي، ج 5، ص 76.

فَتَكُونُ عَلَامَةً مِيثَاقَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَرْضِ. فَيَكُونُ مَتَى أَنْشُرَ سَحَابًا عَلَى الْأَرْضِ، وَتَظْهَرَ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أَنِّي أَذْكُرُ مِيثَاقِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ. فَلَا تَكُونُ أَيْضًا الْمِيَاهُ طُوفَانًا لِتُهْلِكَ كُلَّ ذِي جَسَدٍ. فَمَتَى كَانَتِ الْقَوْسُ فِي السَّحَابِ، أُبْصِرُهَا لِأَذْكُرَ مِيثَاقًا أَبَدِيًّا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ كُلِّ نَفْسٍ حَيَّةٍ فِي كُلِّ جَسَدٍ عَلَى الْأَرْضِ». وَقَالَ اللَّهُ لِنُوحٍ: «هَذِهِ عَلَامَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا أَقِمُّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ كُلِّ ذِي جَسَدٍ عَلَى الْأَرْضِ».<sup>(1)</sup>

بينما كان الختان هو علامة العهد الذي عقده الرب مع إبراهيم، والذي بموجبه سيبارك الرب أبرام أي الأب الرفيع، ويغير اسمه إلى إبراهيم أي أبا الجمهور، ويكثر نسله حتى يصير بعدد نجوم السماء وحبّات الرمال على شواطئ البحار، فيكون أبا الأمم كثيرة، ويخرج من ذريته سادات وملوك. ويهبه الأرض الموعودة التي من وادي العريش في مصر إلى النهر الكبير أي نهر الفرات في العراق، له ولنسله من بعده منحة أبدية، وملكا موروثا. ويطبق عهد الأبد بينه وبين إبراهيم، ثم بينه وبين نسله من بعده جيلا بعد جيل، ويكون له ربا خاصا ولنسله من بعده.

وكل هذه الوعود من قبل الرب، يشترط لها أن يحفظ إبراهيم وذريته عهد الختان، فيختتن هو وذريته ومن يقع تحت أيديهم ممن اشتروهم من أبناء الأغيار، وكل من لم يختتن فهو ناكث للعهد وخارج منه، ولذلك يستأصل كل من لم يف بعهد الرب من قومه. فجاء في سفر التكوين: [وَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: «وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظْ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ. هَذَا هُوَ عَهْدِي الَّذِي تَحْفَظُونَهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ

(1) التكوين 9: 12-17 (الكتاب المقدس، ترجمة فان دايك، ص 9)

نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ: يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ، فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلَامَةً عَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ. ابْنُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ يُخْتَنُ مِنْكُمْ كُلُّ ذَكَرٍ فِي أَجْيَالِكُمْ: وَلِيدُ الْبَيْتِ، وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّةٍ مِنْ كُلِّ ابْنِ غَرِيبٍ لَيْسَ مِنْ نَسْلِكَ. يُخْتَنُ خِتَانًا وَلِيدُ بَيْتِكَ وَالْمُبْتَاعُ بِفِضَّتِكَ، فَيَكُونُ عَهْدِي فِي لَحْمِكُمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. وَأَمَّا الذَّكَرُ الْأَغْلَفُ الَّذِي لَا يُخْتَنُ فِي لَحْمِ غُرْلَتِهِ فَتُقَطَّعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا. إِنَّهُ قَدْ نَكَثَ عَهْدِي».<sup>(1)</sup>

فالختان، وحسب تعبير المسيحي، هو علامة العهد بين الإله وإبراهيم وجماعة إسرائيل، وهو ما أسبغ القداسة عليهم. ولهذا، فإن من لم يُختَن لا يعتبر فرداً من الشعب المقدس لأن الإله لا يحل فيه. كما أن الختان علامة أن الإله منح جماعة إسرائيل أرض الميعاد «وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم»<sup>(2)</sup> وإذا كان الإله يمنحهم الأرض، فإن الختان على مستوى من المستويات هو القربان الذي يقدمونه له.<sup>(3)</sup>

ومن عجائب التوراة وتضارباتها أن يكون إسماعيل أول المختونين من ذرية إبراهيم، فيدخل بذلك في عهد الختان، كما جاء في التوراة: [فَأَخَذَ إِبْرَاهِيمُ إِسْمَاعِيلَ ابْنَهُ، وَجَمِيعَ وَلَدَانِ بَيْتِهِ، وَجَمِيعَ الْمُبْتَاعِينَ بِفِضَّتِهِ، كُلَّ ذَكَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ إِبْرَاهِيمَ، وَخَتَنَ لَحْمَ غُرْلَتِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَيْنِهِ كَمَا كَلَّمَهُ اللَّهُ].<sup>(4)</sup>

(1) التكوين 17: 9-14 (الكتاب المقدس، ترجمة فان دايك، ص 17)

(2) التكوين 17: 8 (الكتاب المقدس، ترجمة فان دايك، ص 16)

(3) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيحي، ج 5، ص 207.

(4) التكوين 17: 23 (الكتاب المقدس، ترجمة فان دايك، ص 17)

لكنه مع ذلك لا يدخل في عهد الرب الذي أبرمه مع إبراهيم، والذي ينال بموجبه القداسة وأرض الميعاد. فقد أقصت التوراة إسماعيل من ذلك، فلا ينال من الوعود التي تعهّد الرب على نفسه أن يفي بها لأبيه إبراهيم. فلا يرث إسماعيل بركة أبيه، ولا تصير له السيادة على الأرض، ولا يكون له الرب إلهًا خاصًا، خلافا لما عليه شأن أخيه إسحاق؛ الذي استأثر بالموعودات كلها. فإلى ابن سارة وحده سارت بركة إبراهيم وانتهت أوسمة الاصطفاء والاجتباء والحظوة. فنال إسحاق شرف الدخول في عهد الرب والاستئثار به. فاستأثر بالعهد والرب معا.

أما إسماعيل وحسب وصف التوراة له ولأمه، هو ابن جارية ليس إلا، ولكونه من ولد إبراهيم، فإنه سينال بعض الخير والبركة من تكثير النسل، وينحصر الأمر عند ذلك الحد ولا يتعدّاه، فلا يدخل في عهد الرب الذي أبرمه مع إبراهيم ولا يرثه في ذلك. ولا يشملُه العهد والوعد. فجاء في سفر التكوين ما نصه: [وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لِإِبْرَاهِيمَ يَمَزُحُ، فَقَالَتْ لِإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَّةَ وَابْنَهَا، لِأَنَّ ابْنَ هَذِهِ الْجَارِيَّةِ لَا يَرِثُ مَعِ ابْنِي إِسْحَاقَ». فَقَبَحَ الْكَلَامُ جِدًّا فِي عَيْنَيِ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ. فَقَالَ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ: «لَا يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلَامِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَّتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا، لِأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. وَابْنُ الْجَارِيَّةِ أَيْضًا سَاجِدٌ أُمَّةً لِأَنَّهُ نَسْلُكَ»].<sup>(1)</sup>

(1) التكوين 21: 9-13 (المصدر السابق، ص 14)

فالتوراة واضحة في التنصيص على أن ابن الجارية لا ينبغي له أن ينال إرث إبراهيم. ويوضح النص أيضا رغبة الرب في ذلك وتأييده لقول سارة، وتأكيده أن النسل الذي سيُدعى ويوصف بأنه نسل إبراهيم هو ما سينحدر من إسحاق.

أما إسماعيل وذريته الذين من نسله فليسوا من سيُدعون نسله، أي ليسوا النسل الذي سيحظى بالاصطفاء والاجتباء والسيادة، إلا أنه نظرا للقرابة الدموية والبنوة التي تربط إسماعيل بإبراهيم فلن يُحرم من بعض الخير، شفقةً من الرب على إبراهيم الذي آذاه كلام سارة، فمشاعر الأبوة نحو إسماعيل جعلته يستقبح كلامها، إلا أن الرب نهاه عن ذلك، ووعدته بأن يجعل من ابنه إسماعيل أمة، دون أن يرد لها في التوراة وصف بالكبر أو البركة أو غيرها. فجاء في الترجمة التفسيرية للنص السابق: [وَأَسْمَعْ لِكَلَامِ سَارَةَ فِي كُلِّ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ لِأَنَّهُ بِإِسْحَقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. وَسَأُقِيمُ مِنْ ابْنِ الْجَارِيَةِ أُمَّةً أَيْضًا لِأَنَّهُ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ].<sup>(1)</sup> وفي هذا كله محاولة من كاتب التوراة لإخراج إسماعيل وذريته من العهد ولو بهذه الطرائق الملتوية في التعبير.

وعلى ذلك، كان إسحاق هو الوارث الوحيد لإبراهيم، بعد أن تمّ إبعاد إسماعيل وغيره من ذرية إبراهيم، فتحكي التوراة: [وَأَعْطَى إِبْرَاهِيمُ كُلَّ مَا لَهُ لِإِسْحَقَ. وَلَبَنِي السَّرَارِيِّ الَّتِي لِإِبْرَاهِيمَ وَهَبَ إِبْرَاهِيمُ هِبَاتٍ، وَصَرَفَهُمْ، وَهُوَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، بَعِيدًا عَنْ إِسْحَقَ ابْنِهِ، شَرْقًا إِلَى أَرْضِ الْمَشْرِقِ].<sup>(2)</sup> فنال إسحاق كل ما كان عند إبراهيم من البركة والمال والمتاع، بينما تم إبعاد أبناء الجواري الذين هم من سلالة إبراهيم أيضا، وذلك

(1) التكوين 21: 12-13 (كتاب الحياة، ص 24)

(2) التكوين 25: 5-6 (ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص 104)

بعد أن أعطوا هبات -بصيغة النكرة- ليتمّ صرفهم بها وإبعادهم إلى أراض نائية وبلاد بعيدة، في أقاصي صحراء المشرق، حتى يخلو وينفرد إسحاق بإرث أبيه.

وتحدّث ألبيرتو دانزول Alberto D'Anzul عن سبب إبعاد إسماعيل وعيسو مع أنهما كانا أحق بأن يظهرأ بين الآباء لشعب إسرائيل بدلا من إسحاق ويعقوب، لأنهما بكرا إبراهيم وإسحاق على التوالي، بينما الآخرا أصغر منهما. وذكر أن العلة في ذلك هي أن إسماعيل ابن أمة مصرية، فذريته حسب تعبير دانزول ملوثة. أما عيسو فقد تزوج من نساء أجنبيات، وأدخل دماء غريبة في الجنس العبري، فذريته على ذلك غير طاهرة: ولذلك أبعادوا.<sup>(1)</sup>

خلافا لما عليه شأن يعقوب الذي حافظ على طهارة الدم وصفاء السلالة، فروي في التوراة أن رفقة زوجة إسحاق ضاقت ذرعا باختلاط النسب الذي سببه الزواج المختلط لابنهما الأكبر عيسو، فقالت رفقة لابنها الأصغر مرشدة ومعلمة وناصحة ألا يصنع مثل صنيع أخيه الذي تزوج من النساء الأجنبيات، بل عليه ألا يأخذ له زوجة إلا من بنات جنسه. فإن لم يصنع ما نصحته به فالموت عندها خير لها من الحياة، فجاء في سفر التكوين: [ثُمَّ قَالَتْ رِفْقَةُ لِإِسْحَاقَ: «قَدْ كَرِهْتُ حَيَاتِي مِنْ جَرَاءِ الْبَنَاتِ الْحَثِّيَّاتِ، فَإِنْ تَزَوَّجَ يَعْقُوبُ مِنَ الْحَثِّيَّاتِ بَنَاتِ هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُمَائِلَاتِ لِزَوْجَتِي عَيْسُو، فَإِنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي»].<sup>(2)</sup> وكان يعقوب مطيعا لأمه وأبيه الذي أوصاه هو أيضا ألا يتزوج من النساء الكنعانيات، بل من بنات خاله، فجاء في سفر التكوين: [فَاسْتَدْعَى إِسْحَاقُ

(1) ينظر: اليهود والغيرية: غير اليهود في منظار اليهودية، ألبيرتو دانزول، ترجمة: ماري شهرستان، الأوائل للنشر والتوزيع: دمشق، ط1: 2004م ص46.

(2) التكوين 27: 46 (كتاب الحياة، ص35)

يَعْقُوبَ وَبَارَكَّهُ وَأَوْصَاهُ قَائِلًا: «لَا تَتَزَوَّجُ مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ. قُمْ انْطَلِقْ إِلَى سَهْلِ أَرَامَ، إِلَى بَيْتِ بَثُوثِيلَ أَبِي أُمِّكَ، وَتَزَوَّجْ إِحْدَى بَنَاتِ خَالِكَ لَأَبَانَ.»<sup>(1)</sup>

فكان الهوس السلالي، والحفاظ على نقاء الدم وعدم اختلاطه بدم الأغيار حاضرا بقوة في التوجيهات التوراتية، لتمرير التميّز السلالي، وتقدير صفاء النسب. مع أن ذلك لم يكن هو واقع شعب التوراة، فقد طبع الزواج المختلط تاريخ اليهود كلّهُ. وإنّ من خلال هذه الإشارات السالفة، يمكن ملاحظ أن قضية العرق والدم جوهرية في الفكر التوراتي، وهي من الأسس التي قام عليها الجدار الفاصل بين "الأنا" و"الآخر" في الفكر الديني اليهودي.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب، ويلزم الوقوف عنده مليّا، مسألة العهد مع إبراهيم وجعل الختان علامة أبدية عليه، وارتباط هذه الشعيرة بطقس الدم الذي له أبعاده ودلالاته في الفكر الديني اليهودي. فالدم كما يوضح "ديفيد بيل" David Biale ليس قضية إيمان واعتقاد فقط، بل يدخل أيضا في الشعائر والممارسات، كما في طقوس القرابين والختان. وتجتمع في الدم الرمزية والمادة في آن واحد، فهو رمز مجرد له معانيه ودلالاته الذهنية، كما أنه مادة محسوسة ملموسة. وعلى حد تعبير "روي واغنز" Roy Wagner فالدم رمز قائم بذاته، ويحيل على معان عديدة ومتعارضة كالحيّة والموت، كما يعتبر رمزا للطهارة أو النجاسة، وإن سيولة الدم المادية انكعست على رمزيته، فسيولته من الناحية الرمزية هي مصدر قوته، إذ يمكن أن يجمع بين العديد من

(1) التكوين 28: 1-2 (كتاب الحياة، ص 35)



الدلالات والمعاني التي قد تكون متناقضة أحياناً<sup>(1)</sup>، وهو ما يجمع أيضاً بين المعاني المجردة والعناصر المادية الملموسة في آن واحد.

إن قضية الدم حسب "ديفيد بيل" هي التي تثير التساؤل عن مساحة الانتماء إلى الطائفة، وأين تنتهي حدودها؟ وتثير السؤال عن الأبعاد التي تنتهي عندها حدود الجماعة. فمع أن الدم هو العنصر المشترك بين سائر الناس، إلا أنه أيضاً هو ما يفصل ويميّز بينهم، فهو سائل عالمي لكنه كذلك علامة للتفريق والميز. وإن جدلية الدم الذي يوحد والدم الذي يفرّق هي ما كان موضوع سجلات اليهود لدهر طويل.<sup>(2)</sup> الذين يرى كهنتهم أنه بالدم يتوحد الإنسان مع الرب.<sup>(3)</sup>

وإن الختان بلا ريب كان دمويًا، ولطقس الدم رمزته الخاصة عند اليهود، كما أشار إلى ذلك أيضاً ألبيرتو دانزول Alberto D'Anzul، حينما تحدّث عن الطهارة الطقسية الشعائرية عند الإسرائيليين، وذكر أنها كانت تحصل بشكل عام عن طريق الماء، ومن ذلك أن موسى غسل كهنته بالماء وهو يعلمهم، كما في سفر اللاويين: [فَقَدَّمَ مُوسَى هَارُونَ وَبَنِيهِ وَغَسَّلَهُمْ بِمَاءٍ]<sup>(4)</sup>؛ إلا أن التطهير بالماء في بعض الحالات لا يكفي، فيكون الدم هو القوة المطهرة اللازمة. وبهذه الطهارة الطقسية المخصصة تحلّ القدسيّة ويتوثّق العهد ويتأكد.<sup>(5)</sup> كما في سفر الخروج [وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ. وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى

(1) D. Biale, Blood and Belief: The Circulation of a Symbol between Jews and Christians (University of California Press, 2008) P.4.

(2) Biale, Blood and Belief: The Circulation of a Symbol between Jews and Christians P.6.

(3) Ibid.9

(4) سفر اللاويين 8: 6. (ترجمة فان دايك، ص125)

(5) ينظر: اليهود والغيرية: غير اليهود في منظار اليهودية، ألبيرتو دانزول، ص58.

الشَّعْبِ وَقَالَ: هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ.<sup>(1)</sup> وعليه فبرش موسى الدَّم على بني إسرائيل انعقد العهد وتوثق.

إن الأمر إذن يتعلق بتوثيق العهد عن طريق تطهير طقسي؛ والذي بمجرد حصوله تحلّ القدسية ويتقدس الكهنة من قبل الرب، كما في سفر الخروج: [لِتَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي يُقَدِّسُكُمْ]<sup>(2)</sup>؛ فبالدم يحصل التقديس [وَتَأْخُذُ مِنَ الدَّمِ الَّذِي عَلَى الْمَذْبَحِ، وَمِنْ دُهْنِ الْمَسْحَةِ، وَتُقَطَّرُ مِنْهُ عَلَى هَرُونَ وَبَنِيهِ وَعَلَى ثِيَابِهِمْ، فَيَتَقَدَّسُونَ هُمْ وَثِيَابُهُمْ لِلرَّبِّ]<sup>(3)</sup>. ولما غسل بالطهارة الطقسية رجس أبناء إسرائيل ولم يعودوا ملوثين، وبعد أن قدّسهم الرب. يستطيع إلههم "يهوه"<sup>(4)</sup> حينئذ أن يحلّ وسطهم.

فأمر الرب موسى أن يكلم بني إسرائيل في شأن خيمة الاجتماع قائلا: [فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِسًا لِأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ]<sup>(5)</sup> وقال في موضع آخر: [وَأَجْتَمِعُ هُنَاكَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَيُقَدِّسُ بِمَجْدِي. وَأُقَدِّسُ خِيَمَةَ الْجَمَاعَةِ وَالْمَذْبَحَ، وَهَارُونَ وَبَنُوهُ أَقَدِّسُهُمْ

(1) سفر الخروج 24: 7-8 (ترجمة فان دايك، ص 92)

(2) سفر الخروج 31: 13 (ترجمة فان دايك، ص 103)

(3) الخروج 29: 21 (كتاب الحياة، ص 110)

(4) "يهوه" هو اسم الإله القومي لليهود، وطريقة لفظ هذه الكلمة مجهولة. وتطلق عليها عبارة "Tertragramme" أي الكلمة الرباعية، وتكتب "YHWH" دون أحرف العلة، وتكتب أحيانا "Jéhovah" باعتبار أنها الأقرب طريقة لفظها المقدرة، يقول إيزيدور إيشتاين: "إن طريق لفظ الكلمة الرباعية مجهول، لذلك يجدر بنا أن نترك التسمية الإلهية دون أحرف علة"، أما سبب اندثار طريقة لفظ الكلمة فيرى الأستاذ شاوول لبرمان saul leibermann أنه بسبب تفسير غريب للأصحاح 20: 7 من سفر الخروج: لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا. وكذلك الأصحاح 24: 11 وما يليه من سفر الأخبار. وهكذا فقدت طريقة نطق الاسم. (ينظر: التوراة تاريخها وغياتها، ترجمة سهيل ديب، دار النفائس: بيروت، د.ت ص 94-95)

(5) الخروج 25: 8 (ترجمة فان دايك، ص 93)

لِيَكَيْ يَكْهَنُوا لِي. وَأَسْكُنْ فِي وَسْطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُهُمْ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِأَسْكُنَ فِي وَسْطِهِمْ. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُهُمْ. <sup>(1)</sup> فبالدم تطهر الشعب ثم تقدس، فكان أهلا لأن يكون الرب وسطه <sup>(2)</sup>. [وَأَجْعَلَ مَسْكَنِي فِي وَسْطِكُمْ، وَلَا تَرُدُّكُمْ نَفْسِي. وَأَسِيرُ بَيْنَكُمْ وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي شَعْبًا]. <sup>(3)</sup> وصار بنو إسرائيل إثر ذلك التقديس ونتيجة لتلك الطهارة الشعب الخاص بالرب، ولذلك فهو محلّ بينهم، ويسكن وسطهم.

ويعلق ألبيرتو دانزول على ما سبق قائلا: "يجب أن نفهم -بدون شك- أن الحضور الإلهي في وسط إسرائيل هو أحد الأسباب العميقة لرفض الأجنبي: إذ أنه يمكن للأجنبي أن ينقل تلوته ورجسه بالعدوى إلى الإسرائيلي، والذي بدوره قد ينقله لله، وهذا معناه تدنيسه." <sup>(4)</sup>

ورمزية الدم حاضرة أيضا في تمييز الرب "يهوه" لبيوت بني إسرائيل في أرض مصر كما جاء خبر ذلك في التوراة: [وَيَكُونُ لَكُمْ الدَّمُ عَلَامَةً عَلَى الْبُيُوتِ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا، فَأَرَى الدَّمَ وَأَعْبُرُ عَنْكُمْ، فَلَا يَكُونُ عَلَيْكُمْ ضَرْبَةٌ لِلْهَلَاكِ حِينَ أَضْرِبُ أَرْضَ مِصْرَ] <sup>(5)</sup>. كما أنه كثيرا ما رشّ النبي موسى بالدم الشعب والمذبح معا، وسماه دم العهد، وتحكي التوراة: [فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ. وَبَكَرَ فِي الصَّبَاحِ وَبَنَى مَذْبَحًا فِي أَسْفَلِ

(1) الخروج 29: 43-46. (ترجمة فان دايك، ص 101)

(2) ينظر: اليهود والغيرية: ألبيرتو دانزول، ص 58.

(3) اللاويين 26: 11-12 (ترجمة فان دايك، ص 151)

(4) اليهود والغيرية، ألبيرتو دانزول، ص 58.

(5) الخروج 12: 13 (ترجمة فان دايك، ص 77)

الجبل، وَاثْنَيْ عَشَرَ عَمُودًا لَأَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ الْاِثْنَيْ عَشَرَ. وَأَرْسَلَ فِثْيَانَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَضَعُوا مُحْرَقَاتٍ، وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ لِلرَّبِّ مِنَ الشَّيْرَانِ. فَأَخَذَ مُوسَى نِصْفَ الدَّمِ وَوَضَعَهُ فِي الطُّسُوسِ. وَنِصْفَ الدَّمِ رَشَّهُ عَلَى الْمَذْبَحِ. وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ، فَقَالُوا: كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعَلُ وَنَسْمَعُ لَهُ. وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمَ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ.<sup>(1)</sup>

ويعلق مترجمو النسخة اليسوعية للكتاب المقدس على هذا النص قائلين: "موسى بصفته الوسيط بين الرب والشعب، يوحد بينهما رمزيا برش دم ذبيحة واحدة على المذبح الذي يمثل الرب، ثم على الشعب. فالميثاق يبرم بالدم."<sup>(2)</sup>

وبناء عليه، فبالاشتراك في الدم نفسه - كما يرى دانزول - يصبح الشعب والرب أقرباء، وتربطهم صلات دموية، فهم حلفاء يتشاركون في الحياة نفسها. وبرابطة الدم أصبح العبرانيون أبناء يهوه، [أَنْتُمْ أَوْلَادُ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ]<sup>(3)</sup>. وبالنبوة المشتركة وبرمزية الدم يصنع الشعب الواحد، وذلك بدم الجدود ودم العهد<sup>(4)</sup>.

وإن الإشارات إلى الأعمال والطقوس الدموية في التوراة، ماهي إلا تربية وتعويد على الدم، ونشر لثقافة الدم، وتوطئة لمناظر القتل الدموية، ففي سفر حزقيال: [يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي أَهْيَيْكَ لِلدَّمِ، وَالِدَّمُ يَتْبَعُكَ. إِذْ لَمْ تَكْرَهُ الدَّمَ فَالِدَّمُ يَتْبَعُكَ. فَأَجْعَلُ جَبَلَ سَعِيرٍ خَرَابًا وَمُقْفِرًا، وَأَسْتَأْصِلُ مِنْهُ الدَّاهِبَ وَالْآئِبَ. وَأَمْلَأُ جِبَالَهُ مِنْ قَتْلَاهُ. تِلْأَلُكَ

(1) الخروج 24: 4-8 (ترجمة فان دايك، ص 92)

(2) الكتاب المقدس، ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص 194.

(3) التثنية 1: 14 (ترجمة فان دايك، ص 225)

(4) ينظر: اليهود والغيرية، ألبيرتو دانزول، ص 47.

وَأَوْدَيْتَكَ وَجَمِيعُ أَنْهَارِكَ يَسْقُطُونَ فِيهَا قَتْلَى بِالسَّيْفِ. وَأَصِيرُكَ خَرَبًا أَبَدِيَّةً، وَمُدُّكَ لَنْ تَعُودَ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ.<sup>(1)</sup>

فقضية الدم في الفكر التوراتي كانت حاضرة على الدوام. وينبّه دانزول إلى أنّ ختان إبراهيم عليه السلام كان دمويًا، كما أن الصراع العنيف الذي خاضه يعقوب ضد "يهوه" انتهى بجرح دموي. والدم المطروح الناجم عن الصراع والختان هما الأصل في تحوّل كينوني، تكلّل بتغير الاسم في كل مرة، فبإرادة الله أصبح أبرام إبراهيم، وأصبح يعقوب إسرائيل.

ويتأوّل دانزول مسألة تغيير الأسماء هذه بكونها رمزا للامتلاك، مثلما حصل آدم على سلطته على الحيوانات عندما أعطاهها أسماء. ولذلك عندما سمّي "يهوه" إبراهيم ويعقوب بعدما سال دمهم، كان ذلك رمزا على أنه امتلك شخصيتهما، وعرضيا أصبحت إسرائيل المنحدرة منهما الملك الخاص والشعب الخاص لـ "يهوه" بعد العهد والدّم الذين مهّرت بهما.<sup>(2)</sup>

وقد جاء في التوراة: [إِنْ أَطَعْتُمْ عَهْدِي، تَكُونُونَ لِي مَلِكًا خَاصًّا مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. لِأَنَّ لِي كُلَّ الْأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً]<sup>(3)</sup>. ويعلق القمص روفائيل البرموسي قائلا: "العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم، ثم مع موسى على جبل سيناء، بموجب هذا العهد يصبح يهوه إله إسرائيل، ويصبح إسرائيل شعب الله."<sup>(4)</sup>

(1) سفر حزقيال 35: 6-9 (ترجمة فان دايك، ص 913)

(2) ينظر: اليهود والغريبة، ألبيرتو دانزول، ص 58-59.

(3) الخروج 19: 5-6. (كتاب الحياة، ص 95)

(4) الحياة اليهودية بحسب التلمود، القمص روفائيل البرموسي، ص 37.

وعليه، فإن من مقتضيات هذا العهد الذي قطعه الرب مع موسى، والذي توثق برش دم العهد على بني إسرائيل، أن يصير هذا الشعب الملك الخالص والخاص للرب من بين سائر أمم الأرض، وأن يجعل منهم أمة مقدسة، إذا حفظوا العهد وراعوا الوصايا التي كتبها موسى على اللوحين. فجاء في سفر التثنية: [وَأَسْتَطَرَدَ الرَّبُّ: «دَوْنُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، لِأَنِّي طَبَقًا لِنَصِّهَا أَبْرَمْتُ مَعَكَ وَمَعَ إِسْرَائِيلَ مِيثَاقًا» ... فَدَوَّنَ عَلَى اللَّوْحَيْنِ كَلِمَاتِ الْعَهْدِ، أَيِ الْوَصَايَا الْعَشْرِ<sup>(1)</sup>](2).

وحسب "جاكوب نيوسنر" Jacob Neusner فإن العهد هو الذي وثق وبين العلاقة الخاصة التي قامت بين الرب وشعب إسرائيل، وقد تم التنصيص في ذلك العهد على

(1) وقد وردت هذه الوصايا العشر في أكثر من موضع في التوراة، فقد جاءت في سفر الخروج في الأصحاح 20: 2-17، وفي الأصحاح 34: 6-28. وفي سفر التثنية 5: 6-21. وهذه هي الوصايا كما وردت في سفر التثنية: [فَقَالَ الرَّبُّ: أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي حَزَرَكَ مِنْ سِجْنِ الْعُبُودِيَّةِ فِي دِيَارِ مِصْرَ. لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لَا تَنْحِتْ لَكَ تِمْنَالًا، وَلَا صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا فِي الْمَاءِ تَحْتَ الْأَرْضِ. لَا تَسْجُدْ لَهَا وَلَا تَعْبُدْهَا، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرُورٍ، أَفْتَقِدُ مَعَاصِيَ الْآبَاءِ فِي الْأَبْنَاءِ حَتَّى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِي. وَأُحْسِنُ إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُجِبِّي وَطَائِعِي وَصَايَايَ. لَا تَنْطِقُ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهُكَ بَاطِلًا، لِأَنَّ الرَّبَّ لَا يُبْرِئُ مَنْ يَنْطِقُ بِاسْمِهِ بَاطِلًا. احْفَظْ يَوْمَ السَّبْتِ مُقَدَّسًا كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَشْتَغَلُ وَتَقُومُ بِجَمِيعِ أَعْمَالِكَ، وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَيَكُونُ يَوْمَ رَاحَةٍ لِلرَّبِّ إِلَهُكَ، لَا تَقُومُ فِيهِ بِأَيِّ عَمَلٍ أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ وَكُلُّ بهائمِكَ، وَالْأَجْنَبِيُّ الْمُقِيمُ دَاخِلَ أَبْوَابِكَ، لِيَسْتَرِيحَ عَبْدُكَ وَأَمَتُكَ مِثْلَكَ. وَتَذَكَّرُ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا فِي دِيَارِ مِصْرَ، فَأَطْلَقَكَ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ بِقُدْرَةٍ فَائِقَةٍ وَقُوَّةٍ شَدِيدَةٍ، لِهَذَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَنْ تَرْتَاحَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ. أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّاكَ كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ، فَتَطُولَ أَيَّامُكَ وَيَكُونَ لَكَ خَيْرٌ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُورِثُهَا لَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ. لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ عَلَى جَارِكَ شَهَادَةً زُورٍ. لَا تَشْتَهَ امْرَأَةً غَيْرِكَ وَلَا بَيْتَهُ وَلَا حَقْلَهُ وَلَا عَبْدَهُ وَلَا أَمَتَهُ وَلَا نَوْرَهُ وَلَا حِمَارَهُ وَلَا كُلَّ مَا لَهُ.] سفر التثنية 5: 6-28 (كتاب الحياة، ص 238)

(2) التثنية 5: 1-21 (كتاب الحياة، ص 237-238)

أمرين أساسيين: الأرض والتوراة، وكلا هذين الأمرين يشيران إلى أن شعب إسرائيل شيء مختلف عن باقي الشعوب من جهة، وكذلك هو شعب مختار من جهة أخرى.<sup>(1)</sup>

وصفوة القول من كل ما سبق، إن العهد الدموي المعقود بين الرب وإبراهيم وذريته في هيئة الختان، ثم مع إسحاق الذي انفرد بإرث إبراهيم دون إسماعيل، ومن بعده يعقوب عقب الصراع الدموي مع الرب الذي بورك من خلاله وغيّر اسمه إلى إسرائيل، ثم مع شعب إسرائيل بواسطة موسى الذي رشّ دم العهد على الشعب، فصار شعباً مقدساً؛ كل ذلك بُني وأُسّس على مفهومي العهد والاختيار، ودفع في اتجاه واحد يؤدي إلى نتيجة نهائية واحدة مفادها: إن شعب إسرائيل أمة مقدسة وشعب الله المختار. فكل تلك العهود على امتداد التاريخ العبري تضمنت الوعود بالانفراد بالقداسة والرب والأرض.

ومن ذلك، كان بروز مفهوم ومصطلح الشعب المختار كعقيدة جوهرية في الفكر الديني اليهودي، وكمحصلة لكل العهود والوعود التي مهدت لنشوء وتكوّن وحياسة المصطلح الذي جاء تتويجاً لسلسلة من الاصطفاءات والاقصاءات عبر المراحل التاريخية في الديانة اليهودية.

وبناء على عقيدة الاختيار هذه تقوم النظرة إلى "الآخر" غير المقدس، الذي يقع خارج العهد ولا ينتمي إلى الشعب المختار، ولا يدخل ضمن دائرة القداسة ومحبة الرب الخاصة. حيث إن مبدأ الاختيار قام على أساس واحد، هو المحبة المحضة والخالصة من قبل الرب لشعبه الخاص دون غيره من الشعوب، فالآخرون إذن على هذا الأساس لا

(1) J. Neusner, The Classics of Judaism: A Textbook and Reader (Westminster/John Knox Press, 1995) P.156.

تعنيهم هذه المحبة ولا تنالهم هذه الحظوة. وعن قداسة شعبه الخاص وسبب اختياره له، يقول الرب في التوراة: [لَأَنْتُمْ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ. فَإِيَّاكُمْ قَدْ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ شُعُوبِ الْأَرْضِ لِتَكُونُوا شَعْبَهُ الْخَاصَّ. وَلَمْ يُفَضِّلْكُمْ الرَّبُّ وَيَتَخَيَّرْكُمْ لِأَنَّكُمْ أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، فَأَنْتُمْ أَقَلُّ الْأُمَمِ عَدَدًا. بَلْ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَحِفَاطًا عَلَى الْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمَ بِهِ لِإِبَائِكُمْ]<sup>(1)</sup>

ويرى عبد الوهاب المسيري أن اليهودية في العصر الحديث من اليهودية المحافظة والأرثوذكسية أبقوا على مفهوم الاختيار وزادوه عمقا، بينما تمردت اليهودية الإصلاحية على ذلك المفهوم بمعناه العنصري، وأحلّوا محله فكرة الرسالة، ومفادها أن الإله شتّت اليهود في أنحاء الأرض، لا كعقاب لهم، وإنما لينشروا رسالته.<sup>(2)</sup>

وإجمالاً، فقد فُسر هذا الاختيار حسب المسيري بأنه تكليف ديني وعلامة للتفوّق، كما وُصف كذلك بأنه أمر رباني وسر من أسرارهِ.<sup>(3)</sup> بينما يذهب جاكوب نيوسنر Jacob Neusner إلى القول بأن سبب الاختيار الإلهي، وإبرام العهد بين الرب وشعب إسرائيل على وجه الخصوص، هو قبول هذا الشعب التوراة دون غيره من باقي الأمم، فالأغيار حسب رأيه لم يقبلوا التوراة، بينما قبلتها إسرائيل، وذاك ما صنع الفرق.<sup>(4)</sup>

(1) التثنية 7: 6-8 (كتاب الحياة، ص 240)

(2) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري، ج 2، ص 26.

(3) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية الموجزة، عبد الوهاب المسيري، ج 2، ص 26.

(4) Neusner, The Classics of Judaism: A Textbook and Reader P.156.



ويبقى التأويل الأكثر شيوعاً عند اليهود لفكرة "الاختيار"، أنه ناجم عن إرادة الإله المطلقة المبنية على الحب الإلهي لهذا الشعب، وعلى طبيعة العهد والميثاق الذي ألزم الإله به نفسه تجاه شعبه. فهو اختيار لم يأت بسبب كثرة عددهم، بل نتيجة مباشرة لحبّ إلهي خاص، ووعد لأبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب.<sup>(1)</sup> وهذا ما جاء صريحاً في أكثر من موضع في التوراة: [وَلَا تَنْتَهُ قَدْ أَحَبَّ آبَاءَكُمْ، وَاخْتَارَ ذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، أَخْرَجَكُمْ بِنَفْسِهِ وَبِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَطَرَدَ مِنْ أَمَامِكُمْ أُمَمًا أَكْبَرَ مِنْكُمْ وَأَعْظَمَ، لِيَأْتِيَ بِكُمْ إِلَى أَرْضِهِمْ وَيُورَثَكُمْ إِيَّاهَا].<sup>(2)</sup>

وعلى العموم، فإن الموقف من "الآخر" من خلال نصوص التوراة. قائم على عقيدة مبدأ الاختيار. فقضية "الشعب المقدس أو المختار" عقيدة جوهرية وأصلية في الفكر الديني اليهودي، وعلى أساسها تقوم النظرة التوراتية إلى "الآخر" الذي يوجد خارج دائرة العهد والطهر والقداسة. ومن باب كون اليهود شعب مختار وأمة مقدسة تنطلق النظرة إلى "الآخر" غير اليهودي وعلى مفاهيمها تتأسس، وهو ما يبيّن طبيعة النظرة الاستعلائية إلى "الأنا" والازدرائية نحو "الآخر" من خلال نصوص التوراة، التي تجعل من اليهوديّ شخصاً سامياً ومقدساً، بينما في المقابل نجد "الآخر" المندس.

ومما طبع الخطاب التوراتي، الحديث عن الطاهر والنجس من الأطعمة والأشياء، والمقدس والمندس من الأشخاص والأعيان، فكثيراً ما دعا الرب شعب إسرائيل للتمييز بين الطاهر والنجس على غرار تمييزه هو نفسه لشعبه الخاص من بين سائر شعوب

(1) مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير منى أبو الفضل، ص 52.

(2) التثنية 4: 37-38 (كتاب الحياة، ص 237)

الأرض: [أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ الَّذِي مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ. فَتُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالتَّجَسَّةِ، وَبَيْنَ الطُّيُورِ النَّجِسَةِ وَالطَّاهِرَةِ. فَلَا تَدْخُسُوا نُفُوسَكُمْ بِالْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ، وَلَا بِكُلِّ مَا يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ مِمَّا مَيَّزْتُهُ لَكُمْ لِيَكُونَ نَجَسًا. وَتَكُونُونَ لِي قَدِّيسِينَ لِأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ، وَقَدْ مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي] (1).

ويقول عماد علي حسن في هذا السياق: "لذلك فإن اليهودي يزعم أنه طاهر مقدس لمجرد أنه يهودي مهما قارف الأقدار أو لاصق النجاسات، أما غير اليهودي فإنه نجس لأن الإله لم يختره للطهارة والقداسة." (2)

وإذا كانت التوراة تشجع للتمييز بين الطاهر والنجس، وتواصل لقانون التفريق بين المقدس والمدنس، وتمنع الاختلاط حتى بين النباتات والحيوانات: [لَا تُزَرِّبَ هَائِمَكَ جِنْسَيْنِ، وَحَقْلَكَ لَا تَزْرَعُ صِنْفَيْنِ، وَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ ثَوْبٌ مُصَنَّفٌ مِنْ صِنْفَيْنِ]. (3) فإن هذا القانون حسب رأي ألبيرتو دانزول قد انتقل إلى البشر أيضا، وصار سائرا عليهم؛ فمما استنبطه من التوراة أن الطاهر هو الذي يستطيع الاقتراب من الرب، أما الذي لا يصلح لعبادته فهو نجس. كما أن الرب بحسب دانزول يساوي بين إسرائيل الصالحة لعبادة يهوه والحيوان الطاهر الذي يمكن أن يستهلكه الإسرائيلي ويأكله. كما ساوى من جهة أخرى بين الحيوان النجس غير الصالح للاستهلاك والشعوب الأجنبية غير الصالحة لعبادة يهوه. ويخلص دانزول إلى أن الفرق بين إسرائيل والآخرين في منزلة

(1) اللاويين 20: 25-26 (ترجمة فان دايك، ص 143)

(2) الإسلام واليهودية: دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين (رسالة دكتوراه)، عماد علي عبد السميع حسن، دار الكتب العلمية: بيروت، ط 1: 2004 م ص 562.

(3) سفر اللاويين 19: 1-2 (ترجمة فان دايك، ص 140)

الفرق بين الطاهر والنجس، والمقدس والمدنس. ولهذا كان الاختلاط والامتزاج مع الآخرين ممنوعاً.<sup>(1)</sup>

وتذكر رقية علواني أن هذه النظرة الانعزالية تزداد كلما ساءت أحوال اليهود عبر التاريخ. ففي الوقت الذي تعرضوا فيه لمختلف الضربات من قبل البابليين، وتعددت فيه نكساتهم، والتي انتهت بالسبي البابلي وسقوط أورشليم عام 586 ق.م، نجد أن التأويل ينصرف إلى التأكيد على فكرة الانعزال عن "الآخر" والمنع من اختلاط شعب بني إسرائيل المقدس بغيره من الشعوب الأخرى لأنها مدنسة. وكلما ازدادت أحوالهم سوءاً ازداد الإصرار والتأكيد على فكر الانعزال.<sup>(2)</sup>

فالإصرار على قداسة شعب إسرائيل وطهارته واضح في نصوص التوراة التي سبق ذكرها. ومن نتائج ذلك أن يكون الشخص اليهودي إنساناً لا كغيره من الناس، إنساناً غير عادي، بسبب ما حظي به من قبل الرب من الامتيازات التي لم تعط لغيره؛ فهو جنس سامي ومعدن راقى لا يماثله ولا يشاكلة أحد من باقي البشر. وهو ما يصفه "أندريه نيهير" Andre Neher أحد الفرنسيين المعاصرين المتخصصين في الفكر اليهودي، حينما ذكر أن الإنسان اليهودي هو على عكس البشرية تماماً، إنه الإنسان الآخر، إنه إنسان ليس كالآخرين. فالنظرة الإلهية تجعل من اليهودي شيئاً غير عادي، فهو ليس إنساناً بالمعنى الأرضي، وإن هذه النظرة هي ما يكلّله بقداسة مثالية، وبالنسبة لنهر فاليهود

(1) ينظر: اليهود والغيرية، ألبيرتو دانزول، ص 48-49.

(2) ينظر: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير منى أبو الفضل، ص 52.

شعب يقع على حدود الإلهي والإنساني، فهو كاهن، ومرّي، ونموذج يقع على قمة الهرم الإنساني.<sup>(1)</sup>

ويبيّن دانزول أن هذه النظرة القائمة على استعلاء وتفوق الجنس اليهودي مما تكرّسه التوراة بشدّة. فنظرة التميّز تلك معروضة في نصوصها ومشروحة فيها بوضوح، فلا جدوى من الإيغال في التأويل والبحث عن المعاني الرمزية المثيرة للجدل، فقد أكد الحاخامات أنه لا نص توراتي يمكن أن ينتزع من معناه الحرفي.<sup>(2)</sup>

وإن صورة "الآخر" في التوراة تشكلت على خلفية عقيدة شعب الله المختار. تقول رقية العلواني: "فيما يتعلق بصورة [الآخر] في التوراة، فقد وردت عبارات عديدة في التوراة تبين طبيعة النظرة للآخر المختلف عن اليهودي المقدس في الأصل. وتعد فكرة [الاختيار الإلهي] لبني إسرائيل عقيدة جوهرية عندهم، ويرى علماءهم على اختلاف الجماعات المنتمين إليها أن الاختيار الإلهي عقيدة أصيلة عزّزتها نصوص التوراة."<sup>(3)</sup>

وبناء عليه، فصورة "الآخر" في التوراة اتسمت بالدونية والسفول، في مقابل علو وسمو وقداسة "الأنا" اليهودي. فإذا كان هذا الأخير "شعب الله المختار"، طاهرا ومقدسا، سامي المنشأ وسمائي المنزع وعلوي المقام؛ فلا بد في المقابل أن يتصف "الآخر" بالصفات المناقضة للأنا من الدنو والسفول والدنس؛ وإلا لما حصل التمايز والتفاضل، ولما كان للاختيار والاصطفاء معنى، وسيستوي الشعب المختار بالأغيار، وهذا طبعا ما ليس

(1) ينظر: ألوهية اليهودية، أندريه نهير، سيفير-باريس: 1989، نقلا عن: اليهود والغيرية، ألبيرتو دانزول، ص 39-40.

(2) ينظر: اليهود والغيرية، ألبيرتو دانزول، ص 103.

(3) مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، رقية العلواني وآخرون، ص 51.

واردا ولا واقعا. وإن من لوازم الايمان بقداسة "الأنا" الايمان بدناسة "الآخر" وحقارته. فمن المعلوم أن من لم يكن ضمن المقدس فهو مدنس لا محالة، وإلا لما كان للقداسة معنى في الأصل.

يقول القمص روفائيل البرموسي: "يعتبر اليهود أنفسهم شعب الله، وأنهم الشعب المختار، وأنهم أفضل شعب وأفضل أمة. أما باقي الشعوب فيأتون في الدرجة الثانية حتى ولو عبدوا الله الواحد."<sup>(1)</sup> وحسب رأي حسن ظاظا، فإن "الآخر" أي الأغيار أو الجوييم أقل شأنا وأحق منزلة من مجرد أن يقترب من مكانة الأمة اليهودية المقدسة، فيقول: "جعلوا -أي اليهود- في اللغة العبرية لفظة تدل على أي شعب من الأمم الأخرى غير اليهودية هي [جوي]، بينما شعبهم يميز عادة بكلمة [عام]. واقتربت كلمة [جوي] في عقولهم بالزراية والاحتقار، فإذا قال اليهودي عن شخص أو شيء إنه [جوي] فهو يعني بذلك أنه همجي بربري يجمع القذارة والنجاسة والحقارة."<sup>(2)</sup> ولا ينفي "مارتن لوثر" ادعاء اليهود للخيرية والاصطفاء دون الأغيار، بل ويصف زعمهم ذلك بالتفاهة والسخافة فيقول: "لقد بلغ منهم الهذيان والهوس والحماسة الغبية غاية المدى، فإنهم يجهرون بشكر الله على ثلاث: أولا: أن الله خلقهم بشرا لا حيوانات، ثانيا: وجعلهم من بني إسرائيل لا من الجوييم "الوثنيين"، ثالثا: وخلقهم رجالا لا نساء."<sup>(3)</sup>

(1) الحياة اليهودية بحسب التلمود، القمص روفائيل البرموسي، ص 37.

(2) أبحاث في الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، دار القلم: دمشق، ط 1: 1987م، ص 109.

(3) اليهود وأكاذيبهم، مارتن لوثر، ترجمة: محمود النجيري، مكتبة النافذة: الجيزة/مصر، ط 1: 2007م ص 67-68.

وسند ذلك ما ورد في التلمود، وقد جاء فيه أنه يجب على الإنسان أن يشكر الرب ثلاثاً كل يوم: لأنه خلقه [إسرائيلياً]، ولم يجعله [امراً] ولا [أمياً].

[חייב אדם לברך שלש ברכות בכל יום אלו הן: שעשאני **ישראל** שלא עשאני **אשה** שלא עשאני **בור**].<sup>(1)</sup>

فاليهودي يحمّد الرب دوماً أن خلقه إسرائيلياً، ولم يجعله أمياً أمياً. إن شعب إسرائيل حسب نصوص التوراة وشروحاتها، شعب أحبه الرب واختاره واصطفاه، وجعل بينه وبين آبائه عهداً ومواثيق، وطهره وقدّسه وحلّ فيه، وسكن بينه، وجعله ملكه الخاص. فهو بهذا المعنى يحتلّ مركز الصدارة في الوجود، ويشغل مكانة مركزية ومحورية في الكون برمّته. يقول عبد الله الطنطاوي: "إن اليهودي التوراتي كما يظهر في أدبيات اليهود، قديمها وحديثها، هو غاية الخليقة، ولولاه ما خلق الكون، وما ينبغي له أن يخلق، لذا كان «شعب الله المختار» الذي خلقه إلههم «يهوه» من عرق واحد، ليكونوا حكماء، تسيل في عروقهم دماء التوراة، وهم قادة الجنس البشري كله، ومعلموه، وربّهم لهم وحدهم، وهم أبناؤه و أحبّاءه، لذا كانوا متحضّرين، متفوّقين، وأبطالاً أسطوريّين، ومقاتلين شجعاناً، ولهذا يرفضون الاندماج مع الآخرين، لأنهم فوق «الأغيار» الذين هم «رجس من نسل الشيطان وعمله» كما يزعمون.<sup>(2)</sup>

إن كل هذه المعاني نشأت في الفكر الديني اليهودي بناء على النصوص التوراتية المكتوبة وشروحاتها الشفوية. فصبغة التفرد والانعزال والتّسامي التي اصطبغت بها

<sup>(1)</sup> Seder Kodashim, Menachot 43b; Talmud Bavli; the William Davidson Talmud, available: <https://www.sefaria.org/Menachot.43b.55?lang=bi>

<sup>(2)</sup> الأغيار في الثقافة اليهودية، يوسف يوسف، من مقدمة الكتاب لعبد الله الطنطاوي، ص 9.

"الأنا" في مقابل نظرة الازدراء إلى "الآخر" المحتقر والمبعد والمنبوذ، وجدت سندها في التوراة بنوعيتها الشفوية والمكتوبة، فالتوراة والتلمود هما منبع هذه التصورات التي تعلي من شأن اليهود إلى أعلى قمم القداسة والطهارة والسّمو، في حين تحطّ من قيمة "الآخر" إلى أدنى دركات السّفول وتصفه بمختلف أوصاف الزراية والدنس.

فالآخر لا يليق به في الفكر التوراتي ولا يصلح له إلا ليكون عبدا وخادما لشعب الله المختار، ولا ينبغي له إلا أن يكون ذليلا أمام الأمة المقدسة، فنجد في سفر إشعياء: [هكذا قال السيّد الربّ: هاءنذا أرفعُ إلى الأُممِ يدي وللشُّعوبِ أنصبُ رايتي فيأتونَ ببنيك في حُصونهم وبناتك يُحملنَ على أكتافهم. ويَكُونُ المُلوكُ لكَ مُربّين وأُميرائهم لكَ مُرضعات وعلى وُجوههم إلى الأرض يسجدونَ لكَ ويلحسونَ ثرابَ قَدَميك فتعلمينَ أنّي أنا الربّ الذي لا يَخْزى مُنتظروه]<sup>(1)</sup> فحتى أكابر الأمم وساداتهم من الملوك والرّعاء، يصيرون في تعاليم التوراة خدما وعبيدا لبني إسرائيل، [وبنو الغُرباء يبنونَ أسوارك ومُلوكهم يخدمونك].<sup>(2)</sup>

ذلك أن غير اليهود في اعتبار حكماء التوراة ما وجدوا إلا ليكونوا عبيدا لشعب الرب، وما خلقوا في صورة الإنسان وعلى هيئة آدمية إلا ليكونوا لائقين لخدمة شعب الله المختار وأُمته المنتخبة، وإلا فإن الأغيار في الأصل ليسوا بشرا، ولا يرقون إلى قيمة الإنسان، إنما هم في الحقيقة بهائم في مسلاخ إنسان.

(1) سفر إشعياء 49: 22-23 (الترجمة اليسوعية، ص 1608)

(2) سفر إشعياء 60: 10 (الترجمة اليسوعية، ص 1623)

وقد جاء في تعاليم الحاخامات، أن اليهود هم وحدهم البشر، أما الأغيار "الجوييم" فليسوا بشرا، إنما هم وحوش.<sup>(1)</sup> وبناء على النص التوراتي الوارد في سفر حزقيال القائل:

[וַיִּדְעוּ כִּי אֲנִי יְהוָה אֱלֹהֵיהֶם אֲתָם וְהָיָה עִמִּי בֵּית יִשְׂרָאֵל בָּאֵם אֲדַנִּי יְהוָה: .  
וְאַתֶּן צֶאֱזִי צֶאֱזִי מִרְעִיתִי אֲתָם אֲתָם אֲנִי אֱלֹהֵיכֶם בָּאֵם אֲדַנִּי יְהוָה: ]<sup>(2)</sup>، وترجمته:

[فَيُذَكِّرُونِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُهُمْ مَعَهُمْ، وَأَنَّهُمْ شَعْبِي بَيْتُ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. وَأَنْتُمْ يَا قَطِيعِي غَنَمَ مَرْعَايَ، أَنْتُمْ بَشَرٌ وَأَنَا إِلَهُكُمْ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ]<sup>(3)</sup>.

يستخلص أحبار اليهود أن شعب إسرائيل هو وحده من يدعى بشرا، ويوصف بكونه إنسانا، أما الأغيار فلا يدعون بشرا. فجاء في التلمود تعليقا على نص حزقيال سالف الذكر: [אתם קרויין אדם ואין עובדי כוכבים קרויין אדם]<sup>(4)</sup>. وترجمته: "أنتم تُدعون بشرا، ولا يُدعى عابد النجوم بشرا".

ونقلا عن المؤرخ الروسي "بيتر كرازنوف" Peter Krasnov فإن التلمود ينص على أنه بالرغم من أن الرب خلق الأغيار، فإنهم مع ذلك حيوانات في أشكال آدمية. وحيث إنه لا يليق باليهودي أن يبقى خادمه على صورته الحيوانية، كان من يخدمه من هذه الحيوانات في صورة آدمية.<sup>(5)</sup> وهو ما يؤكده عبد الوهاب المسيري أيضا في موسوعته،

(1) Christopher Fredrickson, The Rabbinic Gospel of Mark (Lapid Publications, 2017) P.110.

(2) EZEKIEL 34: 30-31 (Hebrew-English Tanakh: The Jewish Bible P.1047.)

(3) سفر حزقيال 34: 30-31 (كتاب الحياة، ص1024)

(4) Seder Nezikin, Bava Metzia 114b Talmud Bavli; the William Davidson Talmud. available: [https://www.sefaria.org/Bava\\_Metzia.114b.2?lang=bi](https://www.sefaria.org/Bava_Metzia.114b.2?lang=bi)

(5) P.N. Krasnov, E. Law-Gisiko and E. Couriss, From the Two-Headed Eagle to the Red Flag (Brentano's, Limited, 1923) Vol.2, P.18.

مع ملاحظة أن هذا النص وأمثاله مما نقلته بالواسطة ولم أعزه إلى أصله في التلمود، ما كان ذلك إلا بسبب عدم وجوده فيما بين يدي من نسخة التلمود، سواء في ترجمته الإنجليزية التي قام بها الأمريكي=



بقوله: "هذه النزعة الانعزالية المتعالية توجد في معظم صفحات التلمود المليء بالأحكام الموجهة ضد غير اليهود، فلن يدخل الجنة سوى اليهود. وقد خلق الإله الأغيار على هيئة

=اليهودي ميشائيل روبنسون (1845-1904) Michael Levi Rodkinson، أو في تلمود ويليام ديفيدسون The William Davidson Talmud، وهو نسخة رقمية من التلمود البابلي التي اشتملت على الأصل العبري مع ما يقابله من الترجمة الإنجليزية، وتم ربط نصوصه بالشواهد الكتابية من التراث العبري: من التوراة، والمدرش Midrash، والقابالا Kabbalah، والهالاه Halakhah، وغيرها ... وقد تم جمع ذلك كله في الموقع الإلكتروني Sefaria، وهو عبارة عن مكتبة ضخمة من المصادر التراثية التي تقوم عليها الديانة اليهودية. ومع ذلك، وبالبحث في كل مصادر الموقع المذكور لم أقف على النصوص التي نقلتها عن غير الأصل. والذي دفعني لإيرادها هو كثرة تداولها من قبل بعض الكتب والمواقع الإلكترونية الأجنبية المسيحية وكذا العربية الإسلامية. فنقلتها مع عزوها إلى أحد تلك المراجع الأجنبية أو العربية؛ وتجدر الإشارة إلى أن كثيرا من هذه النصوص لا تخلو من اعتراضات حاخامات اليهود المعاصرين، إما بنفي وجودها في مصادرهم أو بتأويلها إذا وجدت على غير الوجه الذي يفهم من ظاهر النص.

وبناء على ذلك، فإني لا أنفي ولا أثبت صحة تلك المقولات التي لم أجد لها أصلا فيما تيسر لي من التلمود أو التعليقات عليه، وذلك لسببين اثنين: الأول منهما أنه مما يشكك في صحتها تلك الاعتراضات الحاخامية عليها من جهة، ومن جهة أخرى وهو السبب الثاني الذي جعلني أذكرها هاهنا ولا أهملها، أنه مما يدفع إلى احتمال مصداقيتها ما أشار إليه غير واحد من المهتمين بالدراسات التلمودية، ومنهم إسرائيل شاحاك israel shahak الذي ذكر أن من آليات الدفاع عند اليهود إخفاء كل ما من شأنه أن يجر عليهم نقمة الأمم التي يعيشون بين ظهرانها، ولذلك فإنهم يلجؤون في كثير من الأحيان إلى إخفاء أو تعديل العبارات التي فيها تصريح واضح بازدراء أو احتقار غير اليهود، أو حذف تلك التي تتضمن تشريعات معادية لغير اليهود بشكل مبالغ فيه، ولذلك فإنهم يشيرون قبل عنوان كل مجلد من مجلدات الأدبيات التلمودية بأن كل العبارات العدائية تستهدف عباد الأصنام القدماء، أو حتى الكنعانيين الذين اندثروا منذ زمن طويل، ولا تستهدف الشعوب التي نعيش على أرضها. إلى حد لجوء بعض الحاخامات بعد الاحتلال البريطاني للهند إلى الادعاء بأن المقصود بالازدراء الوارد في التلمود هم الهنود فقط، وأحيانا سكان أستراليا الأصليين. ينظر: (الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحاك، ترجمة رضا سلمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر: بيروت، ط4: 1997م ص 49-50).

وفي هذا السياق أيضا، يقول سهيل ديب: "وضعت تراجم عديدة للتلمود إلى عدة لغات، لكنها محذوفة الحواشي والأقسام التي لا يجوز الاطلاع عليها لغير الحاخاميين المتقدمين في اللاهوت" (التوراة تاريخها وغاياتها، سهيل ديب، ص82)

الإنسان لكي يكونوا لاثقين بخدمة اليهود الذين خُلقت الدنيا من أجلهم، إذ ليس من الملائم أن يقوم حيوان على خدمة الأمير، وهو على صورته الحيوانية.<sup>(1)</sup>

ومن خلال هذه الفهوم فإن المرأة الحامل من الأغيار حسب تعاليم الحاخامات ليست أفضل من الحيوان الحامل.<sup>(2)</sup> وعلى الرغم من أن البنية الجسمية للشخص غير اليهودي هي نفسها لليهودي، فإن الفرق بينهما عند المقارنة حسب تعاليم التلمود، كالفرق بين الإنسان والقرد.<sup>(3)</sup> وقد نصّ على مثل هذا التصوّر من تشبيه الأغيار بالقرد كلام موسى بن ميمون<sup>(4)</sup> حينما تحدث عن غير اليهود ممن لا عقيدة لهم ولا مذهب على حد تعبيره، فقال عنهم إنهم: "كل شخص إنسان لا عقيدة مذهب عنده، لا نظرية ولا تقليدية، كأطراف الترك المتوغلين في الشمال، والسودان المتوغلين في الجنوب، ومن ماثلهم ممن معنا في هذه الأقاليم وحكم هؤلاء كحكم الحيوان الغير الناطق. وما

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ج 5، ص 137.

(2) ينظر: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، رقية علواني وآخرون، ص 64.

(3) E. Dubay, The Atlantean Conspiracy (Final Edition) (Lulu Enterprises Incorporated, 2013) P.91.

(4) ابن ميمون: أبو عمران موسى ابن ميمون بن عبد الله القرطبي (الأندلسي). هذا هو الاسم الذي عرف به ميمونيد Maimonide في اللغة العربية، كما عرف به كذلك في تاريخ لاهوت اليهود وفلسفتهم وطبهم. وكان يسمى بالعبرية "ربي موسى بن ميمون"، أو باختصار "رمبم" Rambam وهي صيغة مؤلفة من الحروف الأولى لاسمه العبري. ولُقّب في المصنفات العربية بلقب الرئيس [رئيس الأمة أو الملة اليهودية]، ويقابل هذا اللفظ في العبرية لقب "ناجيد" נאגיד. وسُمّي كذلك موشه هزّمان، ومعناه موسى زمانه. ولد ابن ميمون في 30 مارس 1135م بقرطبة، درس على أبيه العلوم الدينية، كما درس العلوم العربية على علماء المسلمين. وتوفي ابن ميمون في 13 دجنبر 1204م، ونُقل جثمانه كما أوصى إلى طبرية بفلسطين. ويعد كتاب "دلالة الحائرين" من أهم مؤلفاته، ومن كتبه الفريدة أيضا ما سماه "مشنه توراه" الذي كان به أول من جمع السّنة التلمودية كلها على كثرتها وتشعبها وهو مرتب حسب الموضوعات ومقسم إلى فصول منهجية كما هو الحال في مصنفات المسلمين المماثلة. (ينظر: "ابن ميمون"، متوخ E.Mittwoch مجلة دائرة المعارف الإسلامية: مصر، ج1، العدد 5، يونيو 1934م ص 285-288).

هؤلاء عندي بمرتبة الانسان، وهم من مراتب الموجودات دون مرتبة الانسان، وأعلى من مرتبة القرد. إذ قد حصل لهم شكل الانسان، وتخطيطه وتمييز فوق تمييز القرد.<sup>(1)</sup>

وإن هذا الكلام من ابن ميمون وهو من عظماء حاخامات اليهود وأعلامهم، ليؤكد التصور القائم على تشبيه الأغيار بالحيوانات من القروء والكلاب. ونجد أن التلمود يدعي أيضا أن "العكومي" -أي غير اليهودي- مثل الكلب، بل إن المكتوبات بزعمهم تعلمهم أن يقدّروا الكلب أكثر من غير اليهودي.<sup>(2)</sup> والذي يتناول الطعام مع غير اليهودي كالذي يتناوله مع الكلب.<sup>(3)</sup> وأرواح غير اليهود جاءت من أرواح غير نقية تسمى الخنازير.<sup>(4)</sup>

وتؤكد ليلي أبو المجد أنه استنادا على النصوص التوراتية، يعتبر فقهاء التلمود بنات الأغيار في حالة نجاسة "حيض" دائمة منذ ميلادهن، ومن ثم حرّموا على اليهود الزواج منهن. وقالوا: إن الشخص الذي يضاجع امرأة غير يهودية مُدان، لأنها في تصوّرهم حائض وجارية وزانية. كما اعتبر فقهاء التلمود حسب "ليلي أبو المجد" الطفل غير اليهودي نجسا أيضا منذ ولادته؛ ولذلك حذروا من التعامل مع أطفال الأغيار خشية التّنجّس. ولم يقتصر الحكم بالنجاسة على البشر فقط، بل امتد إلى الجمادات أيضا؛ ففضوا بالنجاسة على جدران الأغيار، كما أن أدوات الطبخ والخشب والتراب الموجود داخل البيت، كلّ ذلك حكموا عليه بالنجاسة. وترتب على هذا الحكم أو هذه

(1) دلالة الحائرين، موسى بن ميمون، تحقيق: حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة، د.ت. ص715.

(2) ينظر: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، رقية علواني وآخرون، ص64.

(3) Lapid Fredrickson, The Rabbinic Gospel of Mark P.111.

(4) E. Dubay. The Atlantean Conspiracy. P.91.

النظرة الدونية للأغيار، الحكم بالنجاسة على كل ما يلمسه الأغيار؛ أي إن الأغيار نجسون وينجسون كل ما تلمسه أيديهم. فيحرم الخمر الذي يلمسه غير اليهودي لأنه يعد نجسا.<sup>(1)</sup>

وتلك إذن حزمة من الأوصاف المزرية بالآخر، وترسانة ضخمة من المقولات المفرطة في التيل من كرامة غير اليهودي، بل إن تلك النصوص لا تعترف للأغيار بكرامة أصلا، فهي تحط من شأنهم إلى أدنى دركات البهيمية، ولا ترقى بهم إلى أقل مقامات الإنسانية؛ بينما تضيف هذه النصوص نفسها هالة من القداسة والعظمة على الشعب الإسرائيلي، فتجعل منه شعب الله المختار وأمة المقدسة.

كما جاء في سفر الخروج: [تَكُونُوا لِي مِلْكًا خَاصًّا مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ، ... وَتَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً كَهَنَةً وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً]<sup>(2)</sup>، وجاء أيضا في سفر التثنية: [لَأَنْتُمْ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ. فَإِيَّاكُمْ قَدْ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ شُعُوبِ الْأَرْضِ لِتَكُونُوا شَعْبَهُ الْخَاصَّ]<sup>(3)</sup>، فالتنصيب على الاختيار من قبل الرب والاختصاص به والقداسة، كل ذلك بين وواضح في النصين، ومقتضى ذلك أن "الآخر" الذي لا يدخل في هذا الاصطفاء لا ينطبق عليه إلا ضد تلك الصفات سالفة الذكر، فلا ينتمي إلى من اختارهم الرب، ولا يدخل ضمن من شرفهم، ولا يكون من بين من طهرهم وقدهم، بل يكون نجسا ومستخدما وعبدا. تقول ليلي أبو المجد: "على النقيض من تضخيم

(1) ينظر: مدخل إلى دراسة التلمود، ليلي أبو المجد، الدار الثقافية للنشر: القاهرة، ط1: 2010م ص159-160.

(2) سفر الخروج 19: 5-6 (كتاب الحياة ص95)

(3) سفر التثنية 7: 6 (كتاب الحياة ص240)

فقهاء التلمود للذات اليهودية ومغالاتهم في الإعلاء من شأنها، جاءت نظرتهم إلى الأغيار بأنهم نجسون، ونسبوا إليهم أفعالا شاذة وحقيرة.<sup>(1)</sup>

وإضافة إلى ما سبق ذكره من النصوص التي تحدثت عن قداسة الشعب، نجد أيضا في التوراة نصوصا أخرى كثيرة تقرّر وتؤكد هذه القداسة، منها على سبيل المثال ما يأتي: [وَتَكُونُونَ لِي شَعْبًا مُقَدَّسًا]<sup>(2)</sup>، [لَأَنْتُمْ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ]<sup>(3)</sup>، [يَجْعَلُكُمْ لِنَفْسِهِ شَعْبًا مُقَدَّسًا كَمَا حَلَفَ لَكُمْ]<sup>(4)</sup>. فالحديث عن قداسة الشعب من ركائز العقيدة التي تغرسها التوراة في قلوب وأذهان مقدسيها، كما أن منطق الاستعلاء ومطلق السمو على جميع أمم الأرض هما الصفة الثابتة في نصوص التوراة في تحديدها لطبيعة "الأنا" في مقابل "الآخر": [فَيَجْعَلَكُمْ أَسْمَى مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ الَّتِي خَلَقَهَا مِنْ حَيْثُ الثَّنَاءُ وَالشَّرَفُ وَالْمَجْدُ، وَتَكُونُونَ شَعْبًا مُقَدَّسًا لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ كَمَا وَعَدَ]<sup>(5)</sup>.

ولا يستحق ولا يستطيع أي شعب أن ينسب إلى الله ويدعى "شعب الله" مع ما قد يصدر منه من الفواحش والمنكرات إلا شعب بني إسرائيل، وهو ما تشير إليه التوراة في سياق حديثها عن حكاية استعطاف امرأة للملك داوود وتوسلها إليه أن يعفو عن ابنه أبشالوم الذي قتل أخاه غير الشقيق أمنون لأنه اغتصب أخته غير الشقيقة ثامار. ومع أن أمنون فعل فعلته المشينة وارتكب المنكر الشنيع باغتصاب أخته غير

(1) مدخل إلى دراسة التلمود، ليلي أبو المجد، ص 159.

(2) سفر الخروج 22: 31 (كتاب الحياة ص 100)

(3) سفر التثنية 14: 21 (كتاب الحياة ص 250)

(4) سفر التثنية 28: 9 (كتاب الحياة ص 266)

(5) سفر التثنية 26: 19 (كتاب الحياة ص 264)

الشقيقة، بقي مع ذلك مقرباً من أبيه الملك داوود، ولم تتحدث التوراة عن أي عقاب له؛ إلى أن أنهى أخو البنت الشقيق حياته انتقاماً لها، ليفر بعد ذلك هارباً من غضب أبيه؛ ثم تقص لنا التوراة أن امرأة توسلت من الملك أن يُرجعه لأنه ومع كل ما صدر منه من القتل العمد يبقى فرداً من شعب الله، فنسجت لذلك حكاية مشابهة لما حصل مع ابنه، وقصّتها على الملك، لتوهمه فيها بأن الأمر يتعلق بأحد ابنيها الذي قتل الآخر، ولتطلب منه أن يعفو عن القاتل، فوعدها بذلك، فردّت عليه مستفسرة عن عدم قيامه بالأمر نفسه مع ابنه أبشالوم فقالت: [إِذْنُ، لِمَاذَا ارْتَكَبْتَ هَذَا الْأَمْرَ فِي حَقِّ شَعْبِ اللَّهِ؟]<sup>(1)</sup> بمعنى لماذا لم تعف عن ابنك وتسمح له بالعودة من مكان هروبه وهو من شعب الله. والشاهد من هذا كله، هو بيان مدى إصرار التوراة على الإيعلاء من شأن "الأنا" مهما ارتكب من مخالفات لشريعة الرب إما بالقتل أو الاغتصاب.

وتلك إذن خصوصية لذلك الشعب المميز لا تكون لغيره ولا يشاركه فيها قوم؛ فالحظوة عند الرب قد انفرد بها شعب إسرائيل دون سواهم من سائر شعوب الأرض جميعاً، وقد نصت التوراة في كثير من أسفارها على هذه الميزة التي صارت علامة على بني إسرائيل، فاختصاص الشعب بالرب واختياره له من القضايا الرئيسة والمحورية الواردة بكثرة في نصوص التوراة. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما ورد عن داوود من ابتهالات وشكر للرب على نعمة الاختيار والاصطفاء ووراثة الأرض: [أَيُّهَا الرَّبُّ، لَا مَثِيلَ لَكَ وَلَا إِلَهَ سِوَاكَ فِي كُلِّ مَا سَمِعْنَاهُ بِأَذَانِنَا. وَأَيُّهُ أُمَّةٌ مِثْلُ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ؟ أَفِي الْأَرْضِ أُمَّةٌ أُخْرَى سَارَ اللَّهُ لِيَفْتَدِيَهَا لِنَفْسِهِ شَعْبًا، لِتَجْعَلَ لَكَ أَسْمًا بِالْعِظَائِمِ وَالْأَعْمَالِ

(1) صموئيل الثاني 14: 13 (كتاب الحياة، ص 417)

الرَّهْبِيَّة، بِطَرْدِكَ أَمَّا مِنْ وَجْهِ شَعْبِكَ الَّذِي آفَتَدَيْتَهُ مِنْ مِصْرَ وَالْأَمَم؟ وَقَدْ جَعَلْتَ شَعْبَكَ إِسْرَائِيلَ شَعْبًا لَكَ لِلأَبَد، وَأَنْتَ يَا رَبُّ صِرْتَ لَهُمْ إِلَهًا.<sup>(1)</sup>

وقد تكرر في التوراة أكثر من مرة ذكر عبارة: [وَأَتَّخِذْكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا].<sup>(2)</sup> وكذلك [وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا].<sup>(3)</sup> وكذلك عبارة: [فَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا وَتَكُونُوا لِي شَعْبًا]<sup>(4)</sup>، لتؤكد هذه كلها وتؤسس لنظرية الاختيار والاصطفاء والتملك الرباني للشعب، وذلك بشكل قطعي لا يقبل الشك ولا يطاله التأويل. كما أن العبارات التي تنسب الشعب إلى الرب بضمير المتكلم أو المخاطب مما طفحت به نصوص التوراة وورد بكثرة وافرة في أسفارها؛ ونجد أيضا أن كلمة "شعبي" قد جاءت في عشرات المواضع، من ذلك مثلا:

[فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ ... فَزَلْتُ لَأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلًا،]<sup>(5)</sup>

(1) أخبار الأيام الأول 17: 20-22 (ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص 762)

(2) سفر الخروج 6: 6-7 (ترجمة فان دايك، ص 69)

(3) سفر إرميا 32: 38 (ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص 1702)

(4) سفر إرميا 7: 23 (ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص 1685)

(5) سفر الخروج 3: 7-8 (ترجمة فان دايك، ص 66)

[فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: يَا سَيِّدُ، لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ؟ لِمَاذَا أُرْسَلْتَنِي؟ فَإِنَّهُ مُنْذُ دَخَلْتُ إِلَى فِرْعَوْنَ لِأَتَكَلَّمَ بِاسْمِكَ، أَسَاءَ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ. وَأَنْتَ لَمْ تُخَلِّصْ شَعْبَكَ] <sup>(1)</sup>

[لَأَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ دَاوُدَ قَائِلًا: إِنِّي بِيَدِ دَاوُدَ عَبْدِي أَخَلَّصْتُ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ أَعْدَائِهِمْ]. <sup>(2)</sup>

كما ورد أيضا في أكثر من موضع المركب الإضافي "شعب الرب" للدلالة على الأمة المقدسة والشعب المختار، من ذلك مثلا: [لَيْتَ كُلُّ شَعْبِ الرَّبِّ يُصْبِحُونَ أَنْبِيَاءَ يَحِلُّ عَلَيْهِمُ الرَّبُّ بِرُوحِهِ] <sup>(3)</sup>، [تَذَمَّرَ جَمِيعُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلِينَ: «لَقَدْ قَتَلْتُمَا شَعْبَ الرَّبِّ»] <sup>(4)</sup>، [عِنْدَئِذٍ يَنْزِلُ شَعْبُ الرَّبِّ إِلَى بَوَابَاتِ الْمَدِينَةِ] <sup>(5)</sup>.

وعلى نحو مماثل قد تكرر فعل "اختار" بصيغه المختلفة مرات عديدة، من ذلك على سبيل المثال: [طُوبَى لِلأُمَّةِ الَّتِي الرَّبُّ إِلَهُهَا، وَلِلشَّعْبِ الَّذِي اخْتَارَهُ مِيرَاثًا لَهُ] <sup>(6)</sup>، [لَأَنَّ الرَّبَّ قَدْ اخْتَارَ يَعْقُوبَ لِنَفْسِهِ، وَاتَّخَذَ إِسْرَائِيلَ شَعْبًا خَاصًّا لَهُ] <sup>(7)</sup>.

ومجمل القول في هذا الباب إن بني إسرائيل حسب نصوص التوراة، شعب أحبه الرب حبا خاصا، فاختره لنفسه ليكون له خاصة، وهذا الاختصاص والخصوصية

(1) سفر الخروج 5: 22-23 (ترجمة فان دايك، ص 69)

(2) سفر صموئيل الثاني 3: 18 (ترجمة فان دايك، ص 364)

(3) سفر العدد 11: 29 (كتاب الحياة، ص 190)

(4) سفر العدد 16: 41 (كتاب الحياة، ص 198)

(5) سفر القضاة 5: 11 (كتاب الحياة، ص 319)

(6) سفر المزمير 33: 12 (كتاب الحياة، ص 715)

(7) سفر المزمير 135: 4 (كتاب الحياة، ص 773)



متبادلان بين السماء والأرض، فالشعب للرب والرب للشعب، وشعب خاص لرب خاص، وكأن الأمر يتعلق بصلة خاصة لقراءة أسرية تربط بين الأب وابنه، وهذا أيضا ما تصرح به التوراة التي نصّت على أن شعب إسرائيل هو الابن البكر للرب: [فَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبَكْرِ. فَقُلْتُ لَكَ: أَطْلِقِ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي]<sup>(1)</sup>

ويشير أستاذ الدراسات التوراتية الكوري "سيوك تائي سوهن" Seock-Tae Sohn مستشهدا بالنص السابق إلى أن العلاقة بين الأب والابن هي الوصف المجازي للعلاقة بين الرب وإسرائيل. فعلى الرغم من أن ممارسة التبني في المجتمع الكتابي كانت محدودة للغاية، فإن العلاقة المجازية التي توحد الرب يهوه بإسرائيل هي علاقة التبني التي تربط بين الأب والابن؛ فمن خلال هذا الترابط ينادي الرب إسرائيل بكلمة "ابني" أو "ابني البكر"؛ وليس هذا فقط، بل يطلب يهوه من ذرية إسرائيل أن تناديه هي أيضا بالكلمة "أبي"، كما في سفر إرميا: [وَفَكَّرْتُ أَنَّكَ تَدْعِينِي يَا أَبِي، وَلَنْ تَرْتَدِّي عَنِ اتِّبَاعِي].<sup>(2)</sup>، وعليه فإن إسرائيل كما في سفر إشعيا ينادي الرب بكلمة "أبينا": [فَأَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ، هُوَ أَبُونَا]<sup>(3)</sup>، ويبلغ الأمر بالتوراة إلى تنصيبها على ولادة الرب لإسرائيل: [الصَّخْرُ الَّذِي وَلَدَكَ أَهْمَلْتَهُ وَالْإِلَهُ الَّذِي وَضَعَكَ نَسِيتَهُ]<sup>(4)</sup>، كما تحدثت كذلك عن تربية الرب ورعايته لأبنائه من إسرائيل حتى كبروا: [إِسْتَمِعِي أَيُّهَا السَّمَوَاتُ وَأَنْصِتِي أَيُّهَا الْأَرْضُ فَإِنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ. إِنِّي رَبِّيتُ بَنِينَ وَكَبَّرْتُهُمْ لَكِنَّهُمْ تَمَرَدُوا عَلَيَّ].<sup>(5)</sup> ولذلك، فإن التوراة

(1) سفر الخروج 4: 22 (ترجمة فان دايك، 68)

(2) سفر إرميا 3: 19 (كتاب الحياة، ص 900)

(3) سفر إشعيا 63: 16 (كتاب الحياة، ص 891)

(4) سفر التثنية 32: 18 (الترجمة اليسوعية، ص 408)

(5) سفر إشعيا 1: 2 (الترجمة اليسوعية، ص 1529)

تصور هذه العلاقة الحميمة التي تربط بين الرب وإسرائيل بصورة الأب مع الابن، كما في هذا النص: [اضْعُوا إِلَيَّ يَابَيْتَ يَعْقُوبَ، وَيَابَقِيَّةَ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ حَمَلْتُهُمْ مِنْذُ أَنْ حُبِلَ بِهِمْ، وَتَكَفَّلْتُ بِهِمْ مِنْذُ مَوْلِدِهِمْ، وَبَقَيْتُ أَنَا أَنَا حَتَّى زَمَنِ شَيْخُوخَتِكُمْ، وَحَمَلْتُكُمْ فِي مَشْيِبِكُمْ. أَنَا صَنَعْتُكُمْ، لِذَلِكَ أَنَا أَحْمِلُكُمْ، وَأَخْلَصُكُمْ.](1)، وكذلك: [هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةَ رَضِيعَهَا وَلَا تَرْحَمُ ابْنَ أَحْشَائِهَا؟ حَتَّى هَؤُلَاءِ يَنْسِينَ، أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْسَاكُمْ.](2)

ويوضح "سيوك تائي سوهن" أن تبني الرب يهوه لإسرائيل كان بمحض إرادته واختياره، فلم يكن في حاجة إلى طلب موافقة الشعب أو استشارته في اختياره له وتبنيه إياه واتخاذها ولدا. وذاك هو سبب مناداة الرب للشعب بكلمة "ابني" دون سابق إشعار، وطلبه من الشعب أن يدعوه "أبي".(3)

وإن كون إسرائيل ابنا للرب يهوه منحه امتيازات منها شرف حمل اسم الرب، ولذلك فالشعب ينادى باسم الرب يهوه(4): [فَتَرَى جَمِيعَ شُعُوبِ الْأَرْضِ أَنَّ أَسْمَ الرَّبِّ أُطْلِقَ عَلَيْكَ فَتَخَافُكَ.](5)، [شعبي الَّذِي دُعِيَ بِأَسْمِي](6) وفي الأصل: "לַאֲבִי אֱלֹהֵי יִשְׂרָאֵל" נְבִיאִי יְלֵאֵיָהֻם وتعني حرفيا: "شعبي الذين دعي اسمي عليهم"، وتشير هذه العبارة حسب "سامويل روليز دريفر" (1914–1846) Samuel Rolles Driver إلى معني الملكية

(1) سفر إشعيا 46: 3-4 (كتاب الحياة، ص 875)

(2) سفر إشعيا 49: 15 (كتاب الحياة، ص 879)

(3) S.T. Sohn, The Divine Election of Israel (Wipf & Stock Publishers, 2001) PP.67-69.

(4) Ibid. P.69

(5) سفر التثنية 28: 10 (الترجمة اليسوعية، ص 399)

(6) أخبار الأيام الثاني 7: 14 (الترجمة اليسوعية، ص 788)

والحماية، أي أن الرب لكم هو المالك، ويطوقكم بحمايته.<sup>(1)</sup> وهذا الامتياز بنيل شرف حمل اسم الرب مشروط بالحفاظ على كلماته ورعاية القوانين والشرائع، وإلا فإن الرب سينزل عليهم الضربات ويمزقهم في الأرض ويحرمهم من الميراث الأبدي ويشتهم إلى أقاصي الدنيا، ويقللهم بعد أن كانوا كثرة.<sup>(2)</sup>

وإلى جانب هذا الشرف من حمل اسم الرب، وحسب "سيوك سوهن" فإن من مزايا كون إسرائيل ابنا ليهوه أيضا، أن يصير وريثه، فيكون الشعب أمة وارثة للرب، كما نصت على ذلك التوراة في سفر التثنية: [أَمَّا أَنْتُمْ فَقَدْ اخْتَارَكُمْ الرَّبُّ وَأَخْرَجَكُمْ مِنْ أَثُونِ الْحَدِيدِ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ لِتَكُونُوا لَهُ شَعْبَ مِيرَاثِهِ]<sup>(3)</sup>. ولكون الشريعة تمنح ضعف الميراث للابن البكر، فإن لإسرائيل الحق أن ينال ضعفين من ميراث الرب: [إِنْ كَانَ رَجُلٌ مُتَزَوِّجًا مِنْ امْرَأَتَيْنِ، يُؤَثِّرُ إِحْدَاهُمَا وَيَنْفِرُ مِنَ الْآخَرَى، فَوَلَدَتْ كِلْتَاهُمَا لَهُ أَبْنَاءً، وَكَانَ الْابْنُ الْبَكْرُ مِنْ إِنْجَابِ الْمَكْرُوهَةِ ... عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَرِفَ بِبِكُورِيَّةِ ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ، وَيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يَمْلِكُهُ، لِأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ مَظْهَرِ قُدْرَتِهِ، وَلَهُ حَقُّ الْبِكُورِيَّةِ]<sup>(4)</sup>، وهكذا فإن إسرائيل هو الابن البكر للرب الذي يحق له أن يكون وارثا ليهوه ويدعى شعب ميراثه: [أَمَّا نَصِيبُ يَعْقُوبَ فَلَيْسَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَوْثَانِ، بَلْ هُوَ جَابِلٌ كُلِّ الْأَشْيَاءِ، وَشَعْبُ إِسْرَائِيلَ هُوَ شَعْبُ مِيرَاثِهِ]<sup>(5)</sup>.<sup>(6)</sup>

(1) S.R. Driver, A Critical and Exegetical Commentary on Deuteronomy (New York: Scribner, 1916) P.306.

(2) ينظر: سفر التثنية 28: 58-68 (كتاب الحياة، ص 268-269)

(3) سفر التثنية 4: 20 (كتاب الحياة، ص 236)

(4) سفر التثنية 21: 17 (كتاب الحياة، ص 258)

(5) سفر إرميا 10: 16 (كتاب الحياة، ص 910)

(6) Sohn, The Divine Election of Israel P.70.

ويذكر "سوهن" أيضا أنه بعدما اختار الرب أبناءه من بين سائر الأمم ووضع الحدود التي تميزهم عن غيرهم، وأعطى لكل قوم إرثه، كان إسرائيل من نصيب يهوه وخصه بوراثته<sup>(1)</sup>، وقد أشارت التوراة إلى ذلك في سفر اللاويين: [وَقَدْ أَفْرَزْتُكُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا خَاصَّةً].<sup>(2)</sup> فصار بذلك إسرائيل وفقا لهذا المعنى شعبا خاصا بيهوه. وبما أن الرب هو المالك للأرض: [لِلرَّبِّ الْأَرْضُ وَكُلُّ مَا فِيهَا. لَهُ الْعَالَمُ، وَجَمِيعُ السَّاكِنِينَ فِيهِ].<sup>(3)</sup> فإنه أراد أن يعطي النصيب الأوفر منها لشعبه الخاص كإرث أبدي: [وَوَعَدْتُكُمْ أَنْ تَرِثُوا دِيَارَهَا. وَأَنَا أَهْبُكُمْ إِيَّاهَا لِتَمْتَلِكُوهَا، أَرْضاً تَفِيضُ لَبَناً وَعَسَلًا. فَأَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ، مَيِّزْتُكُمْ عَنْ بَقِيَّةِ الشُّعُوبِ].<sup>(4)</sup> ويزيد سفر إرميا هذا الأمر وضوحا، فنجد فيه بخصوص هذه العلاقة بين النبوة وميراث الأرض قول الرب: [وَلَكِنِّي قُلْتُ فِي نَفْسِي: لَشَدَّ مَا يُسْعِدُنِي أَنْ أُقِيمَكَ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ وَأُورَثَكَ أَرْضاً شَهِيَّةً هِيَ أَجْمَلُ مِيرَاثٍ بَيْنَ الْأُمَمِ. وَفَكَّرْتُ أَنَّكَ تَدْعِينِي يَا أَبِي، وَلَنْ تَرْتَدِّي عَنِ اتِّبَاعِي].<sup>(5)</sup> كما توضح التوراة أن هدية الرب لابنه هي ميراث الأرض: [وَلَأَنَّهُ قَدْ أَحَبَّ آبَاءَكُمْ، وَاخْتَارَ ذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، أَخْرَجَكُمْ بِنَفْسِهِ وَبِقُدْرَتِهِ الْعَظِيمَةِ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ، وَطَرَدَ مِنْ أَمَامِكُمْ أُمَّةً أَكْبَرَ مِنْكُمْ وَأَعْظَمَ، لِيَأْتِيَ بِكُمْ إِلَى أَرْضِهِمْ وَيُورِثَكُمْ إِيَّاهَا].<sup>(6)</sup>

(1) Sohn, The Divine Election of Israel P.71.

(2) سفر اللاويين 20: 26 (كتاب الحياة، ص 156)

(3) المزمير 24: 1 (كتاب الحياة، ص 710)

(4) سفر اللاويين 20: 26 (كتاب الحياة، ص 156)

(5) سفر إرميا 3: 19 (كتاب الحياة، ص 900)

(6) سفر التثنية 4: 37-38 (كتاب الحياة، ص 237)

وحيث إن التَّبَيُّ كان تعبيراً عن الاختيار، فإن امتلاك الأرض من قبل إسرائيل كان علامة أكيدة على هذه البنوّة وهذا الاختيار. فالسّمة الظاهرة الدالة على البنوّة هي امتلاك الأرض التي وهبها الله لإسرائيل ميراثاً. ولذلك، فإن العبارتين: [الأَرْضُ الَّتِي وَرَثَهَا لَكُمْ مِلْكاً]<sup>(1)</sup> [אֶרֶץ אֲשֶׁר יְהוָה אֱלֹהֵיךָ נָתַן-לְךָ נַחֲלָה לְרִשְׁתָּהּ]، و[شَعْبَ مِيرَاثِهِ]<sup>(2)</sup> [لَهُمْ نַחֲلָה] ينبغي أن تفهما في سياق: التَّبَيُّ والاختيار. وعليه، فإن كون إسرائيل ابناً للرب، منحه ميزتين: حمل اسم الرب، ووراثته الأرض.<sup>(3)</sup>

ومن خلال كل ما سبق، وبناء على كل تلك المعاني سالفة الذكر، التي تدفع في اتجاه يجعل من شعب إسرائيل سليل الرب، وابنه البكر وأُمّته الوارثة لملكه؛ يتبيّن أن التوراة قد رفعت من "الأنا" إلى أسمى مراتب الإنسانية وأقصى درجات السمو؛ إلى حد قد يصل فيه الفكر الديني اليهودي إلى القول بحلول الإله في الجنس البشري واتحاد الطبيعتين. وإلى هذا المعنى يشير المسيحي وهو يتحدث عن ادّعاء شراح التوراة من علماء التلمود أن روح الرب من روح الشعب، كما أن الابن جزء من أمه، ولذا فمن يعتدي على يهودي فهو كمن يعتدي على العزة الإلهية، ومن يعادي جماعة إسرائيل أو يكرهها فإنه يعادي الإله ويكرهه، خصوصاً إذا كنا نعرف أن الإله كان يقطن بينهم حينما كانوا في أرض الميعاد.<sup>(4)</sup>

(1) سفر التثنية 15: 4 (كتاب الحياة، ص 251)

(2) سفر التثنية 4: 20 (كتاب الحياة، ص 236)

(3) Sohn, The Divine Election of Israel P.72.

(4) ينظر: اليد الخفية، عبد الوهاب المسيري، ص 28.

وإلى هذا الحد يظهر بجلاء مدى الاستعلاء والتّقدّيس والتضخيم للأنّا الذي تكرّسه نصوص التوراة بشقيها المكتوبة والشفوية، وتقرّره وتشرّع له؛ وفي الوقت نفسه نجدها في المقابل تنزل بالآخر غير اليهودي إلى أسفل دركات الهوان وأحط المراتب في سلم الإنسانية، بل تقف به دونها، فلا يرقى إلى أقل درجات الآدمية، وتوقعه في حضيض البهيمية. وبذلك يكون "الآخر" بلا معنى ولا كرامة، مستباح الدم ومستهدفا في أرضه وعرضه وماله، من قبل أبناء الرب الذين هم أهله وورثته وخاصته من خلقه وأصحاب حظوته. وقد قطع الرب مع ابنه البكر إسرائيل عهدا ومواثيق بأن يملّكه أرض الأغيار ويستعبدهم له ويسوّده عليهم. ويجعل منه ملوكا وسادات وأمة عظيمة ومقدسة، وتكون له جميع أمم الأرض خدما وعبيدا. إن كل هذه المعاني والتمثّلات إذن هي صورة "الأنّا" و"الآخر" التي تصنعها وتطبعها وتقرّرها أسفار التوراة من خلال عقيدة "الشعب المختار".

كما أن هذه التصورات والرؤى هي أيضا ما كرّستها ووسّعت معانيها وعمقت مدلولاتها شروحات الحاخامات وتعليقاتهم على النصوص التوراتية كما جاءت مبثوثة على صفحات التلمود. التي رسخت معاني الاستعلاء لليهود على الأغيار، فنظرة التعالي التي صنعتها هذه النصوص المقدسة جعلت من الشخص اليهودي كائنا فريدا ومستعليا على جميع أجناس البشر، لا ينحني أبدا لغيره ولو حتى في المواقف العادية في شؤون الحياة. وهو ما يعكس هالة القداسة التي تضيفها هذه النصوص على معدن اليهود. ومثال ذلك ما تنقله ليلي أبو المجد عن حكماء التلمود من أنه إذا دخلت شوكة في قدم إسرائيلي أمام شخص من الأغيار، فيجب ألا ينحني لإزالتها حتى لا يظهر منحنيا

أمامه؛ وكذلك إذا تناثر ماله أمام غير اليهودي فلا ينحني ليلتقطه، وإذا تدفقت عين ماء أمام يهودي فلا ينحني ليشرب.<sup>(1)</sup> وإلى هذا الحد بلغ الهذيان بالسمو والتعالي في الفكر الحاخامي، حيث منعوا حتى الانحناء لقضاء الحاجات الدنيوية والأغراض المعيشية عند وجود أحد الأغيار، وصار ذلك محرما في شريعة الاستعلاء التلمودية.

وإن هذه المعتقدات الكتابية حول "الأنا" و"الآخر" المسطرة في الأسفار المقدسة، هي ما سيظهر واقعا عمليا في دنيا المعاملات بين اليهود والأغيار، وهو ما ستعبر عنه الأحكام والتشريعات التي تضبط السلوك وتحدد المواقف من "الآخر"، في كل سياق تاريخي أو ظرف معيشي من السلم أو الحرب. وهو ما سيتناول المبحث الموالي الحديث عنه، بذكر بعض هذه الأحكام والقوانين التي تقرّر أسلوب التعامل مع "الآخر"، وتبين الموقف منه حسب ما يحيط بالشعب المختار من أحوال الخوف أو الأمن، إذ تتغير الأحكام بتغير الظروف، وتتأقلم الديانة اليهودية دائما مع الواقع الذي تعيش فيه.

<sup>(1)</sup> ينظر: الآخر في التلمود ترجمة باب العبادات الأجنبية في التلمود، شيماء مجدي حسن، دار العلوم

للنشر والتوزيع: القاهرة، ط1: 2007م ص54.

### المبحث الثالث: صورة "الآخر" في التوراة من خلال أحكام السلم والحرب.

إن أحكام التعامل مع "الآخر" في أوقات الرخاء والشدة، وفي زمن الحرب والسلم، لخير دليل على حقيقة الصورة التي تصنعها النصوص المقدسة وتنسجها حول "الآخر" في أذهان من يقدسها. فهي التنزيل العملي للتصورات النظرية، وهي الواقع الذي يعكس حقيقة المواقف بلا تصنع. وفي هذا المبحث كشف لبعض تلك التعاليم التي تؤطر العلاقة مع "الآخر" في ظروف السلم، وكذلك أثناء القتال.

#### المطلب الأول: أحكام التعامل مع "الآخر" في السلم.

إن النصوص التوراتية المقدسة التي رسّخت عقيدة الشعب المختار وشرّعت لفكر الانعزال عن "الآخر"، جعلت من "الأنا" استثناء في الكون وسرّ الوجود، ورفعته إلى منزلة لا يرقى إليها غيره، وكسته حلا من الطهر والقداسة لا ينالها إلا أهل الخطوة وأبناء الربّ الذين خصهم بمحبته وأفردهم بمباركته دون سواهم من العالمين. فكان الإحساس بالعظمة والكبرياء والاستعلاء عن "الآخر" واحتقاره هو النتيجة الحتمية لفكرة الاختيار وعقيدة الاصطفاء وشرعية الاجتباء التي جاءت بها التوراة، وهي هبة الرب الخاص لشعبه الخاص.

وقد ظهر هذا الاستعلاء عن "الآخر" وبرزت معالمه وتجلّت النظرة الدونية عمليا نحوه من خلال معايير التعامل مع الأغيار في حالات السلم والأمان، وفي الظروف التي ليس فيها بين الطرفين: "الأنا" و"الآخر" صراع قائم، اللهمّ الفكري والديني والعقدي، فكشفت أحكام مخالطة الأميين عن حقيقة الصورة التي تصنعها النصوص المقدسة عن كل من لا يدخل في دائرة الطهر والقداسة اليهودية؛ فالقوانين والتشريعات التي وضعت



لتنظم وتضبط العلاقة مع "الجوييم" تعبر بوضوح عن مدى الاحتقار والاستصغار الذي ترسخه هذه النصوص المقدسة في أذهان من يقدسها.

ولعل وجود اليهود في الأزمنة الغابرة في وسط وثنى هو الذي شحذ الخطاب العدائي نحو الأغيار باعتبارهم مشركين، لا يؤمنون بالرب ولا يقيمون وصاياه. وإلى هذا المعنى أشار عبد الوهاب المسيري، حينما ذكر أن وجود اليهود في وسط وثنى ومشرك، جعل نبرة الفتاوى والشروحات الحاخامية بخصوص الأغيار حادة ورافضة. سيما وأن اليهود في العصور القديمة مضطرون للعيش بين هذه الشعوب الوثنية وتحت هيمنتها؛ فكان التعامل مع تلك الأقوام الكافرة ومخالطتها يشكل خطرا عظيما على عقائدهم؛ ومن هنا جاءت النظرة المتطرفة إلى الأغيار، والتي تسوّغ الاستيلاء على أملاك الوثنيين، وتستنكر تقديم أي نوع من المساعدة لعبدة الأصنام.

إلا أن هذه النظرة نحو الوثنيين قد تقرّرت في الفكر الديني اليهودي واستقرّت واستمرت حتى مع غير الوثنيين، فيذكر المسيري أنه على الرغم من تغير المجتمعات التي كان يعيش فيها أعضاء الجماعات اليهودية بسبب ظهور الديانات التوحيدية السماوية، فإننا نجد أن اليهودية وقد تحولت إلى عقيدة أقلية مهددة تود الحفاظ على هويتها، قد تبنت رؤية حلولية<sup>(1)</sup> متعالية للذات في مقابل "الآخر" أيّا كان. فتم الخلط بين عبدة

(1) الحلولية طبقة ضمن طبقات التركيب الجيولوجي التراكمي في الفكر الديني اليهودي، ترى أن الشعب اليهودي يشارك الرب في القداسة، بل يستطيع أن يتوحد مع الإله تماما ويصبح في قداسته، فهي اتجاه وثنى قومي يخص اليهود بإله يحل فيهم وحدهم ويحاربهم ويعطف عليهم ويعصف بأعدائهم، ويرى اليهود أنفسهم من خلالها شعبا مقدسا يشغل مركز الكون، ولذلك صارت الديانة اليهودية مغلقة تستبعد الآخرين من نطاق القداسة، فهي ديانة غير تبشيرية ولا تشجع أحدا على التهود. (ينظر: موسوعة اليهود واليهودية الموجزة، المسيري ج 2، ص 22)

الأوثان والمسيحيين، كما في قضية "العكوم"، التي اتهم فيها الحاخامات بأنهم يمارسون التّقية والمداراة، وأن كل الشتائم والأوصاف المزرية المدونة في التلمود والتي ينعنون بها "العكوم" ويدّعون أنهم يعنون بهم عبدة الكواكب، إنما مقصودهم في ذلك هم المسيحيون وليس غيرهم؛ ومع أن هذه المسألة محل نظر إلا إنها تبين مدى الخلط الحاصل في الفكر اليهودي بخصوص مسألة الأغيار.<sup>(1)</sup>

وتبيّن التشريعات التوراتية والتلمودية المتعلقة بأحكام التعامل مع الأغيار حقيقة "الأنا" وصورة "الآخر" التي تصنعها النصوص المقدسة وتطبعها في الفكر الديني اليهودي، فنجد أنه من خلال منطق الاستعلاء: [وَأَنْ يَجْعَلَكَ فَوْقَ جَمِيعِ الْأُمَمِ الَّتِي خَلَقَهَا مَجْدًا وَاسْمًا وَبَهَاءً]<sup>(2)</sup> تنطلق النظرة التوراتية نحو "الآخر" وتبني على ذلك الأساس قوانين التعامل معه؛ وعليه فالفرد من شعب الرب المختار عنصر مميز ومقدس، يجب أن يسود ويقود الآخرين، وأن يكون مخدمًا من قبل الأمم لا خادما لها، في استعلاء على جميع أهل الأرض: [وَيَقِفُ الْأَجَانِبُ وَيَرْعَوْنَ غَنَمَكُمْ، وَيَكُونُ بَنُو الْغَرِيبِ حَرَائِيكُمْ وَكَرَّامِيكُمْ. أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ، تُسَمَّوْنَ خُدَّامَ إِلَهِنَا. تَأْكُلُونَ ثَرَوَةَ الْأُمَمِ، وَعَلَى مَجْدِهِمْ تَتَأَمَّرُونَ].<sup>(3)</sup> وإن الرب قد وعد ذرية إسرائيل أن تستعبد لها الأمم وتذل لها ملوكها: [وَبَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكَ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدُمُونَكَ ... وَتُقَادَ مُلُوكُهُمْ. لِأَنَّ الْأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لَا تَخْدِمُكَ تَبِيدُ، وَخَرَابًا تُخْرِبُ الْأُمَمَ].<sup>(4)</sup>

(1) ينظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ج5، ص140.

(2) سفر التثنية 19: 26 (الترجمة اليسوعية، ص397)

(3) سفر إشعيا 61: 5-6، (ترجمة فان دايك، ص791).

(4) سفر إشعيا 60: 10-12 (ترجمة فان دايك، ص791)

فلا خيار أمام الأمم: إما العبودية لشعب إسرائيل، وإما الخراب الأبدي، وإن العبيد والخدم من الشعوب الأممية يكونون: [وَأَمَّا عِبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ، فَمِنَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ. مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ عَبِيدًا وَإِمَاءً. وَأَيْضًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَوْطِنِينَ التَّازِلِينَ عِنْدَكُمْ، مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ وَمِنْ عَشَائِرِهِمُ الَّذِينَ عِنْدَكُمْ الَّذِينَ يَلِدُونَهُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَيَكُونُونَ مُلَكًا لَكُمْ. وَتَسْتَمْلِكُونَهُمْ لِأَبْنَائِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِيرَاثَ مُلْكٍ. تَسْتَعْبِدُونَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ].<sup>(1)</sup>

فمن أبناء الأغيار يتخذ العبيد على الدوام، ويستملكون أبد الدهر، ويصيرون إرثا من رقيق يتوارثه الأبناء عن الآباء، جيلا بعد جيل. أما الفرد من اليهود إذا افتقر واضطرته دوائر الزمان ونوائبه أن يصير خادما عند أخيه من بني ملته، فلا يحلّ لمستخدمه أن يعامله معاملة السيد للعبد، بل يجعله كضيف عنده أو نزيل، لأنه وإن كان مفلسا فهو من معدن الشعب الذي لا تطاله المذلة ولا يلحقه الهوان، فلا يعنف أبدا من اختاره الرب ليكون من عبيده وخاصته من خلقه: [وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ عِنْدَكَ وَبِيعَ لَكَ، فَلَا تَسْتَعْبِدُهُ اسْتِعْبَادَ عَبْدٍ. كَأَجِيرٍ، كَنَزِيلٍ يَكُونُ عِنْدَكَ... لِأَنَّهُمْ عِبِيدِي الَّذِينَ أَخْرَجْتُهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لَا يُبَاعُونَ بَيْعَ الْعَبِيدِ. لَا تَتَسَلَّطَ عَلَيْهِ بِعُنْفٍ]<sup>(2)</sup>، فلا يجوز في التوراة في حق اليهودي ما يجوز في غيره، فالعنف والتسلط لا يجوز في حقه: [وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلَا يَتَسَلَّطُ إِنْسَانٌ عَلَى أَخِيهِ بِعُنْفٍ].<sup>(3)</sup>

(1) سفر اللاويين 25: 44-46 (ترجمة فان دايك، ص 150)

(2) سفر اللاويين 25: 39-43 (ترجمة فان دايك، ص 150)

(3) سفر اللاويين 25: 46 (ترجمة فان دايك، ص 150)

فلا يجوز إذن أن يتسلط اليهودي على أخيه إذا صار تحت يده، بل يلزم أن يعامله بلطف ولا يعتفه، كما لا يُسمح له أن يتخذه عبداً على الدوام، لكن يستخدمه لمدة محددة لا تتجاوز ست سنوات ثم يحرره: [إِنْ اشْتَرَيْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا فَلْيَخْدُمْكَ سِتَّ سَنَوَاتٍ، وَفِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ تُطْلِقُهُ حُرًّا مَجَّانًا. وَإِذَا اشْتَرَيْتَهُ وَهُوَ أَعْزَبٌ يُطْلَقَ وَحْدَهُ. وَإِنْ اشْتَرَيْتَهُ وَهُوَ بَعْلُ امْرَأَةٍ، تُطْلَقُ زَوْجَتُهُ مَعَهُ].<sup>(1)</sup>

هذا إذا كان الذي استعبد اليهودي فرداً من بني جلدته، أما إذا دارت رحى الأيام على غير ما تشتهي التوراة وفي غير صالح شعب الرب، وصار العبراني مستعبداً من قبل أحد الأغيار، فتوجب التوراة على أهل ملته أن يهبوا لنجدته، وأن يسعوا لتحريره، ويعملوا لفكاكه، إذ لا يسترَق من يفترض فيه سمو معدنه من قبل من يعتقد فيه هوان طينته: [وَإِذَا طَالَتْ يَدُ غَرِيبٍ أَوْ نَزِيلٍ عِنْدَكَ، وَافْتَقَرَ أَخُوكَ عِنْدَهُ وَبِيعَ لِلْغَرِيبِ الْمُسْتَوْطِنِ عِنْدَكَ أَوْ لِنَسْلِ عَشِيرَةِ الْغَرِيبِ، فَبَعْدَ بَيْعِهِ يَكُونُ لَهُ فِكَاكٌ. يَفُكُّهُ وَاحِدٌ مِنْ إِخْوَتِهِ، أَوْ يَفُكُّهُ عَمُّهُ أَوْ ابْنُ عَمِّهِ، أَوْ يَفُكُّهُ وَاحِدٌ مِنْ أَقْرَبَاءِ جَسَدِهِ مِنْ عَشِيرَتِهِ، أَوْ إِذَا نَالَتْ يَدُهُ يَفُكُّ نَفْسَهُ].<sup>(2)</sup> فكرامة وعزة النفس التي تسربل بها اليهودي بناءً على نصوص القداسة والاختيار تأبى عليه أن يسترَق أو يستذل من قبل الأميين الذين جعلت التوراة منهم خدم شعب الرب الذي سيضحك ويستهزأ بالأغيار حسب تأويل الحاخامات لما جاء في سفر المزامير: [السَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ

(1) سفر الخروج 21: 2-4 (كتاب الحياة، ص 97)

(2) سفر اللاويين 25: 47-49 (ترجمة فان دايك، ص 150)

بِهِمْ<sup>(1)</sup> بأن المراد من هذه العبارة هم "الجوييم"، وسيجلس الرب ليستهزئ ويضحك منهم<sup>(2)</sup>.

وعلى الرغم من أن التوراة في بعض فصولها جاءت بتشريعات أخلاقية تنص على المكارم وتدعو إلى محمود الشيم ورفيع السجايا، وتنتهي عن قبيح الفعل وذميم الخصال، وتزجر عن الرذائل وتحث على الفضائل؛ فإن النصوص الواردة في هذا السياق لم تسلم من تحريف الحاخامات لمعانيها وتأويلهم لمضامينها وصرفهم لعبارتها عن ظواهرها<sup>(3)</sup>.

(1) سفر المزامير 2: 4 (ترجمة فان دايك، ص 622)

(2) مدخل إلى دراسة التلمود، ليلي أبو المجد، ص 163.

(3) تحدث إسرائيل شاحاك عن قضية تأويل الحاخامات للنصوص التوراتية على الوجه الذي لا يعرفه القارئ العادي الذي لا يحمل هذه الخلفية الحاخامية، وذكر أن من الأخطاء الشائعة لدى المسيحيين وغيرهم اعتقادهم أن الديانة اليهودية "ديانة توراتية"، بينما هي في الحقيقة "ديانة تلمودية"، تحتل فيها تفاسير الحاخامات وشروحهم على التوراة مكانة مركزية قد تتجاوز مكانة التوراة نفسها، فقد يفوق الشرح قداسة النص المشروح، وإن كان هذا الشرح مخالفا تماما لما يفهم من النص بداهة. يقول شاحاك: "العديد من الآيات التوراتية، وربما معظمها، الذي يوصي بالأعمال والفرائض الدينية، آيات تفهمها اليهودية الكلاسيكية والأرثوذكسية في وقتنا الحاضر، بمعنى مغاير تماما، بل حتى مناقض لمعناها الحرفي كما هو مفهوم لدى المسيحيين أو غيرهم من قارئ العهد القديم، الذين لا يرون إلا النص الصريح." (الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحاك، ترجمة رضا سلمان، ص 71). ويضيف شاحاك قائلا: "من الواضح تماما ... أن اليهود الأرثوذكس (أو اليهود كافة قبل حوالي العام 1780) عندما يقرؤون التوراة، فإنهم يقرؤون كتابا مختلفا تماما، ويحمل معاني مختلفة اختلافا كليا عن التوراة كما يقرؤه غير اليهود." (الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحاك، ترجمة رضا سلمان، ص 73). أما عن قيمة وقداسة تفاسير الحاخامات مقارنة بالتوراة، فينقل المسيري عن أحد الحاخامات قوله: "يا بني كن حريصا على مراعاة أقوال الكتبة (أي الحاخامات واضعي التلمود) أكثر من حرصك على أقوال التوراة، لأن أحكام التوراة تحوي الأوامر والنواهي. أما شرائع الكتبة، من ينتهك واحدة منها يجلب على نفسه عقوبة الإله." ويتحدث المسيري أيضا عن أهمية التلمود عند حاخامات اليهود هؤلاء، فينقل عنهم أن "لا خلاص لمن ترك التلمود واشتغل بالتوراة لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى، وهي أفضل من أقوال الأنبياء" (اليد الخفية، عبد الوهاب المسيري، ص 27-28).

إلى ما ينسجم من الدلالات مع رؤيتهم الخاصة، التي تقضي بخصوصية وانفراد الشعب المختار في العمل بالأحكام والتشريعات. فنجد في تفاسيرهم وشروحاتهم الكيل بمكيالين إذا تعلق الأمر بالأغيار، إذ ينزلون على الأميين من الأحكام ويطبقون عليهم من القوانين ما لا يطال أفراد "الأمة المقدسة" إذا وقع أحد أفرادها في المخالفة نفسها.

وإن هذه التعاليم الأخلاقية التي خضعت لتعسف الحاخامات، قد وردت في أهم نصوص التوراة على الإطلاق، إنها تلك التي تحدثت عن الوصايا العشر، وهي دستور الشريعة اليهودية، وهي في نظر بني إسرائيل الكنز الشامل لفلسفتهم وثقافتهم الروحية حيث اشتملت على كل القيم السامية<sup>(1)</sup>، ففيها نهي صريح وواضح عن الشرك بالله تعالى، وعن اتخاذ الأصنام والصور والتماثيل، وفيها تحريم القتل والزنا والسرقة، إضافة إلى غير ذلك من الأمر بمحاسن الخلال والنهي عن مساوئها؛ وجاء في نص هذه الوصايا: [فَقَالَ الرَّبُّ: ... لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لَا تَنْحِتْ لَكَ تِمَثَالًا، وَلَا صُورَةً ... لَا تَسْجُدْ لَهَا وَلَا تَعْبُدْهَا ... لَيْسَ تَرِيحَ عَبْدِكَ وَأَمْتِكَ مِثْلَكَ ... أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ، ... لَا تَقْتُلْ. لَا تَزْنِ. لَا تَسْرِقْ. لَا تَشْهَدْ عَلَى جَارِكَ شَهَادَةً زُورٍ. لَا تَشْتِهْ امْرَأَةً غَيْرِكَ وَلَا بَيْتَهُ وَلَا حَقْلَهُ وَلَا عَبْدَهُ وَلَا أَمَتَهُ وَلَا ثَوْرَهُ وَلَا حِمَارَهُ وَلَا كُلَّ مَا لَهُ].<sup>(2)</sup>

فهذه إذن وصايا عظيمة وأحكام حكيمة، وتشريعات جليلة فيها كثير من المعاني الحسان، إلا أن حاخامات اليهود حصروها في بني ملتهم، فضيقوا مجالها وجعلوها خاصة بأمة اليهود دون غيرهم، فلا تنطبق على سائر الأميين؛ ومما يؤكد هذا الطرح، أي

(1) الوصايا العشر في اليهودية دراسة مقارنة في الإسلام والمسيحية، رشاد عبد الله شامي، دار الزهراء للنشر: القاهرة، ط: 1993م ص11.

(2) سفر التثنية 5: 6-28 (كتاب الحياة، ص238)

اختصاص الأمة اليهودية بالشرعية دون غيرها، ما نقلته ليلي أبو المجد عن الربيين من علماء التلمود من ادعائهم أن الرب فضل بني إسرائيل على غيرهم من الأقوام، فخصهم بالشرعية التي عرضها على سائر الأمم الأخرى ولم تقبلها. فضغط الرب على بني إسرائيل لتقبلها، ولم يفعل ذلك مع الأمم الأخرى، وقد اشترط على الخلق قائلاً: إذا قبلت إسرائيل شريعتي فهذا حسن، وإذا رفضتها فسوف أردهم إلى الخراب والفوضى، وهو ما يؤكد نظرة فقهاء التلمود لقضية خلق العالم، فهم يرون أن العالم قد خلق من أجلهم وأن الرب لا يريد السيادة سوى لبني إسرائيل.<sup>(1)</sup> وإلى هذه الجوهرية والمركزية في الوجود لشعب إسرائيل، أشار إسرائيل شاحاك حينما ذكر أنه يوجد في بعض الخطابات اليهودية أن غير اليهود مخلوقات شيطانية ليس بداخلها شيء جيد على الإطلاق، وأن وجود الأغيار مسألة غير جوهرية في الكون، فقد نشأ كل الخلق من أجل اليهود فقط.<sup>(2)</sup> وقد جاء في التلمود أن كل البركات التي يتمتع بها الأغيار إنما هي بسبب الشعب اليهودي.<sup>(3)</sup> ومستند الحاخامات في ذلك ما ورد في سفر التكوين: [وَأِبْرَاهِيمُ لَا بُدَّ أَنْ يُصْبِحَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَبِهِ تَتَبَارَكُ شُعُوبُ الْأَرْضِ جَمِيعاً]<sup>(4)</sup>. فكل ما يتحصل عليه الأغيار من الخيرات والبركات حسب هذا الفهم إنما هو بسبب الشعب اليهودي، فلا ينالون ما ينالونه من الخير إلا بسبب وجود شعب الله المختار، أما الأمميون فلا يستأهلون ما

(1) ينظر: مدخل إلى دراسة التلمود، ليلي أبو المجد، ص 149.

(2) الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحاك، ترجمة: حسن خضر، سينا للنشر: القاهرة، ط 1: 1994م ص 40.

(3) Seder Nashim, Yevamot 63a; Talmud Bavli; the William Davidson Talmud. available: <https://www.sefaria.org/Yevamot.63a.6?lang=bi>

(4) سفر التكوين 18: 18 (كتاب الحياة، ص 20)

يحصل لهم من البركة لذواتهم، بل ذلك تابع ونابع من الوجود اليهودي، فيكون بذلك موقعهم في الكون هامشيًا، أمّا موقع اليهود فهو جوهري ومركزي.

ولذلك يرى حاخامات اليهود أن وصايا الرب خاصة بشعبه المختار، كما أن الأمم لا تستحق شرف حمل رسالة الرب، فامتياز الشعب اليهودي بالقداسة والاجتباء راجعان إلى قبوله لوصايا الرب دون غيره من سائر أمم الأرض، وإلى مثل هذا المعنى أشار غازي السعدي بقوله: "يعتقد بعض الحاخامات أن الوصايا العشر عرضت على كل الشعوب فأبوا أن يحملوها، وحملها الشعب اليهودي وحده، ولذلك فهو شعب متميز مختار مقدس، وبالتالي منفصل عن جميع الشعوب."<sup>(1)</sup>

وعليه فإن حاخامات اليهود يجعلون من الوصايا: [לֹא תִצְּחַק: לֹא תִבְזֶה: לֹא] وعليه فإن حاخامات اليهود يجعلون من الوصايا: [לֹא תִצְּחַק: لֹא تִבְזֶה: لֹא] وعليه فإن حاخامات اليهود يجعلون من الوصايا: [لَا تَقْتُلْ، لَا تَزْنِ، لَا تَسْرِقْ] شأنًا خاصًا باليهود، فيقول "هبري لوي"، صاحب كتاب أديان العالم الكبرى: "حوّل اليهود الوصايا الإلهية للإنسانية إلى وصايا لليهود أنفسهم، أما الجويم - أي الأمم الأخرى - فلا، وأنّ قانون لا تقتل - لا تزن - لا تسرق - هو خاص باليهود وحدهم."<sup>(2)</sup>

إن عبارة "لا تقتل" في نص ما يسمى بالوصايا العشر واضحة الدلالة في النهي عن القتل، وهي حسب تفسير أوكسفورد للكتاب المقدس نهى عن القتل غير المشروع

(1) الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، غازي كامل السعدي، دار الجليل للنشر: عمان، ط1: 1994م ص95.

(2) نقلا عن: الإسلام والمهودية: دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، عماد علي عبد السميع حسين، ص420.



للأفراد أو الجماعات، ولا يشمل هذا المنع عقوبة الإعدام، أو القتل في الحرب، أو حتى قتل الماشية بغرض الطعام.<sup>(1)</sup> وقد أكدت التوراة في أكثر من موضع على تجريم القتل غير المشروع، ونصت على أن عقوبة القاتل هي القتل، ومن ذلك ما جاء في سفر اللاويين: [وَإِذَا قَتَلَ أَحَدٌ إِنْسَانًا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ].<sup>(2)</sup>، [وَمَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا يُقْتَلُ]<sup>(3)</sup>. ومع وضوح العبارة في النهي عن القتل فإن حكماء التوراة يصرفون النصوص عن ظواهرها، فيقررون أن عبارة "لا تقتل" واردة فقط في شأن قتل اليهودي لغيره من اليهود، ولا تخص قتل اليهودي للأغيار، حتى ولو كان هذا الأممي ممن يُعدّ عندهم من المستقيمين بين الأمم.<sup>(4)</sup> وقد نصّ على قتل أفضل الأميين في القرن الثاني الميلادي الحاخام الكبير شمعون بن يوحاي Rabbi Shimon ben Yohai مؤلف كتاب الزوهار<sup>(5)</sup> «Zohar»، الذي كان يرى أن "الجوييم" لا يستحقون الحياة.<sup>(6)</sup>

(1) Barton and Muddiman, The Oxford Bible Commentary P.82.

(2) سفر اللاويين 24: 17 (كتاب الحياة، ص 162)

(3) سفر اللاويين 24: 21 (كتاب الحياة، ص 162)

(4) Ophir Yarden, "Recent Halakhic Discourse in Israel Encouraging Racism and Violence," Religious Stereotyping and Interreligious Relations, eds. Jesper Svartvik and Jakob Wirén (New York: Palgrave Macmillan US, 2013) P.222.

(5) الزوهار كلمة عبرية تعني «الإشراق» أو «الضياء». وهو تعليق صوفي مكتوب بالآرامية على المعنى الباطني للعهد القديم، ويعود تاريخه الافتراضي إلى ما قبل الإسلام والمسيحية. ويُنسب الكتاب إلى أحد معلمي المشناه (تنائيم) الحاخام شمعون بن يوحاي (القرن الثاني)، وإلى زملائه، ولكن يُقال إن موسى دي ليون (مكتشف الكتاب في القرن الثالث عشر) هو مؤلفه الحقيقي أو مؤلف أهم أجزائه، وبعد مرور مائة عام على ظهوره، أصبح الزوهار بالنسبة إلى المتصوفة في منزلة التلمود بالنسبة إلى الحاخاميين. وقد شاع الزوهار بعد ذلك بين اليهود، حتى احتل مكانة أعلى من مكانة التلمود. ومعظم الزوهار يأخذ شكل تعليق أو شرح على نصوص من الكتاب المقدس. (موسوعة اليهود واليهودية الموجزة، ج 2، ص 42).

(6) E. Hendrie and T. Marrs, Solving the Mystery of Babylon the Great (Great Mountain Publishing, 2011) P.117.

كما كتب أحد المحامات المعاصرين وهو الرابي إلبا Rabbi Elba مقالا درس فيه القوانين والتشريعات اليهودية المتعلقة بالقتل، وخلص فيه إلى نتيجة مفادها جواز قتل الأغيار. وكان أيضا من خلاصات دراسته أن النهي عن القتل الوارد في الوصايا العشر لا يغطي الحالة التي يقتل فيها اليهودي أحد الأغيار.<sup>(1)</sup> ونشر أيضا الرابيان يتسحاق شابيرا Rabbi Yitzhak Shapira ويوسف إلتيسور Yosef Elitzur كتابا بعنوان: "Torat Hamelekh" "شريعة الملك"، يبرران فيه جواز قتل غير اليهود من الأطفال والرضع الذين يُحتمل أن يشكلوا في الحال أو المستقبل تهديدا لليهود، وجاء في كتابهما التأكيد أيضا على ما سبق ذكره من أن تحريم القتل الذي تحدثت عنه الوصايا العشر إنما المقصود به هو قتل اليهودي لأخيه اليهودي ولا يشمل قتل اليهودي للأغيار.<sup>(2)</sup>

وبناء على ما سلف، فإن اليهودي الذي يتسبب في قتل أحد الأغيار بشكل مباشر، لا تتخذ في حقه عقوبة الإعدام التي نصت عليها الوصايا العشر: [وَمَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا يُقْتَلُ]<sup>(3)</sup>، ولا تقرّر المحكمة اليهودية في حقه أية عقوبة محددة، بل يعتبرون القاتل اليهودي في هذه الحالة مذنبا فقط، بما تطلق عليه الشريعة التلمودية خطيئة ضد "شرائع السماء"، التي يقع عقابها على الله لا على الإنسان. أما إذا قتل اليهودي أحد الأغيار بطريقة غير مباشرة، فذلك لا يعد عندهم معصية على الإطلاق.<sup>(4)</sup>

(1) D. Kretzmer, F.K. Hazan and F.E. Stiftung, Freedom of Speech and Incitement against Democracy (Springer Netherlands, 2000) P.250.

(2) S. Armato, The Bible and Western Culture (AuthorHouse, 2014) P.40.

(3) سفر اللاويين 24: 21 (كتاب الحياة، ص162)

(4) ينظر: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحاك، ص133.

وإن التسبب في قتل غير اليهودي بطريقة غير مباشرة قد يكون أمرا محمودا عند المحاكمات، فجاء في التلمود أنه إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها عليه بحجر<sup>(1)</sup>، ولا يجوز أن ينتشل اليهودي غير اليهودي إن سقط في بئر، كما قال رابا وراف يوسف: إذا كان هناك حجر بجانب فتحة البئر تغطي به البئر، وذلك بعد سقوط غير اليهودي فيه.<sup>(2)</sup>

ويرى الرابي موسى بن ميمون أن الشفقة ممنوعة بالنسبة إلى الوثني؛ فإذا رأيته واقعا في نهر أو مهددا بخطر فيحرم عليك أن تنقذه منه، لأن الشعوب السبعة الذين كانوا في أرض كنعان، والذين أراد اليهود قتلهم جميعا لم يقتلوا عن آخرهم، بل هرب بعضهم واختلطوا بباقي الأمم، ولذلك فإن ابن ميمون يضيف قائلا: إنه يلزم قتل الأجنبي لأنه من المحتمل أن يكون من نسل هؤلاء السبعة شعوب، وعلى اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله، فإن لم يفعل ذلك خالف الشرع.<sup>(3)</sup>

ويبين أحد أهم المعلقين على كتاب "شولحان عاروخ" Shulchan Aruch أنه عندما يتعلق الأمر بالأغيار: "فلا ينبغي أن يرفع الإنسان يده للإحراق الأذى به، ولكن قد يؤذيه بطريقة غير مباشرة، بإزاحة سلم مثلا بعد سقوطه في حفرة عميقة. ولا يوجد تحريم لعمل كهذا لأنه يتم بطريقة غير مباشرة."<sup>(4)</sup> وجاء أيضا في باب العبادات

(1) الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهنج و شارل لوران، ترجمة يوسف حنا نصر الله، مكتبة النافذة: الجيزة، ط1: 2003م ص153.

(2) ينظر: مدخل إلى دراسة التلمود، ليلي أبو المجد، ص166.

(3) نقلا عن: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، رقية العلواني وآخرون، ص66.

(4) ينظر: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحك، ص133.

الأجنبية من التلمود أنه بإمكان اليهودي إنزال غير اليهودي في البئر دون الحاجة إلى إصعاده منها، فليس مضطراً لذلك، وإذا كان هناك درج في البئر فعليه أن يزيله حتى لا يتمسك به غير اليهودي عند الصعود، وإذا كان هناك سلم فعليه أن يزيله.<sup>(1)</sup>

لكن إذا كان هذا العمل سيؤدي إلى إلحاق الأذى باليهودي فإنه يصير محظوراً، إذ يمنع القيام بأي عمل يحتمل أن ينتج عنه ولو بشكل غير مباشر موت يهودي أو انتشار العداء ضد اليهود.<sup>(2)</sup>

وينص حكماء التوراة وحاخامات التلمود أن من مسّ اليهودي بأذى فإن عقوبته في الشريعة هي القتل. وذلك بناء على ما جاء في التوراة في شأن قتل موسى للرجل المصري: [وَحَدَّثَ بَعْدَ أَنْ كَبُرَ مُوسَى أَنَّهُ ذَهَبَ لِيَفْتَقِدَ إِخْوَتَهُ الْعِبْرَانِيِّينَ وَيَشْهَدَ مَشَقَّتَهُمْ، فَلَمَحَ رَجُلًا مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلًا عِبْرَانِيًّا، فَتَلَفَّتْ حَوْلَهُ، وَإِذْ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا هُنَاكَ قَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ]<sup>(3)</sup> فمجرد ضرب المصري للعبري استحق به عقوبة القتل، ولذلك جاء في التلمود في كتاب الأضرار عن الرابي حانينا قوله: "غير اليهودي الذي يضرب يهودياً يستحق عقوبة الإعدام، والذي يصفع خد اليهودي كالذي يصفع خد الوجود الإلهي"<sup>(4)</sup>. وإذن، فهذا تأكيد على أن مجرد ضرب اليهودي يعد جريمة تؤدي بصاحبها من الأغيار إلى الموت، فضلاً عن قتله له، وإن القاتل من غير اليهود يجب

(1) الآخر في التلمود ترجمة باب العبادات الأجنبية في التلمود، شيماء مجدي حسن، ص 60-61

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 133.

(3) سفر الخروج 2: 11-12 (كتاب الحياة، ص 71)

(4) Seder Nezikin, Sanhedrin.58b; Talmud Bavli; the William Davidson Talmud., available: <https://www.sefaria.org/Sanhedrin.58b.17?lang=bi&with=all&lang2=bi>

حسب تعاليم الحاخامات إعدامه سواء أكانت الضحية يهودية أم لا. ولكن إذا تهوّد الجاني وكانت الضحية غير يهودية فلا يعاقب.<sup>(1)</sup>

فإذا كانت وصية "لا تقتل" حسب فهم حكماء اليهود "يقصد بها فحسب اليهودي الذي قتل يهوديا آخر، وليس اليهودي الذي قتل غير اليهودي، حتى لو كان غير اليهودي من الأتقياء"<sup>(2)</sup> فإن ما سلف ذكره وبيانه حول فهم الحاخامات لهذه الوصية الواردة في الوصايا العشر يسري على باقي الوصايا من قبيل: "لا تزن... لا تسرق..."، فإن النهي عن السرقة هاهنا إنما المقصود به سرقة اليهودي لأخيه اليهودي أو الاعتداء على عرضه، أما الأغيار فلا يوجد في الشريعة اليهودية ما يمنع من السرقة إذا كانت بشكل غير مباشر، وكذلك عقوبة الزاني من اليهود لا تنطبق عليه إذا كانت الفاحشة مع الأغيار. وجُلّ التّصوص التوراتية الواردة في باب تحريم الزنا والسرقة تشير إلى الأخ أو القريب، بمعنى الذي ينتمي إلى الديانة اليهودية نفسها.

ويؤكد رشاد عبد الله شامي أن الوصايا العشر تفتقر إلى الطابع الإنساني الشامل، لأنها تختص في عدد من النواهي على اليهود فقط، ولا تتعداه لمن هو غير يهودي، ويقول: "فمثلا، وصايا النهي عن القتل والزنا والسرقة وشهادة الزور، واشتهاء ما للغير، كل هذه الوصايا قاصرة على اليهود، وكذلك فإن تطبيق حد مخالفة الوصية لا ينطبق على اليهودي إذا كانت المخالفة مع غير اليهودي، لأنه مسموح أن يضر الغير، في حين أن غير اليهودي يجب أن يعاقبوا إذا ارتكبوا نفس الخطيئة في حق اليهودي وفق ما نصت عليه الشريعة

(1) ينظر: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحاك، ص 133.

(2) شريعة الملك: شريعة قتل الأغيار، الحاخام يتسحاق شابير والحاخام يوسف إيليتسور، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، ص 1: 2011م. ص 28.

اليهودية، وفي ذلك قول التلمود: إذا سرق أولاد نوح شيئا ولو تافها فإنهم يستحقون الموت لأنهم خالفوا الوصية، أما اليهودي فمسموح له أن يضر الغير<sup>(1)</sup>.

وعليه، فالمنهيات التي جاءت بها الوصايا يكون العمل بها حصرًا في الشعب اليهودي وبين أفرادهم، أما إذا تعلق الأمر بالأغيار، فلا يقع على المخالف للفرائض من اليهود ما تقضي به الشريعة من العقاب لو ارتكبت في حق القريب أو الأخ اليهودي. فجاء مثلاً في شأن الزنا: [إِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ قَرِيبَةٍ، فَالزَّانِي وَالزَّانِيَةُ يُقْتَلَانِ]<sup>(2)</sup>، ومعلوم أن القريب حسب التعاليم هو من ينتمي إلى الشعب اليهودي، أما أحد "الأغيار فلا يعد قريباً"<sup>(3)</sup>.

ويعلق التلمود في كتاب الأضرار على النص التوراتي السابق بأن العبارة [مَعَ امْرَأَةٍ قَرِيبَةٍ] تدل على إخراج زوجات الآخرين من هذا الحكم، أي زوجات "الأغيار" الذين لا يشار إليهم بكلمة "قريبه"<sup>(4)</sup>. ومقتضى ذلك أن الزنا بزوجات الأميين لا يدخل في دائرة العقاب، لأن الأغيار ليسوا من الأقرباء.<sup>(5)</sup> وتعتبر الشريعة اليهودية الأغيار إباحيين ويصدق فيهم ما جاء في التوراة: [بَدْنُهُمْ بَدَنُ حَمِيرٍ وَمِنْهُمْ مَنِي خَيْلٍ]<sup>(6)</sup>، فهم بذلك بهائم لا ينطبق عليهم مفهوم الزواج، ومؤدى ذلك، أن الزنا بالمرأة غير اليهودية سواء كانت متزوجة أم لا، لا يعتبر زنا بمعناه الشرعي ولا ينطبق عليه مفهومه، بل

(1) الوصايا العشر في اليهودية دراسة مقارنة في الإسلام والمسيحية، رشاد عبد الله شامي، ص 81.

(2) سفر اللاويين 20: 10 (كتاب الحياة، ص 156)

(3) M. Hoffman, *Judaism Discovered* (Independent History & Research Company, 2008) P.361.

(4) Seder Nezikin, Sanhedrin 52b; *Talmud Bavli; the William Davidson Talmud*. available: <https://www.sefaria.org/Sanhedrin.52b.22?lang=bi>

(5) E. Hendrie, *The Greatest Lie on Earth: Proof That Our World Is Not a Moving Globe* (Great Mountain Publishing, 2016) P.439.

(6) سفر حزقيال 23: 20 (الترجمة اليسوعية، ص 1807)

يساوي التلمود معاشرة المرأة من الأغيار بمعاشرة البهيمة، ولذلك لا تتخذ في حق الزاني من اليهود بالمرأة الأجنبية عقوبة الإعدام، لأن الشريعة نصت على "زوجة قريبه"، والأممي ليس كذلك، فلا يقع عليه الحد، إنما تقتل المرأة من الأغيار، أما اليهودي الذي زنى بالأممية فيجلد إن كان من سلالة الكوهين لأنه زنى بعاهرة، وجميع النساء الأمميات عند اليهود بغايا.<sup>(1)</sup>

وإن الأوامر والوصايا التوراتية جاءت مؤكدة على هذه القرابة، أما من لا تربطه صلة دينية أو عرقية بالشعب اليهودي فلا تعنيه الوصايا ولا تشملها، ومثال التنصيص على القرابة في تحكيم الفرائض والشرائع ما جاء في سفر اللاويين: [لَا تَظْلِمُ قَرِيبَكَ، وَلَا تَسْلُبُ وَلَا تُرْجِيءُ دَفْعَ أُجْرَةِ أَجِيرِكَ إِلَى الْغَدِ... احْكُمْ لِقَرِيبِكَ بِالْعَدْلِ. لَا تَسْعَ فِي الْوِشَايَةِ بَيْنَ شَعْبِكَ ... لَا تُبْغِضَ أَخَاكَ فِي قَلْبِكَ، ... لَا تَنْتَقِمَ وَلَا تَحْقِدْ عَلَى أَحَدِ أَبْنَاءِ شَعْبِكَ، وَلَكِنْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَمَا تُحِبُّ نَفْسَكَ]<sup>(2)</sup>.

ومما يؤكد على هذا المعنى ما جاء في كتاب الأضرار من التلمود تعليقا على النص سالف الذكر، وفيه تساءل حكماء الجيمارا عن الجار غير اليهودي الذي يسكن بين اليهود والذي يسمونه "جير توشاف" גֵּר תוֹשָׁב ger toshav هل يدخل ضمن هذه الوصايا أم لا؟ فكان جواب الجيمارا أن الآية التوراتية بدأت بتقرير كلمة "قريبك" أو "جارك" مما يشير إلى جارك الذي هو يهودي، أما "جير توشاف" فلا يسمى جارك، وأمواله لا تأخذ

(1) ينظر: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحاك، ص 146.

(2) سفر اللاويين 19: 13-18 (كتاب الحياة، ص 154)

حكم "أموال الجار"، وكذلك تشير كلمة "أخوك" الواردة في النص التوراتي إلى استبعاد وإخراج غير اليهود من هذه الأحكام.<sup>(1)</sup> مما دل على جواز استغلال وسرقة الأغيار.<sup>(2)</sup>

وفي هذا السياق أيضا نجد أن الهالاخا Halakhah تضع إنقاذ حياة اليهودي واجبا شرعيا على أخيه اليهودي، أما غير اليهودي الذي لا يعد أخا فإن المبدأ الأساسي في التلمود ينص على عدم إنقاذه، رغم تحريم التورط في القتل المباشر للأغيار. ويؤكد التلمود في حالة السلم على وجوب عدم إخراج الأغيار من بئر أو دفعهم فيه، كما فسر ذلك موسى بن ميمون بقوله: "يجب ألا نتسبب بقتل غير اليهود الذين لسنا في حالة الحرب معهم، ولكن يحظر علينا إنقاذ حياتهم إن كانوا على مشارف الموت، إذا شوهدهم أحدهم يسقط في البحر مثلا، فلا يجب إنقاذه، لأن الشريعة تقول لا تهمل دم أخيك وغير اليهودي ليس أخا"<sup>(3)</sup>.

ويذكر إسرائيل شاحاك أنه جاء في عدد لا يحصى من الحالات التي يتم تفسير العبارات: "جارك" و"الغريب" أو حتى "الإنسان" بالمعنى الحصري الذي يعني اليهود فقط، ثم يستحضر عبارة "لا تهمل دم جارك" التي تعني في ظاهرها ألا يقف اليهودي لا مباليا إذا تعرضت حياة جاره اليهودي للخطر، أما جاره غير اليهودي فيمنع إنقاذه حياته لأنه "ليس قريبك".<sup>(4)</sup>

(1) Seder Nezikin, Bava Metzia 111b; Talmud Bavli; the William Davidson Talmud. available: [https://www.sefaria.org/Bava\\_Metzia.111b.12?lang=bi](https://www.sefaria.org/Bava_Metzia.111b.12?lang=bi)

(2) Hoffman, Judaism Discovered P.361.

(3) ينظر: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحاك، ص 141-142.

(4) ينظر: المرجع السابق، ص 60.



وفي هذا السياق أيضا يمنع على الطبيب اليهودي إنقاذ حياة الأغيار، إلا إذا خاف على نفسه أو على بني جنسه من استعداد الناس عليه بسبب امتناعه عن معالجة من يلزمه علاجه من مرضى الأغيار، فله في هذه الحالة كما ينص على ذلك ابن ميمون أن يعمل على شفائه ولكن لقاء أجر يأخذه من الأُميين، أو بالمجان إن خاف على نفسه ولم يجد من ذلك بدا.<sup>(1)</sup> وينقل المسيري عن حكماء التلمود أنه يحرم على الطبيب اليهودي أن يعالج مريضا غير يهودي إلا لدرء أذى الأغيار.<sup>(2)</sup>

فإذا تقرر هذا، علم أن كل الوصايا التوراتية التي دعت إلى حب القريب وعدم ظلمه وإقامة العدل معه، وعدم سرقة أو التسبب في موته إنما يعنون به القريب اليهودي، أما الأغيار فلا يجوز محبتهم وتستباح أموالهم إذا وجد إليها سبيل، فالسرقة الممنوعة في الوصايا إنما هي من اليهود فقط، أما من غيرهم فلا مانع من ذلك إذا كانت بشكل غير مباشر على غرار سماح الحاخامات بقتل الأغيار إذا كان بطريقة غير مباشرة. ولذلك جاء في التلمود "أن الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد للأُمي ماله المفقود، وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب"<sup>(3)</sup>.

فإذا عثر يهودي على متاع يرجح أن يكون مالكة يهوديا، فإنه حسب التعاليم الدينية ملزم إلزاما صارما بإعادته، أما إذا كان الغرض المفقود لأحد الأغيار فإن الفتاوى الحاخامية لا تسمح لليهودي بالاستيلاء عليه فحسب، بل تمنعه من إعادته لصاحبه، إلا أن تكون قوانين الدولة التي يعيشون فيها تلزم بإعادة الأغراض المفقودة، فإن

(1) ينظر: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ص 137.

(2) اليد الخفية، عبد الوهاب المسيري، ص 29.

(3) الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهنج وشارل لوران، ص 147.

الخاصات في هذه الحالة يفتون بضرورة إعادة الأشياء التي يعثرون عليها من باب طاعة قوانين البلد وليس كواجب ديني.<sup>(1)</sup>

كما أكد "ميشائل هوفمان" Michael Hoffman أنه بناء على ما جاء في نصوص التلمود وبعض أقوال حكماء اليهود من أن الأغيار ليسوا بإخوان ولا جيران لليهود، فإن معتقدهم ذاك جعلهم يستبيحون سرقة أموال الأُمَميين؛ وأما ما جاء في أحد نصوص التلمود من تحريم السرقة من الأغيار حتى لا يدنس اسم الرب، إنما هو وارد فقط في حالة الخوف من إلحاق الضرر باليهودية بسبب السرقة.<sup>(2)</sup>

وبخصوص المعاملات المالية مع "الآخر" فإن التوراة تحرم الغش والغبن والربا في التعامل مع اليهود، أما مع "الآخر" فعلى النقيض من ذلك، لا يوجد في الشريعة ما يمنع من الإضرار به. ونجد في التوراة التنصيص الواضح على تحريم الربا والحث على السماح في البيع حين التعامل مع الأخ اليهودي المعوز دون غيره، فجاء في سفر اللاويين: [وَأِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ وَعَجَزَ عَنْ إِعَالَةِ نَفْسِهِ فِي وَسْطِكَ، فَأَعِنُّهُ، سَوَاءٌ كَانَ غَرِيباً أَوْ مُوَاطِناً، لِيَتِمَكَّنَ مِنَ الْعَيْشِ مَعَكَ. اِتَّقِ إِلَهَكَ وَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ رِباً وَلَا رِبْحاً، لِيَتِمَكَّنَ مِنَ الْعَيْشِ فِي وَسْطِكَ. لَا تُقْرِضْهُ فِضَّتَكَ بِرِبَا، وَلَا تَبِعْهُ طَعَامَكَ بِرِبْحٍ].<sup>(3)</sup>، فحث هذا النص على التعاون مع الفقير من إخوان اليهود، وإقراضه دون أخذ الربا منه، فالتوراة إذن واضحة في تحريم التعامل بالربا مع أبناء شعب الرب من بني إسرائيل أما "الآخر" الأجنبي من الأغيار، فتقضي الشريعة التوراتية بأخذ الربا منه، كما جاء ذلك جلياً في سفر اللاويين:

(1) الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحاك، ص 148-149.

(2) Hoffman, Judaism Discovered P.361.

(3) سفر اللاويين 25: 35-37 (كتاب الحياة، ص 163-164)

[لَا تَتَقَاصُوا فَوَائِدَ عَمَّا تُقْرِضُونَهُ لِإِخْوَتِكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَوَاءٌ كَانَتْ الْقُرُوضُ فِضَّةً أَوْ أَطْعَمَةً أَوْ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ. أَمَّا الْأَجْنَبِيُّ فَاقْرِضُوهُ بَرًّا. إِنَّمَا إِيَّاكُمْ إِقْرَاضَ أَخِيكُمْ بِفَائِدَةٍ]<sup>(1)</sup>.

أما غش "الآخر" وبيعه السلع المعرضة للفساد، فإن تعاليم الحاخامات تسمح بذلك، فيذكر المسيحي أنه جاء في التلمود: لا يصح أن يباع لليهودي الشيء الذي يحتمل فساده إن ترك، ولكنه من الممكن أن يباع لغير اليهودي.<sup>(2)</sup> وقد نصت التوراة أيضا على تحريم الغش ومنع الغبن في البيع والشراء مع الأخ اليهودي فقط، وجاء فيها: [فَمَتَى بَعْتَ صَاحِبَكَ مَبِيعاً أَوْ اشْتَرَيْتَ مِنْ يَدِ صَاحِبِكَ فَلَا يَغْنِ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ]<sup>(3)</sup>.

وبالجملة فإن التلمود أو التوراة الشفوية الشارحة للتوراة المكتوبة تشجع لكل ما يمكنه أن يضرّ أو يضيّق أو يلحق الأذى بالأغيار، وفي ترجمة علمية من خلال النصوص الأصلية لكتاب العبادات من التلمود لشيماي مجدي حسن، تحت إشراف ليلي أبو المجد أستاذ الدراسات التلمودية بجامعة عين شمس، نقف على العديد من هذه التشريعات التلمودية والأحكام الحاخامية التي تدعو صراحة إلى الإضرار بالأغيار في جوانب كثيرة من المعاملات ولو في حالة السلم، ودون وجود حرب قائمة قد تبرر الكراهية المفرطة للأغيار؛ إنما هو العداء المبطن الدائم لكل من لا ينتمي إلى هذا الشعب المختار والأمة المقدسة.

(1) سفر التثنية 23: 19-20 (كتاب الحياة، ص 261)

(2) ينظر: اليد الخفية، عبد الوهاب المسيحي، ص 29.

(3) سفر اللاويين 25: 14 (ترجمة فان دايك، ص 149)

وبالرجوع إلى هذه الترجمة نجد أنه في "باب العبادات" לאבדה זרה Avodah Zarah من "سدر نزيقين זקנים" أي "كتاب الأضرار" من التلمود، ورد الكثير من التشريعات الحاخامية التي تتحرى الإساءة والتضييق على "الآخر" من كل سبيل، فنصت على تحريم بيع القمح والشعير للأغيار قدر الإمكان لئلا يحميهم ذلك من الجوع، كما دعت اليهودي الذي يتاجر في أسواق الأغيار إلى إعطاب البهيمة وإفساد الفاكهة والملابس والأدوات والعملات المالية بإلقائها في البحر المالح، وألا يباع للأغيار في أعيادهم إلا السلع القابلة للتلف. وحرمت بيع الخامات التي تصلح لصناعة الأسلحة والدروع؛ كما حرّم فقهاء اليهود أيضا بيع الأغيار كل حيوان يصلح للتناسل، بهدف تجريد الأمميين من كل وسائل الدفاع والقوة. كما نُهيت المرأة الإسرائيلية من مساعدة امرأة الأغيار عند الوضع حتى لا يولد من يعبد الأوثان، ونهوها أيضا عن إرضاع ابن المرأة من الأغيار. أما الهدايا فيحرم أن تعطى لغير اليهود إلا أن تكون شيئا تالفا، أو شيئا يضر بالأغيار، أو شيئا محرما على اليهود؛ كما حظر فقهاء التلمود على اليهود التعامل مع الأغيار في أعيادهم، ونهوه أن يعيروهم أو يقرضوهم أو يسدّدوا لهم الديون لأن ذلك يضيّق عليهم في عيدهم فلا يسعدوا به.<sup>(1)</sup> ولا يجوز دعوة الأجانب إلى داخل البيوت اليهودية، ولا ينبغي رد الأشياء التي يفقدها الأجانب، وإذا نطح ثور اليهودي ثور الأجنبي لا يلزم اليهودي شيء، ولكن إذا نطح ثور الأجنبي ثور اليهودي وجب على الأجنبي دفع التعويض عن الضرر الذي أصاب ثور اليهودي.<sup>(2)</sup>

(1) ينظر: الآخر في التلمود ترجمة باب العبادات الأجنبية في التلمود، شيماء مجدي حسن، ص 61-66.

(2) ينظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس: بيروت، ط8: 2002م ص 90-

فتلك إذن جملة من التشريعات الحاخامية التي تستهدف الأغيار للتضييق عليهم في كل باب، ولإلحاق الحرج بهم من كل سبيل، حرصاً منهم على إلحاق الأذى بهم متى وجد إلى ذلك طريق، احتقاراً لشأنهم، وازدراءً لأمرهم، فالأغيار مستهدفون في كل ما يملكون من عرض ومال، يقول علي خليل: "اليهودي يحقُّ له أن يسرق الأغيار وأن يزني مع نساء الأغيار، وأن يقرض الأغيار بالربا، لكنّه لا يحق له هذا مع اليهودي، لأنّ اليهوديّ أخوه بينما الأجنبي عدّوه ... اليهودي يحقُّ له أن يرتكب كافة الذنوب ضد الأغيار، يقرض بالربا ويشهد بالزور، ويسرق ويشتهي النساء الأجنبية ويغدر ويغتصب كل من هو غير يهودي ... فهذه النزعة العنصرية تبيح لليهودي أن يفعل كلّ شيء يمكن أن يسيء إلى الأغيار ... وهذا دون شك يعبر عن انعدام القيم الأخلاقية والإنسانية في الفكر الديني اليهودي".<sup>(1)</sup>

وصفوة القول بخصوص التشريعات اليهودية المتعلقة بالتعامل مع "الآخر" في زمن السلم، إنها أحكام مجحفة في حق كل من لا ينتمي إلى دائرة القداسة اليهودية، فالنصوص التوراتية وشروحاتها التلمودية يكرّسان استعلاء "الأنا" في مقابل النظرة الدونية للآخر بما يقتضي ذلك من احتقار واستصغار وازدراء له، ومن ثم استحلال لاستعباده واستغلاله واستخدامه، واستباحة كل ما يقع تحت يده من أرض وعرض ومال، فإنهم لا يرون للآخر كرامة ولا يراعون له حرمة.

(1) اليهودية: بين النظرية والتطبيق مقتطفات من التلمود والتوراة، علي خليل، منشورات اتحاد الكتاب العربي: دمشق، ط: 1997م ص 89-90.

## المطلب الثاني: أحكام التعامل مع "الآخر" في الحرب.

إذا كانت شرائع الحرب عموماً تتصف بالشدة والقسوة والدموية، لما تقتضيه من قتال في الدفاع أو الطلب، فإن أحكام الحرب في التوراة طبعت بالغلو في التقتيل والإفراط في إراقة الدماء. وقد دعت نصوص عديدة منها إلى الإبادة الجماعية لأمم كثيرة، بما يعني ذلك من تطهير عرقي، وتصفية جسدية، واستئصال من الوجود. فالحرب وفقاً لأحكام التوراة حرب ظالمة لا تفرق بين المقاتل والمسلم، ولا بين المحارب والمهادن، ولا تميز بين حامل السلاح ومن لا يستطيع حمله، فتساوي بين الطفل الضعيف الواهن والبالغ الجلد المتين، وتعادل الوليد الرضيع بالمسن الضليع، فحد السيف يشمل الجميع، المحارب وغيره، بمن فيهم الصنف الضعيف الذي لا طاقة له على حمل السيف أو رده، من النساء والشيوخ والولدان؛ بل إنه حتى البهائم العجماء، والجمادات الصماء من الدور والقصور والأشجار وغيرها، ليست في أمان من جائحة المعامع المقدسة، فلا تسلم هي أيضاً من التحريق والتخريب والدمار.

إنها إذن حرب تدعو إلى الدمار الشامل للأنفس والأموال والممتلكات، حرب لا تميز بين الإنسان والحيوان في القتل والهلاك، ولا يسلم منها كائن حي ولا جماد، فالكل يسري عليه قانون الفناء وتدور عليه دائرة الهلاك وتسحقه رحي الهيجاء، ابتداء بالإنسان ومروراً بالحيوان وانتهاء بالعمران وسائر الممتلكات، فلا تسلم أحيانا حتى الأشجار والشمار من بطش الشعب المختار، فمن أوامر الرب قوله: [فَتَضْرِبُونَ كُلَّ مَدِينَةٍ

مُحَصَّنَةٍ وَكُلَّ مَدِينَةٍ مُحْتَارَةٍ وَتَقْطَعُونَ كُلَّ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ وَتَطْمُونُ جَمِيعَ عُيُونِ الْمَاءِ وَتُفْسِدُونَ كُلَّ حَقْلَةٍ جَيِّدَةٍ بِالْحِجَارَةِ<sup>(1)</sup>.

وتكاد التوراة أن تكون كتاب تأريخ للحروب المقدسة لشعب إسرائيل، فهي تعج بأخبار الحروب والقتل والدمار، وهي كتاب دموي بامتياز، والدليل على ذلك ما سيأتي ذكره من نصوصها، والتي تدعو إلى استئصال الأمم من تحت أديم السماء، ومسح ذكرهم من على وجه الأرض، كما هو الشأن مثلاً في حق العمالقة<sup>(2)</sup>: [وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «أُكْتُبْ هَذَا ذِكْرًا فِي كِتَابٍ وَضَعُ فِي أُذُنِي يَشُوعَ أَنِّي سَأُحْوِ ذِكْرَ عَمَالِيقَ مُحْوًى مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ»]<sup>(3)</sup>.

وقد أوصى الرب "شعبه" وعهد إليهم ألا ينسوا أمر إبادة عماليق بعد استراحتهم من حروبهم ضد أمم الأرض التي أعطاهم إياها: [فَمَتَى أَرَا حَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ

(1) سفر الملوك الثاني 3: 19 (كتاب الحياة، ص 485)

(2) والعمالقة في الكتاب المقدس، هم شعب من أقدم سكان سورية الجنوبية. وكانوا يقيمون في البدء قرب قادش في جنوب فلسطين. وكانوا هناك عند بدء مجيء العبرانيين من مصر، فصاروا مصدر إزعاج لبني إسرائيل في البرية لأن العبرانيين اعتدوا على ممتلكاتهم. والمعركة الأولى بين الطرفين كانت في رفيديم، في غرب سيناء، وفيها غلبهم العبرانيون، ومن ثم تشتتوا. ولكنهم وقفوا في وجه العبرانيين مرة أخرى لما أراد هؤلاء التوسع في اتجاه الشمال. وبعد أن انتصر عليهم موسى ويشوع تحالفوا مع جيرانهم، مع عجلون ملك موآب، لمضايقة العبرانيين، وكان العماليق يتجولون من مكان لآخر. وكان مجال تجولهم وسيعا، من حدود مصر إلى شمال العربية إلى بادية فلسطين. وقد ضايقهم شاول كثيرا وأسر صموئيل ملكهم وذبحه. وطاردهم داود واسترد صقلغ منهم. وآخر ذكر لهم كان في أيام حزقيا، الذي طارد دخولهم من جبل سدير. (قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص 636)

(3) سفر الخروج 17: 14 (الترجمة اليسوعية، ص 182)

جَمِيعَ أَعْدَائِكُمُ الْمُحِيطِينَ بِكُمْ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يَهْبُهَا لَكُمْ مِيرَاثًا، امْحُوا ذِكْرَ شَعْبِ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لَا تَنْسُوا هَذَا<sup>(1)</sup>.

وإن القصص الفظيعة لشتى أنواع الإبادة الواردة في التوراة لتكتسي أهمية خاصة في الفكر الكتابي عموماً، لكونها موصوفة بالقداسة، وأنها وحي سماوي، وأمر إلهي من الرب يهوه؛ فهي بذلك تمثل المرجعية الدينية العليا أو الأيديولوجية المثلى في التعامل مع الأغيار زمن الحرب. وقد جاءت نصوص تترى في التوراة تدعو إلى كثير من البشاعات الدموية التي ترتكب باسم الرب وبأمره ومباركته؛ ومن ذلك مثلاً ما ورد في سفر يشوع: [وَهَكَذَا هَاجَمَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْمَنَاطِقِ السَّهْلِيَّةِ وَالسَّفْحِ وَدَمَّرَهَا وَقَتَلَ كُلَّ مُلُوكِهَا، وَلَمْ يُفَلِّتْ مِنْهَا نَاجٍ، بَلْ قَضَى عَلَى كُلِّ حَيٍّ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ]<sup>(2)</sup>.

فلم يستبق يشوع من الأحياء نسمة، بل أفنى الجميع بأمر الرب، ولعل "كاريث لويد جونز" Gareth Lloyd Jones - رئيس كلية الدراسات اللاهوتية والدينية في جامعة ويلز - لم يجانب الصواب حينما وصف رب توراة اليهود يهوه، إله بني إسرائيل الخاص ببناء على أحكامه وشرائعه في الحرب كأمره بإبادة عماليق، فذكر أن الصفات التي تتبادر إلى الذهن حياله هي كونه إلهاً مصاباً برهاب الأغيار، وله روح حربية، ومتصف بالعنصرية، والإقصاء، والهمجية؛ ثم قال إنه إذا أردنا أن نقيم له وصفاً ببناء على ما جاء

(1) سفر التثنية 25: 19 (كتاب الحياة، ص 263)

(2) سفر يشوع 10: 40 (كتاب الحياة، ص 292)



في سفر يشوع، فلا يمكننا إلا أن نستخلص أن الرب يهوه هو القوة التي وراء كل الوحشية في ذلك العالم المتوحش.<sup>(1)</sup>

وقد جاء في التوراة: وصف الرب بأنه "رجل حرب" كما في سفر الخروج: [الرَّبُّ رَجُلٌ حَرْبٍ، الرَّبُّ آسَمُهُ]<sup>(2)</sup>، ووصف أيضا بأنه رب الجنود: [وَلَيَتَعَظَّمِ اسْمُكَ إِلَى الْأَبَدِ، فَيَقُولَ الْبَشَرُ: حَقًّا إِنَّ رَبَّ الْجُنُودِ هُوَ إِلَهُ عَلَى إِسْرَائِيلَ]<sup>(3)</sup>. وذكر أنه يشارك في الحروب مع شعبه: [اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: أَنْتُمْ الْيَوْمَ مُوشِكُونَ عَلَى مُحَارَبَةِ أَعْدَائِكُمْ، فَلَا تَهْنُ قُلُوبُكُمْ، ... لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ سَائِرَ مَعَكُمْ لِمُحَارَبَةِ أَعْدَائِكُمْ عَنْكُمْ، وَلِيُخَلِّصَكُمْ]<sup>(4)</sup>. ولذلك وُصفت حروب شعبه بأنها حروب الرب: [لِأَنَّ الرَّبَّ لَا يَبْدَأُ أَنْ يُثَبِّتَ كُرْسِيَّ مُلْكٍ سَيِّدِي إِلَى الْأَبَدِ، لِأَنَّ سَيِّدِي يُحَارِبُ حُرُوبَ الرَّبِّ]<sup>(5)</sup>. فالرب نفسه يحارب عن شعبه: [لَا تَجْرَعُوا مِنْهُمْ لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ يُحَارِبُ عَنْكُمْ]<sup>(6)</sup>.

والتوراة حافلة بأوامر الرب يهوه بإبادة أقوام وشعوب، إبادة جماعية شاملة تمحو ذكرهم من تحت أديم السماء؛ فإذا كانت الشريعة اليهودية لا تدعو إلى القتل المباشر للأغيار وقت السلم وتسمح فيه بالقتل غير المباشر، فإن الأمر يختلف تماما في حالة الحرب، إذ الأحكام التوراتية والتلمودية تنص على الإبادة بكل ما تحمله هذه الكلمة من

(1) Gareth Jones Lloyd, "Sacred Violence: The Dark Side of God," Journal of Beliefs & Values 20.2 (1999): P.187.

(2) سفر الخروج 3: 15 (الترجمة اليسوعية، ص 177)

(3) صموئيل الثاني 7: 26 (كتاب الحياة، ص 408)

(4) سفر التثنية 20: 3-4 (كتاب الحياة، ص 256)

(5) سفر صموئيل الأول 25: 28 (كتاب الحياة، ص 391)

(6) سفر التثنية 3: 22 (كتاب الحياة، ص 234)

معاني السّحل والقتل والتدمير، ويتحدث إسرائيل شاحاك أنه إذا كان حظر القتل المباشر لغير اليهودي ينطبق فقط على الذين ليسوا في حالة حرب مع اليهود، فقد استخلص العديد من الحاخامات في الماضي النتيجة المنطقية لهذا الطرح، وهي إمكانية قتل جميع غير اليهود المنتمين إلى شعب العدو سواء كانوا محاربين أم لا، فهم كلهم أغيار يمكن قتلهم، أو حتى يجب قتلهم. وفي تعليق للحاخام شبتاي كوهين على "شولحان عاروخ" يقول فيه: ولكن في حالة الحرب جرت العادة على قتلهم بالأيدي، لأنه قيل "أفضل الأغيار اقتلوه".<sup>(1)</sup>

وفي سياق اتصال الحاضر بالماضي في الفكر الديني اليهودي، ينقل إسرائيل شاحاك عن أحد الحاخامات المعاصرين تحريضه جيش الكيان الصهيوني على قتل المسلمين العزل في فلسطين بقوله: "في حالة احتكاك قواتنا بمدينة خلال الحرب، ... إذا لم يتوفر دليل بعدم إلحاقهم الأذى بقواتنا هناك إمكانية قتلهم، أو حتى ضرورة القيام بذلك حسب الهالاخا halakhah ... في زمن الحرب تحضنا الهالاخا على قتل حتى المدنيين الطيبين، أي الذين يتظاهرون بذلك".<sup>(2)</sup>

فالقتل الشامل للطيبين وغيرهم من الأغيار هو ما تقرره الشريعة اليهودية قديما وحديثا، وقد جاءت أوامر الرب في التوراة بإبادة شعوب سبعة ومحو ذكرها من الوجود: [وَمَتَى أَذْخَلَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُم إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ مَاضُونَ إِلَيْهَا لِتَرِثُوهَا، وَطَرَدَ مِنْ أَمَامِكُمْ سَبْعَ أُمَمٍ، أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكُمْ، وَهُمْ الْحِثِّيُّونَ وَالْجَرْجَاشِيُّونَ وَالْأَمُورِيُّونَ

(1) ينظر: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحاك، ص 134.

(2) المرجع السابق، ص 134-135.

وَالْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفِرِزِّيُّونَ وَالْحَوِّيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ. وَأَسْلَمَهُمُ الرَّبُّ إِلَيْكُمْ وَهَرَمْتُمُوهُمْ، فَإِنَّكُمْ تَحْرَمُونَهُمْ. لَا تَقْطَعُوا لَهُمْ عَهْدًا، وَلَا تَرْفُقُوا بِهِمْ<sup>(1)</sup>.

ورفقا بشعب إسرائيل لكيلا تستوحش به الأرض التي يغتصبها من أصحابها من هذه الأمم السبعة وتتكاثر عليه وحوشها، فإن الرب وعد بإفناء هذه الأقوام وطردها من أمامه تدريجياً، فجاء في سفر التثنية: [غَيْرَ أَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ سَيَطْرُدُ تِلْكَ الْأُمَّةَ مِنْ أَمَامِكُمْ تَدْرِيجِيًّا، لِئَلَّا تَتَكَاثَرَ عَلَيْكُمْ وَحُوشُ الْبَرِّيَّةِ إِنْ أَسْرَعْتُمْ بِالْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ دَفْعَةً وَاحِدَةً. إِنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ يُسَلِّمُهُمْ إِلَيْكُمْ مُوقِعًا بِهِمُ الاضْطِرَابَ الْعَظِيمَ حَتَّى يَنْقَرِضُوا، وَيَجْعَلَ مُلُوكَهُمْ يَقْعُونَ فِي أَسْرِكُمْ فَتَمْحُونَ أَسْمَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ. وَلَنْ يَقْدِرَ أَحَدٌ أَنْ يُجَابِهَكُمْ، فَإِنَّكُمْ تُفْنُونَهُمْ<sup>(2)</sup>].

وفي شريعة الحرب التوراتية ليس أمام العدو البعيد في المدن النائية إلا خيارين، إما الاستسلام والعبودية؛ ليصير كل من ينتمي إلى تلك الأقوام عبيدا لشعب إسرائيل، ذكورا وإناثا، رجالا ونساء؛ وإما الإبادة في حق الرجال لأنهم أبوا الاستسلام، وشريعة الحرب تقضي بإبادة جميع الذكور بحد السيف، وسلب كل ما تحت أيديهم من الأطفال والنساء والبهائم، جاء في سفر التثنية: [وَحِينَ تَتَقَدَّمُونَ لِمُحَارَبَةِ مَدِينَةٍ فَادْعُوهَا لِلصُّلْحِ أَوَّلًا. فَإِنْ أَجَابَتْكُمْ إِلَى الصُّلْحِ وَاسْتَسَلَمَتْ لَكُمْ، فَكُلُّ الشَّعْبِ السَّاكِنِ فِيهَا يُصْبِحُ عَبِيدًا لَكُمْ. وَإِنْ أَبَتِ الصُّلْحَ وَحَارَبَتْكُمْ فَحَاصِرُوهَا فَإِذَا أَسْقَطَهَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ فِي أَيْدِيكُمْ، فَاقْتُلُوا جَمِيعَ ذَكَورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ، وَكُلُّ مَا فِي

(1) سفر التثنية 7: 1-2 (كتاب الحياة، ص 240)

(2) سفر التثنية 7: 22-24 (كتاب الحياة، ص 241)

الْمَدِينَةِ مِنْ أَسْلَابٍ، فَاعْنَمُوهَا لِأَنْفُسِكُمْ، وَتَمَتَّعُوا بِغَنَائِمِ أَعْدَائِكُمْ الَّتِي وَهَبَهَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ لَكُمْ. هَكَذَا تَفْعَلُونَ بِكُلِّ الْمَدْنِ النَّائِيَةِ عَنْكُمْ<sup>(1)</sup>.

وأما المدن القريبة، فالشريعة التوراتية تقضي بأن تدمر عن بكرة أبيها، بإبادة الجميع، ومحو ذكر الجميع، فلا تُستبقى منها نسمة حيّة، كما قال الرب لشعبه: [أَمَّا مَدُنُ الشُّعُوبِ الَّتِي يَهَبُهَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ لَكُمْ مِيرَاثًا فَلَا تَسْتَبْقُوا فِيهَا نَسَمَةً حَيَّةً، بَلْ دَمَرُوهَا عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهَا، كَمَدُنِ الْحِثِّيِّينَ وَالْأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحَوِيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ كَمَا أَمَرَكَمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ]<sup>(2)</sup>.

وهذا ما لا يمكن وصفه إلا بالإبادة الجماعية والتصفية العرقية لهذه الأقوام والشعوب، التي يستأصلونها جميعها من الوجود؛ بأمر من الرب ومباركته. فأي شريعة وأي دين هذا يمكن أن يوصف بأنه سماوي من عند الله يدعو إلى هذه الإبادة الشاملة وإلى هذا القتل الأعمى؟! الذي لا يُبقي على كبد رطبة إلا وحصدها بحد السيف! بل إن التوراة لتثني على من يتفنن في أساليب القتل ويبدع في البشاعات، وإنها لتبارك من يضرب الصخر برؤوس الأطفال الصغار! فأي قلب مهما بلغت قسوته يستطيع أن ينتزع طفلا بريئا ضعيفا باكيا، لا يعرف ما يجري حوله، من أحضان أمه الحانية الدامعة ثم يضرب به الصخر أو يذبحه بالسكين؟ فأي قيم أخلاقية سماوية هذه؟! وأي دين إلهي هذا الذي يستهدف الأطفال والرضع؟!

(1) سفر التثنية 20: 10-15 (كتاب الحياة، ص 257)

(2) سفر التثنية 20: 16-17 (كتاب الحياة، ص 257)

بل والذين لم يخرجوا بعد إلى هذه الحياة ممن لا يزالون في بطون أمهاتهم، ولم يبصروا بعد زرقة سمائها ولا نور ضيائها، ليباغتهم ظلم ظلامها. فتأمر التوراة وتشعر لشق بطون الحوامل، بما يلزمه ذاك الجرم الشنيع من قتل النساء الحوامل في أبشع صورته؛ فكيف لكتاب "سماوي" أن يأمر بذبح العواتق وذوات الخدور وربات البيوت ممن لا شأن لهن في الحرب ولا قوة لهن عليها.

فهذا إذن كتاب يوصف بأنه من عند الله -تعالى عن ذلك- يأمر بقتل جميع غير المحاربين والضعفاء من الرضع والأطفال والنساء. ومن ضمن ذلك الصنف أيضا، الشيوخ الفانون الذين لا قوة لهم على دفع أيسر الأذى عن أنفسهم ولا طاقة لهم على حمل السلاح ولا يستطيعون عراكا، فكيف لهم أن يكفوا عن أنفسهم بارقات السيوف والبطش الشديد والهول العظيم الذي تأتي به الهيحاء! فوفقا لتعاليم التوراة فإنه لا يستثنى أحد هؤلاء المستضعفين من حدّ السيف، وينالون جميعا المصير نفسه، من القتل والإبادة باسم الرب وبمباركته. لتصير في النهاية أنهار كل تلك الدماء التي تجري من جميع من ذبحوا ومزقوا قرابين تقدم للرب يهوه، رجل الحرب وإله الجنود!

وقد جاء في ترانيم التوراة بخصوص مباركة من يحطم رؤوس الأطفال على الصخر ما نصّه: [يا أبنّة بابل الصائرة إلى الدمار طوبى لمن يُجَازِيكَ على ما جازيتنا به. طوبى لمن يُمسِكُ أَطْفَالَكَ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!]<sup>(1)</sup>. فطوبى وهنيئا لمن يمسك أولئك الصغار من البنين والبنات، من أقدامهم ويلوّح بهم في الفضاء ليرضخ تلك الرؤوس الصغيرة على صمّ الجلاميد، ويحطم جماجمهم البريئة على صلد الصخور! هذا ما جاءت به التعاليم!

(1) سفر المزامير 137: 8-9 (الترجمة اليسوعية، ص1300)

ومن معين تلك التعاليم أيضا بخصوص طرائق القتل وسفك الدماء وانتهاك الأعراس، الأمر بأن يمزق الأطفال على مرأى من ذويهم، وتغتصب النساء، فجاء في سفر إشعياء: [كُلُّ مَنْ يُؤَسِّرُ يُطْعَنُ، وَمَنْ يُقْبَضُ عَلَيْهِ يُصْرَعُ بِالسَّيْفِ، وَيُمَزَّقُ أَطْفَالُهُمْ عَلَى مَرَأَى مِنْهُمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ، وَتُغْتَصَبُ نِسَاؤُهُمْ... تُمَزَّقُ قِسِيُّهُمْ الْفَتَيَانِ وَلَا يَرْحَمُونَ الْأَوْلَادَ أَوْ الرُّضْعَ] <sup>(1)</sup>.

فهذا نداء إلى الإبادة والبشاعة والقسوة والفجور، وإن الأطفال الضعفاء والرضع الأبرياء الذين لا ذنب لهم يؤخذون به لا يعذرون، بل يؤخذون بغير جريرة ويقتلون لا يرحمون. وتكرر مثل هذه الشناعة بتحريض التوراة أيضا على بشاعات أفظع وكلّ فظيع، إذ لا تفاضل بينها في القبح والسوء؛ ويستمر ناموس سفك الدماء في التوراة بصور مختلفة تتفنن في القتل وطرائقه، وفي هذه المرة تقضي أحكام التوراة بتمزيق الأطفال أشلاء مع شقّ بطون الحوامل من النساء، فلم يعد أمر الهلاك قاصرا على الأطفال والرضع، بل تعداه إلى الأجنة الذين لا يزالون في بطون أمهاتهم، ليهلك الاثنان معا باسم الرب وبمباركته، فجاء في سفر هوشع وهو يتحدث عن انتقام الرب من السامرة: [لَا بُدَّ أَنْ تَحْمَلَ السَّامِرَةُ وِزْرَ خَطِيئَتِهَا لِأَنَّهَا تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلَهِهَا، فَيَفْنِي أَهْلُهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَيَتَمَزَّقُ أَطْفَالُهَا أَشْلَاءَ، وَتُشَقُّ بَطُونُ حَوَامِلِهَا] <sup>(2)</sup>.

ومما تحدثت عنه التوراة أيضا، إضافة إلى تمزيق الأطفال، قتل الجميع من الكبار والصغار دون تمييز في ذلك الهلاك بين الشباب والشيوخ، ودون تفريق في إراقة الدماء

(1) سفر إشعياء 13: 15-18 (كتاب الحياة، ص 842)

(2) سفر هوشع 13: 16 (كتاب الحياة، ص 1080)

بين البنات الصغيرات والنساء المسنّات، فجاء في سفر حزقيال في حكايته عن غضب الرب وانتقامه أنه قال: [اغْبُرُوا فِي الْمَدِينَةِ خَلْفَهُ وَاقْتُلُوا. لَا تَتَرَأَّفَ عِيُونُكُمْ وَلَا تَعْفُوا. أَهْلِكُوا الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ]<sup>(1)</sup>.

وجاء أيضا في سفر إرميا: [وَشَعْبُ إِسْرَائِيلَ هُوَ سَبْطُ مِيرَاثِهِ، وَاسْمُهُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ. أَنْتَ فَأَسْ مَعْرَكَتِي وَآلَةُ حَرْبِي. بِكَ أُمَزِّقُ الْأُمَمَ إِرْبًا وَأُحْطِمُ مَمَالِكَ. بِكَ أَجْعَلُ الْفَرَسَ وَفَارِسَهَا أَشْلَاءَ، وَأُهَشِّمُ الْمَرْكَبَةَ وَرَاكِبَهَا. بِكَ أُحْطِمُ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ، وَالشَّيْخَ وَالْفَتَى، وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ. بِكَ أَسْحَقُ الرَّاعِي وَقَطِيعَهُ، وَالْحَارِثَ وَفَدَّانَهُ، وَالْحُكَّامَ وَالْوُلَاةَ]<sup>(2)</sup>.

فتلك أمم تباد وحيوانات تقتل بغير حق، ونساء وأطفال وشيوخ يذبحون، ليكون الخراب والدمار عاما، ويصير الهلاك جائحة تجتاح الجميع، فلا تُبقي على حيٍّ إلا وحصدت روحه وقطعت أنفاسه. وقد غضب موسى على قومه لما استحيوا لأنفسهم النساء والأطفال بعد أن قتلوا من المديانيين جميع رجالها، فأمرهم بأن يهلكوا ما جاؤوا به من الأطفال والنساء خلا الأبقار منهن، فجاء في سفر العدد:

[فَحَارَبُوا الْمَدْيَانِيِّينَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَّلُوا كُلَّ ذَكَرٍ؛ وَقَتَّلُوا مَعَهُمْ مُلُوكَهُمُ الْخُمْسَةَ ... وَأَسَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ الْمَدْيَانِيِّينَ وَأَطْفَالَهُمْ، ... وَأَحْرَقُوا مُدْنَهُمْ كُلَّهَا بِمَسَاكِنِهَا وَخُصُونَهَا، ... فَأَبْدَى مُوسَى سَخَطَهُ عَلَى قَادَةِ الْجَيْشِ ... وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا اسْتَحْيَيْتُمْ

(1) سفر حزقيال 9: 5-6 (كتاب الحياة، ص 988)

(2) سفر إرميا 51: 20-23 (كتاب الحياة، ص 967)

النِّسَاء؟ ... فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الْأَطْفَالِ، وَاقْتُلُوا أَيْضاً كُلَّ امْرَأَةٍ ضَاجَعَتْ رَجُلًا، وَلَكِنْ اسْتَحْيُوا لَكُمْ كُلَّ عَذْرَاءٍ لَمْ تُضَاجِعْ رَجُلًا<sup>(1)</sup>.

وفي استحياء البنات الأبنكار دون غيرهن ما جاء أيضا في سفر القضاة: [«انْطَلِقُوا وَاقْضُوا عَلَى أَهْلِ يَابِيشَ جِلْعَادَ بِحَدِّ السَّيْفِ رِجَالًا وَنِسَاءً وَأَطْفَالًا. اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ وَكُلَّ امْرَأَةٍ عَاشَرَتْ رَجُلًا». فَوَجَدُوا بَيْنَ أَهْلِ يَابِيشَ جِلْعَادَ أَرْبَعَ مِئَةِ فَتَاةٍ عَذْرَاءَ فَقَطَّ لَمْ يُضَاجِعْنَ رَجُلًا، فَجَاءُوا بِهِنَّ إِلَى الْمُخَيَّمِ إِلَى شَيْلُوهَ الَّتِي فِي أَرْضِ كَنْعَانَ<sup>(2)</sup>.

ومن طرائق التقتيل البشع في التوراة ما صنعه داود بشعب مدينة ربة<sup>(3)</sup> وكل مدن بني عمون<sup>(4)</sup> من النشر بالمناشير، فجاء في سفر الأخبار في سياق الحديث عن بطولات داود: [وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِينَ بِهَا وَنَشَرَهُمْ بِمَنَاشِيرَ وَنَوَارِجَ حَدِيدٍ وَفُؤُوسٍ. وَهَكَذَا صَنَعَ دَاوُدُ لِكُلِّ مُدُنِ بَنِي عَمُونَ<sup>(5)</sup>].

(1) سفر العدد 31: 7-18 (كتاب الحياة، ص 219-220)

(2) سفر القضاة 21: 10-12 (كتاب الحياة، ص 346)

(3) وهي «ربة بني عمون» أو «ربة عمون»، مدينة تبعد عن الأردن بنحو 23 ميلا شرقا. وكانت عاصمة أرض بني عمون. وكان الطريق التجاري بين دمشق والجزيرة العربية يمر بها. واسمها الحديث عمان، عاصمة شرق الأردن. (قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص 397)

(4) وهم من نسل بن عَمِّي، ابن لوط، وانتشرت ذريته في الشمال وسكنت جبال جلعاد بين نهري أرنون وبيوق. ولم تكن علاقاتهم مع بني إسرائيل سليمة، مع أن جدهم هو لوط، أحد كبار رجال العبرانيين. وأقيمت مدينة عمان على بقايا عاصمتهم ربة عمون. (قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص 640)

(5) سفر أخبار الأيام الأول 20: 3 (ترجمة فان دايك، ص 497)



أما عن باقي البشاعات المقدسة! فتحكي لنا التوراة أيضا ما صنع يشوع<sup>(1)</sup> في أريحا<sup>(2)</sup> لما سقطت في يده، فإنه لم يدع كائنا حيا من إنس أو حيوان إلا محقه وسحقه وأزهق روحه وأراق دمه، فلم يسلم من حدّ السيف أحد من الرجال أو النساء، كما أن الأطفال أيضا لم يفلتوا من بطش يشوع وزمرته، ولم يسلموا من طقوس الذبح وسطوتها، فنالوا ما ناله آبائهم من سفك الدماء وإزهاق الأرواح، بل حتى البهائم من الغنم والبقر والحمير لم تنج من آلة الإبادة التي ما أتت على حيٍّ إلا وتركتة هميدا ساكنا لا حراك له، فجاء في سفر يشوع وهو يحكي قصة سقوط مدينة أريحا: [فَأَنْدَفَعَ الشَّعْبُ نَحْوَ الْمَدِينَةِ كُلِّ إِلَى وَجْهَتِهِ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا. وَدَمَّرُوا الْمَدِينَةَ وَقَضَوْا بِحَدِّ السَّيْفِ عَلَى كُلِّ مَنْ فِيهَا مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَأَطْفَالٍ وَشُيُوخَ حَتَّى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْحَمِيرِ]<sup>(3)</sup>.

وبعد أن هلك الجميع من إنس وبهائم، وصارت المدينة خرابا يبابا، تم إضرام النار فيها، وإحراق جميع ما فيها، ليشمل الفناء باقيها، وما نجا منها إلا المرأة الزانية راحاب وأقرباؤها، لأنها خانت قومها، فساعدت يشوع وجيشه على اقتحام المدينة، ولذلك فقد استبقوها هي وكل ما تملك، جاء في سفر يشوع:

(1) اسم عبري معناه «يهوه خلاص» واسمه في الأصل هوشع. ثم دعاه موسى يشوع. وهو خليفة موسى وابن نون من سبط أفرايم ولد في مصر. وكان أولا خادما لموسى. ثم أقامه موسى أمام أليعازار الكاهن وكل الشعب وعينه خليفة له. (ينظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص 1068)

(2) وموضع أريحا التي ورد ذكرها في العهد القديم هو تل السلطان، الذي يقع على بعد مسافة ميل من مدينة أريحا الحديثة التي تقع على مسافة خمسة أميال غربي نهر الأردن وعلى مسافة سبعة عشر ميلا شمال شرقي القدس في فلسطين. (ينظر: قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص 58)

(3) سفر يشوع 6: 20-21 (كتاب الحياة، ص 285)

[ثُمَّ أَحْرَقَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ بِكُلِّ مَا فِيهَا. أَمَّا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ الثُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ فَقَدْ حَفِظُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ. وَاسْتَحْيَا يَشُوعُ رَا حَابَ الزَّانِيَةِ وَبَنَيْتَ أُبْيَهَا وَكُلَّ مَا لَهَا]<sup>(1)</sup>.

وتستمر المشاهد الطافحة بالدموية مع يشوع في محاربته مدينة عاي<sup>(2)</sup>، ويستمر النهج نفسه في التقتيل والحرق والإبادة، فيحكي لنا سفر يشوع، وهو السفر الدموي، أن جيوش الشعب لما قضوا على جميع جنود العدو بحد السيف في الصحراء، رجعوا إلى مدينة عاي وانقلبوا إلى سكانها من النساء والرضع والأطفال والشيوخ، ممن لا قوة لهم على قتال، لتبدأ معهم ملاحم الذبح المقدس وتقديم القرابين البشرية، وليفنى الجميع ببيض الصفاح ويزهقوا كل تلك الأرواح، فلم يدعوا في المدينة نسمة حية، وتركوا اثني عشر ألفا من الرجال والنساء جثثا هامدة، ليتبع كل تلك الإبادة طقس الحرق وإضرام النار في المدينة بأكملها، لتصير بعد ذلك خرابا أبديا لا قيام بعده ولا عمران، فجاء في سفر يشوع: [وَعِنْدَمَا تَمَّ الْقَضَاءُ عَلَى جَيْشِ عَايَ فِي الصَّحْرَاءِ حَيْثُ تَعَقَّبُوا الْإِسْرَائِيلِيِّينَ، وَفَنَوْا جَمِيعَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ، رَجَعَ الْمُحَارِبُونَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ إِلَى عَايَ وَقَتَلُوا كُلَّ مَنْ فِيهَا. فَكَانَ جَمِيعُ مَنْ قُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَهُمْ جَمِيعُ أَهْلِ عَايَ. وَظَلَّ يَشُوعُ مَا دَامَ يَدُهُ بِالْحَرْبَةِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ حَتَّى تَمَّ الْقَضَاءُ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ عَايَ ... وَهَكَذَا أَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَحَوَّلَهَا إِلَى تَلٍّ خَرَابٍ أَبَدِيٍّ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ]<sup>(3)</sup>. وكان

(1) سفر يشوع 6: 24-25 (كتاب الحياة، ص 285)

(2) مدينة كنعانية في فلسطين، شمالي أورشليم، كشفت الحفريات فيها عن آثار عميقة في القدم لمعابد وقصور ومقبرة فيها الكثير من الخزف، وهذه المدينة فتحتها القضاة بعد أريحا. (معجم الجضرارات السامية، ص 577)

(3) سفر يشوع 8: 24-28 (كتاب الحياة، ص 288)

إحراق المدينة أمرا من الرب تم تنفيذه: [وَلَدَى اسْتِيلَائِكُمْ عَلَى الْمَدِينَةِ تُضَرِّمُونَ فِيهَا النَّارَ كَأَمْرِ الرَّبِّ، فَافْعَلُوا وَنَفِّدُوا مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ] <sup>(1)</sup>.

فقتل في يوم واحد اثني عشر ألفا من الرجال والنساء، ولا بد أن يكون في القوم الأطفال والرضع والشيخ والنساء الحوامل؛ وتكرر مشاهد التقتيل والدمار نفسها مع باقي مدن الأرض الموعودة، فنجد في سفر يشوع تكرار عبارات بعينها في قصص مختلفة تفيد المعنى نفسه، وهو الدمار الشامل للمدن والإبادة الكاملة لكل حي من ذكور وإناث وصغار وكبار تلك المدن، فلا يفلت من آلة القتل ناج، وهذا سرد لبعض نصوصها: [وَاسْتَوَلَى يَشُوعُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عَلَى مَقْبِدَةٍ وَقَتَلَ بِالسَّيْفِ مَلَكَهَا وَكُلَّ نَفْسٍ فِيهَا. لَمْ يُفْلِتْ مِنْهَا نَاجٍ، ...

ثُمَّ تَوَجَّهَ يَشُوعُ عَلَى رَأْسِ جَيْشِهِ مِنْ مَقْبِدَةٍ إِلَى لِبْنَةَ وَحَارَبَهَا، ... فَدَمَّرَهَا وَقَتَلَ كُلَّ نَفْسٍ فِيهَا بِحَدِّ السَّيْفِ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهَا نَاجٍ، ...

بَعْدَ ذَلِكَ تَقَدَّمَ يَشُوعُ مِنْ لِبْنَةَ إِلَى لَحِيشَ وَحَاصَرَهَا وَهَاجَمَهَا، ... وَدَمَّرُوهَا وَقَتَلُوا كُلَّ نَفْسٍ فِيهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، ... عِنْدَيْهِ أَقْبَلَ هُورَامُ مَلِكُ جَازَرَ لِمَعُونَةِ لَحِيشَ، فَقَضَى يَشُوعُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَيْشِهِ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ نَاجٍ.

ثُمَّ تَحَرَّكَ يَشُوعُ وَجَيْشُ إِسْرَائِيلَ مِنْ لَحِيشَ نَحْوَ عَجْلُونَ فَحَاصَرُوهَا وَحَارَبُوهَا، ... وَدَمَّرُوهَا، وَقَضَوْا عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِيهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، ...

(1) سفر يشوع 8: 8 (كتاب الحياة، ص 287)

ثُمَّ اتَّجَهَ يَشُوعُ بِقُوَّاتِهِ مِنْ عَجْلُونٍ إِلَى حَبْرُونَ وَهَاجْمُوهَا، ... وَدَمَّرُوهَا ... وَقَتَّلُوا مَلِكَهَا وَكُلَّ نَفْسٍ فِيهَا بِحَدِّ السَّيْفِ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهَا نَاجٍ، ...

وَهَكَذَا قَضَوْا عَلَى كُلِّ نَفْسٍ فِيهَا. ثُمَّ عَادَ يَشُوعُ إِلَى دَبِيرَ وَهَاجَمَهَا، ... وَدَمَّرَهَا ... وَقَتَلَ مَلِكَهَا وَكُلَّ نَفْسٍ فِيهَا بِحَدِّ السَّيْفِ فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهَا نَاجٍ، ...

وَهَكَذَا هَاجَمَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْمَنَاطِقِ السَّهْلِيَّةِ وَالسَّفْحِ وَدَمَّرَهَا وَقَتَلَ كُلَّ مُلُوكِهَا، وَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهَا نَاجٍ، بَلْ قَضَى عَلَى كُلِّ حَيٍّ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ<sup>(1)</sup>.

[ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ وَاسْتَوَلَى عَلَى حَاصُورٍ وَقَتَلَ مَلِكَهَا بِالسَّيْفِ، ... وَقَضَوْا فِيهَا عَلَى كُلِّ نَسَمَةٍ بِحَدِّ السَّيْفِ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا حَيٌّ، وَأَحْرَقُوهَا بِالنَّارِ. ... فَفَعَذَ يَشُوعُ مَا عَاهَدَ إِلَيْهِ بِهِ فَلَمْ يُغْفَلْ شَيْئاً مِنْ كُلِّ مَا أَمَرَ الرَّبُّ بِهِ مُوسَى ... إِنَّمَا اسْتَوَلَى الْإِسْرَائِيلِيُّونَ عَلَى جَمِيعِ الْمُدُنِ بِالْحَرْبِ. لِأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ هُوَ الَّذِي قَسَى قُلُوبَهُمْ لِحَوْضِ الْحَرْبِ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ، لِيَدْمَرَهُمُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ وَيُفْنُوهُمْ مِنْ غَيْرِ رَافَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى. ...

وَهَاجَمَ يَشُوعُ الْعَنَاقِيِّينَ أَيْضاً وَأَبَادَهُمْ ... فَقَضَى عَلَيْهِمْ وَدَمَّرَ مُدُنَهُمْ. فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي أَرْضِ بَنِي إِسْرَائِيلَ سِوَى قَلِيلَةٍ لَجَأَتْ إِلَى غَزَّةَ وَجَتَّ وَأَشْدُودَ، فَاسْتَوَلَى يَشُوعُ عَلَى كُلِّ الْأَرْضِ كَمَا وَعَدَ الرَّبُّ مُوسَى، وَوَهَبَهَا يَشُوعُ مِيرَاثاً لِإِسْرَائِيلَ وَفَقَّاً لَطَوَائِفِهِمْ وَأَسْبَاطِهِمْ<sup>(2)</sup>.

والملاحظ إذن من خلال هذه النصوص أن يشوع وجيشه لم يستولوا على الأرض الموعودة إلا بعد مسلسل دموي من الدمار والإبادة والتطهير العرقي لكل المدن التي

(1) سفر يشوع 10: 28-40 (كتاب الحياة، ص 292-293)

(2) سفر يشوع 11: 10-23 (كتاب الحياة، ص 293-294)

حاربوها، فكان القتل وسفك الدماء لجميع السكان من الذكور والإناث، سواء كانوا أطفالاً أو نساء أو شيوخاً أو من الرجال المحاربين أو غير المحاربين، هو الطابع الخاص لهذه الملاحم الدموية المقدسة التي تشن باسم رب الجنود وبمباركته ومشاركته. وبعد تلك الإبادة للسكان الأصليين، يكون الرب قد أنجز وعده لشعبه الخاص بأن يملكه الأرض ويورثه إياها، ويجعلها في نسله ملكاً أبدياً كما تعهد وحلف بذلك للآباء: [وَهَكَذَا وَهَبَ الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ الْأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ أَنْ يُعْطِيَهَا لِأَبَائِهِمْ فَوَرِثُوهَا وَأَقَامُوا فِيهَا، فَأَرَّاحَهُمُ الرَّبُّ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ كَمَا أَقْسَمَ لِأَبَائِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِمْ أَنْ يُقَاوِمَهُمْ، بَلْ أَسْلَمَهُمُ الرَّبُّ لَهُمْ جَمِيعاً. فَتَحَقَّقَ كُلُّ مَا وَعَدَ الرَّبُّ بِهِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ وُعُودٍ صَالِحَةٍ]<sup>(1)</sup>.

فتحققت وعود الرب الصالحة على جثث الأطفال وأشلاء الرضع ودماء الشيوخ والنساء؛ ثم بعد موت يشوع تولى الأمر بعده طائفة من الرجال سموا بالقضاة<sup>(2)</sup>، ساروا على الطريق نفسه الذي سلكه يشوع، لتستمر معهم حروب الإبادة والتقتيل، وتكمل البيض الحداد مسيرة إراقة الدماء وإزهاق الأرواح.

ف نجد مثلاً أنه في زمن صموئيل<sup>(3)</sup> شنت الحرب على عماليق، تنفيذاً لما أوصاهم الرب به من ألا ينسوا إبادتهم وأن يمحوا ذكرهم من تحت أديم السماء، ولذلك فإنه بعد

(1) سفر يشوع 21: 43-45 (كتاب الحياة، ص 307)

(2) وهم القضاة العبرانيون المذكرون في سفر القضاة وفي سفر صموئيل الأول وكانوا حكماً ذوي سلطة مطلقة وقوادا للعسكر. وقد حكموا من موت يشوع إلى أيام صموئيل النبي. (قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، ص 736).

(3) اسم عبري معناه «اسم الله أو اسمه إيل أي الله» وهو أول أنبياء العبرانيين بعد موسى وآخر القضاة. (قاموس الكتاب المقدس، ص 736).

أن استتم لهم الأمر وخلت لهم الأرض من الأعداء انقلبوا إلى عماليق، تنفيذاً لوصية الرب: [فَمَتَى أَرَا حَكْمَ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِكُمُ الْمُحِيطِينَ بِكُمْ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يَهْبُهَا لَكُمْ مِيرَاثًا، اُنْحُوا ذِكْرَ شَعْبِ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لَا تَنْسُوا هَذَا] <sup>(1)</sup>.

ولم ينس الشعب وصية إلهه، بل قام بحزم لتنفيذ تعاليم رب الجنود، لإبادة عماليق بكل من وما فيها من إنس أو بهائم حتى يمحو ذكرهم من تحت أديم السماء، وجاء في سفر النبي صموئيل وهو يخاطب شاول <sup>(2)</sup> قائلاً: [فَاسْمَعْ الْآنَ كَلَامَ الرَّبِّ. هَذَا مَا يَقُولُهُ رَبُّ الْجُنُودِ: إِنِّي مُزِمٌّ أَنْ أُعَاقِبَ عَمَالِيقَ جَزَاءَ مَا ارْتَكَبَهُ فِي حَقِّ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ حِينَ تَصَدَّى لَهُمْ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ. فَادْهَبِ الْآنَ وَهَاجِمِ عَمَالِيقَ وَاقْضِ عَلَى كُلِّ مَالِهِ. لَا تَعْفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بَلْ اقْتُلْهُمْ جَمِيعاً رِجَالاً وَنِسَاءً، وَأَطْفَالاً وَرُضْعَاءَ، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَالًا وَحَمِيرًا] <sup>(3)</sup>.

فتلك إذن أوامر من الرب ألا يرحم الملك شاول عماليق وما يملكون، وألا يدع أحداً من الإنس أو البهائم إلا ويحصده بحد السيف، وألا تأخذه رأفة بطفل بريء أو رضيع هزيل أو شيخ كليل؛ إلا أن هذا الملك أسر ملكهم ولم ينفذ وصية الرب كاملة، حيث إنه أباد الإنسان وعفا عن بعض الحيوان: [وَهَجَمَ شَاوُلُ عَلَى الْعَمَالِيقَةِ ... وَأَسَرَ

(1) سفر التثنية 25: 19 (كتاب الحياة، ص 263)

(2) اسم عبري معناه مسؤول من الله أو سائل الله، وهو شاول بن قيس، من سبط بنيامين، مسحه صموئيل النبي ليكون أول ملوك بني إسرائيل. وكانت خطيئته حسب الكتاب المقدس، أنه في حربه مع عماليق عفى عن القطيع الممتاز وعن الملك. لهذا رفع الرب عنه وتعين داود ملكاً. مات لشاول في معركة أبناؤه الثلاثة، وجرح هو فيها، فسقط على سيفه ومات. (قاموس الكتاب المقدس، ص 502-503).

(3) صموئيل الأول 15: 1-3 (كتاب الحياة، ص 373)

أَجَاكَ مَلِكٌ عَمَالِيقَ حَيًّا، وَقَضَى عَلَى جَمِيعِ الشَّعْبِ بِحَدِّ السَّيْفِ. وَعَفَا شَاوُلٌ عَنْ أَجَاكَ  
وَعَنْ خِيَارِ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالْعُجُولِ وَالْخِرَافِ<sup>(1)</sup>.

فغضب الرب على شاول ونزعه من الملك لأنه عفا عن بعض البهائم!! ولم يفنها  
كما أفنى مالكيها، فجاء في التوراة: [وَقَالَ الرَّبُّ لَصُمُوئِيلَ: «لَقَدْ نَدِمْتُ لِأَنِّي جَعَلْتُ  
شَاوُلَ مَلِكًا، فَقَدْ ارْتَدَّ عَنِ اتِّبَاعِي وَلَمْ يُطِيعْ أَمْرِي»]<sup>(2)</sup>، ولذلك لما لقي صُمُوئِيلُ شاول قال  
له: «لَأَنَّكَ رَفَضْتَ كَلَامَ الرَّبِّ فَقَدْ رَفَضَكَ الرَّبُّ مِنَ الْمُلْكِ»<sup>(3)</sup>.

وأما عن ملك العمالقة أجاج الذي عفا عنه شاول، فقد باشر النبي صموئيل  
بيده تمزيق جسده، وقطعه إربا قرابين للرب. حيث إنه قال للشعب: «قَدِّمُوا إِلَيَّ أَجَاكَ  
مَلِكَ الْعَمَالِيقَةِ» ... وَقَالَ لَهُ: «كَمَا أَثْكَلَ سَيْفُكَ النِّسَاءَ لِثُكُلِ كَذَلِكَ أُمُّكَ بَيْنَ النِّسَاءِ».  
وَقَطَعَ صُمُوئِيلُ أَجَاكَ إِرْبًا أَمَامَ الرَّبِّ فِي الْجِلْجَالِ<sup>(4)</sup>.

وبهذه البشاعات ينهي شعب الرب القصة المأساوية لعماليق، حيث نقذ حكم  
الإعدام على أمة بكاملها كما أمره الرب بذلك وأوصاه عليه، فحفظ الشعب العهد  
وأنجز الوصية على أتم صفة وأكمل وجه، فلم يترك منهم نسمة حية إلا وأجهز عليها  
بالحديد المبيد، حتى محى ذكر عماليق من الوجود.

وكل المدن التي صارت تحت يد شعب الرب ليست في مأمن من الإبادة على الدوام،  
إذ بمجرد أن يُسمع من أحدها قول لا يرضاه الرب، يكون المصير هو هلاك جميع سكانها

(1) صموئيل الأول 15: 7-9 (كتاب الحياة، ص 373)

(2) صموئيل الأول 15: 10-11 (كتاب الحياة، ص 374)

(3) صموئيل الأول 15: 23 (كتاب الحياة، ص 374)

(4) صموئيل الأول 15: 32-33 (كتاب الحياة، ص 375)

وما فيها: [إِنْ سَمِعْتَ عَنْ إِحْدَى مُدُنِكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ لَتَسْكُنَ فِيهَا قَوْلًا ... وَفَحَصْتَ وَفَتَشْتَ وَسَأَلْتَ جَيِّدًا وَإِذَا الْأَمْرُ صَحِيحٌ ... فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَتَحْرِمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. تَجْمَعُ كُلُّ أُمَّتِيعَتِهَا إِلَى وَسْطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أُمَّتِيعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، فَتَكُونُ تَلًّا إِلَى الْأَبَدِ لَا تُبْنَى بَعْدُ.. لِيَكُنْ يَرْجِعَ الرَّبُّ مِنْ حُمُومِ غَضَبِهِ، وَيُعْطِيكَ رَحْمَةً. يَرْحَمُكَ وَيُكَثِّرُكَ كَمَا حَلَفَ لَأَبَائِكَ،] (1).

ويعلق محمد عمارة على هذا النص قائلا: "فكل [الآخرين] عماليق، لا بد من محو ذكرهم من تحت السماء، ورحمة الرب مرهونة ومشروطة بإبادة الأغيار وكل مكونات الحياة عند هؤلاء الأغيار لمجرد أنهم [قالوا قولاً] سمعه اليهود الغزاة لمدن هؤلاء الأغيار!!" (2).

وتتكرر مثل هذه المشاهد الدموية والعقائد العدوانية للتاريخ القديم في العصر الحديث، الذي يقتبس فيه الصهاينة من فكر أسلافهم ما يجعلونه مرتكزا عقديا ودينيا للبشاعات وحروب الإبادة التي يرتكبونها في حق المسلمين في فلسطين، ويحكي إسرائيل شاحاك عن قصة مراسلات جرت بين شاب من جنود الصهاينة وحاخامه، وهي منشورة في الكتاب السنوي لكلية "مدراسيات نوعام" أحد أبرز المعاهد الدينية في الكيان الإسرائيلي، وجاء فيها أن الجندي موشي يسأل حاخامه شمعون وايزر هل يمكننا قتل المسلم الأعزل من السلاح؟ أو حتى الأطفال والنساء؟ وهل لنا أن نعاملهم

(1) سفر التثنية 13: 12-17 (ترجمة فان دايك، ص 225)

(2) الموقف من الديانات الأخرى، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، ط 1: 2005م ص 23.



مثل العماليق؟ أي نقتلهم حتى نستأصل ذكراهم في الأرض. فكان جواب الحاخام وايزر في استحضاره لقول أحد أسلافه من أحبار اليهود، وهو الحاخام الأكبر شمعون بن يوحاي، الذي كثيرا ما كان يقول: "أفضل الأغيار اقتلوه، أفضل الأفاعي هشموا رأسها".<sup>(1)</sup> ويعني بذلك أن يكون القتل شاملا لكل الأغيار، كيفما كانوا، فلا يفرق في ذلك بين أفضلهم ولا أرذلهم، فكل الأغيار في حالة الحرب يقتلون، سواء حملوا السلاح أو لم يحملوه، وسواء كانوا ظرفاء أو لم يكونوا، وسواء كانوا صغارا أو كبارا، نساء أو رجالا، فالكل يجب أن يباد كإبادة عماليق.

وقد نصّ التلمود على أنه يجب التمييز في التعامل مع "الآخر" بين زمن الحرب والسلم، فإذا كان من غير الجائز قتل الأغيار في وقت السلم بطريقة مباشرة، فإن قتلهم يعد واجبا دينيا زمن الحرب. وفي "التوسافوت" Tosafot من تعليقات التلمود نطلع على الحكم القاضي بالابتعاد عن البئر إذا وقع فيها أحد الأغيار، والامتناع عن مساعدته للخروج منها، فكما يمنع في السلم تعمّد إلقاءه فيها، أي منع القتل المباشر، يمنع كذلك إنقاذه منها، أي يمنع إنقاذه من الموت، وهو ما يعني السماح بالقتل غير المباشر. وإذن في زمن السلم لا يمنع إلا القتل المباشر للأغيار أما غير المباشر فهو مسموح ومرحب به، إن لم يكن مأمورا به حسب تعاليم الحاخامات.

أما في زمن الحرب فقد نص التلمود على قتل أفضل الأغيار، أي أظرفهم وأطفهم بالنسبة لليهود ممن لا يحملون السلاح ولا يقاتلون، وهذا يعني شمولية القتل لجميع الأغيار، المحاربين منهم وغير المحاربين. فحسب معلق "التوسافوت" يجب التمييز بين

(1) ينظر: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحاك، ص 135-137.

زمن الحرب وزمن السلم بحيث يتحول منع قتل الأغيار في زمن السلم، إلى إلزام، وإلى واجب ديني mitzvah يقضي بقتلهم في زمن الحرب.<sup>(1)</sup>

والقتل في هذه الحالة شامل بلا تمييز ولا تفريق بين الطيبين في نظرهم وغيرهم، فينال الموت الزؤام كل من ينتمي جغرافيا أو عرقيا إلى معسكر العدو، سواء شارك في الحرب ضد اليهود أو لم يشارك، كما سبق الإشارة إلى أن أفضل الأغيار يقتل، وهذا ما تواتر تأكيده عبر تعاليم حاخامات اليهود. وفي سياق الدفاع، في مناظرة باريس عام 1240م، التي أقيمت بأمر من البابا غريغوري التاسع «1145-1241م» Pope Gregory IX لمحاكمة التلمود الذي يرى خصومه أنه يجب أن يدمر لأنه يحتوي على الإساءة للمسيحيين. وجمعت المناظرة بين اليهودي المنتصر نيكولاس دونين Nicholas Donin، وأربعة من حاخامات اليهود المميزين يتزعمهم حاخام باريس يهليل بن يوسف Yehiel ben Joseph، وجاؤوا ليدافعوا عن التلمود ضد ادعاءات Donin بأنه يسيء ليسوع والمسيحيين؛ وكان من بين ما نقمه Donin على التلمود كونه يدعو إلى إراقة دم الأغيار، كما في قوله: "أفضل الأغيار اقتلوه". والشاهد عندنا من هذا السرد كله، هو جواب الحاخام Yehiel، الذي قال إن أهم عبارة في هذه المقولة قد تم إسقاطها: "أفضل الأغيار اقتلوه في زمن الحرب".<sup>(2)</sup> وبحسبه إذن، في زمن الحرب تستباح كل دماء الأغيار، بلا قيد أو شرط، فلا ضوابط لسفك الدماء ولا حرمة للأعميين في دمائهم ولا أعراضهم ولا أموالهم إذا قامت قائمة الملاحم المقدسة عند اليهود.

(1) ينظر: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحاك، ص 133-134

(2) D. Cohn-Sherbok, Judaism and Other Faiths (Palgrave Macmillan UK, 1994) PP.47-49.

ثم ذكر Nicholas Donin حزمة من مثالب التلمود وتعاليمه المعادية للأغيار، منها تنصيصه على ترك الأغيار للموت. ومنها أيضا تلك التي تنصّ على أن المذنب من اليهود بقتل الأغيار لا تطبق عليه عقوبة الإعدام، في حين تطال هذه العقوبة الجاني إذا كان من الأغيار، ومنها كذلك ترخيصه لسرقة أموال الأغيار، وأيضا تحريمه لمساعدة المرأة غير اليهودية في الولادة ومنعه إرضاع وليدها. فما كان جواب الحاخام Yehiel ben Joseph على كل هذه المثالب التلمودية إلا قوله إن مصطلح "الأغيار" في التلمود لا يشمل المسيحيين، فلم ينفها عن التلمود بل اكتفى بإقراره أنها قيلت في حق غير اليهود من المصريين القدامى والكنعانيين.<sup>(1)</sup>

وبناء على كل ما سلف، يمكن الخلوص إلى نتيجة مفادها أن منطق الإبادة الجماعية هو أساس التعامل مع "الآخر" في الفكر التوراتي في حالة الحرب، فلا ترعى للآخر أثناء الغزو أي حق، ويستباح منه كل شيء، ولا يعفى على أحد ممن ينتمي إلى معسكر "الآخر" في وقت الحرب سواء كان رضيعا أو طفلا أو امرأة حبلى أو شيخا فانيا أو رجلا مسالما أو نسوة لا يد لهن في القتال أو عليه، فلا رحمة للضعيف ولا عدل مع القوي، بل يشمل القتل والهلاك والدمار الجميع بمن فيهم البهائم العجماء، والجمادات الصماء، فتسفك كل الدماء، ويهلك الإنسان والحيوان، ويخرب العمران ويهدم البنيان، وتدمر المدن وتضرم فيها النيران. إنه الخراب الأبدي والدمار الشامل باسم الرب وبمباركته.

<sup>(1)</sup>Cohn-Sherbok, Judaism and Other Faiths PP.49-50 .

أما في زمن السلم فقد سبق الإشارة إلى ما تضمنته التوراة من الأحكام المزرية في حق "الآخر"، فهي لا تحفظ له حقوقا ولا ترعى له كرامة، بل إن التعاليم تنصّ على حرمة إنقاذه إذا كان على شفير الهلاك. وجميع الأمم لا تستحق أن تكون ضمن شعب الرب، وما وجدت إلا لتكون خادمة لهذا الشعب الذي اختاره الرب واصطفاه من دون العالمين. عبر سلسلة من الاصطفاءات منذ بدء الخليقة، إلى أن انتهت إلى الاختصاص المتبادل بين الرب "يهو" و"شعبه المختار" الذي وعده بامتلاك الأرض والسيادة على سائر شعوب الدنيا.

## الفصل الثالث

### صورة "الأخر" في الإنجيل

- المبحث الأول: العالمية والمحبة في الإنجيل من خلال الرؤية المسيحية.
  - المطلب الأول: الانغلاق اليهودي الموروث والعالمية المسيحية الجديدة.
  - المطلب الثاني: المحبة في الإنجيل من منظور مسيحي.
- المبحث الثاني: صورة "الأخر" في نصوص الإنجيل بين القبول والنفي.
  - المطلب الأول: قبول "الأخر" في الإنجيل من خلال مبدأ المساواة في الخلق.
  - المطلب الثاني: نفي "الأخر" في نصوص الإنجيل.
- المبحث الثالث: تضارب القيم في الإنجيل بخصوص التعامل مع "الأخر".
  - المطلب الأول: بعض الشواهد الإنجيلية لتضارب القيم في حق "الأخر".
  - المطلب الثاني: بعض الشواهد التاريخية لرفض "الأخر".

## الفصل الثالث: صورة الآخر في الإنجيل.

خلافا لما عليه نصوص العهد القديم من التصريح بالأحكام المجحفة في حق "الآخر"، وإقصائه من شعب الرب، لا لشيء غير كونه لا ينتمي إلى سلالة بني إسرائيل، ولا لسبب آخر غير أنه ليس له نسب وصلة وقرابة دموية تربطه بالشعب المختار؛ جاء العهد الجديد، بكسر هذه الحواجز التوراتية التي أقامها الفكر الديني اليهودي أمام سائر الأمم، والتي حالت بينها وبين الدخول في شعب الرب؛ فقَبِلَ الإنجيل جميع الإثنيات وسائر الشعوب للدخول في ملكوت السماوات، بناء على عقيدة الفداء والخلاص بالإيمان، دون إقصاء لأحد بسبب انتمائه العرقي أو الجغرافي، وذلك من خلال الانفتاح والعالمية التي أقرتها نصوص أسفار العهد الجديد، التي أصبغت على تلك العالمية صفة المحبة، فجعلتها منبع هذا الانفتاح على سائر الأمم وثمرته وجوهره. هذا مع ملاحظة أن مسألة العالمية المسيحية لا تسلم من النقد.

وفي هذا الفصل حديث عن صورة "الآخر" في الإنجيل من خلال دراسة المسائل التي تحبك هذه الصورة وتصنعها، بالوقوف على القضايا الجوهرية التي تحدّد طبيعة "الآخر" وأصول التعامل معه، وفيه أيضا بيان للأسس التي يمكن من خلالها تحديد نظرة الإنجيل إلى "الآخر". وفيه كذلك حديث عن التضارب الحاصل في أخلاق الإنجيل عموما، وفيما يتعلق بالتعامل مع "الآخر" على وجه الخصوص، مع ذكر بعض النماذج التاريخية التي تحدّد الموقف العملي والأخلاق العملية لأتباع الإنجيل في تعاملهم مع "الآخر".

## المبحث الأول: العالمية والمحبة في الإنجيل من خلال الرؤية المسيحية.

إن الرؤية الإنجيلية للآخر، وفق الفهم المسيحي، تقوم على ركيزتين أساسيتين هما: العالمية، والمحبة. فلم يعد مع مجيء المسيح حاجة للانغلاق على سلالة بني إسرائيل، وفتحت الديانة الجديدة الأبواب لجميع الأمم دون ميز، ولسائر الشعوب دون تفريق، باسم المحبة والخلاص. وصارت الطهارة والقداسة بالفعل لا بالنسب، كما أن النجاسة إنما تكون بما يصدر عن الإنسان لا من خلال انتمائه العرقي. وفي المحور الموالي حديث عما ورثته المسيحية من انغلاق على الذات من خلال التراث العبري، وكيف استطاعت الخروج من حصريّة الرسالة إلى عالميتها، وكيف تمكنت من كسر القيود التي فرضتها تعاليم اليهود، لتفتح الأغلال التي حدّت من اتساع رقعة الدعوة، وليشمل التبشير المسيحي جميع الأمم، وذلك بناء على عقيدة المحبة والفداء الإلهي للبشرية جمعاء.

## المطلب الأول: الانغلاق اليهودي الموروث والعالمية المسيحية الجديدة.

إن إله العهد القديم في الفكر المسيحي هو نفسه إله العهد الجديد، كما أن هذا العهد الأخير حسب عقيدة النصارى لم ينسخ الأول، وإنما جاء مكملًا ومؤيدًا له، ومؤكداً عليه، فیسوع حسب الإنجيل لم يأت لينسخ الشريعة بل جاء ليرسخ أحكامها، كما ورد ذلك في إنجيل متى: [لَا تَطْنُوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْغِي الشَّرِيعَةَ أَوِ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأُلْغِي، بَلْ لِأُكْمَلَ. فَالْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ، لَنْ يَزُولَ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةً مِنَ الشَّرِيعَةِ]<sup>(1)</sup>.

(1) متى 5: 17-18 (كتاب الحياة، ص 1144)

وبناء عليه، فما قيل عن صورة "الآخر" في التوراة أو العهد القديم ملزم لكل من يؤمن بقدسية نصوصه وإلهية أحكامه من النصارى، ومما يدلّ على ذلك التقديس بقاء تلك النصوص ضمن كتابهم المقدس، إذ العهد القديم هو الجزء الموسوعي والأكبر في كتاب النصارى. فيكون ما جاءت به التوراة من التعاليم التي تدعو إلى نفي "الآخر" واستئصاله من الوجود، من العقائد المشتركة بين النصارى واليهود؛ فتلك تعاليم وأحكام تشربتها الملتان، وهي ملزمة للنصارى بناء على إيمانهم بقدسية نصوص العهد القديم؛ فهم معنيون بنصوص العنف والدموية والإبادة التي شرّعها ربهم يسوع في العهد القديم، الذي جزء من كتابهم المقدس.

يقول الأب كريستيان فان نيسبن: "إن رؤية الكنائس المسيحية للآخر وللعلاقة بالآخر هي، في أساسها، واحدة مشتركة بين الجميع، وهي نابعة من الكتاب المقدس، ومن أساسيات الدين المسيحي.<sup>(1)</sup>

وإذا كان العهد القديم من هذا الكتاب المقدس قد تضمن العديد من التعاليم التي تزدري "الآخر" وتقصيه كما سبقت الإشارة إلى ذلك فيما سلف، فإن أناجيل النصارى جاءت بقيم أخلاقية مخالفة أحيانا لما عليه العهد القديم من الفكر الإقصائي للآخر بناء على ما أسست له التوراة من عقيدة الأمة المقدسة والشعب المختار. فجاءت هذه الأناجيل بالعالمية والتبشير بدلا من الانغلاق على الذات الذي فرضته القيم والأفكار التوراتية والحاخامية، التي جعلت من الانتماء الديني لليهود انتماء عرقيا وسلاليا، فأبعدت كل من لا يشترك في الدم مع أبناء إسرائيل من ملكوت السماوات،

(1) مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، رقية علواني وآخرون، ص 81.



واعتبرت كل من يقع خارج دائرة الانتماء إلى الديانة اليهودية والعرق العبري شيئا ثانويا في الوجود، ما خلق إلا لأجل خدمة أبناء الرب، فهي بهذه المعايير، وعلى هذا الاعتبار لا تشجع على الانتماء للديانة ولا على الدخول ضمن "الأنا" اليهودي.

ويذكر المسيحي أن التلمود يرى في اليهود أنهم الجنس الوحيد الذي يجسد روح الرب، ولذلك فإنهم لا يرحبون بالمتهودين، وقد ورد في التلمود أن المتهودين بمثابة القذى في عين جماعة إسرائيل.<sup>(1)</sup> ولذلك فقد وضع حاخاماتهم حواجز وعوائق تحول دون تسهيل عملية التهود، حتى إنهم حسب حسن ظاها ليسعون في ثني من أراد الدخول في ديانتهم عن رأيه وذلك بالتشديد عليه في الامتحان والسؤال، لعلهم يفلحون في صرفه عن الشعب المختار، فإذا أصر "الغريب" على رغبته واجتاز امتحاناتهم بنجاح، فإنه يتم تهويده، لكن دون أن ينال حق المساواة حتى مع الزنادقة من بني إسرائيل، وإنهم ليميّزونه باسم خاص وهو "جير" أي الجار أو المستجير.<sup>(2)</sup>

فالمتهود بهذه المقاييس يكون في مرتبة دنيا في المجتمع اليهودي، ولا يمكنه بحال أن يرقى إلى منزلة اليهودي بالسلالة والعرق، حتى إن "ألبرتو دانزول" ليتحدث عن المهتدي المتهود في الفكر الديني اليهودي، فيذكر أنه يكون في تجمعاتهم الدينية المقدسة في الصف السابع، قبل المعوقين، ولكن خلف الأولاد غير الشرعيين وأولاد الزنا المنتمين عرقيا لجماعة إسرائيل، لأنه يفقد النسب السلالي العبراني الذي يوحى في

(1) ينظر: اليد الخفية، عبد الوهاب المسيحي، ص 30.

(2) ينظر: أبحاث في الفكر الديني اليهودي، حسن ظاها، دار القلم: دمشق، ط 1: 1987م ص 109.

الوسط اليهود بنبل شخصه وسمو أصله، أما المتهم فليس عنده قرابة الأسلاف الشرعية تلك ولا ارتقاؤها، ومن ثم يصنف تلقائياً بين ابن الزنا والمعوق.<sup>(1)</sup>

ونتيجة لهذه النظرة الدونية اتجه من اختار الانتماء إلى "الأنا" اليهودي، فالمتهود لن يستطيع أن يقاضي إسرائيلي الأصل والمنبت، بينما هذا الأخير يمكنه أن يقاضيه، كما أن المتهود لن يستطيع الزواج من الطبقات السلالية العليا، أي طبقة الكهنة واللاويين، فهي ممنوعة عليه.<sup>(2)</sup> ويحرم على كل المتهودين وعلى سلالتهم من بعدهم وإلى الأبد أن يصاهروا أية أسرة يهودية تحمل لقب "لاوي" - حالياً: ليفي - أو "كوهن" لأن هذه الأسر فيما يزعمون تنحدر من سبط اللاويين الذي منه موسى وهارون عليهما السلام، والذي بقيت فيه الكهانة ميراثاً دائماً. ويحرم على المتهود أن يتولى المناصب العليا من الإمامة أو القضاء أو القيادة السياسية أو العسكرية.<sup>(3)</sup>

فالديانة اليهودية بناء على التعاليم التوراتية والتلمودية ديانة طبقية وسلالية، وهي ديانة شعب "اختاره الرب" دون سائر الشعوب، فهي محكمة الانغلاق على جنس اليهود ومحصورة فيه من خلال آلية القرابة ورابطة النسب، وهذا ما جعل من هذه الديانة إرثاً سلالياً تتوارثه الأجيال بناء على الانتماء إلى فصيلة الدم، وهو ما تحدث عنه

(1) ينظر: اليهود والغيرية، ألبيرتو دانزول، ص 104.

(2) ينظر: المرجع السابق، الصفحة: 104.

(3) أبحاث في الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، ص 110.

أحمد إيبش حينما ذكر أن الديانة اليهودية مُغلقة ومحصورة في العرق اليهودي عبر التسلسل الذري لأسباط إسرائيل الاثني عشر.<sup>(1)</sup>

فهي إذن ديانة سلالية عرقية متوارثة، وليست ديانة عالمية أو تبشيرية مفتوحة على "الآخر" كيفما كان أصله أو جنسه، فلا تشجع على الانتماء إلى "الأنا" اليهودي، وهذا ما يؤكده محمد عزة دروزة أيضا عندما ذكر أن الديانة اليهودية ليست دينا تبشيريا ولا إنسانيا عاما، وإن بني إسرائيل يعتبرون الديانة ديانتهم والإله خاصا بهم، وإن دخول غير اليهود فيها لم يكن تبشيرا بها، إنما كان من باب السماح لمن يريد - بنفسه وبدون دعوة - أن يدخل في جماعة الرب، وفي بعض الحالات نجد العهد القديم يغلق باب الرب ودينه أمام الناس إلى الأبد كما هو الشأن في حق المؤابيين والعمونيين.<sup>(2)</sup>

وإذا أغلقت التوراة بابها دون "الآخر" وأوصدته نفيا وإقصاء لكل من لا يشترك في السلالة والدم مع جماعة الرب وشعبه المختار، فإن العهد الجديد حسب الإيمان المسيحي جاء بتعاليم جديدة جعلت من الديانة المسيحية ديانة تبشيرية وعالمية مفتوحة على "الآخر" وتفتح الباب أمام جميع الأمم. فالديانة بحسبهم دعوة عالمية، لا تقتصر على فئة إثنية أو عرقية محددة، ولا على طائفة معزولة مُحَوَّجَة؛ بل إنها عندهم دعوة إنسانية عالمية لا تحدّها حدود إثنية، ولا تعزلها قيود عرقية، فهي للإنسانية جمعاء.

(1) تطور الإنجيل، إينوك باول، ترجمة: أحمد إيبش، دار قتيبة: سوريا، ط1: 2003م من مقدمة المترجم ص 11.

(2) ينظر: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، الدار القومية للطباعة والنشر: القاهرة، د.ت ج1، ص 126-127.

ومستند هذا الفهم في هذه الديانة حسب ما جاء في موسوعة أديان الإنسانية، هو أنه بعد موت يسوع وقيامته، تجمعت الطائفة المؤمنة الأولى في أورشليم، واستجابة للمهمة التي عهدتها إليهم يسوع بقوله: اذهبوا إلى جميع الأمم، وانطلق الرسل لإعلان البشارة السارة.<sup>(1)</sup>

فكان هذا هو نواة العالمية في الديانة النصرانية، ومبدأ التبشير بالدين الجديد الذي يرحب بجميع الأمم، ويدعو جميع المذنبين إلى الغفران ودخول ملكوت السماوات، وقد ورد في الأناجيل نصوص تدعم هذا التصور وتأسس لهذه العالمية. ومن ذلك ما جاء في إنجيل مرقس: [وَيَجِبُ أَنْ تُعْلَنَ الْبِشَارَةُ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ]<sup>(2)</sup>، وفي إنجيل لوقا: [وَتُعْلَنُ بِاسْمِهِ التَّوْبَةُ وَغُفْرَانُ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ]<sup>(3)</sup>.

ولعل من أهم القضايا التي طبعت النظرة الجديدة نحو "الآخر" بناء على هذه الفهوم والتصورات القائمة على التعاليم الإنجيلية، هي تلك العالمية وذاك الانفتاح على جميع الأمم، فتلك ميزة اختصت بها التعاليم الإنجيلية خلافاً للوصايا التوراتية التي حسب الفهم الحاخامي كانت محصورة في الشعب المختار وخاصة به. أما مع العهد الجديد فقد "بشر يسوع برسالة شمولية تتوجه إلى العالم أجمع، لا لهذه الفئة الاثنية أو تلك، ولا لهذه الطائفة الدينية أو تلك."<sup>(4)</sup> فقال لتلاميذه في إنجيل متى بعد قيامته:

(1) Malherbe, Encyclopédie Des Religions De L'humanité P.52.

(2) إنجيل مرقس 13: 10 (الترجمة اليسوعية، ص 166)

(3) إنجيل لوقا 24: 47 (الترجمة اليسوعية، ص 279)

(4) الوجه الآخر للمسيح، فراس السواح، دار علاء الدين: دمشق، ط1: 2004 م ص 8.

[أَذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ "الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ"]<sup>(1)</sup>. وقال في إنجيل مرقس: [أَذْهَبُوا فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ، وَأَعْلِنُوا الْبَشَارَةَ إِلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ]<sup>(2)</sup>.

وقد عمل الأتباع بوصايا يسوع، فجاء في الإنجيل: [فَذَهَبَ أَوْلَيْكَ يُبَشِّرُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ]<sup>(3)</sup>. وهكذا وُظِّدَت دَعَائِمُ الْعَالَمِيَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ، وَكَانَ إِرسَالُ الْمُبَشِّرِينَ فِي بَادِي الْأَمْرِ إِلَى الْيَهُودِ فَقَطْ، وَلَكِنْ مَا لَبِثَ الْمَسِيحُ حَسَبَ التَّصَوُّرِ النَّصْرَانِيِّ إِلَّا وَأَمَرَ بِتَبَشِيرِ كُلِّ النَّاسِ، يَهُودًا وَأُمَمًا. وَهَذَا مَنَاقِضٌ لِمَا أَلْفَهُ الْيَهُودُ فِي دِينِهِمْ كُلِّ الْمَنَاقِضَةِ، حَتَّى إِنْ تَلَامِيذَ الْمَسِيحِ تَوَقَّفُوا عَنْ طَاعَةِ هَذَا الْأَمْرِ لِحَلْفِيَّتِهِمُ الدِّينِيَّةَ الْيَهُودِيَّةَ، فَانْقَضَى عَلَيْهِمْ سَنُونَ وَهُمْ مَتَأَخَّرُونَ عَنْ إِجْرَائِهِ حَتَّى أَلْزَمَهُمُ الْاضْطِهَادُ فِي أُورُشَلِيمَ أَنْ يَذْهَبُوا مِنْهَا وَيُبَشِّرُوا الْأُمَمَ.<sup>(4)</sup>

وَمَعَ أَنَّ هَذِهِ الْعَالَمِيَّةَ "لَا تَقْصِي بِحَالِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، وَلَا تَسْتَبْدِلُ الشَّعْبَ بِالْأُمَمِ، بَلْ عَلَى النَّقِيضِ مِنْ ذَلِكَ، تَفْتَرِضُ اسْتِعَادَةَ إِسْرَائِيلَ كَشَعْبٍ وَكَأَرْضٍ"<sup>(5)</sup>، فَإِنْ هَذَا التَّبَشِيرُ وَالْإِنْفِتَاحُ فِي الدَّعْوَةِ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، كَانَ فِي حَقِيقَتِهِ وَجُوهَرِهِ، أَمْرًا ثَوْرِيًّا فِي الْعَقِيدَةِ الْمَسِيحِيَّةِ، وَشَيْئًا جَدِيدًا عَلَى الْكَنِسَةِ الْأُولَى، الَّتِي تَعَلَّمَ أَتْبَاعُهَا مِنْذُ الْبَدَايَةِ أَنَّ دَعْوَةَ الْمَسِيحِ مُحْصُورَةٌ فِي خِرَافِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الشَّارِدَةِ، وَمَقْصُورَةٌ عَلَى شَعْبِ الْيَهُودِ دُونَ

(1) إنجيل متى 28: 19 (ترجمة فان دايك، ص 44)

(2) إنجيل مرقس 16: 15 (الترجمة اليسوعية، ص 187)

(3) إنجيل مرقس 16: 20 (الترجمة اليسوعية، ص 187)

(4) ينظر: نقض دعوى عالمية النصرانية، فرج الله عبد الباري، دار الأفاق العربية: القاهرة، ط 1:

2004.

(5) J. Adna and H. Kvalbein, The Mission of the Early Church to Jews and Gentiles (Coronet Books Incorporated, 2000) P.70.

غيره من باقي أمم الأرض جميعاً، وقد جاء على لسان المسيح نفسه النهي والتحذير من التبشير في غير بني إسرائيل.

ومن ذلك ما ورد في إنجيل متى من وصية المسيح لتلاميذه الاثني عشر حينما أرسلهم باجتنب الأمم أثناء دعوتهم، والاقتصار على الخراف الضالة من بيت إسرائيل، فجاء في إنجيل متى ما نصه: [هُؤْلَاءِ الْإِثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلًا: «إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلْ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلِ الصَّالَّةِ»].<sup>(1)</sup>

ويذكر محمد عزت الطهطاوي أن المتتبع لأناجيل النصارى ورسائلهم المقدسة، يجد أن دعوة المسيح كانت قاصرة على شعب اليهود، والذي كان يطلق عليه سابقاً شعب بني إسرائيل، بل إن البشارة بمجيئه قبل مولده تشير إلى أن رعايته ستكون لشعب إسرائيل فقط<sup>(2)</sup>، ويدل على ذلك العديد من نصوص الإنجيل، منها ما ورد في إنجيل متى: [وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ، أَرْضَ يَهُودًا لَسْتَ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُودًا، لَأَنَّ مِنْكَ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ].<sup>(3)</sup>

وإن اختصاص شعب إسرائيل بدعوة يسوع، هو ما تؤكدُه أيضاً قصة المرأة الكنعانية الوارد ذكرها في إنجيل متى، وجاء فيه ما نصه: [خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَا. وَإِذَا امْرَأَةً كَنْعَانِيَّةً خَارِجَةً مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ تَصِيحُ: «رُحْمَاكَ يَا

(1) إنجيل متى 10: 5-6، (ترجمة فان دايك، ص 13)

(2) الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، محمد عزت الطهطاوي، دار القلم: دمشق، ط1: 1993م ص285.

(3) إنجيل متى 2: 6 (ترجمة فان دايك، ص2)

رَبِّ! يا ابنَ داود، إِنَّ ابْنَتِي يَتَخَبَّطُهَا الشَّيْطَانُ تَحَبُّطاً شَدِيداً». فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَدَنَا تَلَامِيذُهُ يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ فَقَالُوا: «إِصْرِفْهَا، فَإِنَّهَا تَتَّبَعُنَا بِصِيَاحِهَا». فَأَجَاب: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى الْخِرَافِ الضَّالَّةِ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ». وَلَكِنَّهَا جَاءَتْ فَسَجَدَتْ لَهُ وَقَالَتْ: «أَغْنِنِي يَا رَبِّ!» فَأَجَابَهَا: «لَا يَحْسُنُ أَنْ يُؤْخَذَ خُبْرُ الْبَنِينَ فَيُلْقَى إِلَى صِغَارِ الْكِلَابِ». فَقَالَتْ: «نَعَمْ، يَا رَبِّ! فَصِغَارُ الْكِلَابِ نَفْسُهَا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَتَسَاقُطُ عَنْ مَوَائِدِ أَصْحَابِهَا». فَأَجَابَهَا يَسُوعُ: «مَا أَعْظَمَ إِيمَانُكَ أَيْتُهَا الْمَرْأَةُ، فَلْيَكُنْ لَكَ مَا تُرِيدِينَ». فَشُفِيَتْ ابْنَتُهَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ.<sup>(1)</sup>

ويصور لنا هذا النص مشهداً معبراً، يحمل بين ثناياه دلالات كثيرة، من ذلك صرامة يسوع في قضية الخصوصية في الدعوة، فمع أن المرأة أم مكرومة، تصرخ وتستغيث، إلا أن يسوع لم يلتفت إليها إلا بعد أن طلب منه تلاميذه وتوسلوا إليه في شأنها، فكان تلبية طلبها استجابة لتلاميذه لا لاستغاثاتها. ودل ذلك دلالة واضحة على مدى حرص يسوع على ألا يصرف دعوته إلى غير اليهود. كما أن وصف غير اليهود بالكلاب يعكس النظرة الدونية نحو "الآخر" من الأغيار.

ويشير "دانيال غلوتا" Daniel N. Gullotta إلى أن استخدام متى في هذا النص لمصطلح "كنعانية" يحمل بين طياته الكثير من الدلالات، ويحيل إلى الخوف القديم أو حتى الكراهية للأجنبي، فهو يستدعي لدى من يسمعه من اليهود الكثير من المعاني المتعلقة بالتاريخ الثري بالأحداث والمعقد بين كنعان وإسرائيل. ومن الواضح أن هذا

(1) إنجيل متى 15: 21-28 (ترجمة فان دايك، ص 22)

المصطلح يعيد ويستحضر إلى الأذهان مسألة كون المرأة ضمن "الآخر" أو "الأجنبي" في مقابل يسوع ومن حوله من التلاميذ اليهود.<sup>(1)</sup>

وفي هذا النص سالف الذكر أيضا إشارة إلى أن المسيح كان جزءا من الوسط اليهودي السائد في وقته، وهو ما يفهم من نداء المرأة المسيح بابن داود، فنسبته إلى سلالة بني إسرائيل، وفي ذلك إيماء إلى الشعب وما يتصل به من المعاني المتعلقة بالانتماء إلى الصفوة المختارة، وفيه أيضا استعطاف من قبل المرأة بوصف يسوع أنه من شعب الرب، ومن المحتمل أنها تعلم - كما يشير إلى ذلك ديل أليسون Dale C. Allison - أن يسوع مخلص يهودي وأن مهمته في إسرائيل<sup>(2)</sup>.

كما أنه عاش حياة يهودية كما يقرر ذلك غير واحد من المؤرخين، وهو ما تحدث عنه "ستيفين غروسبي" Steven Elliott Grosby، حينما أكد أنه بناء على مثل هذين التّصين سالفين الذكر<sup>(3)</sup>، فإن عددا متزايدا من علماء العهد الجديد ومؤرخي المسيحية المبكرة، يستنتجون أن يسوع عاش حياته كفرد من اليهود.<sup>(4)</sup> كما أن دعوته كانت

<sup>(1)</sup> Daniel N. Gullotta, "Among Dogs and Disciples: An Examination of the Story of the Canaanite Woman (Matthew 15:21-28) and the Question of the Gentile Mission within the Matthean Community," *Neotestamentica* 48.2 (2014): P.329.

<sup>(2)</sup> D.C. Allison, *Matthew: A Shorter Commentary* (Bloomsbury Academic, 2005) P.254.

<sup>(3)</sup> وهما نصّ المرأة الكنعانية (متى 15: 21)، ونصّ إرسال يسوع التلاميذ الاثني عشر وأمره بإيهم ألا يذهبوا بالتبشير إلى الأمم. (متى 2: 6)

<sup>(4)</sup> S.E. Grosby, *Biblical Ideas of Nationality: Ancient and Modern* (Penn State University Press, 2002) P.166.



موجهة حصرا إلى اليهود، جاء ذلك واضحا وصريحا في مجاهرة المسيح بأنه لم يرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة.<sup>(1)</sup>

يقول بارت إيرمان: "إن إحدى سخریات القدر في بداية المسيحية هي أن المسيح نفسه كان يهوديا، عبد الإله اليهودي وحافظ على العادات اليهودية وفسر الشريعة اليهودية وكان لديه تلاميذ يهود قبلوه على أنه المخلص اليهودي المنتظر. ومع ذلك شكّل أتباعه بعد عدة عقود من موته دينا وقف ضد اليهودية."<sup>(2)</sup>

أما بخصوص النصوص الإنجيلية التي جاء فيها ذكر لعموم رسالة المسيح وشمولها لجميع الأمم؛ فالذي يجزم به بعض الباحثين، أنها كتبت في عصور متأخرة عن عصر

(1) إن اختصاص دعوة المسيح بقومه من بني إسرائيل هو ما جاء تأكيده في القرآن الكريم، فقد ورد في كتاب الله تعالى في حق عيسى عليه السلام قوله سبحانه: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرِيَّةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (سورة آل عمران، الآية 48)، وقال جلّ شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرِيَّةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ﴾ (سورة الصف، الآية 6). فأمنت بدعوة سيدنا عيسى عليه السلام طائفة من بني إسرائيل وكفرت بها أخرى، كما جاء ذكر ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَعَامَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (سورة الصف، الآية 14). كما أن اختصاص دعوة كل نبي بقومه هو ما جاء أيضا على لسان نبيّنا محمد ﷺ القائل: [أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ قَبْلِي]، ثم ذكر منها: [وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً]. رواه البخاري في كتاب التيمم، ج 1، ص 74.

(2) الاقتباس الخاطئ عن المسيح، بارت إيرمان، ترجمة: فادي مرعشلي، شعاع للنشر والعلوم: حلب، ط: 2009 م ص 234.

المسيح عليه السلام، وبتأثر من دعوة بولس<sup>(1)</sup> Paul التي كانت موجّهة أساساً نحو الأمم، فهو أول من نادى بعالمية الديانة المسيحية.

وفي هذا السياق، يقول أحمد شلبي: "لا شك أن بولس هو أول من قال بعالمية المسيحية، وأفاض في شرحها في رسائله"<sup>(2)</sup>. التي تأثر بها كُتّاب الأناجيل فيما بعد، وهو ما يؤيده فرج الله عبد الباري بقوله: "لا يشك الباحثون أن كُتّاب الأناجيل تأثروا في كتاباتهم لأناجيلهم بما دونه بولس في رسائله التي تعد أقدم الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس الأولى على الرغم من أن بولس لم يكن قط من تلاميذ المسيح"<sup>(3)</sup>، كما أن رسائل بولس هي التي سبقت الأناجيل في الكتابة، ولم تزل تتقدم عنها في الاستشهاد بها في الدراسات والتعليم المسيحي حتى اليوم"<sup>(4)</sup>. وإن الإجماع على تقدم رسائل بولس على غيرها من مكتوبات العهد الجديد هو ما يصرّح به أيضاً كمال الصليبي بقوله:

(1) بولس Paul: لقّب برسول الأمم (أي الوثنيين)، ولد في طرسوس ما بين 5 و 15م وتوفي في روما عام 67م. اسمه العبري شاول. كان يهودياً فريسيّاً يضطهد المسيحيين إلى أن سمع وهو في طريقه إلى دمشق حسب رواية العهد الجديد، صوت المسيح يقول له: "شاول شاول لماذا تضطهدين" [أعمال الرسل 9: 4]، فكان ذلك نقطة تحول كبرى في حياة شاول، الذي تعمّد بعد تلك الحادثة على يد حنانيا، وبَدّل اسمه إلى بولس وبدأ يبشر بقيامة المسيح. وكان تأثير بولس كبيراً في وضع أسس الديانة المسيحية على الصعيدين الروحي والإداري. وقد كتب أربع عشرة رسالة تشكل أربع عشرة سفراً من كتاب العهد الجديد الذي مجموع أسفاره سبع وعشرون سفراً. (ينظر: معجم الحضارات السامية، هنري س. عبّودي، ص 245-246).

(2) المسيحية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، ط 10: 1998م ص 116.

(3) نقض دعوى عالمية النصرانية، فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية: القاهرة، ط 1: 2004 ص 58.

(4) المسيح في مصادر العقيدة المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة: القاهرة، ط 2: 1988م ص 32.

"يُجمع أهل الاختصاص أن رسائل بولس كُتبت على الأرجح بين عامي: 54 و67م، ممّا يجعلها أقدم من الأناجيل التي كتبت بعد هذا التاريخ."<sup>(1)</sup>

وعليه فإن تقدم رسائل بولس، كان تقدماً مادياً من حيث الكتابة والتدوين، وكذلك معنوياً من جهة قيمتها الروحية ومنزلتها في التشريع، وتأثيرها على ما جاء بعدها من المكتوبات الدينية المسيحية. وإن ما ضمّنه بولس في رسائله من التعاليم كان له الأثر الكبير في الديانة المسيحية والتبشير بها، وتوسيع رقعتها، وجعلها عالمية بدلاً من انحصارها في الحدود الضيقة لشعب بني إسرائيل. ومع أنها "قليلة جداً هي الوثائق المتبقية التي تحدثنا عن التوسع الأول للديانة المسيحية، وهي في أغلبها تتعلق بتبشير بولس وأنشطته، وهو ما قد يقودنا إلى الاعتقاد بأن بولس هو أكبر وأهم شخصية في التبشير الأول المسيحي، ومع أنه لا يوجد يقين على ذلك."<sup>(2)</sup> فقد كانت له اليد الطولى منذ البداية في تغيير مسار دعوة المسيح عليه السلام، وتوجيهها نحو جميع الشعوب، وجاء بالعالمية في الدعوة والانفتاح على سائر الأمم، وهو الأمر الذي لم يعهده تلاميذ المسيح، ولا قام به المسيح نفسه ولا أتباعه، إذ ظل يسوع على "يهوديته"، وعلى ذلك النهج سار الحواريون من بعده، إلى أن جاءهم بولس بما لم يستسيغوه من التعاليم، فقد جاءهم في حقيقة الأمر بدين جديد لم يسبق لهم به عهد ولم يناد به المسيح.

(1) البحث عن يسوع، كمال الصليبي، دار الشروق: عمان، ط: 1998م ص55.

(2) C.F. Cardoza-Orlandi and J.L. González, To All Nations from All Nations: A History of the Christian Missionary Movement (Abingdon Press, 2013) P.27.

وتأكيداً لهذا المعنى يقول: "جيرالد ل. بيري" Gerald L. Berry في كتابه Religions of the World: "وكان عيسى يهودياً، وقد ظل كذلك أبداً، ولكن شاءول كَوْن المسيحية على حساب عيسى، فشاءول هو في الحقيقة مؤسس المسيحية".<sup>(1)</sup>

وحسب "شارل جنيبير" Charles Guignebert، فإن بولس قد انفرد لنفسه بالرأي في الديانة المسيحية، ولم يكن له اتصال بالمسيح طيلة حياته، ولا أخذ عنه شيئاً من تعاليمه، ولا تلقى ما جاء به عيسى عليه السلام من الوصايا من قبل تلاميذه، ولا قبل الخضوع لهؤلاء الحواريين الذين سبقوه إلى دين المسيح، والذين كان لهم علم ودراية وفهم لحقيقة ما نادى به وإليه المسيح من الإيمان. وإن عدم تلقي بولس لما جاء به عن المسيح في حياته، جعله يزعم أنه تلقاه عنه بعد موته بواسطة الإلهام. فيصف لنا جنيبير حال بولس وما كان عليه من المزاعم والاستبداد بقوله: "الأمر الذي يهمنا هو ملاحظة أنه لم يتدرب على التبشير بالمسيحية في القدس أو على أيدي الحواريين الاثني عشر، وأنه لم يعتبر نفسه تابعا لهم، لقد أيقن أن عيسى نفسه، المسيح المجد، نصّبه حوارياً بإرادته الخاصة، لذلك فهو يرفض أن يشكك أحد في هذا التشفير، كما يشعر بأنه في غير حاجة إلى إرشاد أو نصح من بشر أيا كان".<sup>(2)</sup>

(1) نقلاً عن: المسيحية، أحمد شليبي، ص 115-116.

(2) المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ترجمة: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية: بيروت، د.ت. ص 101.

ويظهر منه هذا التعالي والاعتداد بالنفس جلياً في رسالته إلى أهل غلاطية<sup>(1)</sup>، والتي يتحدى فيها ويلعن كل من يبشّر بغير ما جاء به من التعاليم، فيقول: [حَتَّى لَوْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ، أَوْ بَشَّرَكُمْ مَلَائِكُ مِنَ السَّمَاءِ، بِغَيْرِ الْإِنْجِيلِ الَّذِي بَشَّرْنَاكُمْ بِهِ، فَلْيَكُنْ مَلْعُونًا! ... إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُبَشِّرُكُمْ بِإِنْجِيلٍ غَيْرِ الَّذِي قَبِلْتُمُوهُ، فَلْيَكُنْ مَلْعُونًا! فَهَلْ أَسْعَى الْآنَ إِلَى كَسْبِ تَأْيِيدِ النَّاسِ أَوْ اللَّهِ؟ أَمْ تُرَانِي أَطْلُبُ أَنْ أَرْضِيَ النَّاسَ؟ لَوْ كُنْتُ حَتَّى الْآنَ أَرْضِي النَّاسَ، لَمَا كُنْتُ عَبْدًا لِلْمَسِيحِ! وَأَعْلِمُكُمْ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، أَنَّ الْإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُكُمْ بِهِ لَيْسَ إِنْجِيلًا بَشَرِيًّا. فَلَا أَنَا تَسَلَّمْتُهُ مِنْ إِنْسَانٍ، وَلَا تَلَقَّيْتُهُ، بَلْ جَاءَنِي بِإِعْلَانٍ مِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. ... لَمَّا سَرَّ اللَّهُ، ... دَعَانِي بِنِعْمَتِهِ، أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لِأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ، فِي الْحَالِ لَمْ أَسْتَشِرْ لَحْمًا وَدَمًا، وَلَا صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِأُقَابِلَ الَّذِينَ كَانُوا رُسُلًا مِنْ قَبْلِي، بَلْ انْطَلَقْتُ إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ رَجَعْتُ إِلَى دِمَشْقَ. ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، بَعْدَ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ، لِأَتَعَرَّفَ بِطَرُوسَ. وَقَدْ أَقَمْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَلَكِنِّي لَمْ أَقَابِلْ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا يَعْقُوبَ، أَخَا الرَّبِّ.]<sup>(2)</sup>

فهو يصرح هنا أن ما يبشر به من الإنجيل لم يكن بشرياً، ولم يتعلمه من المسيح طيلة حياته، ولا تلقاه عن رسله، إنما جاءه مباشرة بإلهام من قبل يسوع، كما أنه لم

(1) تدل غلاطية على الهضبات العالية في آسية الصغرى «تركيا الحالية»، اجتاحتها الغاليون «أتوا من غالية أي فرنسا الحالية» في بداية القرن الثالث قبل الميلاد، فنهبوا دلفس «معبدتها الشهير»، وتابع هؤلاء المحاربون السلب والنهب قبل أن يقيموا في منطقة أنقرة التي صارت عاصمتهم سنة 25 ق.م، وفي زمن بولس كانت غلاطية مقاطعة رومانية تضم غلاطية بحصر المعنى ومناطق أخرى مما حولها. (المدخل إلى الكتاب المقدس، الخوري بولس الفغالي، منشورات المكتبة البولسية: بيروت، ط1: 1995 ج5، ص238).

(2) الرسالة إلى مؤمني غلاطية 1: 8-15 (كتاب الحياة، ص1406-1407)

يستشر في شأن المهام التي سيضطلع بها من التبشير بين سائر الأمم أحدا من بني الإنسان، بل قام بذلك مباشرة بموجب ما يزعمه من إعلان يسوع. فهو بهذه الكيفية صاغ لنفسه ديناً جديداً وعقيدة محدثة، بناءً على ما سولت له نفسه من الأوهام، التي زعم أنها إلهام، وبما ابتدعه من التعاليم والأحكام، ومن بينها هذه العالمية في الدعوة التي لم يعرفها يسوع نفسه ولا تلاميذه. "ومن خلال الواقع التاريخي لدعوة المسيح عليه السلام لا تجد من بين تلاميذه من هو من غير اليهود، ولا يذكر في إنجيل من الأناجيل الأربعة أن المسيح دعا غير اليهود، بينما تلاميذ بولس جميعهم باستثناء اثنين أو ثلاثة من غير اليهود."<sup>(1)</sup>

وحيث إنّ دعوة بولس كانت منصبة على الأغيار، فقد قبل ذلك باستهجان من قبل تلاميذ المسيح، الذين تشربوا التعاليم اليهودية، وألفوا ما كانت عليه دعوة المسيح من اختصاص وانحصار في الشعب المختار، ولم يتعودوا على اعتناق غير اليهود لدين المسيح.

إلا أن بولس استطاع أن يؤثر فيهم، ويقنعهم بجدوى هذه الدعوة، وهذا ما تحدث عنه شارل جنيبير وهو يصف دعوة بولس وما أثمرته من المؤمنين الجدد من غير اليهود وموقف الرسل منهم بقوله: "كان لابد أن يأتي إلى الإيمان الجديد وفود من المشركين البسطاء. فهل للمبشرين بالمسيحية أن يقبلوهم فيها ويعدوهم بنصيبهم من مملكة الله؟ هل يصبح هؤلاء الأجانب، الذين يجهلون شريعة موسى، أصحاب حق في ميراث أمة

<sup>(1)</sup> موسوعة بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات، داليا محمد إبراهيم وآخرون، دار نهضة مصر: القاهرة، ط1: 2012م القسم 1، ج5، ص135.

يهوه؟ لا غرابة أن نرى الحواريين الاثني عشر، وهم الذين أشربوا بتعاليم عيسى وظلوا على يهوديتهم العميقة، يستنكفون كثيرا من مثل هذه النتائج التي توصل إليها بولس، ويبدون أمامها ترددا قويا، إلا أنه فرضها عليهم فرضا.<sup>(1)</sup>

وهكذا انتصرت فكرة العالمية على الخصوصية والانحصار في الديانة المسيحية، فكل النصوص الواردة في عمومية رسالة المسيح إنما كانت ووجدت بتأثير من أفكار بولس ورسائله الدينية، وإلى هذه النتيجة خلص فرج الله عبد الباري بعد استعراضه للنصوص الإنجيلية الدالة على خصوصية رسالة المسيح، ودراسته لسائر حجج القائلين بعالمية الديانة المسيحية، فيقول: "لقد اتضح لنا جليا أن فكرة عالمية النصرانية لم تُعرف أو ينادى بها إلا عن طريق بولس، وأنه لا المسيح، ولا الذين عاصروه سمعوا أو شاهدوا المسيح يدعو غير بني إسرائيل، وقد استعرضنا النصوص التي تتحدث عن خصوصية الرسالة التي أتى بها المسيح عليه السلام ... ثم استعرضنا بعد ذلك النصوص الواردة في كل من إنجيل متى، ومرقس، ولوقا<sup>(2)</sup> ... التي دل النقد الداخلي لها على أنها مضافة في عصور متأخرة زمنيا عن الزمن الذي يزعم أنها كتبت فيه."<sup>(3)</sup> وحول هذا النقد الداخلي للنصوص الدالة على عمومية رسالة المسيح، يضيف قائلا: "ولعل أوضح دليل على ذلك

(1) المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ص 104.

(2) وهذه النصوص هي على التوالي: [فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ، فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ] (متى 28: 17-19). [وَقَالَ لَهُمْ: "ادْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَابْعَثُوا بِالْإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا. مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يَدْنُ."] (مرقس 16: 15-16). [وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ] (لوقا 24: 47-48).

(3) نقض دعوى عالمية النصرانية، فرج الله عبد الباري، ص 71.

قول متى على لسان المسيح: فَادْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ بِاسْمِ الْآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَأَنَّ هَذَا التَّثْلِيثَ لَمْ يَنَادِ بِهِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا أَتْبَاعُهُ مِنَ الْمَوْحِدِينَ، وَإِنَّمَا أَدْخَلَهُ بُولسَ وَاسْتَقَرَّ كَعَقِيدَةٍ رَئِيسِيَّةٍ عِنْدَ النَّصَارَى مِنْ خِلَالِ الْمَجَامِعِ الْمَسِيحِيَّةِ.<sup>(1)</sup>

وبناء على ذلك، فإن "نظريات بولس في المسيحية غيرت تغييرا عميقا من تصوير الحواريين الاثني عشر لعيسى وحياته وموته".<sup>(2)</sup> فقد بدّل بولس قواعد الإيمان لدى أتباع المسيح، وغير لهم حتى تصوراتهم عن المسيح نفسه ودينه، ويمكن القول حينئذ على حد تعبير شارل جنيبير: "بدون بولس، كان من المحتمل ألا توجد المسيحية".<sup>(3)</sup>

وصفوة المقال في هذا الباب إن مسألة عالمية الديانة المسيحية، صارت جزءا مكينا في الديانة، وأضحت عقيدة راسخة في التصور المسيحي، بحيث لا تكاد تخلو الخطابات المسيحية من التنويه بهذه الخصيصة، مع أن الأمر فيها يكتنفه الغموض ويشهد تعارضا واضحا وتضاربا في النصوص بين التعميم والتخصيص في رسالة المسيح؛ ولعل أمثل السبل التي سلكوها للخروج من هذا التناقض الحاصل في النصوص الإنجيلية بين تلك التي تجعل من دعوة المسيح شأنا خاصا بشعب إسرائيل، وتلك التي تفتح الأبواب على مصراعيها لجميع الأمم، ما أشار إليه "دانيال غلوتا" Daniel N. Gullotta من أن الحلّ على العموم لذلك التعارض الذي تطرحه النصوص هو اعتبار أن كهنوت المسيح في وقته كان خاصا باليهود، لكن بعد موت المسيح وقيامته سلّم

(1) نقض دعوى عالمية النصرانية، ص 71.

(2) المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ص 104.

(3) المرجع السابق، ص 111.



لتلاميذه تعليمهم العالمي، وكهنوت البشرية جمعاء.<sup>(1)</sup> فنقطة التحول هي موت المسيح وقيامته، فلم يكن مسموحا قبلها التبشير في الأمم، لأن المسيح وفقا للمكتوبات أرسل إلى شعب إسرائيل.<sup>(2)</sup>

وعلى العموم، فإن اعتناق بولس للمسيحية كان له الأثر الكبير في تحويلها إلى ديانة عالمية، قطعت مع ما جاء به المسيح في حياته من اختصاص دعوته بالشعب، بل وكما يشير إلى ذلك "بارت إيرمان" Bart D. Ehrman، ربما صارت مسيحية المسيح، أو المسيحية اليهودية على الهامش بحلول النصف الثاني من القرن الأول، فالتبشير الذي جاء به بولس أراد من خلاله أن يؤسس جماعات من المؤمنين من أرضية وثنية، وهو الإنجيلي الوحيد المؤثر على نطاق واسع الذي نسمع عنه في مصادر القرن الأول، وكانت جميع كنائسه التي يبدو أنها نمت حتى بعد أن انتقل للتبشير في كل مكان، تتألف فقط وبشكل حصري أو شبه حصري من الوثنيين المتحولين إلى المسيحية.<sup>(3)</sup>

وعلى هذا الأساس بُنيت النظرة الإنجيلية في الانفتاح على "الآخر" الوثني من غير اليهود. خلافا لما كانت عليه نصوص التوراة من الانغلاق والاختصاص بالشعب المختار. وصارت المسيحية البولسية ديانة عالمية غير إقصائية لا تلغي "الآخر"، أساسها "محبة الناس جميعا"، فحسب "ويلارد سوارتلي" Willard M. Swartley، بولس هو الذي قام بمساهمات عميقة في الفهم المسيحي للحب، ويرى نفسه بأنه يحظى بحب عميق من

(1) Gullotta, "Among Dogs and Disciples: An Examination of the Story of the Canaanite Woman (Matthew 15:21-28) and the Question of the Gentile Mission within the Matthean Community," PP.332-333.

(2) J. Muddiman and J. Barton, *The Gospels* (OUP Oxford, 2010) P.46.

(3) D. Ehrman, *The Triumph of Christianity: How a Forbidden Religion Swept the World* (Simon & Schuster, 2018) P.75.

قبل الرب، كما أن حياته تعتمد على هذا الحب، فالحياة التي يعيشها بولس ليست له، بل هي حياة يسوع التي يعيشها فيه.<sup>(1)</sup> كما بيّن ذلك في رسالته إلى أهل غلاطية بقوله: [مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاؤُ الْآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاؤُهُ فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لَأَجْلِي]<sup>(2)</sup>. وإن الإيمان الشخصي لبولس بالحب الإلهي لشخصه، ساندته ودعاه إلى الخدمة، وكان الأساس الذي جعل الإله في تصوّر بولس: "إله المحبة"<sup>(3)</sup> كما أفصح عن ذلك في رسالته بقوله: [عِشُّوا بِالسَّلَامِ، وَإِلَهُ الْمَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ سَيَكُونُ مَعَكُمْ]<sup>(4)</sup>.

وبهذا يظهر أن العالمية والمحبة سمتان بارزتان في الديانة المسيحية حسب الطرح الكتابي، ولذلك فإن المحور الموالي سيتناول الحديث عن مسألة هذه المحبة في الإنجيل، لكونها من القضايا المركزية في الديانة، ولأنها الأساس الذي قامت عليه فكرتها في العالمية، وكذلك هي الصفة الطاغية على الخطاب المسيحي قديما وحديثا.

(1) W.M. Swartley, The Love of Enemy and Nonretaliation in the New Testament (Westminster/John Knox Press, 1992) PP.19-20.

(2) رسالة بولس إلى أهل غلاطية 2: 20 (ترجمة فان دايك، ص251).

(3) Swartley, The Love of Enemy and Nonretaliation in the New Testament P.20.

(4) رسالة بولس الثانية لأهل كورنثوس 13: 11 (ترجمة فان دايك، ص249).

## المطلب الثاني: المحبة في الإنجيل من منظور مسيحي.

إن ما يطبع الخطاب المسيحي حين الحديث عن ماهية موقف الإنجيل من "الآخر"، وعن الصورة التي تصنعها نصوصه حوله، وعن طبيعة الأحكام التي يصدرها في حقه، من خلال ما ينسجه ويغرسه في مخيال مَنْ يؤمن بقدسية نصوصه من العقائد والآراء، هو الحديث المستفيض عن المحبة، التي جعلوا منها جوهر الديانة ولبابها، ومرتكزا رئيسا في كل الحوارات التي تدور حول علاقة "الأنا" بالآخر من منظور كتابي إنجيلي.

وفي هذا السياق، يسطر "برنارد برادي" Bernard V. Brady في كتابه "الحب المسيحي": "أن أيّ مسيحي يعلم الأهمية البارزة التي تحظى بها قضية المحبة في كامل العهد الجديد؛ فمن أساسيات التعليم المسيحي أن الربّ محبة، وأنه على المسيحيين أن يحبوا الربّ ويحبوا القريب؛ ومع ذلك فليس من الدقيق أن يقال إن الأمر المركزي في تعاليم يسوع كلها هو المحبة، أو إن المحبة هي الموضوع الذي يوحد العهد الجديد برمّته.<sup>(1)</sup> إلا أنهم يقررون مع ذلك أن تعاليم الكتاب المقدس تؤكد بوضوح على أن العلامة المميزة للمسيحية الحقيقية هي المحبة: محبة الرب والناس، ومحبة وطاعة كلمة الرب، فالمحبة على الدوام هي الصفة البارزة في الديانة المسيحية الحقيقية.<sup>(2)</sup> وجاء في دائرة المعارف الكتابية: "إن محبة الله والناس من أسس الديانة المسيحية الصحيحة سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد."<sup>(3)</sup>

(1) B.V. Brady, Christian Love (Georgetown University Press, 2003) P.52.

(2) L. Munoz, Birth, Criminal History and Judgment of the Roman C. Church (Palibrio, 2013) P.181.

(3) دائرة المعارف الكتابية، ج3، ص7.

وفي سبيل وضع تعريف لهذه لمحبة ورسم لحدودها، قالوا إن: "الكلمات العبرية واليونانية المترجمة «بالمحبة» لها ظلال ودلالات عديدة، إلا أنه يمكن جمعها في تعريف بسيط هو أن «المحبة لله أو للإنسان هي رغبة حارة فياضة وعاطفة حميمة عميقة من نحو المحبوب، والاهتمام الصادق الفعال الذي يطلب خير المحبوب».<sup>(1)</sup> وهي ذات بعدين متلازمين: أفقي يتمثل في محبة الإنسان لأخيه الإنسان، وعمودي يشد الأرضي إلى السماوي ويتجلى في محبة الإنسان لله<sup>(2)</sup>، والمحبة أيضا أسمى وجوه انكشاف الله للبشر، وأرفع درجات مخاطبته إياهم، وما قصة الخلاص<sup>(3)</sup> إلا فعل محبة.<sup>(4)</sup>

جاء في إنجيل يوحنا: [لَأَنََّّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ]<sup>(5)</sup>.

وهذا الحب الإلهي للعالم في التصور المسيحي غير مقصور على عالم الصالحين والطائعين فحسب، بل يشمل العوالم كلها بما فيها عالم الخاطئين والمذنبين والفاجرين! فجاء في دائرة المعارف الكتابية تعليقا على هذا الحب السماوي ما نصه: "هي حقيقة

(1) دائرة المعارف الكتابية، ج 3، ص 8.

(2) ينظر: المحبة والرحمة في الكتاب المقدس والقرآن الكريم، جورج تامر، مجلة أديان، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، الإصدار 1، 2011م ص 35.

(3) يراد بالخلاص في العهد القديم النجاة من الشر أو الخطر. أما في العهد الجديد فقد خلع عليها معنى آخر، هو إنقاذ الخطاة بالإيمان بيسوع المسيح. وينطوي تحت معنى الخلاص في العهد الجديد غفران الخطية والخلاص من ربقتها ونتائجها وتطهير النفس وأفراح العالم الأزلي: [وَسَتَلِدُ ابْنًا فَتُسَمِّيهِ يَسُوعَ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ] (متى 1: 21)، [وَلَمَّا بَلَغَ الْكَمَالَ، صَارَ لِيَجْمَعَ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ عِلَّةَ خَلَاصٍ أَبَدِيٍّ] (رسالة بولس إلى العبرانيين 5: 9). (ينظر: قاموس الكتاب المقدس، ص 345).

(4) ينظر: المحبة والرحمة في الكتاب المقدس والقرآن الكريم، جورج تامر، ص 34.

(5) إنجيل يوحنا 3: 16، (ترجمة فاندايك، ص 123)

رائعة وبخاصة عندما ندرك أي عالم هذا الذي يحبه الله، إنه عالم الخطية والفساد... الله يحب عالم الخطاة الساقطين الهالكين.<sup>(1)</sup> [...] «لأنَّ الْمَسِيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضِعَفَاءَ، مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمَعَيَّنِ لِأَجْلِ الْفُجَّارِ»<sup>(2)</sup>. فهذا العالم «الضعيف»، «الفاجر»، «الخطي»، ... هو العالم الذي أحبه الله حتى بذل ابنه الوحيد لأجل خلاصه، فأصل خلاص الإنسان، وأساس الفداء من الخطية هو محبة الله العجيبة.<sup>(3)</sup>

فإذا كانت الديانة المسيحية قائمة أساساً على عقيدة الخلاص، ومبدأ الفداء، فإن هذا الأخير أصله ومرجعه إلى المحبة، وإن قراءة في التقاليد والأدبيات المسيحية لتدفع إلى الاعتقاد بأن هذه المحبة قضية مركزية في ديانة يسوع، وأنها مسألة محورية فيها، وأنه "ما من مبدأ يوازي المحبة في المسيحية... فأهم تعريف لله في المسيحية هو أنه محبة"<sup>(4)</sup>، بل هو الحب الكلي. الحب الذي لا حد له، والذي كله قداسة. ولذلك من ليس فيه حب، ليس الله فيه. فإن أولاد الله مشهورون بالمحبة، لأن الله يسكن فيهم.<sup>(5)</sup> ومن دلائلهم على ذلك ما جاء في رسالة يوحنا: [أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، لِئَحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللَّهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللَّهِ وَيَعْرِفُ اللَّهَ. وَمَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ

(1) دائرة المعارف الكتابية، ج 3، ص 8-9.

(2) رسالة بولس إلى أهل رومية 5: 6، (ترجمة فاندايك، ص 206)

(3) ينظر: دائرة المعارف الكتابية، ج 3، ص 9.

(4) المحبة والرحمة في الكتاب المقدس والقرآن الكريم، جورج تامر، ص 33.

(5) ينظر: المحبة قمة الفضائل، ضمن سلسلة: الإيمان والرجاء والمحبة، البابا شنودة الثالث، د. ط.

الله، لأنَّ الله مَحَبَّةٌ<sup>(1)</sup>. بِهَذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللَّهِ فِينَا: أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ<sup>(2)</sup>.

فالمحبة بحسبهم قمة الفضائل كلها، بل هي الفضيلة الأولى، وجماعها، وهي عندهم أعظم من الإيمان والرجاء والنبوة<sup>(3)</sup>، كما في قول بولس: [أَمَّا الْآنَ فَيَثْبُتُ: الْإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَلَكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ]<sup>(4)</sup>، وهي آخر وصية أعطها يسوع لتلاميذه<sup>(5)</sup>، كما عند يوحنا: [وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ]<sup>(6)</sup>. فالمحبة هي العلامة المميزة لتلاميذ المسيح، وهي "القيمة الأساسية في حياة الإنسان التي تستمد منها المواهب، فلا النبوة التي تنقل إلى الناس كلام الله، ولا الإيمان الكفيل بنقل الجبال يساويان شيئا من دون المحبة"<sup>(7)</sup>، وغالبا ما يُزعم أن المحبة هي الخصيصة المميّزة للأخلاق المسيحية<sup>(8)</sup>.

(1) جاء في دائرة المعارف الكتابية: "ليس الله مجرد «محب»، بل هو «الحب» ذاته، فالحب هو ذات طبيعته، ومنه تشع هذه الطبيعة لتكون المجال الذي يعيش فيه أولاده، لأن "من يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه" «1 يو 4 : 16» والمسيحية هي الديانة الوحيدة التي تؤكد أن الكائن الأسى هو "محبة"، بينما تعلن الديانات الوثنية أن إلهها كائن غضوب في حاجة دائمة للترضية." (دائرة المعارف الكتابية، ج 3، ص 8).

(2) رسالة يوحنا الأولى 4: 7-9. (ترجمة فان دايك، ص 324).

(3) ينظر: المحبة قمة الفضائل، البابا شنودة الثالث، ص 8.

(4) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى 13: 13. (ترجمة فان دايك، ص 232).

(5) المحبة قمة الفضائل، البابا شنودة الثالث، ص 9.

(6) إنجيل يوحنا 13: 34-35 (ترجمة فان دايك، ص 143).

(7) المحبة والرحمة في الكتاب المقدس والقرآن الكريم، جورج تامر، ص 35.

(8) P. Byrne, L. Houlden and P.L. Houlden, Companion Encyclopedia of Theology (Taylor & Francis, 2002) P.695.

جاء في قاموس الكتاب المقدس: "المحبة لكلا الله والإنسان أساسية للديانة الحقيقية، سواء كما هي موضحة في العهد القديم أم العهد الجديد."<sup>(1)</sup> فهي حسب الفهم المسيحي، أصيلة المبنى حديثة المعنى، أي أنها قديمة من حيث الورد، جديدة من حيث المراد، وتأكيد هذا ما جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس<sup>(2)</sup>، من أن وصية المحبة قديمة لأنها وردت في العهد القديم، ففي سفر اللاويين: [لَا تَنْتَقِمُ وَلَا تَحْقِدُ عَلَى أُنْبَاءِ شَعْبِكَ، بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ]<sup>(3)</sup>، كما أنها وصية جديدة لأن الرب يسوع فسرّها بطريقة جديدة تماما، كما عند يوحنا: [وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا...]<sup>(4)</sup>.

وصفوة القول في شأن هذه المحبة، تأكيد الخطاب المسيحي على كونها أعظم الوصايا على الإطلاق، وأساس الديانة كلها، وهذا ما جاء بيانه في إنجيل متى على لسان المسيح نفسه، حينما سئل: «يَا مُعَلِّمُ، أَيُّهُ وَصِيَّةٌ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟»، فأجاب: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهِاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ.»<sup>(5)</sup>

(1) قاموس الكتاب المقدس، ص 285.

(2) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، وليم وهبة وآخرون، ص 2722.

(3) سفر اللاويين 19: 18. (ترجمة فان دايك، ص 141)

(4) إنجيل يوحنا 13: 34. (ترجمة فان دايك، ص 143)

(5) إنجيل متى 22: 36-40. (ترجمة فان دايك، ص 32)

فالشأن إذن، يدور كله حول المحبة، ولها في المسيحية امتدادات أوسع وأشمل من أن تكون قاصرة على الأخ القريب فحسب، بل تعم الغريب البعيد، وتشمل العدو اللدود، فهي عامة لا تخص فئة دون أخرى؛ ويذكر "كريستيان نيسبن" أنه إن كان العهد القديم يوصي بمحبة القريب، فإن هذه الوصية تأخذ في المسيح أبعادا هي، جذريا، جديدة، فيصبح هذا القريب كل إنسان ولو كان من الأمم والشعوب الأخرى، بل وإن كان من الأعداء الألداء.<sup>(1)</sup>

ودليله على ذلك ما رواه متى عن المسيح أنه قال: [سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنَيْكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضَيْكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لِأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ جَبَاةَ الضَّرَائِبِ وَرَمَزَ الشَّرِّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيُّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ].<sup>(2)</sup>

ولمزيد بيان عن هذا الحذب الأخوي في صلة الإنسان بأخيه الإنسان في الفكر الديني المسيحي بناء على ما يقرره الإنجيل، جاء في التفسير التطبيقي ما نصه: "تذهب المحبة في الكنيسة المسيحية إلى أبعد من مجرد احترام التضحية بالذات والخدمة.

(1) ينظر: مفهوم الآخر في الرؤية المسيحية، كريستيان فان نيسبن، ضمن: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير: متى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى، ص 85.

(2) إنجيل متى 5: 43-48، (ترجمة فان دايك، ص 6-7).



فيمكن في الحقيقة، تعريف المحبة بأنها «العطاء البازل غير الأناني». وهي تتخطى الأصدقاء إلى الأعداء والمضطهدين. فلا بد أن تكون المحبة هي القوة التي تربط المجتمع المسيحي والتي تميّزه.<sup>(1)</sup> وهي حسب جورج تامر: "العنصر الأساس الذي يحدّد هوية المسيحي، إنها عنوان الحياة المسيحية وجوهرها المطلق، هي الدستور الوحيد الذي ينبغي على المسيحي أن يتبعه إن أراد أن يكون مسيحياً حقاً."<sup>(2)</sup>

فالمحبة بما تقتضي من تضحية وبذل وعطاء حسب هذا التّفسير مبدأ أصيل في الحياة المسيحية، ومرتكز متين وضابط للأخلاق في هذه الديانة، وهي معدن السلوك القويم ومنجمه، وإلى هذا المعنى يشير سمير مرقس بقوله: "نقطة الانطلاق الأساسية هي المحبة، والمحبة التي نقصدها هي محبة البذل والتضحية، المحبة التي لا تنتظر أي مقابل، حُبٌّ فيه: [لَا يَطْلُبُ أَحَدٌ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مَا هُوَ لِلْآخَرِ]."<sup>(3)</sup>، بمعنى: لا يَسْعَ أَحَدٌ إِلَى مصلحة نفسه، بل إلى مصلحة غيره.<sup>(5)</sup>

ويفهم من هذا أن الأخلاق المسيحية قائمة على المحبة والإيثار والغيرية، وأن تعاليم المسيح حسب ما جاءت به نصوص الإنجيل، تدعو إلى ذلك؛ يقول "كريستيان نيسبن": "يطلب المسيح أن يخرج كل واحد منا من ذاته ويضع نفسه مكان الآخر؛ [فَكُلُّ

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 2722.

(2) المحبة والرحمة في الكتاب المقدس والقرآن الكريم، جورج تامر، ص 36-37.

(3) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 1: 24. (ترجمة فان دايك، ص 229).

(4) مفهوم الآخر في المسيحية المصرية الأرثوذكسية، سمير مرقس، ضمن: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير: منى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى، ص 125.

(5) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 2445.

مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ أَفْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ التَّامُّوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ.<sup>(1)</sup> ما هو خير للآخر يصبح المقياس لما هو مطلوب مني ومقياس الوصايا.<sup>(2)</sup>

وبهذا، يكون حب الخير للغير، والود مع "الآخر" جوهر الشريعة ومقصد الديانة، وهو ما يشير إليه "جريجوريوس زياكاس" بقوله: "إن تنفيذ الأمر الرباني يعني أن نحب إخواننا في الإنسانية، فإن المحبة التي نشعر بها نحو إخواننا البشر هي محبة الله، يقول يوحنا الإنجيلي: [أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، لِنَحِبْ بَعْضُنَا بَعْضًا، لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللَّهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللَّهِ وَيَعْرِفُ اللَّهَ. وَمَنْ لَا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ، لِأَنَّ اللَّهَ مَحَبَّةٌ]<sup>(3)</sup>. ولذلك: [إِنْ قَالَ أَحَدٌ: "إِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ" وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ]<sup>(4)</sup>.<sup>(5)</sup>

فالمسيحي إذن، مطالب بمقتضى هذه المحبة، ووفقا لهذه التعاليم، أن يكون لين الجانب، مخفوض الجناح، سمحا رحيمًا ودودًا، لا يعادي أحدا، بل يصبر على عدوان المعتدين، ويقبل جميع الناس على اختلافهم وتنوع مشاربهم؛ وهذا ما يصرح به إكرام لمعي بقوله: "من الواضح جدًا في التعليم المسيحي أن قبول «الآخر» المختلف من أهم الأساسيات في الكتاب المقدس، والمسيحي يجب ألا يعادي أحدا، بل عليه أن يفعل كما

(1) إنجيل متى 7: 12. (ترجمة فان دايك، ص 9).

(2) مفهوم الآخر في الرؤية المسيحية، كريستيان فان نيسبن، ص 85.

(3) رسالة يوحنا الأولى 4: 7-8. (ترجمة فان دايك، ص 324).

(4) رسالة يوحنا الأولى 4: 20، (ترجمة فان دايك، ص 324).

(5) نظرة المسيحي إلى المسلم: الأسس والواقع المعاصر، جريجوريوس زياكاس، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية: عمان، العدد: 199، سنة: 2000 م ص 40.

يفعل أبوه السماوي الذي يشرق بشمسه على الجميع، ويقبل الجميع مهما كانوا ومهما كانت اختلافاتهم عنه ومعه.<sup>(1)</sup>

ولعل من أبرز الأمثلة التي يضربها الإنجيل في المحبة والرحمة مع "الآخر" وقبوله، وحسن معاملته، ما جاء في إنجيل لوقا، من أن ناموسياً سأل يسوع: من هو قريبي؟ فأجاب يسوع قائلاً: "إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلًا مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ، فَعَرَّوهُ وَجَرَّحُوهُ، وَمَضَوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيِّتٍ. فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَرَأَهُ وَجَازَ مُقَابَلَهُ. وَكَذَلِكَ لَأَوِيٌّ أَيْضًا ... وَلَكِنَّ سَامِرِيًّا<sup>(2)</sup> مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَأَهُ تَحَنَّنَ، فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمَرًا، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ. وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ، وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ. فَأَيُّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللَّصُوصِ؟" فَقَالَ: "الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ". فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَاصْنَعْ هَكَذَا"<sup>(3)</sup>.

وتعليقا على هذا النص، وفي سياق بيان من هو القريب؟ قالوا إن القريب هو أي إنسان محتاج، من أي جنس، ومن أي عقيدة، ومن أي لون، ومن أي خلفية اجتماعية. والحب معناه العمل على سد احتياجات الآخرين. وليس هناك أي منطق سليم لرفض

<sup>(1)</sup> المسيحية الإنجيلية البروتستانتية والموقف من الآخر، إكرام لمعي، ضمن: مفهوم الآخر في اليهودية

والمسيحية، تحرير: منى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى، ص 249.

<sup>(2)</sup> قد كانت هناك كراهية عميقة متبادلة بين اليهود والسامريين. فكان اليهود يرون في أنفسهم نسلا نقيًا لإبراهيم، بينما السامريون سلالة مخلطة نتجت عن تزاوج اليهود من المملكة الشمالية مع الشعوب الأخرى بعد سبي إسرائيل. (التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 2108)

<sup>(3)</sup> إنجيل لوقا 10: 25-37، (ترجمة فان دايك، ص 93)

مساعدة الغير.<sup>(1)</sup> ويفسر "جون كلاينغ" John Kleinig عبارة أن نحب القريب كما نحب ذاتنا بأنها تعني إدخال مصالح الآخرين ضمن مصالحنا الشخصية.<sup>(2)</sup>

ويأمر العهد الجديد بمحبة القريب كمحبة النفس في ثمانية مواضع<sup>(3)</sup> (متى 19: 19، متى 22: 39؛ مرقس 12: 31، مرقس 12: 33؛ لوقا 10: 27؛ رومية 13: 9؛ غلاطية 5: 14؛ يعقوب 2: 8). ومن أوضحها نص لوقا الذي جاء فيه مثل السامري الصالح، وإن من خلال جعل يسوع شخصية البطل الأخلاقي فيه من خارج حدود الجماعة، ينسف كل التصورات القبلية حول القريب بأنه صديق الشخص أو فرد من الجماعة. ويصف "فيم بيركنز" PHEME PERKINS أن في هذا المثل تجاهلا لكل الحدود الاجتماعية، وإلغاء لكل أنواع الفهم التي في حسابان أفراد الجماعة. فالقريب لا يقتصر على الذي يعيش بجوار الفرد، أو على أحد معارفه، أو حتى على أحد أعضاء جماعته. إن القريب كما يقرر "فيكتور فرنش" Victor Furnish هو الشخص التالي الذي تقابله.<sup>(4)</sup>

ومع أن يسوع في مثل السامري لم يجب على السؤال كما ينتظر الفريسي، إلا أنه قدم له الرد المناسب والتام على صيغته اللفظية في السؤال. إذ أجبره على الانخراط في المثل، في افتراض أنه هو من ضُرب وهو من ينزف على قارعة الطريق، فلم يعد الأمر

(1) ينظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 2108.

(2) Norman H Young, "The Commandment to Love Your Neighbor as Yourself and the Parable of the Good Samaritan (Luke 10: 25-37)," Andrews University Seminary Studies (AUSS) 21.3 (1983): P.265.

(3) وعباراتها على التوالي: «وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». «مَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ». «وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ». «أَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ».

(4) Brady, Christian Love P.59.

حينئذ مسألة من هو المؤهل لتقديم المساعدة، بل مسألة من سيساعده، ومن تصريحات "كارل بارث" Karl Barth أن القريب هو من يصنع لك الخير.<sup>(1)</sup>

ومما يستفاد أيضا حسب سمير مرقس من هذا المثل الذي ضربه يسوع للثاموسي، قضيتين أساسيتين هما:

- "المحبة هي جوهر الإيمان المسيحي، وهي الوصية الأولى والالتزام الأساسي لأي مسيحي، وعلى قاعدة المحبة تتبلور أفكار المرء وممارساته.

- فعل المحبة الذي يمارسه الإنسان ينطلق في اتجاهين في علاقة جدلية: اتجاه نحو الله واتجاه نحو القريب/«الآخر». فمن غير المنطقي أن يدعي أحد أنه يحب الله من غير أن يتجسد ذلك عمليا في سلوكه نحو الآخرين.<sup>(2)</sup>

وقد دعت العقيدة المسيحية إلى محبة الناس على اختلافهم وتنوعهم، فوحدة المحبة لا تعني إلغاء التميز والاختلاف، بل هي وحدة في تميز، كما ترى هذه العقيدة أن نموذج وحدة المحبة ومصدرها هو الله - تعالى - ذاته، فهو في ذاته محبة، وهو الوحدة المطلقة لأنه المحبة المطلقة. ومن ثم فهو - سبحانه وتعالى - المصدر والمرجع لكل علاقات الغيرية، ولكل علاقة بآخر.<sup>(3)</sup>

وهذا ما يؤيده سمير مرقس بقوله: "تأتي أهمية المحبة في المسيحية، من كونها ركنا جوهريا فيها؛ بسبب أن «الله» ذاته «محبة»؛ أي إن الله في المسيحية هو «الإله

(1) Young, "The Commandment to Love Your Neighbor as Yourself and the Parable of the Good Samaritan (Luke 10: 25-37)," P.269.

(2) مفهوم الآخر في المسيحية المصرية الأرثوذكسية، سمير مرقس، ص134.

(3) ينظر: مفهوم الآخر في الرؤية المسيحية، كريستيان فان نيسبن، ص88.

المحب»، ومتى ارتبطت الصفة: «المحبة» بالطلق الكامل «الله»، اكتسبت طبيعة إطلاقية وتجلياتها. فالمحبة الإلهية هي محبة لا حدود لها، ولا سقف لها؛ أي إنها مطلقة في فعلها وتجلياتها.<sup>(1)</sup>

وبناء على كل ما سبق، يستفاد، أن قضية المحبة في الفكر المسيحي، سر الوجود وأصل كل موجود، ورابط وثيق بين الإله والإنسان، وبين الإنسان والإنسان، فهي قصة الخليقة، وقصة الخلاص، وقصة الإنسان، وبالجملة هي التجلي الإلهي في أبهى صورته، يقول جورج تامر: "إن أردنا أن نختصر تاريخ الله مع البشر في الفكر اللاهوتي المسيحي بكلمة لما كان أفضل من المحبة تلخيصاً لكل ما فعله الله من أجل البشر منذ بدء الخلق وباستمرار."<sup>(2)</sup>

ووفقاً لكل ما قيل سلفاً، يمكن الخلوص إلى نتيجة مفادها: إن "المحبة" هي الأساس المتين الذي تقوم عليه القيم الأخلاقية المسيحية، وهي المنطلق الذي تنشأ منه النظرة المسيحية نحو "الآخر"، لأن الإله ذاته محبة، وخلق الخلق بالمحبة، وتعاليم المسيح ورسالته تدعو إلى المحبة، وفي هذا السياق، يقول سمير مرقس: "صفوة القول: لقد خُلِقَ الإنسان من قبل الله على أساس المحبة، ومن هذا الأساس ننطلق في تعاملنا مع الآخرين."<sup>(3)</sup>

(1) مفهوم الآخر في المسيحية المصرية الأرثوذكسية، سمير مرقس، ص 126.

(2) المحبة والرحمة في الكتاب المقدس والقرآن الكريم، جورج تامر، ص 34.

(3) مفهوم الآخر في المسيحية المصرية الأرثوذكسية، سمير مرقس، ص 132.

وما دام الأمر في الفكر الإنجيلي قائم على المحبة، فإن لهذه القضية تجليات وآثاراً عملية لا بد وأن تظهر على الأخلاق والسلوك، بحيث تحدّد للمسيحيين ممن يؤمنون بقدسية النص طبيعة العلاقة مع "الآخر"، كما تبين لهم منهج التعامل معه؛ ولعل من أهم ما يترتب عن هذه النظرة الإنجيلية، ومن لوازم هذه المحبة ومقتضياتها، ولو في أدنى حدودها: السماحة والسلام، بأن يؤمن جانب المسيحي، ولا تحشى غائلته. فذاك هو النتيجة المباشرة والآثار الملازمة للمحبة، فالمحب لا يسعى في الأذى، بل يصبر عليه، وحامل لواء المحبة حامل لرسالة السلام والودّ والوثام، يقول جريجوريوس زياكاس: "من الأمور الوثيقة الصلة بمعنى المحبة معنى السلام...، وهو سلام يعني ويهمُّ جميع الأديان وجميع الفلسفات في العالم. والحاجة إلى التعاون والتعايش السلمي بين المسيحيين والناس الذين ينتمون إلى طوائف دينية أخرى، إضافة إلى احترام حرية كل شخص، هي المبادئ الأساسية للكنيسة، فالسلام هو الميراث المقدس الذي تركه عيسى المسيح لتلاميذه ومن خلاهم للكنيسة."<sup>(1)</sup>

واستدل لذلك بما ورد في إنجيل يوحنا: [سَلَامًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ]<sup>(2)</sup>، كما جاء أيضاً: [طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ]<sup>(3)</sup>، فمن يسعى إلى السلام بين المتخاصمين، ويقوم بعمل المصالحة بين الأعداء، وبين كل أنواع الناس

(1) نظرة المسيحي إلى المسلم: الأسس والواقع المعاصر، جريجوريوس زياكاس، ص 40.

(2) إنجيل يوحنا 14: 27، (ترجمة فان دايك، ص 145).

(3) إنجيل متى 5: 9، (ترجمة فان دايك، ص 5).

الذين بينهم عداوة، يظهر بذلك حسب التصور المسيحي انتماءه إلى الله ويعكس مباشرة موقف الله تعالى ذاته.<sup>(1)</sup>

كما أن العلاقة مع "الآخر" يجب أن تحكمها وتحركها المحبة، دون البحث عن هوية "الآخر"، أو التوقف عند الفروقات أو الحواجز الاثنية والعرقية والاجتماعية والدينية والطبقية، فالعلاقة بالآخر لا حدود لها.<sup>(2)</sup>

ومجمل الكلام في هذا الباب، بخصوص الطرح المسيحي لقضية المحبة وعلاقتها بالآخر وفق نصوص الإنجيل، هو ما خلص إليه "جريجوريوس زياكاس" بعد إطالة النفس في بسط تفاصيل القضية وما يتصل بها، فيقول: "يتضح من كل ما أسهبنا في ذكره سابقاً أنه لا يوجد مجال في التعاليم المسيحية للتمييز بين الإنسان الذي يخلصنا والإنسان الغريب عنا، ففي وجه كل إنسان- بغض النظر عن الدين أو الأصل- يُدعى المسيحي ليرى وجه عيسى ويتعرف على صورة الأخ في أخيه الإنسان. وفي الإنجيل المقدس لعيسى عليه السلام وهو مصدر الوحي المسيحي بلغت روح الصداقة تجاه البشر ذروتها وأصبحت محبةً، المحبة الموجهة نحو كل البشر الأصدقاء منهم والأعداء."<sup>(3)</sup>

وبهذا، يظهر بوضوح أن الطرح المسيحي لقضية المحبة عريض جداً، وله ما يسانده من النصوص المقدسة، وقد تكاثرت أقوالهم عن العدّ في هذا الباب، إلا أن هذا الخطاب الذي رفعوا لواءه، خطاب المحبة والمودة والوئام أعني، له ما يناقضه في الخطاب

(1) ينظر: مفهوم الآخر في الرؤية المسيحية، كريستيان فان نيسبن، ص 87.

(2) مفهوم الآخر في المسيحية المصرية الأرثوذكسية، سمير مرقس، ص 134-135.

(3) نظرة المسيحي إلى المسلم: الأسس والواقع المعاصر، جريجوريوس زياكاس، ص 40-41.



نفسه بله الواقع والوقائع، وتعتريه تناقضات صارخة، واعتراضات بارزة؛ فمع أن بعض التعاليم في الأناجيل دعت إلى قيم المحبة وأرشدت إلى أخلاق السماحة، فإنه يوجد في الأناجيل نفسها ما يناقض هذه الوصايا ويعارضها.

مما يحيل إلى أن صورة "الآخر" كما تصنعها النصوص الإنجيلية غير واضحة، وتشهد تضارباً صريحاً، بين الأمر ونقيضه، فتارات دعوة إلى المحبة والاحترام، وأخرى تحريض على الكراهية والاحتقار، ومرات نداءات إلى السماحة والسلام وأخرى إشارات إلى السيف والسنان؛ فالعهد الجديد مليء بالشيء ونقيضه بخصوص العلاقة مع "الآخر". لتضاف تلك التناقضات في الوصايا الإنجيلية المتضاربة، مع تلك التي سبقتها من التعاليم الدموية التي عَجَّ بها العهد القديم وضجَّ، ليتواءم الوجه الآخر للإنجيل مع مثيله في التوراة، فهي كتاب يشارك المسيحيون اليهود في الإيمان به؛ فلا يمكنهم التملّص من مضامينه، ولا الهروب من معانيه، وإلا للزمهم الكفر بالعهد القديم وحذفه من كتابهم المقدس، والاقتصار على العهد الجديد، وهذا ما لم يكن، وهو غير وارد، لأن المسيح لم يأت بدين جديد عقيدة وشريعة، وما جاء رأساً لينقض الناموس بل ليتّممه، فعند متى قول المسيح: "لَا تَطْطُوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ."<sup>(1)</sup>

وإن التعارض الحاصل في بعض التعاليم بين العهد القديم والجديد، وفي هذا الأخير نفسه كما سيأتي بيانه، بخصوص صورة "الآخر" وما يرتبط بها من أحكام، هو ما

(1) إنجيل متى 5: 17-18. (ترجمة فان دايك، ص 5).

يبيّن مدى الضبابية والاضطراب والغموض الذي يكتنف الرؤية الإنجيلية لمسألة "الآخر" عموماً، ويوضح ما يحيط بقضية المحبة المسيحية من اختلالات واختلافات، وفي المحور الموالي محاولة لكشف بعض تلك المفارقات العجيبة في المواقف، وسعي لبيان بعض من تلك التناقضات المريبة في القيم والأحكام.

سيما وأن يسوع نفسه في الإنجيل لم يقدم منظومة أخلاقية واضحة ومتكاملة، ففي نهاية مقالته التي عنوانها بـ "أخلاق الأناجيل"، وبعد بسطه للكلام حول القضية التي عالجها في صفحاتها، خلص آرثر سيسيل بيغو "Arthur Cecil Pigou" إلى قوله: "ومن هذا كله، يبدو واضحاً أنه لا يوجد في أقوال يسوع المكتوبة عقيدة أخلاقية متكاملة يمكنها أن ترضي المشرّعين، ولا يمكن العثور على هذا الأمر هناك."<sup>(1)</sup>

فأشار إلى أنه لا جدوى من البحث في أسفار العهد الجديد، عن منظومة أخلاقية متكاملة يمكنها أن تكون نظاماً تشريعياً تاماً لا يعتريه الخلل والنقص. بل على النقيض من ذلك، قد شاب تعاليم المسيح كما يرويها الإنجيل العديد من التضارب، وهو موضوع المبحث الموالي.

<sup>(1)</sup> A. C. Pigou, "The Ethics of the Gospels," International Journal of Ethics 17.3 (1907): p.289.

## المبحث الثاني: صورة "الآخر" في نصوص الإنجيل بين القبول والنفي.

إن النظرة الإنجيلية نحو "الآخر"، لم تكن قائمة على تصور واحد وواضح يمكن أن نستخلص من خلاله الموقف التام والصحيح والصريح لأتباع المسيح اتجاه كل من يقع خارج دائرة "الأنا"، بل اتسمت تلك النظرة بثنائية المعايير، فتارة، تُظهر تسامحا وترحيبا بالآخر، وتارة آخر تُبدي عدااء له ونفورا منه. ونشأ عن ذلك قراءات مختلفة للإنجيل، بناء على ما يفهمه أو يريد أن يفهمه منه من يتلوه من المسيحيين، وقد تفرقت فهمهم له شذر مذر، فمنهم من يستخلص منه مبادئ السلم وأصول التعايش، ومنهم من يبرر من خلاله أعمال العنف والعدوان، وفي هذا الشأن يقول "ألبر باي" Albert Bayet: "فشمة من يرى أن الإنجيل يحدد طقوسا لا خلاص من دونها. وآخر يعلن سدى الطقوس الأولى ويدعو إلى اللاتسامح، إلى الإيمان المفروض قسرا، إلى معاقبة الخطيئة بالنار. وآخر يدعو إلى حرية الضمير وإلى الوداعة اللانهائية حيال النعجة الضالة. الأول يجيز الحرب، والآخر يدينها إلى الأبد..."<sup>(1)</sup>

وهكذا نشأت هذه الثنائية في المواقف في الإنجيل، ومن مقتضيات ذلك، أن تكون صورة "الآخر" لدى من يؤمن بقدسية العهد الجديد تبع له في هذه الثنائية، فالنصوص متضاربة في شأنه بين الاعتراف به والإجحاف في حقه، وينبني على ذلك تباين مواقف المؤمنين بتلك النصوص، فنجد في المسيحيين من يتناول موضوع "الآخر"

(1) أخلاق الإنجيل دراسة سوسيولوجية، ألبر باي، ترجمة عادل العوا، دار الحصاد: دمشق، ط:

بشيء من الانفتاح والسّماحة، في المقابل من يدعو إلى الصدام والصراع ونفي "الآخر" من الوجود، وفيما يأتي حديث عن هذين الاتجاهين المتعارضين في أخلاق الإنجيل.

### المطلب الأول: قبول "الآخر" في الإنجيل من خلال مبدأ المساواة في الخلق.

يوجد في المسيحيين من يتحدث عن المساواة في الخلق وعدم التمييز العنصري، كمبدأ من مبادئ النظرة الإيجابية نحو "الآخر"، وأن الناس كلهم سواسية، قد خلقوا على صورة الله وشبهه، وإلى هذا المعنى يشير "كريستيان فان نيسبن"، حينما أكدّ على أن الأساس الأول لنظرة الكتاب المقدس إلى "الآخر" هو مبدأ الخلق. ففي داخل هذا الخلق هناك الإنسان الذي له مكانه الفريد في الخليقة. لأن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله. وخلق الله الإنسان بكونه قَمّة الخليقة كلها، وخلق الخليقة كلها من أجل الإنسان، وكلف الإنسان بالمسؤولية عن الخليقة.<sup>(1)</sup>

فمبدأ الخلق في اللاهوت المسيحي عنصر أساسي في تحديد الموقف من "الآخر"، يقول إكرام لمعي: "يؤمن الإنجيليون أن الله قد خلق الناس جميعاً من أصل واحد؛ ولذلك فجميع المخلوقين إخوة مهما اختلفوا في الجنس أو اللون أو اللغة، وهم متساوون أمام الله، والله يعاملهم كأبناء له بالخلق دون تمييز لشعب عن آخر، أو أمة عن أخرى، أو جماعة عن أخرى."<sup>(2)</sup>

ولهذه المساواة في الإنسانية مستنداتها في نصوص العهد الجديد، إذ يؤكد سفر أعمال الرسل على هذه الخصيصة من وحدة الأصل البشري، ووحدة الانتماء إلى الأدمية

(1) ينظر: مفهوم الآخر في الرؤية المسيحية، كريستيان فان نيسبن، ص 82.

(2) المسيحية الإنجيلية والموقف من الآخر، ضمن: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، تحرير: منى أبو الفضل ونادية محمود مصطفى، ص 249.

التي هي صنَّع الله القدير، وجاء فيه: [فقد صنَّع جميع الأمم البشريَّة من أَصلٍ واحد، لِيَسْكُنُوا على وَجْهِ الأَرْض كُلِّها]<sup>(1)</sup>.

فوحدة الصناعة من قبل الصانع، تستدعي عدم التمييز بين الناس على أي أساس عرقي، وأما الطهر والنجاسة فلا يقومان على هذه الفوارق الإثنية، خلافا لما يقرره الفكر الديني اليهودي الذي يضفي على اليهود هالة من القداسة، وينسب الأغيار إلى النجاسة، فمنعوا لذلك الاختلاط بالأُمميين؛ أما تعاليم الإنجيل، فنصَّت على أن النجاسة لا تكون بالبدن بل بالروح.

وحسب "ألبيرتو دانزول"، فإن بولس أكد على أن الطهارة هي مسألة إيمان ومعتقد فقط، فلم يعد الإنسان مدنسا بالطبيعة كما كان الشأن في الماضي عند اليهود، الذين يرون أن الطبيعة الإنسانية للأمم معدية وملوثة، ويمكن للرجس أن يأتي من الخارج بالتماس مع الأجنبي. أما مع بولس فقد صار التلوُّث والدنس مسألة قلب فقط، ولا يتعلق الأمر بطائفة معينة من الناس يرون أنهم أصحاب الإيمان وأنهم أبناء إبراهيم. فمع العالمية البولسية: لا فصل بين الإثنيات، ولا بين شعوب؛ ولم يعد هناك تمييز بين يوناني، ولا يهودي، ولا مختتن، ولا غير مختتن، ولا بربري، ولا عبد، ولا حر، ولا رجل ولا امرأة. إذ ليست الولادة هي التي تحدد طهارة الفرد، إنما إيمانه الشخصي مهما كان انتماءه. ومن جهة أخرى لم يعد الفرد يبرَّر بأعماله: أي باتباعه للشرعية، بل بإيمانه. فبالنسبة لبولس لم يعد للشرعية أي قيمة بعد مجيء المسيح.<sup>(2)</sup>

(1) أعمال الرسل 17: 26 (الترجمة اليسوعية، ص 424).

(2) ينظر: اليهود والغيرية، ألبيرتو دانزول، ترجمة: ماري شهرستان، ص 98.

وفي رسالته إلى أهل غلاطية، يقول بولس موجهاً لهم ومقرراً أن التبرير لا يكون إلا بالإيمان، أما الشريعة فهي مصدر اللعنة: [يا أهل غلاطية الأغبياء، من الذي فتنكم، أنتم الذين عرضت أمام أعينهم صورة يسوع المسيح المصلوب؟ ... أم من العمل بأحكام الشريعة نلتُم الروح، أم لأنكم سمعتم بشارَةَ الإيمان؟ ... أترى أن الذي يهب لكم الروح ويُجري المعجزات بينكم يفعل ذلك لأنكم تعملون بأحكام الشريعة، أم لأنكم سمعتم بشارَةَ الإيمان؟ ... فاعلموا إذا أن أبناء إبراهيم إنما هم أهل الإيمان. ورأى الكتاب من قبل أن الله سيُبَرِّر الوثنيين بالإيمان فبشّر إبراهيم من قبل قال له: «تبارك فيك جميع الأمم». لذلك فالمباركون مع إبراهيم المؤمنين إنما هم أهل الإيمان. فإن أهل العمل بأحكام الشريعة هم جميعاً في حكم اللعنة، ... إن المسيح افتدانا من لعنة الشريعة إذ صار لعنة لأجلنا، فقد وردَ في الكتاب: «ملعون من علّق على الحشبة»<sup>(1)</sup>.

وتعتبر عقيدة الخلاص أو الفداء هذه، في العهد الجديد، من الأسس المؤطرة لنظرة الإنجيل وتصوره حول "الآخر"، إذ تلغي حسب الفهم المسيحي كل الحواجز العرقية والإثنية التي تفصل بين "الأنا" و "الآخر"، وتساوي بين البشرية أمام الرب من خلال الخلاص بالإيمان، وتأكيداً لهذا المعنى، يقول إكرام لمعي: "جاء المسيح ليموت عن البشرية جمعاء دون استثناء فرد واحد مهما كان انتماءه العرقي أو الجنسي؛ بسبب خطاياه؛ أي جاء ليفدي البشرية ويجعلها مقبولة لدى الله، وهكذا ساوى لاهوت الفداء بين البشر جميعاً أمام الله؛ ولأن المسيح قد تألم حبا لأجل الجميع، هكذا يجب على كل

(1) رسالة بولس إلى أهل غلاطية 3: 1-13 (الترجمة اليسوعية، ص 575-577)

مؤمن أن يتألم حباً في عطائه وبذله لأجل الآخر الذي يتعامل معه أو يشاركه في الوطن مهما كان جنسه أو دينه أو عرقه.<sup>(1)</sup>

وبالرجوع إلى رسالة بولس، فإن مباركة جميع الأمم قامت على مجرد الإيمان بالفداء، أما الشريعة اليهودية وما يتصل بها من انغلاق على العرق الإسرائيلي، ومن نظرة إقصائية لجميع الأمم، فهي ابتداء مصدرٌ لللعنة التي تحمّل وزرها يسوع عن البشرية، وهي كذلك عند بولس مرحلة منتهية، وطور من أطوار الديانة تم الفراغ منه، فصارت الشريعة في نظره حدثاً في خبر الماضي، وأضحت شأناً متجاوزاً، وقد انتهت صلاحيتها بعد مجيء المسيح.

يقول بولس: [قَبْلَ مَجِيءِ الْإِيمَانِ، كُنَّا تَحْتَ حِرَاسَةِ الشَّرِيعَةِ، مُحْتَجِزِينَ إِلَى أَنْ يُعْلَنَ الْإِيمَانُ الَّذِي كَانَ إِعْلَانُهُ مُنْتَظَرًا. إِذَنْ، كَانَتِ الشَّرِيعَةُ هِيَ مُؤَدِّبَنَا حَتَّى مَجِيءِ الْمَسِيحِ، لِكَيْ نُبَرَّرَ عَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ. وَلَكِنْ بَعْدَ مَا جَاءَ الْإِيمَانُ، تَحَرَّرْنَا مِنْ سُلْطَةِ الْمُؤَدِّبِ. فَإِنَّكُمْ جَمِيعًا أُنْبَاءُ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لِأَنَّكُمْ، جَمِيعَ الَّذِينَ تَعَمَّدْتُمْ فِي الْمَسِيحِ، قَدْ لَبِسْتُمْ الْمَسِيحَ. لَا فَرْقَ بَعْدَ الْآنَ بَيْنَ يَهُودِيٍّ وَيُونَانِيٍّ، أَوْ عَبْدٍ وَحُرٍّ، أَوْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، لِأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. فَإِذَا كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذَنْ نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ وَحَسَبَ الْوَعْدِ وَارِثُونَ].<sup>(2)</sup>

فلم يعد الوعد الإلهي شأناً خاصاً بأبناء إسرائيل، ولم تعد القداسة أمراً سلالياً، بل ألغى بولس كل الفروق التي بين بني الإنسان من خلال الإيمان بيسوع، وصار الجميع

(1) المسيحية الإنجيلية والموقف من الآخر، إكرام لمعي، ص 249.

(2) رسالة بولس إلى أهل غلاطية 3: 23-29 (كتاب الحياة، ص 1409-1410)

أبناء الرب الذي طالما كان حكرا على الشعب المختار، وقد استبدل بولس طهارة الظاهر بطهارة الباطن، والشرعية بالإيمان، فلم يبق للتهود الظاهر والتمسك بالأحكام قيمة أمام تنسك القلب: [فليس اليهودي بما يبدو في الظاهر، ولا الختان بما يبدو في ظاهر الجسد، بل اليهودي هو بما في الباطن، والختان ختان القلب العائد إلى الروح، لا إلى حَرْفِ الشريعة]<sup>(1)</sup>.

وبهذا مهد بولس للقطع مع الديانة اليهودية، وما عاد مع المسيحية البولسية لأحكام الشريعة ضرورة، ولا صار للتمسك بتعاليم الناموس قيمة، فالإيمان وحده يكفي للتبرير والخلاص، ولا لزوم للشريعة: [أما الآن، فقد أُعْلِنَ الْبِرُّ الَّذِي يَمْنَحُهُ اللَّهُ، مُسْتَقِلًّا عَنِ الشَّرِيعَةِ، وَمَشْهُودًا لَهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ، ذَلِكَ الْبِرُّ الَّذِي يَمْنَحُهُ اللَّهُ عَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. إِذْ لَا فَرْقَ، لِأَنَّ الْجَمِيعَ قَدْ أَخْطَؤُوا وَهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ بُلُوغِ مَا يُمَجِّدُ اللَّهَ. فَهُمْ يُبَرَّرُونَ مَحَبَّةً، بِنِعْمَتِهِ، بِالْفِدَاءِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَقَرَارٍ، عَنْ طَرِيقِ الْإِيمَانِ، وَذَلِكَ بِدَمِهِ]<sup>(2)</sup>.

وبهذا الإعلان الذي أصدره بولس، أسس دينا لا مجال فيه للتفاخر بالتزام الأحكام الظاهرة واتباع الشرائع، فمجرد الإيمان بالفداء فداء، والإقرار بالخلاص خلاص، إذ التبرير مجاني للجميع، ويكفي فيه الاعتقاد وإن غاب عنه العمل؛ فلم يعد للتفاخر بالأعمال الظاهرة مكان، ولا صار للعرق والنسب والسلالة مكانة؛ وأكد على وحدة الجنس البشري، وألا تمييز بين الناس على أساس الدم، لأن الإله للجميع وليس

(1) رسالة بولس إلى أهل رومية 2: 28-29 (الترجمة اليسوعية، ص 470-471).

(2) رسالة بولس إلى أهل رومية 3: 21-24 (كتاب الحياة، ص 1356).



لليهود وحدهم. ثم يقرر بولس أن كل ما ذهب إليه ورآه ديناً هو عين الشريعة وتثبيت لها. فيقول: [أَيُّ الْإِفْتِخَارِ؟ إِنَّهُ قَدْ أُبْطِلَ! وَعَلَى أَيِّ أَسَاسٍ؟ أَعَلَى أَسَاسِ الْأَعْمَالِ؟ لَا، بَلْ عَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ، لِأَنَّنَا قَدْ اسْتَنْتَجْنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالْإِيمَانِ، بِمَعْزِلٍ عَنِ الْأَعْمَالِ الْمَطْلُوبَةِ فِي الشَّرِيعَةِ. أَوْ يَكُونُ اللَّهُ إِلَهَ الْيَهُودِ وَحْدَهُمْ؟ أَمَّا هُوَ إِلَهُ الْأُمَمِ أَيْضاً؟ بَلَى، إِنَّهُ إِلَهُ الْأُمَمِ أَيْضاً، مَا دَامَ اللَّهُ الْوَاحِدُ هُوَ الَّذِي سَيَبَرُّ أَهْلَ الْخِتَانِ عَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ، وَأَهْلَ عَدَمِ الْخِتَانِ عَلَى أَسَاسِ الْإِيمَانِ. إِذَنْ، هَلْ نَحْنُ نُبْطِلُ الشَّرِيعَةَ بِالْإِيمَانِ؟ حَاشَا، بَلْ إِنَّنَا بِهِ نُنَبِّتُ الشَّرِيعَةَ]<sup>(1)</sup>.

فثبت بولس أركان الشريعة بإبطالها! وأقام دعائمها بتقويضها! ورسخ أحكامها بالغائها! والمحصلة من ذلك كله، أن الإنسان لم يعد مدّساً بالطبيعة والخلقة، ولا طاهراً بالسلالة واتباع الأحكام، إنما بالإيمان وحده يدخل في ملكوت الله. ولا فرق في ذلك بين اليهود وغيرهم، ولا بين الإسرائيليين والأُمميين، فكل من آمن بعقيدة الخلاص نال الخلاص، دون اعتبار لجنسه أو منزلته الاجتماعية، فجميع الناس من خلق الله تعالى، وهم سواسية عنده.

وعلى هذا الأساس تقوم النظرة المسيحية إلى "الآخر"، بأنه إنسان من صنع الله، لا ينجس بمخلقه وأصله بل بمخلقه وفعله، ولا يلوّثه ما يدخل جوفه بل ما يخرج من من فيه وقلبه. وحدث مرة أن خالف بعض تلاميذ المسيح شعيرة غسل اليدين قبل الأكل، المنصوص عليها في التعاليم، فعاب عليهم الفرّيسون ذلك، وأنكروا على يسوع سكوته. نجد هذه القصة مروية في إنجيل مرقس، وجاء فيه: [وَاجْتَمَعَ لَدَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ

(1) رسالة بولس إلى أهل رومية 3: 27-31 (كتاب الحياة، ص 1356)

وَبَعْضُ الْكَتَبَةِ الْآتِينَ مِنْ أُورُشَلِيمَ، فَرَأَوْا بَعْضَ تَلَامِيذِهِ يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِأَيْدٍ نَجِسَةٍ، أَيْ غَيْرِ مَغْسُولَةٍ ... فَسَأَلَهُ الْفَرِيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ: «لِمَ لَا يَجْرِي تَلَامِيذُكَ عَلَى سُنَّةِ الشُّيُوعِ، بَلْ يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِأَيْدٍ نَجِسَةٍ؟»<sup>(1)</sup>.

فجمعهم يسوع، وخاطبهم قائلاً: «أَصْغُوا إِلَيَّ كُلُّكُمْ وافهموا: ما مِنْ شَيْءٍ خَارِجٍ عَنِ الْإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ يُنَجِّسُهُ. وَلَكِنْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ هُوَ الَّذِي يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ». وَلَمَّا دَخَلَ الْبَيْتَ مُبْتَعِداً عَنِ الْجَمْعِ، سَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ عَنِ الْمَثَلِ، فَقَالَ لَهُمْ: «أَهَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً لَا فَهَمَ لَكُمْ؟ أَلَا تُدْرِكُونَ أَنَّ مَا يَدْخُلُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْخَارِجِ لَا يُنَجِّسُهُ، لِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ إِلَى الْقَلْبِ، بَلْ إِلَى الْجَوْفِ، ثُمَّ يَذْهَبُ فِي الْخَلَاءِ». ... مَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ هُوَ الَّذِي يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ، لِأَنَّهُ مِنْ بَاطِنِ النَّاسِ، مِنْ قُلُوبِهِمْ، تَنْبَعُ الْمَقَاصِدُ السَّيِّئَةُ وَالْفُحْشُ وَالسَّرِيقَةُ وَالْقَتْلُ وَالزَّنى وَالطَّمَعُ وَالْخُبْثُ وَالْمَكْرُ وَالْفُجُورُ وَالْحَسَدُ وَالشَّتْمُ وَالْكِبْرِيَاءُ وَالْعَبَاوَةُ. جَمِيعُ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ تَخْرُجُ مِنْ بَاطِنِ الْإِنْسَانِ فَتُنَجِّسُهُ»<sup>(2)</sup>.

فغير يسوع مفهوم النجاسة، وأكد على باطنيتها، وأنها صادرة من القلب لا من الظاهر: [لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْقَمَ يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ، بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْقَمِ هَذَا يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ]<sup>(3)</sup>.

فلا مجال إذن في هذه المبادئ الإنجيلية للحديث عن النجاسة بالولادة كما هو الشأن في الفكر اليهودي، إذ صار الطهر والنجاسة في أخلاق يسوع قضية قلبية، لا

(1) إنجيل مرقس 7: 1-5 (الرهبانية اليسوعية، ص 147).

(2) إنجيل مرقس 7: 14-23 (الرهبانية اليسوعية، ص 148).

(3) إنجيل متى 15: 11 (ترجمة فان دايك، ص 21).

دخل للعرق والنسب والسلالة فيها، فالإنسان لا ينجس حتى تنجسه أفعاله. ولذلك فإن الاختلاط بالأغيار، الذي كان محظورا في ديانة اليهود، صار أمرا مقبولا لدى أتباع المسيح، ومن ذلك ما روي في سفر أعمال الرسل عن بطرس سمعان<sup>(1)</sup> والقائد العسكري الروماني "كرنيليوس"، وفيه: [فَمَا إِنْ دَخَلَ بُطْرُسُ حَتَّى اسْتَقْبَلَهُ كَرْنِيلْيُوسُ سَاجِدًا لَهُ، فَأَنْهَضَهُ بُطْرُسُ وَقَالَ: «قُمْ! مَا أَنَا إِلَّا إِنْسَانٌ مِثْلُكَ!»] وَدَخَلَ بُطْرُسُ وَهُوَ يُحَادِثُهُ، فَرَأَى جَمْعًا كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَى الْيَهُودِيِّ أَنْ يَتَعَامَلَ مَعَ الْأَجْنَبِيِّ أَوْ يَزُورَهُ فِي بَيْتِهِ. غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ أَرَانِي أَلَّا أَقُولَ عَنْ إِنْسَانٍ مَا إِنَّهُ دَنَسٌ أَوْ نَجِسٌ»<sup>(2)</sup>.

ويعلق "متى هنري" على ماورد في هذا النص بقوله: "إنه تحول جديد جدا ذاك الذي تعطيه قصة هذا الأصحاب لسفر أعمال الرسل. فنحن نتحول الآن إلى الأمم، الذين قُتِح لهم باب الإيمان. الرسول بطرس هو أول من يُستخدم للسماح للأمم غير المختونين بالانضمام إلى الكنيسة، وكرنيليوس وهو قائد مئة روماني الجنسية كان أول من انضم هو وعائلته وأصدقائه إلى الكنيسة على هذا النحو."<sup>(3)</sup> فكان الروماني كرنيليوس كما يصفه متى هنري "باركورة شعب الرب من الأمم."<sup>(4)</sup>

(1) اسم يوناني معناه «صخرة أو حجر» كان هذا الرسول يسمى أولا سمعان واسم أبيه يونا، واسم مدينته بيت صيدا. فلما تبع يسوع سماه «كيفا» وهي كلمة آرامية معناها صخرة. وهي باليونانية بيتروس ومنها بطرس، وكانت مهنة بطرس صيد السمك التي كان بواسطتها يحصل على ما يكفي عائلته المقيمة في كفر ناحوم. (قاموس الكتاب المقدس، ص173).

(2) أعمال الرسل 10: 25-28 (كتاب الحياة، ص1319)

(3) التفسير الكامل للكتاب المقدس، متى هنري، مطبوعات إيجلز: القاهرة، ط1: 2002م. ج2، ص78-

(4) المرجع السابق، ج2، ص79.

وتلك إذن تعاليم إنجيلية ألغت التمييز العنصري الذي كان مقرراً في الشريعة اليهودية ضد "الآخر"، وقطعت مع الإقصاء الذي كانت تفرضه تعاليم الناموس في حق كل من يقع خارج دائرة القداسة اليهودية، وأقرت بالكرامة الإنسانية، وقداسة الإنسان، يقول جريجوريوس زياكاس: "الإنسان هو أسمى مخلوقات الله، وقمة الخليقة لأنه مصنوع على [صورة الله] و[كشبه الله]. [وَقَالَ اللَّهُ: نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا]<sup>(1)</sup> ... ووفقاً لحقيقة التعاليم المسيحية فإن الشخص البشري مقدس، ... وندرك أن قداسة الإنسان وشرفه وكرامته مبادئ أساسية في العقيدة المسيحية."<sup>(2)</sup>

فالنظرة الإيجابية نحو "الآخر" في الإنجيل، قامت على مثل هذه المبادئ العقدية والأخلاقية التي تجعل من الإنسان كائناً محترماً ومكرماً، لا ينجسه أصله العرقي، ولا يُطرد من جماعة الرب بسبب انتمائه الإثني. فكان الانفتاح على جميع الأمم وجميع الشعوب هو الموقف السائد في الإنجيل، الذي يقرر أن الرب لجميع الناس، وليس خاصاً باليهود وحدهم، وأن الناس أمام الرب سواسية، فلا فرق بين بني آدم مهما كانت أصولهم وأنسابهم إلا بالعمل وفعل الخير، كما نصّ على ذلك سفر أعمال الرسل على لسان بطرس لما قال: [«تَبَيَّنَ لِي فِعْلاً أَنَّ اللَّهَ لَا يُفْضِلُ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ، بَلْ يَقْبَلُ مَنْ يَتَّقِيهِ وَيَعْمَلُ الصَّالِحَ مَهْمَا كَانَتْ جِنْسِيَّتُهُ. وَقَدْ أُرْسِلَ كَلِمَتُهُ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَشَّرَهُمْ بِالسَّلَامِ بِوَاسِطَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، رَبِّ الْجَمِيعِ»]<sup>(3)</sup>.

(1) سفر التكوين 1: 26، (ترجمة فان دايك، ص 236).

(2) نظرة المسيحي إلى المسلم: الأسس والواقع المعاصر، جريجوريوس زياكاس، ص 38-39.

(3) أعمال الرسل 10: 34-36 (كتاب الحياة، ص 1319).

وإذن، مع بشارة الإنجيل، صار الإله ربّ الجميع وليس حكراً على قوم اليهود، وانتفى التمييز بين الناس على أسس العنصر والانتماء إلى شعب إسرائيل، وفتح باب الخلاص أمام جميع الأمم، واستوى أمام الإله اليهود وغيرهم، وصار الإيمان هو أساس القبول وليس الحسب والنسب، كما أكدّ على ذلك بطرس أيضاً بقوله: [أَيُّهَا الإِخْوَةُ، أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْذُ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْمَعَ غَيْرُ الْيَهُودِ كَلِمَةَ الْبِشَارَةِ عَلَى لِسَانِي وَيُؤْمِنُوا. وَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ الْعَلِيمُ بِمَا فِي الْقُلُوبِ عَلَى قَبُولِهِ لَهُمْ إِذْ وَهَبَهُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا وَهَبْنَا إِيَّاهُ. فَهُوَ لَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي شَيْءٍ، إِذْ طَهَّرَ بِالْإِيمَانِ قُلُوبَهُمْ]<sup>(1)</sup>.

فنصّ الإنجيل على قبول "الآخر" الإثني ضمن جماعة الرب، وهو ما يمثل ثورة حقيقية في ديانة يسوع الذي هو محور العهد الجديد برمته. وإن النظرة إلى "الآخر" تتحدّد من خلال مواقفه وتعاليمه، يقول كريستيان فان نيسبن: "العهد الجديد محوره شخص يسوع المسيح ذاته، والنظرة إلى «الآخر» تظهر -أولاً- في أقوال المسيح وأعماله ومواقفه. ومن الواضح إلى أي درجة يمثل المسيح ثورة في العلاقات بالآخر."<sup>(2)</sup>

إلا أن أخلاق الإنجيل ومواقفه وتعاليمه اتجه "الآخر" لم تكن واحدة على الدوام، بل اتسمت بالاضطراب الذي يصل في بعض الأحيان إلى التناقض البين، وفي المحور الموالي حديث عن هذه الصورة المناقضة للأولى بخصوص مفهوم "الآخر" وأخلاق التعامل معه.

(1) أعمال الرسل 15: 7-9 (كتاب الحياة، ص 1326-1327)

(2) مفهوم الآخر في الرؤية المسيحية، كريستيان فان نيسبن، ص 85.

## المطلب الثاني: نفي "الآخر" في نصوص الإنجيل.

إن العالمية التي ظهرت في التعاليم المسيحية في الإنجيل، إضافة إلى ما سبق ملاحظته والحديث عنه من عدم أصالتها في تعاليم المسيح نفسه، فإنها أيضا عالمية جعلت من "الآخر" هدفا لتذويبه ضمن جماعة الرب، وجعله فردا من "شعب الله"، من خلال الإيمان بالمسيح، أما "الآخر" الذي لم يقبل البشارة، فليس له في ملكوت السماوات نصيب، ولا يدخل ضمن الأمة المقدسة. يقول بطرس لأتباع المسيح ممن آمن به وقبل بشارته: [أَمَّا أَنْتُمْ فَإِنَّكُمْ دُرِّيَّةٌ مُخْتَارَةٌ وَجَمَاعَةُ الْمَلِكِ الْكَهَنوتِيَّةِ وَأُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ وَشَعْبٌ اقْتَنَاهُ اللَّهُ لِلْإِشَادَةِ بِآيَاتِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ. لَمْ تَكُونُوا بِالْأُمَمِ شَعْبَ اللَّهِ، وَأَمَّا الْآنَ فَإِنَّكُمْ شَعْبُهُ. كُنْتُمْ لَا تَنَالُونَ الرَّحْمَةَ، وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ نِلْتُمُ الرَّحْمَةَ]<sup>(1)</sup>.

فمن قبل لم يكونوا ضمن "شعب الله"، لكن بعد الانفتاح المسيحي على الأمم، صار كل من آمن بالمسيح من الوثنيين، ضمن "شعب الله". وكأن في هذا التوجه استحضارا للمعاني اليهودية القديمة في تأسيسها لنظرية "الشعب المختار"، لكنها هذه المرة بفهم مسيحي جديد يلغي الحدود العرقية، ويضع حدودا أخرى للخلاص، تنحصر في الإيمان ببشارة يسوع؛ وقد أخبر بولس عن عاقبة من يرفض الإيمان بالمسيح بقوله: [فَإِنْ أَخْطَأْنَا عَمْدًا بِرَفْضِنَا لِلْمَسِيحِ بَعْدَ حُصُولِنَا عَلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، لَا تَبْقَى هُنَاكَ ذَبِيحَةٌ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، بَلْ انْتَظَارُ الْعِقَابِ الْأَكِيدِ فِي لَهَيْبِ النَّارِ الَّتِي سَتَلْتُهُمُ الْمُتَمَرِّدِينَ. وَيَا لَهُ مِنْ انْتَظَارٍ مُخِيفٍ!]<sup>(2)</sup>.

(1) رسالة بطرس الأولى 2: 9-10 (الترجمة اليسوعية، ص 745).

(2) رسالة بولس إلى العبرانيين 10: 26-27 (كتاب الحياة، ص 1466).

وجاء في تفسير هذا النص لمتى هنري Matthew Henry أن هذا العقاب المخيف هو جزاء كل من تخلى عن الإيمان بالمسيح، فقال: "الخطية المشار إليها هنا هي الارتداد الكامل والنهائي، أي أن يرفض الناس المسيح المخلص الوحيد، والإنجيل الطريق الوحيد للخلاص".<sup>(1)</sup> وفي هذا بيان أن السبيل الوحيد للخلاص هو الإيمان بالمسيح المخلص، وإلا فإن الذين لم يقبلوا الإنجيل ليسوا من "شعب الله"، ولن يدخلوا في الملكوت الأبدي.

وبناء على ذلك، فإن ما سبق الحديث عنه في مسألة العالمية المسيحية التي جاء بها الإنجيل، وإلغائها لكل القيود العرقية، التي قام التمييز على أساسها بين الأمم في العهد القديم، إنما هو من جهة العنصر والنسب، أما التمييز من حيث الدين والمعتقد، فهذا لا بد منه في كل دين، والمسيحية لا تشذ عن هذا المبدأ. فالمساواة التي سبق الحديث عنها إذن، إنما هي في دائرة الدين الواحد، أما من يقع خارج حدوده، فلا مساواة، والتمييز في حقه حاصل، كما أشار إلى ذلك خالد الشنير بقوله: "نجد كثيرا معاني المساواة، سواء كانت في العهد الجديد، أو في الكتابات المسيحية. لكن يبقى تأكيد أن هذه المساواة - في الجملة - عبارة عن مساواة داخل الدين المسيحي، فلا تمييز عنصريا داخل تعاليم العهد الجديد ... لكن هناك تمييز على أساس ديني".<sup>(2)</sup>

(1) التفسير الكامل للكتاب المقدس، متى هنري، ج 2، ص 335-336.

(2) حقوق الإنسان في المسيحية واليهودية والإسلام، خالد بن محمد الشنير، مكتب البحوث والدراسات لمجلة البيان: الرياض، ط 1: 1434 هـ ص 181.

ولذلك، فقد دعا بولس إلى التمايز والانفصال عن "الآخر" الذي لا يؤمن بالمسيح، فجاء في رسالته إلى أهل كورنثوس<sup>(1)</sup> قوله: [لَا تَدْخُلُوا مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ تَحْتَ نِيرٍ وَاحِدٍ. فَأَيُّ ارْتِبَاطٍ بَيْنَ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ وَأَيَّةُ شَرَكَةٍ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلَامِ؟ وَأَيُّ تَحَالُفٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ إِبْلِيسَ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟]<sup>(2)</sup>.

وجاء في تفسير متى هنري تعليقا على هذا النص: "الرسول هنا يحذرهم من الاختلاط بغير المؤمن ... إذ إنه من الخطأ أن يرتبط المؤمنون ويصاهرون الأشرار وغير الأبرار ... ليس جيدا لنا أن نرتبط بالصدقة مع غير المؤمنين، أي الأشرار، ... فالمؤمنون أبرار، أما غير المؤمنين فآثمة. المؤمنون هم نور في الدرب، أما غير المؤمنين فظلمة ... توجد خطورة كبيرة في الارتباط بغير المؤمنين بسبب إمكانية التلوث بنجاستهم ولأجل رفض الله لهذا الأمر، الذي لأجله نجد التحريض بأن نخرج من وسطهم ونعتزل عنهم، ونكون كمن يتجنب الاختلاط بمجتمع مملوء بالبرص أو الوباء؛ لهذا فالأمر لنا بأن لا نمس نجسا، ... لذا فعلينا أن نحترس ألا ننجس أنفسنا بالاختلاط مع أولئك الذين يتنجسون بالخطية."<sup>(3)</sup>

(1) مدينة يونانية قديمة تبعد 8 كلم عن المضيق والقنال الحالي، كانت عاصمة مقاطعة أخائية اليونانية ثم صارت مرتبطة بمجلس الشيوخ يحكمها قنصل، وقد شكلت كورنثوس مركزا تجاريا هاما بين الشرق والغرب، وعرفت مزيجا من الأعراق، ففيها الرومانيون واليونانيون وأهل المشرق من اليهود. وكانت الحياة الدينية فيها مزيجا أيضا. من الوثنية واليهودية. وقد بدأ بولس يبشر في كورنثوس خلال رحلته الثانية. (ينظر: المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، الخوري بولس الفغالي، المكتبة البولسية: بيروت، ط1: 2003م. ص1070).

(2) رسالة بولس الثانية إلى مؤمني كورنثوس 6: 14-15 (كتاب الحياة، ص1397).

(3) التفسير الكامل للكتاب المقدس، متى هنري، ج2، ص368.



وأي خطية أعظم في الفكر المسيحي من إنكار المسيح نفسه، فلا أخطر عندهم من ذلك، لأنه يهدم الديانة من أساسها، ويقوّض الدعامة الصلبة التي قامت عليها؛ وعليه، فكل من لم يؤمن بالبشارة والفداء، ينطبق عليه ما سلف من كلام المفسر لرسالة بولس، فيصير "الآخر" الذي لا يؤمن بتعاليم المسيح وفق الفهم المسيحي في عداد المتنجّسين بالخطية. وفي هذا الخطاب يظهر التعارض الصريح مع ما سبق إيراده من أحاديث الوداعة والسماحة والمحبة التي اتسمت بها تعاليم بولس؛ فظهر وبان أن لهذه المحبة والسماحة معان مقصودة وحدودا معلومة.

وتجدر الإشارة إلى أن سياق النص في رسالة بولس والمعاني الإقصائية والانفصالية التي يحملها، هو ما حدا بكثير من الباحثين للتشكيك في أصالته وتقرير عدم تناسبه مع السياق العام لرسائله، كما أشار إلى ذلك "بول دوف" Paul B. Duff في مقالته، التي ذكر فيها أن بعض العلماء يرون أن النص مكتوب من قبل بولس وينتمي بشكل أصلي إلى سياقه الحالي. إلا أنه منذ بداية القرن التاسع عشر، بدأ الكثير من العلماء يشكّكون في سلامة النص بصيغته الحالية، لأسباب عدة ساقها، وأذكر من بينها، عدم ملائمة النص مع سياقات أخرى، كما أن النص بصورته الحالية يشكل وحدة مستقلة ومفهوما خاصا به، وفيه أيضا روح من الحصرية التي تتنافى مع وجهة نظر بولس.<sup>(1)</sup>

ولذلك، وحسب تفسير أوكسفورد، فقد أثّر حول أصالة هذا النص قدر كبير من الشك، إذ من المستغرب والمثير للدهشة بحسبهم هذا الفصل الحاد بين المؤمنين والكفار. فمن الصعب مثلا التوفيق بين ما جاء في هذا النص من المنع القوي من الاختلاط بغير

(1) Paul Brooks Duff, "The Mind of the Redactor: 2 Cor. 6:14-7:1 in Its Secondary Context," Novum Testamentum 35.2 (1993): PP.160-161.

المؤمنين مع ما جاء عن بولس نفسه من السماح باستمرار الزواج بين المؤمنين وغيرهم؛ إلا أن هؤلاء المفسرين لا ينكرون معاني الانعزالية التي يحملها النص في طياته، فيذكرون أنه مع ما يطرحه من إشكالات أدبية، فإنه يوجد نقاط اتصال بين هذا النص والنصوص الأخرى من رسائل بولس، التي تصور كنيسة المؤمنين على أنها هيكل الرب، الذي أقامه المؤمنون الأبرار، والذي يجب أن يبقى طاهرا. والنتيجة اللازمة لهذا التصور للمعبد المقدس، هو الرأي القائل إن أي عنصر يهدد بجلب النجاسة إلى الجماعة يجب التعامل معه على أنه من الغرباء الخارجين عن الحدود المجتمعية<sup>(1)</sup>. وذلك في سياق الحفاظ على حدود المجتمع.

فصارت الكنيسة هي إسرائيل الرب، وبعدها فقد اليهود مكانهم عند الرب، تم تمريره إلى الكنيسة، وكل الوعود التي كان يفترضها اليهود من سجود الأمم لهم، لن ينالوها إلا إذا سجدوا هم وسائر الأمم ليسوع<sup>(2)</sup>. فالتوجه الحصري واضح في هذه الخطابات التي تقضي بامتناع الخلاص لغير من لم يسلك سبيل المسيح.

وإذن، فالنص بسياقه ومعانيه، يطرح إشكالات مربكة للمسيحيين، وهو ما يصرّح به وليم باركلي حينما يقول في تعليقه عنه: "فهو بلا شك بوضعه هذا مربك للغاية، ... هذا الفصل يظهر أنه في غير موضعه، إذ إنه لا يتماشى مع معاني المحبة المبتهجة الفرحة التي تتجلى في الآيات السابقة واللاحقة له."<sup>(3)</sup>

(1) Barton and Muddiman, *The Oxford Bible Commentary* P.1141-1142.

(2) W. Barclay, *Bible Commentaries the Revelation of John* P.84.

(3) تفسير العهد الجديد: رسالتا كورنثوس، وليم باركلي، ترجمة: باقي صدقة، دار الثقافة: القاهرة، ط2:

ولئن أنكر باركلي السياق، فإنه لم ينكر المعنى، فقال: "الفكرة الأساسية هنا هي أنه توجد أشياء معينة متغيرة ومتناقضة من أساسها، وبحسب طبيعة تكوينها لا يمكن أن توضع معا، فيستحيل مثلا أن تتمشى طهارة المسيحي مع دنس الوثني، ولا يمكن أن يوضع الاثنان في إطار مشترك أو طقم واحد."<sup>(1)</sup> فالتمايز والانفصال عن "الآخر" الوثني، أمر مقرر في الفكر المسيحي، بناء على هذا النص سالف الذكر من رسالة بولس.

أما بخصوص اليهود الذين كانوا على شريعة موسى، فيشير "ألبير باي" إلى تناقض الإنجيل في مسألة خلاصهم، فيقول: "الإنجيل يقدم في الحق جوابين متناقضين بصدده مسألة خلاص اليهود: الجواب الأول: من يؤمن بالآب، ويستمع إلى موسى والأنبياء، يستمع إلى نصحاء صالحين يقودونه إلى الملكوت. الجواب الآخر: إن أحدا لا يستطيع الإيمان بالآب دون الإيمان بالمسيح، ومن يستمع إلى (من سبقوا يسوع) يستمع إلى سراق ولصوص يقودونه إلى الهلاك."<sup>(2)</sup> يشير بذلك إلى ما جاء في إنجيل يوحنا، حينما قال يسوع: [الحَقُّ الحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنَا بَابُ الخِرَاف. جَمِيعُ الَّذِينَ جَاءُوا قَبْلِي لُصُوفٌ سَارِقُونَ وَلَكِنَّ الخِرَافَ لَمْ تُصْغَعْ إِلَيْهِمْ. أَنَا الْبَابُ فَمَنْ دَخَلَ مِنِّي يَخْلُصَ ...]<sup>(3)</sup>.

والنص تقرير للحصرية، وقطع مع جميع السبل الأخرى التي لا توصل إلى الخلاص، لأن يسوع هو الباب الوحيد للخلاص، وفيه أيضا، احتمالية وصف جميع أنبياء العهد القديم بالدجل والخداع والكذب كما أشار إلى ذلك ألبير باي؛ إلا أن حياة

(1) تفسير العهد الجديد: رسالتا كورنثوس، وليم باركلي، ص 324.

(2) أخلاق الإنجيل، ألبير باي، ص 26.

(3) إنجيل يوحنا 10: 7-9 (الترجمة اليسوعية، ص 321).

التحرير للترجمة اليسوعية نفت أن يكون المقصود هم أنبياء العهد القديم، فتقول: "لا يدور الكلام على أنبياء العهد القديم، بل على الذين كانوا يدعون، في العالم اليهودي وفي العالم الوثني، تزويد الناس بمعرفة الأمور الدينية وبالخلاص بوسائلهم الشخصية."<sup>(1)</sup>

كما أن "فيليب ويسلي كومفورت" Philip W. Comfort، أشار إلى أن كلمة "قبي" الواردة في النص من الممكن ألا يكون يوحنا من كتبها، لأنها لا توجد في الشواهد الأخرى من المخطوطات، ويفترض أنها أضيفت لتوضيح غموض العبارة "الذين جاؤوا لُصُوصُ سارقون"؛ ويحتمل أنه تم إسقاطها من الشواهد الأخرى لئلا تكون سببا في إدانة العهد القديم بأكمله، أو أنهم حذفوها لأنهم يرون أنها كلمة زائدة لا حاجة إليها. إلا أن العبارة من الممكن ألا تكون موجهة إلى أنبياء وقديسي العهد القديم، أو بالأحرى موجهة إلى أولئك الذين ظهروا على الساحة ممن يدعون أنهم المسيح، وقد يقصد بها أيضا القادة الأشرار من اليهود، أو المسيح المزيف.<sup>(2)</sup>

وعلى العموم، فإن الخلاص لأتباع العهد القديم من اليهود، كان مشروطا حسب أحد الاتجاهين في تعاليم الإنجيل بالانقياد ليسوع والتصديق ببشارته، والإيمان بالفداء. وذلك في مقابل النصوص الإنجيلية التي تقرّ بالخلاص لكل من آمن بموسى والأنبياء، مثل ما جاء في إنجيل لوقا من المثل الذي قال فيه النبي إبراهيم -عليه السلام- عبارة: [عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءُ: فَلْيَسْمَعُوا لَهُمْ!]<sup>(3)</sup>. والتي فهم منها ألبير باي

(1) المصدر السابق، هامش ص 321.

(2) P.W. Comfort, New Testament Text and Translation Commentary: Commentary on the Variant Readings of the Ancient New Testament Manuscripts (Tyndale House Publishers, Incorporated, 2008) P.295.

(3) إنجيل لوقا 16: 29 (كتاب الحياة، ص 1249).

أنها واضحة في التّنصيص على أنه: "يكفي لاجتناب الجحيم إطاعة موسى والأنبياء، وبعبارة أخرى، إن الإيمان بالآب، مقرونا بمراعاة الشريعة، يتيح لليهودي أن يفوز بالخلاص."<sup>(1)</sup>

وعليه فإن مسألة خلاص أصحاب الشريعة القديمة من اليهود، يتجاوزها في الإنجيل تياران: تيار يقضي لهم بالخلاص إذا تمسكوا بشريعة موسى، وتيار آخر ينفي أن ينالهم الخلاص إلا أن يؤمنوا ببشارة المسيح يسوع، يقول ألبير بايي بعد استعراضه لأدلة الاتجاهين: "يتضح إذن بوجه الإجمال، أن ثمة مذهبين: أحدهما لا يقضي للخلاص إلا أن يتقيد الإنسان بالشريعة القديمة ويتيح لليهود ولوج الملكوت. والآخر يستلزم الإيمان بيسوع ويطرد اليهود المؤمنين بالشريعة وحدها. المذهب الأول يعتبر الأخلاق العنصر الرئيس ويعلن ألا قيمة للإيمان من دون الفضيلة ويمضي إلى القول إن الشريعة الجديدة ترجع كلها إلى واجب أن يحب الإنسان القريب. والمذهب الآخر يعتبر الإيمان العنصر الرئيس ويعلن أنه يكفي لتأمين الخلاص وأن أحدا لن يفوز ببلوغ الملكوت دون إيمان."<sup>(2)</sup>

ولعل في كل ما سبق بيانه كفاية في الإشارة إلى التضارب الحاصل في حق "الآخر" بين تعاليم المحبة والسماحة والتعددية، وتعاليم الحصرية والانعزال والوعيد الشديد بالويل والعذاب لكل المخالفين، والهلاك لكل من لم يدخل في دائرة "الأنا" المسيحي، وأن كل من لم يقبل المسيح مخلصا فلا خلاص له، وإلى مثل هذه المعاني أشار ألبير بايي حينما

(1) أخلاق الإنجيل، ألبير بايي، ص 24.

(2) أخلاق الإنجيل، ألبير بايي، ص 32.

تساءل عن هذه التناقضات الحاصلة في أخلاق الإنجيل بقوله: "إلى جانب الآيات التي تعلّم قانون المحبة والغفران اللانهائي، ألا توجد آيات تشفّ عن الحقد والثأر وهي تثير رعبنا منذ الصغر؟ وإلى جانب السامري الصالح ألا يوجد المعلم الحانق الذي يمزق خادمه؟ وخلف الإله الوديع الذي يواسي التّوح، ألا نشاهد الإله القاسي؟"<sup>(1)</sup>.

وفي المحور الموالي حديث عن بعض التناقضات التي تجلّت في التعاليم والأخلاق الإنجيلية، بخصوص التعامل مع "الآخر"، وذلك من خلال ما تقرّره النصوص المقدسة من الأخلاق النظرية، وكذا ما يظهر في واقع القوم من الأخلاق العملية كما سجلتها صفحات التاريخ، مما كان تطبيقاً عملياً لتعاليم مقدسة. ظهرت آثارها على سلوك ومواقف أتباع الإنجيل اتجاه "الآخر"، وهو ما يتعارض مع ما سبق الحديث عنه من الانفتاح والسماحة والمحبة في المسيحية.

(1) أخلاق الإنجيل، ألبير بايي، ص 8.

### المبحث الثالث: تضارب القيم في الإنجيل بخصوص التعامل مع "الآخر".

من المعلوم لدى كل مطلع على العهد الجديد بأناجيله وأسفاره، أنه يشتمل على بعض التعاليم الأخلاقية الراقية، وينص في كثير من الأحيان على وصايا سامية تحث على التّبل والمكارم، ويدعو في العديد من فصوله إلى المحبة والرحمة والإحسان، وينهى عن الجفاء والغلظة والكفران. وهذا مما لا يخفى في تعاليم المسيح، إلا أن القارئ للنصوص المقدسة لدى المسيحيين، ليتفاجأ أيضا بتعاليم أخرى تخالف ما اتسمت به الأولى من السماحة والسمو، فتقرّر مفاهيم مناقضة لسابقتها، وتنصّ على أخلاق منافية للمكارم والمروءات، وتقضي بأحكام مزرية في حق "الآخر".

وإن هذا التضارب الحاصل في الإنجيل، وما نتج عنه من مذاهب أخلاقية متناقضة، هو ما دفع ألبير باي Albert Bayet إلى طرح السؤال: هل توجد أخلاق إنجيلية؟ ثم يقول:

"إن كان الجواب بالإيجاب فكيف نفسر أن الناس، بعد هذا العدد الجم من القرون، لم يتوصلوا إلى الاعتراف بها، وأن صورتها مشوشة في أذهاننا، وأن عددا غفيرا من الناس ذوي النية الطيبة يستنبطون من الإنجيل منظومات متباينة ... وإن لم يكن الجواب بالإيجاب، ولم يتوافر في الكتب المقدسة سوى صيغ غامضة ومنزلة تقبل الانحناء في جميع الاتجاهات، فكيف نفهم واقع أن يكون لجملة أقوال فارغة أن تنهض بمثل هذا الدور الكبير في تاريخ البشر؟"<sup>(1)</sup> ثم يطرح ألبير باي فرضية ثالثة، يرى أنها

(1) أخلاق الإنجيل، ألبير باي، ص 10.

هي المسلك للخروج من العضلات التي تطرحها تناقضات الإنجيل، ومفادها أن الأناجيل لا تنطوي على مذهب أخلاقي واحد، بل على مذاهب شتى.<sup>(1)</sup>

ولذلك نجد هذا التنوع الكبير في الوصايا الذي يصل في بعض الأحيان إلى التضاد الصريح، فتارة تنصّ على الفضائل والمكارم، وتارة أخرى تدعو إلى نقيض ذلك، ولعل هذا الأمر راجع إلى تنوع المذاهب الأخلاقية لكتاب أسفار العهد الجديد، ويلاحظ أن شخصية يسوع في الأناجيل ليست واحدة على الدوام، بل هي تابعة من الناحية الأخلاقية لمؤلفي هذه الأناجيل نفسها، وهذا ما أشار إليه ألبير بابي أيضا بقوله: "يبدو يسوع، تارة تارة، تبع مشيئة المؤلف الذي يحدّد «أخلاق الإنجيل» على أنه إما محافظ محنّك أو ثوري متحمّس، حالم وديع إنساني النزعة، أو حكيم حذر النصيحة، شاعر المحبة أو رجل تفتيش قاس".<sup>(2)</sup> وفيما يلي حديث عن بعض هذه التضاربات والتعارضات التي تطرحها التعاليم.

(1) ينظر: أخلاق الإنجيل، ألبير بابي، ص 10.

(2) أخلاق الإنجيل، ألبير بابي، ص 9.



## المطلب الأول: بعض الشواهد الإنجيلية لتضارب القيم في حق "الآخر".

إن من الإنصاف الإقرار بأن الإنجيل يتضمن تعاليم أخلاقية راقية، يمكن أن تقوم على أساسها النظرة الإيجابية نحو "الآخر"، إذا تمّ إعمالها في الواقع والحياة العملية لدى المؤمنين بقدسية نصوصه، دون تمييز عنصري بين من ينتمي إلى دائرة "الأنا" ومن يقع خارجها. وقد جاءت نصوص تترى في الإنجيل تدعو إلى المكارم والمروءات وتنهى عن نقيضها من الرذائل والسيئات، كما أن الحديث عن المحبة عريض ومستفيض في التعاليم والخطاب المسيحي الذي يؤكد أن كل تلك الخصال الحميدة والخلال الفاضلة التي دعا إليها المسيح إنما منطلقها وأساسها هو المحبة.

ومن أمثلة تلك الأخلاق الكريمة التي اتصف بها المسيح عليه السلام، تواضعه ومخالطته للبسطاء ولأراذل القوم من العصاة والمذنبين، وقد كان يجالس أهل الضلال ليدعوهم إلى الإيمان، ويرشدهم إلى الخير، وينصحهم بالابتعاد عن سبيل الشر، فلما رآه أحبار اليهود على ذلك، أنكروا صنيعه؛ وجاء في إنجيل مرقس: [أَمَّا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا رَأَوْهُ يَأْكُلُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ، قَالُوا لِتَلَامِيذِهِ: "مَا بَالُهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟" فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: "لَا يَحْتَاجُ الْأَصْحَاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لَدَعُوْ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ" (1)].

وكان من بين هؤلاء العشَّارين "متى" الذي صار صاحب الإنجيل، مع أنه لا يقطع في نسبته إليه، جاء في تفسير وليم باركلي: "يعتقد كثير من العلماء أن متى لم يكتب

(1) إنجيل مرقس 2: 16-17 (ترجمة فان دايك، ص 47).

كل الإنجيل الأول المسمى باسمه (إنجيل متى).<sup>(1)</sup> إلا أن الشاهد في النص الإنجيلي سالف الذكر هو كسريسوع للقواعد المجتمعية التي كان يفرضها اليهود، فجالس عوام الناس وخطاءهم، وهذا ما ليس لليهود به عهد، لذا أنكروا عليه صنيعه، وعابوا عليه ما قام به من تحطيم الحواجز الطبقيّة التي كانت سائدة آنذاك، "ففي فلسطين انقسم المجتمع إلى طبقتين: طبقة الناموسيين، وهم الذين يهتمون بالناموس ويحفظونه، وطبقة أخرى مغايرة تدعى (شعب الأرض) وهم جماعة العوام الذين لم يعيروا للدين أي اهتمام، وكان محظورا على الطبقة الأولى أن تتعامل مع الثانية، ولا خلطة ولا صداقة ولا حديث ولا رفقة سفر ولا شركة عمل بينهم، وقد كان يسهل على الواحد منهم أن يلقي بابنته للوحوش على أن يزوجه لواحد منهم، وكان من المستحيل أن تجد أحد أفراد الطبقتين في بيت من بيوت الطبقة الثانية، وعلى هذا فقد حطم يسوع بذهابه إلى متى وجلوسه مع العشارين كل تقاليد مجتمعه وعاداته."<sup>(2)</sup>

ومن الأخلاق الكريمة أيضا، ما أوصى به بولس أتباعه في رسالته لأهل رومية، ويقول فيها: [وَلْتَكُنِ الْمَحَبَّةُ بِلَا رِيَاءٍ. انْفُرُوا مِنَ الشَّرِّ، وَالتَّصِقُوا بِالْخَيْرِ. أَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا مَحَبَّةً أَخَوِيَّةً، ... بَارِكُوا الَّذِينَ يَضْطَهُدُونَكُمْ. بَارِكُوا وَلَا تَلْعَنُوا! ... غَيْرِ مُهْتَمِّينَ بِالْأُمُورِ الْعَالِيَةِ، بَلْ مُسَايِرِينَ ذَوِي الْمَرَائِزِ الْوَضِيعَةِ. ... لَا تَرُدُّوا لِأَحَدٍ شَرًّا مُقَابِلَ شَرٍّ، ... عِيشُوا فِي سَلَامٍ مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ. لَا تَنْتَقِمُوا لَأَنْفُسِكُمْ، أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ، بَلْ دَعُوا الْغَضَبَ لِلَّهِ، لِأَنَّهُ قَدْ كُتِبَ: «لِيَ الْإِنْتِقَامُ، أَنَا أَجَازِي، يَقُولُ الرَّبُّ». وَإِنَّمَا «إِنْ جَاعَ

(1) تفسير العهد الجديد: متى ومرقس، وليم باركلي، ترجمة: فايز فارس وفهيم عزيز، دار الثقافة: القاهرة،

ط1: 1993م ص498.

(2) تفسير العهد الجديد: متى ومرقس، وليم باركلي، ص499.

عَدُوَّكَ فَأَطْعِمُهُ، وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. فَإِنَّكَ، بِعَمَلِكَ هَذَا تَجْمَعُ عَلَى رَأْسِهِ جَمْعاً مُشْتَعِلاً». لَا تَدَعِ الشَّرَّ يَغْلِبُكَ، بَلْ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ<sup>(1)</sup>.

فأوصى بولس أتباعه بمحبة الخير وكراهية الشر، والتواضع للخلق، والعيش بسلام مع جميع الناس، والإحسان إلى من أساء إليهم؛ وهذا بلا ريب من الأخلاق الحميدة التي تقرها الفطرة الإنسانية، ومما يسعى إليه جميع العقلاء.

كما أن المسيح عليه السلام نفسه أوصى تلاميذه بالتواضع وخفض الجناح، والتحلي بالسماحة والخلق الرفيع، فهو الذي يرفع الإنسان ويجعله عظيماً وسيّداً، ويحكي لنا الإنجيل ما حدث بين الأتباع من النقاش والمشاجرة بشأن من يمكن أن يكون عظيماً؟ فقال لهم المسيح: «إِنَّ مُلُوكَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَأَصْحَابَ السُّلْطَةِ عِنْدَهُمْ يُدْعَوْنَ مُحْسِنِينَ. وَأَمَّا أَنْتُمْ، فَلَا يَكُنْ ذَلِكَ بَيْنَكُمْ، بَلْ لِيَكُنِ الْأَعْظَمُ بَيْنَكُمْ كَالأَصْغَرِ، وَالْقَائِدُ كَالْخَادِمِ. فَمَنْ هُوَ أَعْظَمُ: الَّذِي يَتَكَبَّرُ أَمْ الَّذِي يَخْدُمُ؟ أَلَيْسَ الَّذِي يَتَكَبَّرُ؟ وَلَكِنِّي أَنَا فِي وَسْطِكُمْ كَالَّذِي يَخْدُمُ»<sup>(2)</sup>. فبيّن لهم المسيح أن التواضع والخدمة هو سبيل الرّفعة والسّمو، وأن "عمل الخير هو أفضل طريق يؤدي إلى العظمة، لقد كان هدف المسيح، بأن أعظم شرف يمكن أن ينالوه هو عمل الخير بكل استطاعتهم في هذا العالم"<sup>(3)</sup>.

(1) رسالة بولس إلى مؤمني روما 12: 9-21 (كتاب الحياة، ص 1366-1367)

(2) إنجيل لوقا 22: 25-27 (كتاب الحياة، ص 113).

(3) التفسير الكامل للكتاب المقدس، متى هنري، ج 1، ص 538.

وجاءت تعاليم المسيح لتؤكد على أن الرفعة والمنزلة العالية إنما تنال بالتواضع الجَمّ والخصال الكريمة، وأن لا فرق بين العبد وسيّده، ولقّنهم تلك السجايا بشكل عملي، كما يروي لنا إنجيل يوحنا عن المسيح أنه [صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمَسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَتْ مُتَزَرًّا بِهَا ... فَلَمَّا كَانَ قَدْ غَسَلَ أَرْجُلَهُمْ ... قَالَ لَهُمْ: "أَتَفْهَمُونَ مَا قَدْ صَنَعْتُ بِكُمْ؟ أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ، لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ. فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ، لِأَنِّي أَعْطِيْتُكُمْ مِثَالًا، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا. الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ، وَلَا رَسُولٌ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ]"<sup>(1)</sup>.

ومن الوصايا العظيمة أيضا للمسيح عليه السلام، ما نصح به تلاميذه من الاشتغال بعيوب النفس وإصلاحها، قبل الانشغال بعيوب الآخرين، فيقول: [لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقُدَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْحَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَفْطَنُ لَهَا؟ أَوْ كَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ لِأَخِيكَ: يَا أَخِي، دَعْنِي أُخْرِجَ الْقُدَى الَّذِي فِي عَيْنِكَ، وَأَنْتَ لَا تَنْظُرُ الْحَشَبَةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ؟ يَا مُرَائِي! أَخْرِجْ أَوَّلًا الْحَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقُدَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ]"<sup>(2)</sup>.

وعديدة هي الشواهد الأخلاقية الإنجيلية القائمة على أسس المحبة كما يذكرون، والتي تأمر بالفضائل وكريم السجايا. إلا أن هذه النصوص وعلى كثرتها، لها في الإنجيل

(1) إنجيل يوحنا 13: 5-16 (ترجمة فان دايك، ص 142-143).

(2) إنجيل لوقا 6: 41-42 (ترجمة فان دايك، ص 84).

نفسه ما يناقضها، ولها في تعاليم المسيح نفسه ما يخالفها، مما يدفع القارئ للنصوص الإنجيلية إلى التساؤل عن حقيقة منظومة القيم التي تؤسس لها تعاليم الإنجيل وتقرّره وصايا المسيح، وهو ما يجعل أيضا على المحك عقيدة المحبة التي هي الفكرة الجوهرية والقضية المحورية والمرتكز الذي تقوم على أساسه أخلاق وعقائد هذه الديانة، وقد سبقت الإشارة إلى قدر مسألة المحبة وأهميتها في الفكر المسيحي. الذي نجد فيه التأكيد على أن "المحبة هي محور الحياة المسيحية وأساس وحدتها. سواء تعلق الأمر بالعلاقة مع الله، أو مع سائر الناس، ... أم مع الخليقة، فالمحبة على الدوام تحمل كل شيء وتحرك كلّ شيء. منها تشع كل قوة ... والمحبة المسيحية متأصلة في محبة الله، التي كشفت لنا في يسوع، وفيه وهبت لنا، وبه أوكلت إلينا." <sup>(1)</sup> فشأنها جوهرية ومركزي في الديانة المسيحية.

وإذا كان هذا هو طبيعة الخطاب الذي يمرّ دائما من قبل المسيحيين إذا تعلق الأمر بموضوع المحبة المؤسسة للأخلاق والعقائد المسيحية. وإذا كانت منزلة هذه المحبة في هذه الديانة بهذا القدر والمكانة؛ فإن من أولى الإشكالات التي تستعصي على الفهم، لمخالفتها للمعقول، ولا تستصغها القلوب والأذهان والأفهام لمعارضتها لفكر وفطرة ومشاعر الإنسان، هي قضية صلب المسيح <sup>(2)</sup>، فهل من المحبة إراقة دم المحبوب؟! فإن أولى التساؤلات التي تنقدح في الذهن بديهةً وينصرف إليها الفكر سريعا، حين

<sup>(1)</sup> المسيحية في أخلاقياتها، مجلس أساقفة كنيسة ألمانيا، ترجمة: كيرلس سليم بستر، منشورات المكتبة البولسية: بيروت، ط1: 1999م ص452.

<sup>(2)</sup> يؤمن المسيحيون أن يسوع صلب تكفيرا لخطايا الناس وفداء لخلاصهم منها، ومن ثم صار الصليب علامة على ذلك، يقول بولس الفغالي: "الصليب هو علامة فداء البشر بالمسيح الذي تحمل من أجلهم جميعا العذاب والإهانات وموت العار... فحين يحمل المسيحي صليبه مع يسوع يشارك في الخلاص الذي اقتناه يسوع المستمر على الخشبة." (المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، ص760).

الحديث عن المحبة في المسيحية، تتعلق بطبيعة العقيدة التي بنيت عليها هذه الديانة من أساسها، وهي عقيدة الخلاص<sup>(1)</sup> وفكرة الفداء<sup>(2)</sup>، قطب الرّحى في الديانة المسيحية كلّها، فكل المسائل والقضايا الدينية حول عقيدة الخلاص تدور وعلى فكرة الفداء تركز: فهل من المحبة تعذيب وصلب وسفك دم رجل مظلوم بذريعة الخلاص؟! هل عجز "الآب"<sup>(3)</sup> عن إيجاد وسيلة أخرى لتخليص الإنسان من خطيئة ارتكبها جدّ جده إلا بالتخلّص من ولده الوحيد الحبيب؟! في أبشع صور التعذيب، وأشنع تقتيل، فما ذنب يسوع في خطيئة ارتكبها أبو البشرية آدم؟! فأى محبة في سفك الدماء بظلم؟!!

وينتقد "هيكاتور أفالوس" Hector Avalos الكتابات المسيحية التي تصوّر الديانة المسيحية بأنها "دين المحبة والسلام"، ويبيّن أن هذا التأكيد على المحبة والسلام يأتي جنبا إلى جنب مع الإله الحاقد في العهد القديم، ليشير بذلك إلى التناقض الواضح بين الخطابين. ثم يذكر أنه بالرجوع إلى الحدث المؤسس للديانة المسيحية، وهو التضحية بابن الرب نجده هو نفسه قائم على فعل العنف، ويقود إلى العنف على أوسع نطاق. ويؤكد

(1) ويراد بالخلاص في الفكر الكتابي في العهد القديم النجاة من الشر أو الخطر. أما في العهد الجديد فقد خلع عليه معنى آخر، هو إنقاذ الخطاة بالإيمان بيسوع المسيح. وينطوي تحت معنى الخلاص في العهد الجديد غفران الخطية والخلاص من ربقتها ونتائجها وتطهير النفس وأفراح العالم الأزلي. (قاموس الكتاب المقدس، ص 344-345).

(2) وحسب التصور المسيحي للكلمة، فإن لفظة الفداء تشير في العهد القديم في أغلب الأحيان إلى خلاص الجسد. وأما في العهد الجديد فتشير إلى الخلاص من الخطيئة، ومن نتائجها، وإلى الخلاص من رق الناموس، وإلى بذل الجهد في استعمال الوقت في خدمة الله. ويرون أن بالتأمل في الشرائع التي كانت سائدة في العهد القديم تنجلي أمور كثيرة تشير إلى مبدأ الفداء الذي أكمله المسيح إذ قدم نفسه لفك كل قيد ورفع كل مسؤولية وافتداء جميع من كانوا تحت رق عبودية الخطية بشرط أن يقبل الخاطئ الفادي بإيمان قلبي. (قاموس الكتاب المقدس، ص 672).

(3) لفظ يطلقه المسيحيون على الرب بأنه الآب السماوي. (قاموس الكتاب المقدس، ص 1).

أن القراءات الانتقائية لنصوص العهد الجديد هي وحدها التي تقود إلى استنتاج تلك النظرة إلى المسيحية بكونها ديانة اللاعنف<sup>(1)</sup>.

وبناء على مبدأ عدم الانتقاء في النصوص لتمرير فكرة معيّنة ومحددة سلفاً، وبعد الحديث عن بعض الجوانب الأخلاقية في العهد الجديد؛ يمكن الالتفات إلى الوجه الآخر للتعاليم، لتأكيد أن التوجه الأخلاقي في الإنجيل، القائم على أسس المحبة، لم يكن حاضراً على الدوام. فإذا كان يسوع المسيح حسب الإنجيل يعلم الناس الأخلاق الرفيعة، ويلقّنهم تعاليم المحبة، وعلى رأس تلك المكارم بر الوالدين، إذ هما أولى الناس بالمحبة والإحسان، فيقول معلماً: [أَكْرِمُ أَبَاكَ وَأُمَّكَ]<sup>(2)</sup>. فإن يسوع نفسه هو من يخالف الوصية وينتهز أمّه قائلاً: [مَا لِي وَلَكَ يَا امْرَأَةً؟]<sup>(3)</sup>. وهذا الخطاب القاسي الذي وجهه المسيح لأمه، هو ما استعصى على فهم اللاهوتيين، فقرّروا أن السلامة في التسليم وإن غاب الفهم، وقالوا - كما جاء في التفسير التطبيقي -: "كان رد يسوع على العذراء مريم عسير الفهم... إن من يؤمن بيسوع، وإن وجد نفسه في بعض المواقف لا يفهمه، عليه أن يواصل الثقة في أنه يعمل بأفضل الطرق"<sup>(4)</sup>.

- فهل من المحبة، ومن الأخلاق الكريمة والنبيلة، أن تُعامل الأم بهذه الطريقة؟ وهل من المحبة أيضاً أن تبغض أمك، وأباك، وزوجتك، وأولادك، وإخوتك، بل حتى نفسك؟

(1) H. Avalos, Fighting Words: The Origins of Religious Violence (Prometheus Books, Publishers, 2005) pp.150-151.

(2) إنجيل متى 19: 19 (ترجمة فان دايك، ص 27).

(3) إنجيل يوحنا 2: 4 (ترجمة فان دايك، ص 122).

(4) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 2174.

فهذا يسوع يخاطب الجموع الكثيرة التي تسير معه قائلا: [إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلَمِيزًا]<sup>(1)</sup>، ومع أن هذه الوصية تطرح إشكالات أخلاقية عدة، وتنص بوضوح على الكراهية، فإن الإصرار على خطاب المحبة لا يفارق النمط المسيحي في التعبير، فنجد "جون ماك آرثر" John F. MacArthur وهو يتحدث عن هذه الكراهية الواردة في النص بنوع من التأويلات الملطفة، فيذكر أن المراد بها هو المحبة القليلة، فيسوع إنما نادى أتباعه بأن يزرعوا في قلوبهم الإخلاص له، حتى تصبح كل صلاتهم، بما فيها ذواتهم أنفسهم، في المقابل وكأنها كراهية<sup>(2)</sup>.

• وهل من المحبة أن يُفَرَّقَ بين المرء وأهله، ويُجْعَلُ منهم أعداء الإنسان؟

إذ نجد في "تعاليم المحبة" قول يسوع لتلاميذه: [جِئْتُ لِأَفَرِّقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالْإِبْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ]<sup>(3)</sup>. فجاءت المحبة بالتفريق والعداوة! ويشير "توماس روش" Thomas Rausch إلى أن للدخول في التلمذة ثمنًا، وأن التبعية ليسوع تعني القطيعة الجذرية مع الماضي، فالذين تبعوا يسوع "تركوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعُوهُ"<sup>(4)</sup>، تركوا خلفهم الآباء، والأسرة، والأبناء، والأشغال. وشاركوا يسوع في الفقر وحياة التجوال<sup>(5)</sup>. فهل هذا من العدل والمحبة؟!

(1) إنجيل لوقا 14: 26 (ترجمة فان دايك، ص 101).

(2) J.F. MacArthur, The MacArthur Bible Commentary (Thomas Nelson, 2005) P.1308.

(3) إنجيل متى 10: 35-36 (ترجمة فان دايك، ص 14).

(4) إنجيل لوقا 5: 11 (الترجمة اليسوعية، ص 206).

(5) T. Rausch, Eschatology, Liturgy and Christology: Toward Recovering an Eschatological Imagination (Liturgical Press, 2012) PP.51-52.



- وهل من المحبة أن يطلب يسوع من أتباعه ألا يدفنوا آباءهم؟

فإن في إنجيل لوقا أن يسوع قال لأحد تلاميذه: «اتَّبِعْنِي». فَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلًا وَأَدْفِنَ أَبِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «دَعْ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَادْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ»<sup>(1)</sup>. فلم يواس يسوع الرجل في أبيه ولا سمح له بدفنه، إنما أمره أن يترك كل شيء ويمضي معه، فهل السماحة والمحبة تقتضي مثل هذا الجفاء. ويؤكد "كريغ س. كينر" Craig S. Keener أن يسوع أعلن لتلاميذه أن اتباعه يسبق كل الواجبات الاجتماعية، بما فيها تلك الالتزامات العائلية التي يفرضها المجتمع.<sup>(2)</sup> فأي قيم هذه التي تدعو للتنكر لكل معارف الإنسان وأحبابه وواجباته نحوهم، وأي أخلاق هذه التي لا تسمح للإنسان في أحلك لحظات الحياة أن يكون مع أهله، وألا يدفن أقرب الناس إليه، فأي تعاليم محبة هذه!

وأمام هذه الإشكالات الأخلاقية التي يثيرها هذا النص، عمد الكثير من المفسرين إلى إعطاء تأويلات وتقديم قراءات يسعون من خلالها للخروج من معضلة المعاني السيئة، التي لا تتناسب مع شعار المحبة وأخلاق السماحة التي طبعت الخطاب المسيحي منذ البدايات، ويشير "بايرون ماكّن" Byron R. McCane إلى أن مفسري العهد الجديد في حيرة طويلة أمام معنى عبارة "دع الموتى يدفنون موتاهم"، وذكر أنه على الرغم

(1) إنجيل لوقا 9: 59-60 (ترجمة فان دايك، ص 92).

(2) C.S. Keener, The Historical Jesus of the Gospels (Eerdmans Publishing Company, 2009) P.205.

من اقتراح العديد من الحلول البارة للمعضلة، فإنه لم تكن أي منها مقنعة على العموم<sup>(1)</sup>.

ونظرا للغموض الذي يكتنف ذلك النص من الإنجيل فإن المفسرين وحسب تعبير "بايرون ماكّن"، يواجهون أوقات عصيبة لجعل عباراته ذات معنى، إذ يطرح إشكالات حقيقية بادية الاستعصاء. وقد ظلت قضية طلب التلميذ ليسوع غامضة، كما أن جواب يسوع على طلبه زاد الأمر اضطرابا، فكلماته كانت قاسية جدا. وهو ما دفع معظم المفسرين إلى محاولة التخفيف من أثرها. وذكروا أن يسوع كان بصدد سرد مثل آرامي فحسب! أو أن الناسخ أخطأ ولم ينقل الشكل الأصلي للمقولة، أو أن كلمة "ميت" تعني فقط "يموت". ويؤكد "بايرون ماكّن" أنه على الرغم من أن كل هذه التأويلات لم تحظ أيّ منها بقبول واسع، فإن معظم المفسرين متفقون على أنه ينبغي أن تقرأ المقولة بكونها دعوة للتلمذة<sup>(2)</sup>. فتلك ضربيتها، وذاك ثمنها. والشاهد من هذا كله هو هذا الإقرار بمعضلة النص، وما يطرحه من إشكالات أخلاقية، تتنافى مع ما يتصف به المسيح في نصوص أخرى ويدعو إليه من المحبة والسماحة.

ثم إنه من المعلوم أن المتصف بالمحبة يلزم الصبر والإحسان مع من يحب، فلا يصخب ولا يغضب، ولا يسب ولا يلعن، بل يصبر على الأذى ويعامل بالإحسان، وهذه الأخلاق هي ما نصح به يسوع تلاميذه قائلا: [أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ غَضِبَ عَلَى أَخِيهِ اسْتَوْجَبَ حُكْمَ الْقَضَاءِ، وَمَنْ قَالَ لَهُ: «يَا أَخْمَقُ»، يَكُونُ اسْتَوْجَبَ حُكْمَ الْمَجْلِسِ،

(1) Byron R. McCane, ""Let the Dead Bury Their Own Dead": Secondary Burial and Matt 8:21-22," The Harvard Theological Review 83.1 (1990): P.31.

(2) McCane, ""Let the Dead Bury Their Own Dead": Secondary Burial and Matt 8:21-22," PP.37-38.

وَمَنْ قَالَ لَهُ: «يا جاهل» اسْتَوْجَبَ نَارَ جَهَنَّمَ<sup>(1)</sup>، وتدل كلمة جهنم مجازاً على مكان العقوبة المستقبلية.<sup>(2)</sup> فهل من المحبة والسماحة أن يكون مجرد قول: يا جاهل، مستوجبا لنار الجحيم؟!

وإذا كانت تلك الشتائم منافية لأخلاق الوداد والمحبة التي نادى بها المسيح، فهو نفسه لم يلتزم بتلك التعاليم النبيلة على الدوام، إذ بمجرد أن علم أن تلاميذه لم يستطيعوا أن يعالجوا شخصا مصابا بالصرع، نفذ صبره، واستشاط غضبا، فوبخهم شرّ توبيخ، وشدّد عليهم في العتاب قائلا: [أيها الجيل الكافر الفاسد، حَتَّامَ أَبْقَى مَعَكُمْ؟ وَإِلَا مَ أَحْتَمِلُكُمْ؟]<sup>(3)</sup>

فالمحبة والسماحة ليست على إطلاقها، فلها عند يسوع حدودها، وجوابا على سؤال أين هي تلك الحدود بين التسامح واللاتسامح؟ سأقت "زوريكا كوبورتش" Zorica Kuburić النص سالف الذكر، ثم علّقت عليه قائلة: "هذا يكفي لاستنتاج أن الحدود موجودة."<sup>(4)</sup>

وعند نهاية تلك الحدود، تنتهي الضوابط الأخلاقية، وينطلق اللسان بالشتائم والعبارات المزرية، فكان يسوع يخاطب الفريسيين وكتّاب الشريعة بكلمات غليظة وعبارات قاسية وألفاظ مهينة، من قبيل: [يا أغبياء]<sup>(5)</sup>، [وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُتَّابُ

(1) إنجيل متى 5: 22-24 (الترجمة اليسوعية، ص 48).

(2) L. Abbott, An Illustrated Commentary on the Gospel According to Matthew (1875) P.91.

(3) إنجيل متى 17: 17 المصدر السابق، ص: 85-86.

(4) Zorica Kuburić, "On the Possibilities for Dialogue and Religious Tolerance in Protestantism," RELIGIOUS DIALOGUE IN THE BALKANS: THE DRAMA OF UNDERSTANDING: P.210.

(5) إنجيل لوقا 11: 40 (ترجمة فان دايك، ص 95).

وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ<sup>(1)</sup>، [وَيُلْ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمَيَانُ]<sup>(2)</sup>، [أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمَيَانُ!]<sup>(3)</sup>، [أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلَادَ الْأَفَاعِي!]<sup>(4)</sup>

ومن عجائب الأخلاق أن يغضب يسوع من جماد لا شعور ولا عقل له، فيلعن شجرة لا حياة فيها ولا إرادة لها؛ جاء في مرقس: [فَنَظَرَ شَجَرَةً تَيْنٍ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهَا وَرَقٌ، وَجَاءَ لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا شَيْئًا. فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَجِدْ شَيْئًا إِلَّا وَرَقًا، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَقْتُ التَّيْنِ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: "لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْكَ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ!"<sup>(5)</sup>، ومع أن يسوع أتى الشجرة في غير وقت إثمارها، فإن ذلك لم يشفع لها، فلحققتها لعنته، وحُرم من ثمرها كل من لا ذنب له ولا يد له في شيء من شأن هذه الشجرة. وقد أورد "بيرتراند راسل" Bertrand Russell هذه القصة ضمن المشكل الأخلاقي في مقالته التي عنوانها "لماذا لست مسيحيًا"، معبرا فيها عن حيرته الدائمة حيالها، واندعاشه من غرابيتها، إذ لا تلام شجرة في غير وقت إثمارها.<sup>(6)</sup>

- هل من المحبة أن يسمح يسوع للنساء الفاسدات بتقبيل القدمين؟ في حين يصنّف أخريات في فصيلة الكلاب لمجرد أنهن أمميات كنعانيات؟

(1) إنجيل متى 23: 14 (ترجمة فان دايك، ص 33).

(2) إنجيل متى 23: 16 (ترجمة فان دايك، ص 33).

(3) إنجيل متى 23: 19 (ترجمة فان دايك، ص 34).

(4) إنجيل متى 23: 33 (ترجمة فان دايك، ص 34).

(5) إنجيل مرقس 11: 13-14 (ترجمة فان دايك، ص 62).

(6) B. Russell and P. Edwards, Why I Am Not a Christian: And Other Essays on Religion and Related Subjects (Touchstone, 1957) P.19.

فيخبرنا العهد الجديد أن المسيح سمح لامرأة عاهرة أن تقبل قدميه وتسكب عليهما طيبا كما جاء ذلك في لوقا: [وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً، إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّكِيٌّ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ، جَاءَتْ بِقَارُورَةٍ طَيِّبٍ، وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بِاِكِيَّةٍ، وَابْتَدَأَتْ تَبْلُ قَدَمَيْهِ بِالذُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدَهْنُهُمَا بِالطَّيِّبِ] <sup>(1)</sup>.

بينما يجعل يسوع امرأة أممية من الكنعانيين في صنف الكلاب مع أنها صنعت مثل صنيع الأولى، بأن هوت على قدميه وجعلت تبكي وتستغيث، جاء في إنجيل مرقس: [لَآنَّ امْرَأَةً كَانَ بِابْنَتِهَا رُوحٌ نَجِسٌ سَمِعَتْ بِهِ، فَأَتَتْ وَخَرَّتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ. وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ أُمَمِيَّةً ... فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُخْرِجَ الشَّيْطَانَ مِنْ ابْنَتِهَا. وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهَا: "دَعِي الْبَنِينَ أَوَّلًا يَشَبِعُونَ، لِأَنَّهُ لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكَالِبِ". فَأَجَابَتْ وَقَالَتْ لَهُ: "نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكَالِبُ أَيْضًا تَحْتَ الْمَائِدَةِ تَأْكُلُ مِنْ فُتَاتِ الْبَنِينَ. قَالَ لَهَا: "لَأَجْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، اذْهَبِي. قَدْ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ ابْنَتِكَ" <sup>(2)</sup>.

وفي إنجيل متى تنصيص عل أن هذه المرأة كانت كنعانية: [وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنَ تِلْكَ الْبِلَادِ تَصِيحُ: «رُحْمَاكَ يَا رَبِّ! يَا ابْنَ دَاوُدَ، ... فَلَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ. فَدَنَا تَلَامِيذُهُ يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ فَقَالُوا: «إِصْرِفْهَا، فَإِنَّهَا تَتَّبَعُنَا بِصِيَاحِهَا». فَأَجَابَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا

(1) إنجيل لوقا 7: 37-38 (ترجمة فان دايك، ص 86).

(2) إنجيل مرقس 7: 25-29 (ترجمة فان دايك، ص 55-56).

إلى الخراف الضالّة من بيت إسرائيل». وَلَكِنَّهَا جَاءَتْ فَسَجَدَتْ لَهُ وَقَالَتْ: «أَغْنِي يَا رَبَّ!» فَأَجَابَهَا: «لَا يَحْسُنُ أَنْ يُؤْخَذَ خُبْرُ الْبَنِينَ فَيُلْقَى إِلَى صِغَارِ الْكِلَابِ» ...<sup>(1)</sup>.

فالمرأة الكنعانية إذن، أم مكرومة جاءت تبكي وتستغيث وتستنجد وتسجد وتطلب من يسوع أن يشفي بنتها المريضة بالصرع؛ فهل من المحبة ألا يلتفت يسوع إلى معاناتها؟ وهل من السماحة والخلق الرفيع أن يمضي ولا يجيب نداءاتها واستغاثتها ولا يرحم دموعها؟ ولم ينظر في شأنها إلا بعد أن توسل إليه أصحابه أن يغيثها لأنها لن تفارقهم بصراخها. هل من المحبة أن يمضي يسوع في بادئ الأمر إلى حال سبيله تاركا خلفه طفلة تتخبط في آلامها؟ هل من المروءة والشيم الكريمة أن يطلق يسوع على المرأة المحزونة لفظ "الكلاب"؟ وهي المسبّة السائدة في ذلك الوقت، في الفكر الديني اليهودي، وقد "كان اليهود يسمون الأمم كلابا احتقارا لهم، وقد اقتبس المسيح كلامهم هذه المرة"<sup>(2)</sup>؛ فبدل أن يبادر "يسوع المحبة" إلى مواساة هذه الأم وكشف كربتها بمعالجة ابنتها، عاجلها بألفاظ نابية تزيد الجرح إيلا ما.

أم إن المرأة مجرد كنعانية من بقايا النسل الملعون الذي دعا الرب شعبه إلى إبادته، ومحو ذكره من تحت أديم السماء؛ كما أفصح عن ذلك "هربرت لوكير" Herbert Lockyer الذي قال: "إنها امرأة كنعانية بمعنى أنها باعتبارها من النسل الأصلي للكنعانيين كانت أممية .. الأمة التي كانت تمثلها كان قد صدر ضدها العقاب الإلهي ... لقد جاءت من

<sup>(1)</sup> إنجيل متى 15: 22-26 (الترجمة اليسوعية، ص 80-81).

<sup>(2)</sup> تفسير العهد الجديد، جمعية الكتاب المقدس: بيروت، ط2: 1877م ص 42.

النسل الملعون الذي حكم الله بتحريمه -أي إبادته- ولكن تم الإبقاء على بعض فروعها بينما كان يجب القضاء على جميع الفروع.<sup>(1)</sup>

وتعليقا على قصة هذه الكنعانية، ذكر "دانييل غولوتا" Daniel N. Gullotta أن يسوع يظهر وكأنه يلقن تلاميذه تعاليم متناقضة، فقد قال لهم في البداية: [لَا تَسْلُكُوا طَرِيقاً إِلَى الْأُمَمِ، وَلَا تَدْخُلُوا مَدِينَةً سَامِرِيَّةً]<sup>(2)</sup>. ثم بعد ذلك نادى في أصحابه قائلاً: [فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ]<sup>(3)</sup>. مما يوحي حسب وجهة نظر "جيل-ليفين" Jill-Levine إلى أن الأُمميين واليهود صاروا يعاملون على قدم المساواة. إلا أن النظرة الفاحصة لنصوص إنجيل متى توحى بقوة على خلاف ذلك، لأسباب عدة، وأكثرها وضوحاً هو تلك اللغة المهينة التي يستخدمها متى لوصف وتمييز الوثنيين على امتداد إنجيله بأكمله.<sup>(4)</sup>

فأطلق على المرأة الأُممية المكروبة لفظ "الكلاب"، وهو اللفظ الذي يدلّ في الفكر اليهودي على الحيوان المستقذر النجس، وقد "اعتاد اليهود أن يطلقوا كلمة «كلب» على أي أُممي «كل من هو غير يهودي»، لأن اليهود لم يعتبروا أولئك الشعوب الوثنيين أكثر من كلاب من جهة نوال بركة الله.<sup>(5)</sup>

(1) كل المعجزات في الكتاب المقدس، هيربرت لوكير، ترجمة: إدوارد وديع عبد المسيح، دار الثقافة: القاهرة، ط1: 1999م ص241.

(2) إنجيل متى 10: 5 (كتاب الحياة، ص1151).

(3) إنجيل متى 28: 19 (الترجمة اليسوعية، ص119).

(4) Gullotta, "Among Dogs and Disciples: An Examination of the Story of the Canaanite Woman (Matthew 15:21-28) and the Question of the Gentile Mission within the Matthean Community," P.327.

(5) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص1923.

وبناء على ذلك فقد فهم العلماء حسب "كيلى إيفرسون" Kelly Iverson جواب يسوع على أنه رفض مهين لطلب المرأة، حيث إن يسوع دعا المرأة بلفظ "الكلب"، وهو الحيوان النجس في التقاليد اليهودية، الذي يعيش مشرداً، ويقتات على أكل النفايات، ويرجع في قيئه، ويتغذى على الجيف، فيعدّ لذلك الحيوان الأكثر خسة وانعزالية وبؤساً في الخليقة، ثم صارت كلمة "الكلاب" استعارة تطلق على سائر "الأمميين"، إذ يعتبر الحاخامات جميع شعوب الأرض تشبه الكلاب.<sup>(1)</sup>

ونظراً لمعاني الاحتقار والازدراء والعنصرية التي يحيل عليها النص، فقد حاول العديد من الشراح التنبيه إلى بعض العبارات التي تحمل أقل ما يمكن من الإساءة، وهو ما أشار إليه "كيلى إيفرسون"، حينما ذكر أن بعض المفسرين لاحظوا استخدام مرقس بشكل متكرر لعبارة مخففة يمكن أن تُلطف من المقصود بدلالاتها على "الكلاب الصغيرة"، أو "كلاب المنزل"، أو "الجراء". -التي تكون في العادة مقبولة ومحبة-، ومن الممكن أيضاً أن يكون المصطلح مجرد اختيار أسلوبى استعمل ليصف تلك "البنت الصغيرة" التي جاءت بها الأم. ثم يعقب "إيفرسون" على ذلك قائلاً: "وأياً كان الأمر، فالتمييز مقصود، والمصطلح وعلى نحو لا ينكر موجه إلى إثنية المرأة. فبسبب كونها من الأمميين تم رفض طلبها، فهي واحدة من الكلاب، وليست من الأبناء. ومباركة الرب إنما ت طال شعب إسرائيل أولاً، وفقط حينما يشبع الشعب ويرضى يمكن للأنجاس الوثنيين أن يشاركوا في مملكة الرب وينالوا مباركته."<sup>(2)</sup>

(1) K. Iverson, Gentiles in the Gospel of Mark: 'Even the Dogs under the Table Eat the Children's Crumbs' (Bloomsbury Academic, 2007) P.48.

(2) Ibid. PP.48-49.



وفي سياق التعليل والتبرير أيضا، وفي سعي لحل العضلات التي يطرحها النص في معانيه المناقضة للسماحة والمحبة المعهودة في الخطاب المسيحي، فإن "متى هنري" Matthew Henry في تفسيره، وبعد تساؤله عن السبب الذي كان وراء الرد القاسي ليسوع على طلب المرأة، والإحباط الذي قوبل به التماسها، يسوق تعليقات بعضهم بأن يسوع كان يراعي لمشاعر اليهود ويتقي غضبهم، فلم يرد أن يبادر بتلبية طلبها خوفا من أن يظن اليهود أنه يعامل الوثنيين على قدم المساواة معهم - وهم الشعب المختار -. ثم يذكر أيضا احتمال أن يسوع عامل المرأة على ذلك النحو المهين ليختبر إيمانها.<sup>(1)</sup>

وهو ما ذهب إليه غير واحد من المعلقين على النص، منهم "كريغ س. كينز" Craig S. Keener الذي بين أنه من الممكن أن يسوع كان يمتحنها، كما يمتحن المعلمون أحيانا تلاميذهم، لكن من المؤكد أنه كان يرفض تلبية طلبها، ربما أراد منها أن تفهم رسالته وهويته الحقيقية، لئلا تعتبره كواحد من العديد من السحرة المتجولين الذين يستعين بهم الأمميون لطرد الأرواح الشريرة.<sup>(2)</sup>

ومن المعلقين من ذهب إلى أبعد من النص في سياقاته ودلالاته، فانصرف إلى تحليل السياق الخارجي للحدث، وراح يتحدث عن النبوة الصوتية التي أطلقت به تلك الكلمات الجارحة. فنجد أن "ليون موريس" Leon Morris مع إقراره أن في العبارة إساءة ظاهرة، إلا أنه يتحدث عن النظرة والنبوة التي تقال بها الأشياء وأنها تصنع الفرق، فحتى الأمور التي تبدو قاسية يمكن أن تقال مع ابتسامة لطيفة. لذلك فهو على يقين

(1) التفسير الكامل للكتاب المقدس، متى هنري، ج 1، ص 154.

(2) C.S. Keener, The Gospel of Matthew: A Socio-Rhetorical Commentary (Eerdmans Publishing Company, 2009) P.417.

أن ابتسامة يسوع التي على وجهه، والحنان الذي في عينيه سرقت كلمات كل إهانة ومرارة.<sup>(1)</sup>

وكثيرة هي التأويلات، مع أن النص واضح في الدلالة على النظرة الإقصائية، ومشحون بالمعاني العنصرية؛ وإن مؤلفي التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، لينفون هم أيضا أن يكون مقصود يسوع هو إهانة المرأة، ويعلّلون ما صدر منه في حقها من قسوة وغلظة وعبارات مهينة، بأنه ما أراد إلا أن يعكس موقف اليهود! حتى يعلم الناس الفرق بينه وبينهم، فيقولون: "لم يكن الرب يسوع يهين المرأة بهذه العبارة، بل كان يعكس موقف اليهود ليبين الفرق بين موقفهم وموقفه"<sup>(2)</sup>.

وهذه التأويلات وغيرها كثير، نجدها ماثورة في الكتابات المسيحية، وفيها نوع من الهروب من سلطة النص، والفرار من دلالاته الواضحة الحارقة إلى الفيء البعيد من المعاني المحبّة، ومن ثم الركون إليها والاستراحة تحت ظلالها الوارفة؛ والعجيب أن خطاب المحبة يبقى حاضرا على الدوام، حتى لو لم يسعفه السياق؛ فنجد "متى هنري" بعد محاولته لتبرير أقوال يسوع وموقفه من المرأة المسكينة، يعبر عن حيرته، ثم يلوذ إلى التسليم، لينسب بعد ذلك كل شيء من المعاني الواضحات منها والغوامض إلى المحبة، فيقول: "كثير من أساليب رعاية المسيح... والتي نراها غامضة محيرة، يمكن الاسترشاد بمفتاح لغز هذه القصة. فقلب المسيح عامر دائما بالمحبة حتى إذا قُطب جبينه أحيانا."<sup>(3)</sup>

(1) L. Morris, The Gospel According to Matthew (Inter-Varsity Press, 1992) P.404-405.

(2) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 1923.

(3) التفسير الكامل للكتاب المقدس، متى هنري، ج 1، ص 154.

فأي محبة هذه التي يتحدث عنها في مشهد مأساوي كهذا؟! أي محبة هذه في توجيه السهام الحارقة من الملام المشين وغرسها في فؤاد جريح، وأي محبة هذه في إطلاق الألفاظ النابية وعبارات الاحتقار والاذلال أمام جموع الناس؟! أي محبة هذه في التخلي عن البنت الضعيفة السقيمة وهي في أضعف حالاتها من المرض والسقم دون تعاطف وبلا شفقة ولا رحمة، فالذي يظهر من سياق النص أن يسوع ما استجاب لاستغاثة المرأة إلا بعد أن توسل إليه تلاميذه في شأنها، أما موقفه منذ البداية فكان الرفض المهين.

ولذلك فإن القراءة الموضوعية للنص، تكشف بوضوح حقيقة النظرة الازدرائية والإقصائية نحو "الآخر" الذي لا ينتمي إلى دائرة المسيح في ذلك الوقت. كما تُظهر بجلاء الوجه الآخر ليسوع، من خلال العبارات القاسية والمهينة التي خاطب بها هذه الأُممية. وخلافا للقراءات التبريرية لمعضلة النص في قصة المرأة الكنعانية، جاء في تفسير "ريتشارد توماس فرانس" R.T. France وصف لقول يسوع وجوابه على طلبها بأنه "قول فظيع، يعبر عن إهانة بالغة، ويقوم على أساس أسوأ أنواع التعصب العرقي والغلو في القومية".<sup>(1)</sup>

كما أكد "ر.ت. فرانس" أن ما سبقت الإشارة إليه في محاولة تبرير لفظة "الكلاب" من ادعاء أنها صيغة تصغير للتّحبيب لا سند له، فجاء في تفسيره تعليقا على كلمة "كلاب": "كان تعبيرا يهوديا شائعا لشتَم الأُميين، والفكر القائل بأن التعبير اليوناني Kynaria بصيغة التصغير، إنما هو إشارة تدل على المحبة تطلق على الكلاب كحيوانات

<sup>(1)</sup>التفسير الحديث للكتاب المقدس: إنجيل متى، ر. ت. فرانس، ترجمة: أدبیه شکري، دار الثقافة:

أليفة محبوبة من الله، مع أنه يلقي تجاوبا لدى مشاعر الغربيين، إلا أنه مردود عليه بعدم وجود أي فكرة كهذه عند اليهود، ... وهكذا، كان يسوع يعبر عن موقف اليهود الذي يحتقر الأمم.<sup>(1)</sup>

وإن في إقرار المرأة بأنها كما وصفها يسوع ضمن فصيلة الكلاب، ما يعبر عن مدى الانفصال الشديد والميز الحاصل بين الشعبين اليهودي والأممي، وهو ما عكسته النصوص الإنجيلية أيضا؛ وهذا المعنى ما تؤكدته "غلينا جاكسون" Glenna Jackson حينما قالت: "إنه إذا كان العلماء الأقدمون يخلصون إلى أن إنجيل متى مؤيد للأمية، إلى حد يصير فيه معاديا لليهود، فإني أتفق مع العدد المتزايد من العلماء المعاصرين الذين يؤكدون أن مجتمع متى لا يزال يعرف نفسه على أنه يهودي. وأزعم إضافة إلى ذلك أن قصة المرأة الكنعانية ليست دليلا على موقف معاد للأمية فقط، بل أيضا لموقف مؤيد لليهود"<sup>(2)</sup>.

فهل هذه العنصرية هي المحبة المسيحية التي جاء بها يسوع؟! هل هذه النظرة الدونية هي المساواة التي نادى بها بولس وأتباع المسيح من بعده؟! إن هذه التعاليم الإقصائية تتعارض تماما مع السماحة والأخلاق النبيلة التي دعا إليها المسيح في بعض أقواله الأخرى، مثل ما جاء في إنجيل متى نفسه، حينما لخص يسوع الرسالة كلها في قوله: [فَكُلُّ مَا أَرَدْتُمْ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ لَكُمْ، إِفْعَلُوهُ أَنْتُمْ لَهُمْ: هَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ]<sup>(3)</sup>. فالقاعدة الذهبية والوصية الشاملة أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، إلا أن

(1) التفسير الحديث للكتاب المقدس: إنجيل متى، ر. ت. فرانس، ص 274.

(2) G. Jackson, Have Mercy on Me: The Story of the Canaanite Woman in Matthew 15:21-28 (Bloomsbury Academic, 2002) P.34.

(3) إنجيل متى 7: 12 (الترجمة اليسوعية، ص 55).

يسوع في قصة الكنعانية لم يتقيد بهذا القانون، وخرق القاعدة، انسجاماً منه مع الفكر الديني اليهودي الذي يقصي "الآخر" من دائرة الطهارة والقدس، وإعمالاً منه لمبدأ الاصطفاء ونظرية الشعب المختار التي تقضي بالتمييز والفصل بين اليهود والأغيار. وإذن، فالتمييز حاصل والاحتقار وارد حتى في تعاليم الإنجيل، كما جاء ذلك على لسان بولس: [فَإِنْ كَانَ لَكُمْ مَحَاكِمٌ فِي أُمُورِ هَذِهِ الْحَيَاةِ فَأَجْلِسُوا الْمُحْتَقَرِينَ فِي الْكَنِيسَةِ قُضَاءً! لِتُخْجِلَكُمْ أَقُولُ]<sup>(1)</sup>. فهو يعيب على أتباعه تحاكمهم إلى المحتقرين.

وبالرجوع إلى الشواهد الإنجيلية التي تظهر التضارب بين تعاليم المحبة المسيحية، وتلك التي تتنافى معها، وفي سياق متصل مع ما سبق ذكره من إطلاق يسوع لوصف "الكلاب" على المرأة الكنعانية، نجد نصوصاً أخرى تحمل المعنى ذاته من الاحتقار والازدراء.

• هل من المحبة والأخلاق الحميدة تشبيه الآخرين بالكلاب والخنازير؟

جاء في متى: [لَا تُعْطُوا الْمُقَدَّسَاتِ لِلْكَلابِ، وَلَا تَطْرَحُوا جَوَاهِرَكُمْ أَمَامَ الْخَنَازِيرِ]<sup>(2)</sup>. وفي سفر رؤيا يوحنا: [وَلْيَخْسِئِ الْكِلَابُ وَالسَّحَرَةُ وَالزُّنَاةُ وَالْقَتَلَةُ وَعَبَدَةُ الْأَصْنَامِ وَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ الْكَذِبَ وَافْتَرَاهُ]<sup>(3)</sup>. وفي رسالة بولس: [إِحْذَرُوا الْكِلَابَ، إِحْذَرُوا الْعَمَلَةَ الْأَشْرَارَ]<sup>(4)</sup>. وبناء على هذه النصوص، فإن التعاليم الإنجيلية تصنف "الآخر"

(1) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 6: 4-5 (ترجمة فان دايك، ص 224).

(2) إنجيل متى 7: 6 (كتاب الحياة، ص 1147).

(3) رؤيا يوحنا 22: 15 (الترجمة اليسوعية، ص 831).

(4) رسالة بولس إلى أهل فيليبي 3: 2 (الترجمة اليسوعية، ص 213).

ضمن فصيلة الكلاب، كما أن "المسيح حذر من أن الدخيل أو من يقعون خارج «مدينة الرب» كلاب»<sup>(1)</sup>.

إن مسألة المحبة المسيحية، وإضافة إلى ما يعترضها من أسئلة بخصوص طبيعة العلاقة مع "الآخر"، ومنزلة هذه المحبة وجوهريتها المزعومة في سياقات النصوص التي تزدري "الآخر" وتحتقره كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإنها تطرح عليها إشكالات أخرى لها صلة بعلاقة الإنسان مع نفسه، وعلاقته بالمجتمع، بناء على نصوص الإنجيل، ومن هذه الأسئلة على سبيل المثال لا الحصر.

• هل من المحبة أن يتخلى الرجل عن خصائصه الطبيعية، ويترك الزواج وتعمير الأرض، ويخفي نفسه ليدخل في ملكوت الله؟

ففي متى جاء على لسان يسوع قوله: [يُوجَدُ خِصْيَانٌ وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ]<sup>(2)</sup>.

• وهل من المحبة أن تقتلع عينك، وتبتري يدك ورجلك من أجل الدخول في ملكوت الله؟

ففي متى أيضا قوله: [فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْزِرُكَ فَأَقْلَعَهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلَا يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ. وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى

(1) Stephen A Kent, "Deviant Scripturalism and Ritual Satanic Abuse Part One: Possible Judeo-Christian Influences," Religion 23.3 (1993): P.235.

(2) إنجيل متى 19: 12 (ترجمة فان دايك، ص 27).

تُعْزِرْكَ فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلَا يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ<sup>(1)</sup>.

وفي مرقس: [إِنْ أَعْزَرْتَكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ إِلَى النَّارِ الَّتِي لَا تُظْفَأُ... وَإِنْ أَعْزَرْتَكَ رِجْلُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَعْرَجَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ رِجْلَانِ وَتُطْرَحَ فِي جَهَنَّمَ فِي النَّارِ الَّتِي لَا تُظْفَأُ]<sup>(2)</sup>.

• هل من المحبة أن تشرب السم القاتل لتظهر عليك آيات الإيمان؟

ففي مرقس، قال يسوع: [وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَتَّبَعُ الْمُؤْمِنِينَ: يُخْرِجُونَ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِي وَيَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنَةِ جَدِيدَةٍ. يَحْمِلُونَ حَيَاتٍ، وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئاً مُمِيتاً لَا يَضُرُّهُمْ...]<sup>(3)</sup>.

قد يكون لهذه الأسئلة أجوبة عريضة وتأويلات عديدة، على غرار ما ذكر سلفا، وعلى النمط المعهود من خطاب المحبة؛ لكن يبقى النص، بألفاظه ومعانيه معضلة فكرية وأخلاقية، تُحدث على الدوام لدى من يقدره اضطراباً في الرأي، وخللاً في الفهم.

وكل تلك المتناقضات التي أُشير إليها قبلاً في تعاليم يسوع في العهد الجديد، وغيرها كثير، التي تتعلق بتضارب الرأي بخصوص العلاقة مع "الآخر"، هل تقوم على المحبة المفتوحة اللامتناهية كما يروج لذلك في الخطاب المسيحي؟! أم أنها تقوم على

(1) إنجيل متى 5: 29-30 (ترجمة فان دايك، ص 6).

(2) إنجيل مرقس 9: 43-45 (ترجمة فان دايك، ص 59).

(3) إنجيل مرقس 16: 17-18 (ترجمة فان دايك، ص 72).

الحصرية والانغلاق وازدراء "الآخر" كما ورد ذلك في بعض ما مر معنا من النصوص. وإذا أضفنا تلك التعاليم اليسوعية التي تكشف لنا الوجه الآخر غير المليح للمسيح في الإنجيل، مع ما يقرره رب الجنود في العهد القديم الذي هو نفسه الرب يسوع في العقيدة المسيحية، لصار الأمر أكثر قتامة وتعقيدا.

وعلى ضوء النصوص الإقصائية - في كل من العهدين القديم والجديد-، يتبين مدى هشاشة شعار المحبة الذي ترفعه المسيحية، وأنه لم يكن إلا فكرة للتسويق والتبشير، كما أن السلام والحب والوئام الذي تدعو إليه لم يكن مجانياً، ولا صكاً على بياض، بل تقيده شروط، وتضبطه قيود؛ مؤداها الخلاص والانعقاد باعتناق الديانة المسيحية. ومن لم يكن كذلك، فليس معنياً بخطاب المحبة، لأن هذه الأخيرة مشروطة بسلوك سبيل المسيح واتباع دربه، وإلا فلا محبة ترحى. فالأمر إذن يتعلق بمحبة مشروطة لا تليق برب المحبة كما يُنظر لها في الطرح المسيحي.

ونجد في رسالة يوحنا الرسول قوله: [مَنْ تَعَدَّى تَعْلِيمَ الْمَسِيحِ وَلَمْ يَثْبُتْ فِيهِ، فَلَيْسَ اللَّهُ مِنْ نَصِيْبِهِ. أَمَّا مَنْ يَثْبُتْ فِي هَذَا التَّعْلِيمِ، فَلَهُ الْآبُ وَالابْنُ مَعاً إِنْ جَاءَكُمْ أَحَدٌ بِغَيْرِ هَذَا التَّعْلِيمِ، فَلَا تَسْتَقْبِلُوهُ فِي بَيْتِكُمْ، وَلَا تُبَادِلُوهُ التَّحِيَّةَ. لَأَنَّ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، يُشَارِكُهُ فِي أَعْمَالِهِ الشَّرِّيرَةِ]<sup>(1)</sup>.

فالمحبة والموادعة مقرونتان باتباع التعاليم، فمن لم يثبت فيها وجاء بغيرها لم يكن أهلاً للسلام فضلاً عن أن يكون محبوباً، ونجد في الإنجيل دعوة صريحة إلى الحرب، وحمل السيف، وسفك الدماء، بدل خطاب الوداعة والمودة والمحبة؛ وذلك في

<sup>(1)</sup> رسالة يوحنا الثانية: 9-11 (كتاب الحياة، ص 1495).



سياق مباشر عقب التّكرار لمن ينكر يسوع، فيقول هذا الأخير: [كُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي أَمَامَ النَّاسِ، أُعْتَرِفُ أَنَا أَيْضاً بِهِ أَمَامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَنْ يُنْكِرُنِي أَمَامَ النَّاسِ، أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضاً أَمَامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَرْسِي سَلاماً عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأَرْسِي سَلاماً، بَلْ سَيْفاً<sup>(1)</sup>].

فالأمر إذن مقايضة، وليس ثمة مجال للمحبة المجانية: أنكر من ينكرني، وأعترف بمن يعترف بي، وأحب من يحبني؛ ويشهد النص أن المسيح ما جاء ليرسي سلاماً بل سيفاً، وقد أرساه، فالتاريخ المسيحي حافل بالحروب المقدسة، والمعارك الدينية الدموية، بين طوائفها من جهة، ومع غيرها من الديانات الأخرى من جهة ثانية.<sup>(2)</sup>

فالتمييز الطائفي والديني حاضر بقوة في التاريخ المسيحي، ويؤكد "هكتور أفالوس" Hector Avalos أن ما قامت به المسيحية هو استبدال معايير التمييز بأخرى، فإذا كان التمييز في الكتاب العبري قائم على السلالة والنسب، فإن المسيحية خلقت إثنية جديدة قائمة على الإخلاص ليسوع، ثم أشار في تعليقه على نص متى سالف الذكر، إلى أنه تم إساءة تأويله حتى يدلّ على أن مقصود يسوع منه هو الصراع العائلي، في حين أن الأصل اليوناني يفهم منه بوضوح أن غاية يسوع هي جلب الصراع<sup>(3)</sup>.

(1) إنجيل متى 10: 32-34 (كتاب الحياة، ص 1153).

(2) الدموية الطافحة هي الطابع البارز في تاريخ الصراع الديني المسيحي مع "الآخر" الداخلي والخارجي، وكثيرة هي المؤلفات التي تحدثت عن الحروب والمجازر وتعاليم العنف في الديانة المسيحية. ومن هذه المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر: كتاب المسيحية والسيف للمطران برتولومي دي لاس كازاس، والجانب المظلم في التاريخ المسيحي لهيلين إيلير بي. ومن الأعمال التي فصلت في قضية العنف المسيحي، كتاب التاريخ الإجرامي للمسيحية الذي يقع في عشر مجلدات لمؤلفه كارلهاينز ديشنر Karlheinz Deschner. (3) Avalos, Fighting Words: The Origins of Religious Violence p.161.

وعليه، فخطاب الوداعة في قول يسوع: [طوبى لِلْوَدَّعَاءِ، لَأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ... طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لَأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ... طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لَأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ] <sup>(1)</sup>، يناقضه وقد ينقضه قوله: [ما جئت لأرسي سلاماً]؛ وكذلك يخالفه وقد يلغيه قوله: [جئت لألقي على الأرض ناراً، وما أشدَّ رَغْبَتِي أَنْ تَكُونَ قَدْ اشْتَعَلَتْ] <sup>(2)</sup>.

وهذا أمر عجيب! كيف "لإله المحبة" أن يكون تَوَاقاً لأن تشتعل النيران في الأرض وأهلها، وكيف لداعية السلام أن يكون ذبّاحاً، ففي إنجيل لوقا دعوة صريحة إلى إبادة الأعداء وذبحهم، فجاء فيه: [أَمَّا أَعْدَائِي أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُونِي مَلِكاً عَلَيْهِمْ، فَاتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا، وَاضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ أَمَامِي] <sup>(3)</sup>. ويعلق هنري متى على هذا النص قائلاً: "حين يظهر ملكوت الله يتم الانتقام من أعداء المسيح ... فقد أحضروا وذبحوا أمامه، ... والهلاك التام سوف يكون بكل تأكيد من نصيب أعداء المسيح برمتهم. ... فأولئك الذين لا يريدون أن يملك المسيح عليهم سوف ينظر إليهم باعتبارهم أعداءه، ومن ثم يعاملون على هذا الأساس. ... وكل من يرفض أن يحكم بنعمة المسيح سوف يهلك لا محالة بغضب المسيح." <sup>(4)</sup>

وأيّن المحبة هاهنا؟! فالحديث كله يدور حول الغضب والانتقام والهلاك، في انسجام تام مع تعاليم "الرب يسوع" في العهد القديم، التي تتناقض تماماً مع خطابات السماحة والمحبة التي يرفع لواءها التبشير المسيحي، وإلا، فهل من المحبة أن يأمر "رب

(1) إنجيل متى 5: 3-9 (ترجمة فان دايك، ص 5).

(2) إنجيل لوقا 12: 49 (الترجمة اليسوعية، ص 239).

(3) إنجيل لوقا 19: 27 (الترجمة اليسوعية، ص 258).

(4) التفسير الكامل للكتاب المقدس، هنري متى، ج 1، ص 525.

المحبة" يسوعُ بذبح الأطفال والنساء والشيوخ والرضع، بل حتى البهائم؟! كما سبق الإشارة إلى ذلك في نصوص عدة من التوراة، منها ما جاء في سفر صموئيل الأول: [فَاذْهَبِ الْآنَ وَهَاجِمِ عَمَالِيقَ وَاقْضِ عَلَى كُلِّ مَالِهِ. لَا تَعْفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بَلِ اقْتُلْهُمْ جَمِيعاً رِجَالاً وَنِسَاءً، وَأَطْفَالاً وَرُضْعَاءَ، بَقَرًا وَعِزًّا، جَمَالاً وَحَمِيرًا]<sup>(1)</sup>. وفي سفر حزقيال: [واضربوا. لَا تَعْطِفُ عُيُونُكُمْ وَلَا تُشْفِقُوا. أَقْتُلُوا الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ حَتَّى الْفَنَاءِ]<sup>(2)</sup>. وفي المزامير: [طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكَ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!]<sup>(3)</sup>. وفي سفر إشعياء: [كُلُّ مَنْ يُؤَسِّرُ يُطْعَنُ، وَمَنْ يَقْبِضُ عَلَيْهِ يُصَرِّعُ بِالسَّيْفِ، وَيُمَزِّقُ أَطْفَالَهُمْ عَلَى مَرَأَى مِنْهُمْ، وَتَنْهَبُ بُيُوتَهُمْ، وَتُغْتَصَبُ نِسَاؤُهُمْ]<sup>(4)</sup>.

ولعل مثل هذه النصوص، في العهدين القديم والجديد، هو ما ينقض فكرة السماحة والمحبة التي سبق الإشارة إليها فيما تقدم، ويهدم الأطروحة المسيحية للمحبة وينسفها نسفاً، والتي طالما تغنى بها الخطاب الكتابي التبشيري والتبشيري، ويلغي شعار المودة والسّماحة التي جاء بها يسوع المسيح كما سلف بيانه. ولعل هذا أيضاً هو ما يغذي ويشحن الفكر الاستتصالي للمسيحية المتهوِّدة، الذي طغى على مواقف من ينسبون إلى المسيحية في القديم والحديث من الأزمان، والذي يدعو إلى نفي "الآخر" واستتصاله من الوجود بناء على التعاليم العنصرية في الكتاب المقدس بعهديه، وهو أيضاً ما يفسر الوجه الآخر العنيف والدموي للمسيحية عبر تاريخها الطويل، المبني على

(1) صموئيل الأول 15: 3 (كتاب الحياة، ص 373).

(2) حزقيال 9: 5-6 (الترجمة اليسوعية، ص 1786).

(3) سفر المزامير 137: 9 (ترجمة فان دايك، ص 691).

(4) سفر إشعياء 13: 15-16 (كتاب الحياة، ص 842).

التوجه الأحادي الذي لا يعترف إلا "بالأنا" المتضخم، فلا يؤمن بالتعددية ولا يسعى إلى الاعتراف بالآخر، ولا يرضى بوجوده بله التعايش معه.

فهو توجه فكري حصري عنصري أعمى، لا يبصر في الوجود إلا لونا واحدا، ولا يلمح هذا التعايش والانسجام في ملكوت الله مع ما فيه من التنوع الكبير في الألوان والأجناس والخلق، ولا يظهر له فيه هذا التناغم مع الاختلاف في الكائنات من بشر وشجر وحجر وحيوان؛ فهو فكر حصري إقصائي ينفي "الآخر" ولا يعترف إلا بنفسه، وينظر إلى الوجود من زاوية واحدة، من منظور "الأنا" فقط، ويلغي بعد "الذات" كل الكائنات، فهو عند ظنه محور الوجود، والسبب في كل موجود، وما وجدت الخليقة إلا لخدمته حصرا، إنه فكر قد تَشَرَّبَ عقيدة "الشعب المختار"، فلا يؤمن إلا بالمنطق الواحد: إما أن تكون معي أو ضدي، عملا بما قاله يسوع في إنجيل متى: [مَنْ لَيْسَ مَعِيَ، فَهُوَ ضِدِّي]<sup>(1)</sup>.

وقالوا في تفسيرها: "من المستحيل أن تأخذ موقفا محايدا من الرب يسوع، فكل من لا يتبعه فعلا، يكون قد اختار أن يرفضه ... فإن رفضت أن تتبع المسيح، فإنك تكون قد اخترت الانضمام إلى فريق الشيطان."<sup>(2)</sup> وإذن، فلا وجود لمكان وسط، ولا موطئ قدم للحياة، من لم يكن من حزب المسيح فهو لزوما من حزب الشيطان؛ وطبعاً، فإن الشيطان عدو مبين. وبهذا ينجلي الحد الفاصل بين "الأنا" و "الآخر"، إنه اتباع

(1) إنجيل متى 12: 30، (كتاب الحياة، ص 1155).

(2) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 1912.

المسيح، فمن لم يكن من أتباعه كان ضمن "الآخر" الذي هو "ضدي"، حسب المنطوق والمفهوم من النص.

وإن هذه النصوص المقدسة، ونظير هذه التعاليم الدينية، هو ما صنع الوجه الآخر للمسيحية، الرفض "للآخر"، والداعي إلى نفيه واستئصاله من الوجود؛ وهو الوجه الذي كشفت عنه بجلاء صفحات التاريخ المسيحي القديم والحديث، الذي يمثل التطبيق العملي لنصوص العنف والنفي والإقصاء الواردة في كلا العهدين القديم والجديد. وقد حفظت سجلات الماضي بعض المواقف القولية والفعلية لأتباع المسيح من "الآخر" على امتداد الزمان.

وإن النظر في دواوين التاريخ والوقوف على أحداثه، والتأمل في وقائع الحاضر، ليكشف وبشكل عملي، الصورة التي ينظرها في "الآخر" من ينتسبون إلى يسوع «رب المحبة» و«مسيح السلام»؛ ويبرز ماذا صنع أولئك الأتباع ويصنعون في حق "الآخر" باسم المسيحية «ديانة المحبة» وتحت شعار «الله محبة». وفي المحور الموالي إيراد لبعض من تلك النقول والشواهد التاريخية الدالة على هذا التوجه العنيف والموقف الحصري والإقصائي في حق "الآخر" من قبل «أتباع الإنجيل».

## المطلب الثاني: بعض الشواهد التاريخية لرفض "الآخر".

إن أحداث التاريخ عامة، لا تعدّ حجة في ذاتها ضد أي دين من الأديان، إلا إذا كانت وقائعه تعبّر عن تطبيق عمليّ لتعاليم مقدسة. فلا سبيل إذن إلى الاحتجاج على الأديان بمجرد أفعال أتباعها في منأى عن نصوصها الدينية، وبتجاهل لما تدعو إليه من التسامح أو العنف؛ ذلك أن النصوص هي التي تعدّ السند الشرعي للمواقف العملية لدى من يقدها.

وطبعا ليس كل ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال قائما دائما على النص ومستندا إلى تعاليمه. فلا يعد حينئذ سلوك المرء حجة على عقيدته ودينه إلا إذا كان ما يقوم به من أعمال اتباعا وطاعة وامثالاً لما يشرّعه النص المقدس وتمليه التعاليم، وأنئذ تكون الأحداث التي تقع تحت الغطاء الديني، وبتبرير شرعي، دليل إدانة للدين وأهله، لأنها ترجمة عملية لمقتضى النص، وهو الحال بخصوص التاريخ الدموي للديانة المسيحية في كثير من أحداثه، التي تبدو وكأنها تنزيل عملي وتطبيق حرفي لنصوص الإبادة والإقصاء التي تعجّ بها أسفار العهد القديم، وتساندها بعض نصوص العهد الجديد.

وإذن، فالمقصود في هذا المحور من الشواهد التاريخية، هو تلك الأحداث والمواقف التي كانت قائمة على الأسس الدينية، أما ما يقع خارج هذا النطاق فلا يعدّ حجة على النص ولا على أهله، إذ إن أفعال وأقوال الأفراد أو الجماعات إن لم يكن لها سند شرعي فلا تعدّ حجة على الدين بنصوصه وأحكامه ولا تكون دليل إدانة لأهله. وسأكتفي هنا بذكر بعض النماذج التي تبرز هذا الموقف الديني العنيف والإقصائي في

حق "الآخر"، الذي عمل به الجماهير والأتباع، وتبناه ونظر له رؤوس الديانة المسيحية وأساطينها.

ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر، علامة اللاهوت المسيحي، وأكبر فلاسفة الكاثوليك، القديس توما الأكويني<sup>(1)</sup> «1225-1274م» الذي يعد مرجعية عليا عند أهل دينه؛ وقد أعرب عن مواقفه التي تزدرى "الآخر" وتخط من شأنه، ومن ذلك ما تحدث به عن رسول الإسلام، حينما صورته للثقافة اللاهوتية، فادعى أن محمدا [صلى الله عليه وسلم] أغوى الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية، واتهم نبي المسلمين بأنه حرّف جميع الأدلة الواردة في التوراة والإنجيل من خلال الأوهام والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه. ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون في البادية.<sup>(2)</sup>

وهو ما أشار إليه أيضا "أليسي جورافسكي" حينما ذكر أن القديس توما الأكويني كان يعدّ المسلمين من الوثنيين، وأنه ما آمن بدعوة محمد [صلى الله عليه وسلم] في بادئ الأمر إلا الجهلة من الناس والبدائيون فقط، الذين يعيشون في الصحراء، والذين لم يسبق لهم أن عرفوا أي تعليم أو أي عقيدة إلهية، وعن طريق أولئك الصعاليك أجبر محمد [صلى الله عليه وسلم] بقوة السيف بقية الناس في المنطقة على

<sup>(1)</sup> القديس توما الأكويني «1225-1274م» Saint Thomas Aquinas: راهب وفيلسوف ولاهوتي إيطالي، وضع مذهباً فلسفياً يعرف بـ"التومائية"، وقد حاول فيه التوفيق بين الفلسفة اليونانية وتعاليم آباء الكنيسة الأولين، وكان لتعاليمه أثر ضخم في الكنيسة الكاثوليكية. (معجم أعلام المورد، منير البعلبكي. ص61)

<sup>(2)</sup> صورة الإسلام في العالم الغربي: دراسات ألمانية، هوبرت هيركومر وجيرنوت روتر، ترجمة: ثابت عيد، نهضة مصر: القاهرة، ط: 1999م ص32-33.

الامتثال لشريعته، ثم يزعم أنه حين كان انتشار المسيحية سلمياً، انتشر الإسلام بالإكراه بحد السيف.<sup>(1)</sup>

فهل هذه الادعاءات العريضة والتهم الباطلة بلا سند هو خطاب المحبة المزعومة! فعن أي محبة يتحدث هؤلاء مع هذا الازدراء والاحتقار بلا حجة ولا بينة؟! ولا يختلف موقف مؤسس الكنيسة البروتستانتية عن سلفه، فنجد "مارتن لوثر"<sup>(2)</sup> «1483-1546م» Martin Luther، يقول عن القرآن الكريم: "أي كتاب بغيض وفضيع وملعون هذا القرآن، مليء بالكاذب والخرافات والفظائع."<sup>(3)</sup> ويهاجم لوثر الإسلام من خلال العداوة التقليدية بينه وبين بابا الكاثوليك فيقول: "البابا والإسلام يشكلان -من حيث الجوهر- العدوين اللدودين للمسيح والكنيسة المقدسة، ولكن إذا كان الإسلام يمثل جسد المسيح الدجال، فإن البابا هو رأسه."<sup>(4)</sup> ويقول أيضاً في عظة لأتباعه: "لنصرف للاهتمام بأنفسنا وطاعة ربنا حتى لا ندخل في عداد المحمديين

(1) الإسلام والمسيحية، أليسي جورافسكي، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد: 215، نونبر 1996م ص74-75.

(2) لوثر، مارتن «1483-1546م» Martin Luther: راهب ألماني، زعيم حركة الإصلاح البروتستانتي في ألمانيا. هاجم متاجرة الكنيسة بصكوك الغفران، وعلّق على باب كنيسة "ويتينبرغ" Wittenberg احتجاجه المؤلف من خمس وتسعين فقرة (عام 1517م) حرّم البابا ليو العاشر Leo X من شركة المؤمنين (عام 1521م). ترجم الكتاب المقدس إلى الألمانية الدارجة (عام 1534م) فكان لذلك أثر كبير في تطور الأدب الألماني. (معجم أعلام المورد، منير البعلبكي. ص389)

(3) صورة الإسلام في العالم الغربي، هوبرت هيركومر وجيرنوت روتر، ص21.

(4) الإسلام والمسيحية، أليسي جورافسكي، ص84.



الملعونين".<sup>(1)</sup> وقد غالى لوثر في إساءة الأدب مع محمد صلى الله عليه وسلم، فوصف نبي الإسلام بلا أدنى حياء ولا مروءة بأنه خادم العاهرات وصائد المومسات.<sup>(2)</sup> فهذه هي أخلاق رأس الكنيسة البروتستانتية، فماذا يرجى ممن دونه؟! إلا الترويج لخطاب المحبة! وأما "جون كالفن"<sup>(3)</sup> «1509-1564م» J. Calvin، فيقول: "عندما يضع الأتراك - يقصد المسلمين - محمدا [صلى الله عليه وسلم] في مكان الله، وعندما لا يعترفون بأن الله ظهر في الجسد، وهي مبادئ إيماننا الأساسية، فهم يعدّون ضالّين ويضلّون غيرهم من الناس بعيدين عن الله ويستحقّون الموت".<sup>(4)</sup>

وفي القرن العشرين، نجد أن بابا الفاتكان بنديكتوس السادس عشر لا يخالف نهج أسلافه، وفي محاضرة له ألقاها في جامعة ريجينسبورغ بمدينة رايتسبون الألمانية، يوم 12 شتنبر 2006م، يبدؤها بالهجوم على الإسلام. ويعلق محمد عمارة على ذلك الحدث قائلا: "لقد كان موضوع محاضرة البابا عن «علاقة العقل بالإيمان» ... لكن الغريب - بل العجيب والمريب - أن الرجل قد بدأ محاضرته بالهجوم على الإسلام!

(1) صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ريتشارد سودرن، ترجمة: رضوان السيد، دار المدار الإسلامي: بيروت، ط2: 2006م. ص152.

(2) ينظر: صورة الإسلام في العالم الغربي، هوبرت هيركومر وجيرنوت روتر، ص21.

(3) كالفن، جون «1509-1564م» John Calvin: لاهوتي فرنسي، نشر راية الإصلاح في فرنسا ثم في سويسرا حيث أنشأ حكومة صارمة في جنيف. أسس المذهب الكالفيني Calvinism الذي انطلق، بعد، من فرنسا وسويسرا إلى هولندا وأسكتلندا، وكان له أثر كبير في جماعة Puritans في إنكلترا وفي نيو إنكلند New England بأمريكا الشمالية. (معجم أعلام المورد، منير البعلبكي. ص357)

(4) نقلا عن: المسيحية الإنجيلية والموقف من الآخر، إكرام لمعي، ص203.

... بل واستغرق هذا الهجوم على الإسلام ربع هذه المحاضرة!! -مائة سطر من أربع مائة سطر، وهي جملة سطور النص الكامل للمحاضرة-!!<sup>(1)</sup>

وكان من إساءاته لدين الإسلام وصفه إياه بما وصفه به الإكويني من قبل، بأنه دين انتشر بحد السيف، مستشهدا بقول الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني «1391-1425م»: "أرني ما الذي أتى به محمد [صلى الله عليه وسلم] من جديد؟! فهناك ستجدون أشياء شريرة وغير إنسانية، مثل أمره بنشر العقيدة التي دعا إليها بحد السيف." واصفا هذا الإمبراطور بالموسوعي!!<sup>(2)</sup>

وبالرجوع إلى تاريخ الحروب المسيحية، نجد أن الصليبية النصرانية الغربية مارست أبشع أصناف الإبادة ضد المسلمين عند غزوها للقدس سنة 492هـ/1099م، فلم يرحموا الأبرياء الذين احتموا بمسجد عمر -مسجد قبة الصخرة- وذبحوهم عن آخرهم، حتى تحول المسجد إلى بحيرة من الدماء سبحت فيها خيول الصليبيين إلى لحم الخيل!! ثم كتبوا إلى البابا «أوربان الثاني 1042-1099م Urban II» رسالة يقولون له فيها: يا ليتك كنت معنا لتشهد خيولنا وهي تسبح في دماء الكفار -أي المسلمين-!!<sup>(3)</sup>

ووصف المؤرخ "ريموند أوف أغولير" Aguilier المشهد عندما ذبحت عصابات الصليبيين المسلمين في القدس عام 1099م بقوله: "وشوهدت أشياء رائعة، فقد جرى قطع رؤوس أعداد من المسلمين ... ورمي آخرون بالنشاب، أو أرغموا على القفز من

(1) الفاتيكان والإسلام: أي حماقة أم عدااء له تاريخ، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، ط1: 2007م ص21.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص22.

(3) الموقف من الديانات الأخرى، محمد عمارة. ص37-38.

الأبراج، وجرى تعذيب آخرين لعدة أيام، ثم أحرقوا بالنيران، وكان الذي يشاهد في الشوارع أكوام من الرؤوس والأيدي والأرجل، وكان الإنسان يتجول في كل مكان وسط جثث الرجال والخيول، وخاضت الخيول في المسجد الأقصى بالدماء حتى ركبها، لا بل حتى أفواهها، لقد كان حكما ربانيا عادلا ورائعا، أن يمتلئ هذا المكان بدماء غير المؤمنين.<sup>(1)</sup>

ويقصد بهم المسلمين، وإن ما ذكره ليعبر بوضوح عن مدى الهمجية والبشاعة التي اتصفت بها الحروب المقدسة لدى الصليبيين، وقد وصف بالروعة ما قاموا به من الجرائم الشنيعة ونسبها إلى ربهم يسوع الذي قامت تلك المآسي باسمه، فهي عندهم حكم رباني عادل في حق المسلمين! ألا ساء ما يحكمون.

وقد شارك في تلك المجازر البشعة رجال الدين أنفسهم، فمارسوا ذبح المسلمين حتى كَلَّت أيديهم من الذبح، معتبرين ذلك من أعظم القرايين التي يتقربون بها إلى الله!! وبعبارات المؤرخ الأوربي "ميشائيل درسيرر": "إن البطريك نفسه كان يعدو في أزقة بيت المقدس، وسيفه يقطر دما، حاصدا به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ في غسل يديه تخلصا من الدماء اللاصقة بها، مرددا كلمات المزمور: [يَفْرَحُ الْأَبْرَارُ حِينَ يَرَوْنَ عِقَابَ الْأَشْرَارِ، وَيَغْسِلُونَ أَقْدَامَهُمْ بِدَمِهِمْ. يَقُولُ النَّاسُ: حَقًّا إِنَّ لِلصَّديقِ مَكافَأَةً، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ إِلَهًا يَقْضِي]<sup>(2)</sup>. ثم أخذ في

(1) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إيليري، ترجمة: سهيل زكار، دار قتيبة: دمشق، ط2: 2014 ص79.

(2) سفر المزامير 58: 10 (كتاب الحياة، ص729).

أداء القداس قائلاً: إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضى به الرب.<sup>(1)</sup>

وفي قراءة البطريرك للنص التوراتي يظهر مدى تغلغل تعاليم العهد القديم الدموية في أذهان الصليبيين. وما قاموا به من جرائم إنما هو تنزيل عملي لما جاء في نصوص التوراة الدموية، مثل: [لا تَعْطِفْ عُيُونُكُمْ وَلَا تُشْفِقُوا. أَقْتُلُوا الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ حَتَّى الْفَنَاءَ]<sup>(2)</sup>.

وفي خضم ذلك السيل الجارف من دماء المسلمين خلال الحروب الصليبية، يعلن البابا غريغوري السابع Gregorio VII «1085-1028/1015م»: "اللعنة على كل رجل يرد سيفه ويرجعه عن سفك الدماء."<sup>(3)</sup> أليس هذا هو التنزيل العملي والتطبيق الحرفي (لتعاليم المحبة) الواردة في سفر إرميا: [مَلْعُونٌ مَنْ مَنَعَ سَيْفَهُ عَنِ الدِّمِّ]<sup>(4)</sup>؟!

وإذن، فتلك الحروب الصليبية التي شنّها المسيحيون على المسلمين في الشرق، كانت حروبا مقدسة قامت على التعاليم والنصوص الدينية، فهما الوقود الذي أضرمت به نيران سفك الدماء، سيما تلك التي جاءت في العهد القديم؛ وهذا ما دلّت عليه أيضا الخطبة الحماسية الأولى التي أعطت الانطلاقة لشن ذلك الزحف الآثم نحو المشرق،

(1) نقلا عن: الله ليس كذلك، زيغريد هونكه، غريب محمد غريب، دار الشروق: القاهرة، ط2: 1996م. ص22.

(2) سفر حزقيال 9: 6 (الترجمة اليسوعية، ص1786).

(3) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إيليري، ص79.

(4) سفر إرميا 48: 10 (الترجمة اليسوعية، ص1723).

والتي كانت سببا في إلهاب مشاعر فرسان الإقطاع الأوربيين، وإشعال فتيل لهيب تلك الحروب الصليبية ضد المسلمين.

فتذكر "سيغريد هونكه" Sigrid Hunke أن البابا أوربان الثاني الذي ألقى في السابع والعشرين من نونبر عام 1095م بمدينة كليرمونت الفرنسية خطبته التي دعا من خلالها كافة فرسان الغرب لحمل الصليب والزحف لتحرير "قبر عيسى المقدس" بيت المقدس الذي زعم أنه تخرب وتهدم.<sup>(1)</sup> كان دقيقا في اختيار كلماته، وكان يعرف كيف ينتقي بعناية كبيرة أشد العبارات تأثيرا في تلك اللحظة، ليضرب على الوتر الحساس في نفوس الفرسان، وليثير حميتهم وغضبهم؛ فيخلع عليهم صفات القداسة، ويرفعهم إلى مصاف أبناء الرب الذين يحاربون في سبيله، بينما يصف أعداءهم بأحط الأوصاف.<sup>(2)</sup>

فنادى فيهم قائلا: "ولست أنا الذي يندركم وإنما الرب نفسه يطلب إليكم ويحذركم، بصفتكم حملة لواء المسيح، والمبشرين الداعين إليه، أن تطهروا الأرض المقدسة التي يعيش فيها إخوانكم المسيحيون، من أولئك الرعاع".<sup>(3)</sup> ثم أوغل في تحقير المسلمين والإعلاء من شأن الفرسان حتى تصوروا حقا أنهم أفضل وأرقى من أولئك "السفلة" أضعافا مضاعفة، وأنهم بالفعل "صفوة خلق الله"، فقال: "أي خزي يجللنا وأي عار، لو أن هذا الجنس من الكفار، الذي لا يليق به إلا كل احتقار، والذي سقط في

(1) ينظر: الله ليس كذلك، زيغريد هونكه، ص 15.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 17.

(3) المرجع نفسه، ص 17.

هاوية التعري عن كرامة الإنسان جاعلا من نفسه عبدا للشيطان، قد قُدِّر له الانتصار، على شعب الله المختار...<sup>(1)</sup>

ولإضفاء الشرعية على خطبته، وجعلها أكثر إلهابا وإلهاما وتأثيرا، استخدم البابا الكثير من النصوص المقدسة، والإيحاءات الدينية؛ فيذكر "كريستيان هوفريتير" Christian Hofreiter أن "البابا أوربان" بدأ خطبته بالحديث عن معاناة الإخوة المسيحيين في القدس وفي أنطاكية وفي مدن شرقية أخرى، وأن الكنائس فيها صارت إسطبلات، وأن القدس نفسها التي عانى فيها المسيح من أجلنا صارت ملوثة بأدران الوثنيين، ثم أخذ البابا يَبِّن لماذا كانت القدس مكانا مقدسا، فذكر أنها المكان الذي عاش فيه المخلص نفسه، وأيضا هو المكان الذي عاشت فيه أم الرب، والحواريون. ثم رجع بهم إلى الكتاب المقدس وما حكاه عن أبناء الرب الذين خرجوا من مصر ليدخلوا الأرض المقدسة بزعامة يسوع. فأقام البابا ماثلة بين الصليبيين والإسرائيليين الذين احتلوا كنعان. كما أقام مقابلات بين تلك الحروب التي خاضها يشوع مع ما سيقوم به الصليبيون. وفي خلاصة خطابه أشار إلى أن دعواته مع المحاربين من أجل شعب الرب، ثم خاطب "أوربان" الصليبيين أن من واجبه أن يدعو لهم، ومن واجبه أن يحاربوا عماليق.<sup>(2)</sup>

فوصف المستهدفين بالحرب بأنهم من العماليق، الذين كتب عليهم الرب الفناء والإبادة، وليستحضر في أذهانهم القصص التوراتي حول الصراع التاريخي الدائر بين

<sup>(1)</sup> نقلا عن: المرجع السابق الله ليس كذلك، زيفريد هونكه، ص23.

<sup>(2)</sup> C. Hofreiter, Making Sense of Old Testament Genocide: Christian Interpretations of Herem Passages (Oxford University Press, 2018) PP.172-173.

شعب الرب وعماليق، ونجح البابا فيما كان يصبو إليه من إلهاب مشاعر المقاتلين، وحثهم على الزحف نحو بيت المقدس، فكان له ما أراد، وبالفعل دخل الغزاة إلى فلسطين، واحتلوا بيت المقدس، وصنعوا في أهلها من المنكرات والبشاعات ما لا وصف له، وتعلق "زيغريد هونكه" على شناعة تلك الحروب الصليبية قائلة: "لقد كانت الحملة الصليبية الأولى، التي أعلنها البابا أوربان الثاني ... بمثابة المقدمة الموسيقية الحزينة لواحدة من كبريات مآسي العبث في تاريخ الإنسانية، لقد حفر في ذلك اليوم حفرا يتأبى على المحو أبدا في ذاكرة التاريخ، ولقد تبين دهاء البابا وتخطيطه الخبيث ... ولئن كانت الحملة الصليبية الأولى قد انتهت، لوقت مؤقت معلوم، بالغلبة الساحقة لمقاتلي النصارى دفاعا عن المسيح!، فإنها كانت في الوقت نفسه هزيمة أخلاقية مهولة، سجلها تاريخ الإنسانية بحروف من الحزي والاستنكار.."<sup>(1)</sup>

ثم تشير إلى صدى تلك الحملة الآثمة، ومدى الأثر الذي تركته تلك الحرب الهمجية في شعور المسلم عبر التاريخ، فقد تركت في ضمير الأمة جرحا عميقا لا يندمل، فتقول: "ولقد أيقظت تلك الحملة البربرية ما أيقظت في نفوس المسلمين في شتى بقاع العالم الإسلامي، وكان لها صداها، الذي لا يزال يحتل ركنا في إدراك العربي ووعيه، ولا تزال تلك الحملة الصليبية الأولى بقعة عار وخزي، لاصقة بالغرب مشيرة إليه بأصابع الاتهام."<sup>(2)</sup>

(1) الله ليس كذلك، زيغريد هونكه، ص 22.

(2) المرجع السابق، ص 22.

وعموماً، فإن هذا الاضطهاد المسيحي للآخر لم يكن قاصراً على المسلمين فحسب، بل امتدّ إلى كل "الآخر" المختلف، سواء أكان داخلياً ينتمي إلى الديانة المسيحية نفسها، أي "الآخر" المذهبي، أو كان خارجياً من أتباع الديانات الأخرى.

وعلى سبيل المثال، ظهر في القرن الثاني عشر الميلادي حركة مسيحية في العديد من البقاع الأوروبية، تسمى حركة "الكاثاريين" Cathari، وهي جماعة من الفقراء والزهاد يدعون إلى العفة واللاعنف، فرأى فيهم البابا أينوسنت الثالث Innocent III «الذي شغل منصب البابوية ما بين 1198-1216م» خطراً محدقاً، فكلف ملك فرنسا فيليب الثاني باستئصالهم، لأنهم بحسب البابا أسوأ من المسلمين.<sup>(1)</sup> وبمجرد إصدار البابا الأمر بقمعهم، قامت حملة صليبية بالتعاون مع ملك فرنسا كان نتيجتها إبادة جماعية، أنهت بالذبح حركة الكاثاريين، ففي المدينة الفرنسية "بيزيير" Bézier وحدها قتل 7000 من الرجال والنساء والأطفال.<sup>(2)</sup>

وبما أن الأفكار والمعتقدات لا يمكن قتلها وإن قتل أصحابها، وخشية انتشار الفكر الكاثاري، فإن المرحلة اللاحقة للكنيسة في برنامجها الذي دام قرناً من الزمن للقضاء على هؤلاء الكاثاريين، هي إنشاء محاكم تفتيش<sup>(3)</sup> للتتبع والبحث في معتقدات

(1) ينظر: حقول الدم: الدين وتاريخ العنف، كارين أرمسترونغ، ترجمة أسامة غاوجي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر: بيروت، ط1: 2016. ص341.

(2) ينظر: تاريخ الكنيسة، جون لومير، ترجمة: عزرا مرجان، دار الثقافة: القاهرة، ط1: 1990م. ج4، ص42.

(3) محاكم التفتيش: هي محاكم أسستها الكنيسة في مختلف أرجاء أوروبا. وتوجد ثلاثة أنواع من محاكم التفتيش: محاكم أسسها البابا جريجوري التاسع عام 1233م، وكان مهمتها التفتيش والبحث في الهرطقات الدينية التي انتشرت بين المسيحيين آنذاك. ومحاكم التفتيش الإسبانية التي أسسها البابا في



الناس، ولتصفية كل من يخالف الكنيسة في المعتقد، فيذكر "روجر جونسون" Roger A. Johnson أن البابا غريغوري التاسع Gregory IX «1145-1241م» عام 1231م فوّض لهذا السلاح الجديد - أي محاكم التفتيش - البحث عن الأفراد الناجين، الذين لا يزالون أحياء من الكاثاريين ممن لم تحصدتهم آلة الموت من الحرب الصليبية، فكانت ضحاياهم يشملون الكاثاريين الذين لم يتوبوا من هرطقتهم ممن صدر في حقهم حكم الموت، وكان قتل أغلبهم عن طريق حرقهم وهم أحياء. فلم يحلّ عام 1325م إلا ولم يبق كاثاري واحد في كامل أوروبا.<sup>(1)</sup>

كما أن الحروب الدينية التي قامت بين الكاثوليك والبروتستانت دامت قرنين من الزمن، وذهب ضحيتها 40٪ من سكان وسط أوروبا؛ ويحصيهم فولتير<sup>(2)</sup> Voltaire «1694-1778م» فيقول إنهم عشرة ملايين!! وأما عن حروب محاكم التفتيش التي خاضتها الكنائس النصرانية ضد المخالفين لها في العقائد والتصورات، فيذكر أنها استمرت من عهد البابا إينوسنت الثالث «1160-1216م» حتى القرن السابع عشر!!

1471م بناء على طلب الملكين فرديناند وإيزابيلا، للتأكد من إيمان مواطني إسبانيا من المسلمين واليهود الذين اعتنقوا المسيحية. ومحاكم التفتيش الرومانية وأسّسها البابا بول الثالث عام 1542م ليحارب البروتستانتية واستمرت حتى عام 1908م. (موسوعة اليهود واليهودية الموجزة، عبد الوهاب المسيري، ج1، 438.

(1) R.A. Johnson, Peacemaking and Religious Violence: From Thomas Aquinas to Thomas Jefferson (Wipf & Stock Publishers, 2009) P.42.

(2) فولتير Voltaire «1694-1778م»: كاتب وفيلسوف فرنسي، اسمه الأصلي فرانسوا ماري أروويه Arouet، عُرف بنقده الساخر ودعوته إلى الإصلاح، ودفاعه عن الحرية والمساواة وكرامة الإنسان. من أشهر أعماله "رسائل فلسفية" Lettres philosophique "عام 1734م"، و"المعجم الفلسفي" Le dictionnaire philosophique "عام 1764م".

وغطت جميع الممالك النصرانية الغربية. وذهب ضحيتها الملايين، الذين حكمت عليهم الكنيسة بالخلع الذي يخلصهم من الوجود!! بأن يقتلوا، أو يغرقوا، أو يحرقوا.<sup>(1)</sup>

وجاء في كتاب "الجانب المظلم في التاريخ المسيحي" لهيلين إيليري Helen Ellerbe ما نصه: "وكانت أقسى العقوبات هي الإحراق بالربط إلى عمود، ... أصرت الآن مراسم تشريعية بابوية في عام 1231م أن يعاني الهراطقة الموت بالنار، ... وفهمت كلمات إنجيل يوحنا بجواز الإحراق وهي قوله: [إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَثْبُتْ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْعُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ] (2) (3).

ولعل أكبر حكم إعدام في تاريخ البشرية أصدرته الكنيسة عام 1568م في حق سكان هولندا بعد أن اتهمتهم بالهرطقة، فيصفه "أندرو لومير" بأنه أعظم حكم بالإعدام لم يصدر مثله منذ خلق العالم، ففي 19 فبراير 1568م صدر حكم من المجمع المقدس بإعدام جميع سكان الأراضي المنخفضة باعتبارهم هراطقة، وقد استثنى من هذا الحكم العام أفراد قلائل ذكرت أسماءهم حصرا، ثم صدر مرسوم الملك يؤيد الحكم الذي أصدرته محكمة التفتيش، وقد أمر الملك بتنفيذه في الحال على الجميع ذكورا وإناثا، بغض النظر عن السن أو أي اعتبار آخر.<sup>(4)</sup>

(1) ينظر: الموقف من الديانات الأخرى الدين والدولة، محمد عمارة، ص 38-39.

(2) إنجيل يوحنا 15: 6 (ترجمة فان دايك، ص 145).

(3) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إيليري، ص 97.

(4) مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ترجمة: ناشد ساويرس، مكتبة الإخوة: الاسكندرية، ط 4: 2003م. ص 611.

وخلال الأحداث الدامية التي قامت بين الكاثوليك والبروتستانت على شكل سلسلة من الحروب الأهلية في فرنسا، تحكى "هيلين إيربي" أن كلا الطرفين اعتبروا أنفسهم مسيحيين، لذلك فإنهم لم يخففوا من سفك الدماء، ففي يوم 24 غشت 1572م على سبيل المثال، جرى ذبح عشرة آلاف بروتستانت في فرنسا، وكتب البابا غريغوري الثالث عشر إلى ملك فرنسا شارل التاسع يقول: "نحن نبتهج معك، أنه بعون الرب قد حررت العالم من هؤلاء الهراطقة الأشرار."<sup>(1)</sup>

وتضيف "هيلين" أن بعض رجال اللاهوت كانوا يتفاخرون بذكر أعداد من أعدموا، مثل أسقف "وورتزبيرغ" Wartzburg الذي ادعى أنه أعدم 1900 حياة خلال خمس سنوات، كما ادعى الأسقف اللوثري "بندكت كاربزوف" Benedict Carpazof بأنه حكم بالإعدام على عشرين ألف من عبدة الشيطان، وفي عام 1586م تمت إبادة جميع الإناث في قريتين إبادة كاملة من قبل قضاة محاكم التفتيش، باستثناء امرأتين فقط تركتا على قيد الحياة.<sup>(2)</sup>

أما عن أخبار المسيحيين الإسبان في القارة الأمريكية خلال القرن السادس عشر الميلادي مع سكانها الأصليين الذي أطلقوا عليهم اسم الهنود الحمر، فلا تقل في البشاعة والهمجية عما سبق الإشارة إليه، وذلك باسم دين المحبة ورب السلام؛ ويحكي أحد الشهود الذين عاينوا الأحداث المأساوية، ما ارتكبه الكتائب المسيحية في حق أولئك السكان من الجرائم الشنيعة التي قد لا تخطر على البال. فيقول المطران "برتولومي

<sup>(1)</sup> مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ص111.

<sup>(2)</sup> الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إيليري، ص152.

دي لاس كازاس "Bartolomé de las Casas «1474-1566م»، وهو أول راهب إسباني يعيّن في غرب القارة الأمريكية التي اجتاحتها الإسبان: "إن المرء لا يستطيع أن يتخيل أبداً أن في قدرة البشر أن يقوموا بمثل هذا التخريب. لقد عشت في بلاد هذه الشعوب الهندية أكثر من خمسين عاماً، وشاهدت بأعين عيني ما ارتكبه من فظاعات وجور."<sup>(1)</sup>

وإن القتل العشوائي بلا تمييز من قبل الإسبان في صفوف السكان الأصليين كان قد بدأ منذ الرحلة الثانية لـ "كريستوف كولومبوس" Christophe Colomb «1451-1506م» عام 1494م، حيث اصطحب معه كلاباً شرسة ومتوحشة مدربة على نزع أحشاء الإنسان، وأجبر الإسبان المدجّجون بالأسلحة الثقيلة السكان المحليين على تزويدهم بالطعام والعبيد والذهب، وكانوا يقتلونهم بلا تمييز كما لو كانوا في رياضة صيد.<sup>(2)</sup>

ومنذ ذلك الحين والقتل والإبادة سارية على الشعب المستضعف الأعزل، إلا من أسلحة بدائية لا تصمد أمام آلات القتل الإسبانية، فيتحدث "لاس كازاس" عن إبادة عشرات الملايين من البشر في فترة لا تتجاوز الخمسين سنة فقط، وهو هول لم تأت به كوارث الطبيعة. ثم إن هذه الكوارث تقتل بطريقة واحدة. أما المسيحيون الإسبان فكانوا يتفنون في ابتداع وابتكار أساليب التعذيب والتقتيل؛ فكانوا يجرون الرضيع من بين يدي أمه ويلوِّحون به في الهواء، ثم يخبطون رأسه بالصخر أو بجذوع الشجر، أو

<sup>(1)</sup> المسيحية والسيوف، برتولومي دي لاس كازاس، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د.ت. ص 19.

<sup>(2)</sup> A. Grenke, God, Greed, and Genocide: The Holocaust through the Centuries (New Academia Publishing, LLC, 2005) P.140.

يقذفون به إلى أبعد ما يستطيعون.<sup>(1)</sup> وكانوا إذا جاعت كلابهم قطعوا لها أطراف أول طفل هندي يلاقونه، ورموا بها إلى أشداقها، ثم اتبعوها بباقي الجسد. وإن المرء لا يستطيع أن يصدق أن المسيحيين الإسبان جاؤوا إلى العالم الجديد ليبشروا بدين «المحبة» كما يزعمون، فقد كانوا يقتلون الطفل ويشوونه من أجل أن يأكلوا لحم كفيّيه وقدميه قائلين: إنها أشهى لحم الإنسان.<sup>(2)</sup>

وبالنظر إلى أعداد أولئك الضحايا ومدى الدمار الذي أحدثه الإسبان في تلك البلاد، فتشير بعض الإحصائيات إلى أنه في غضون الخمسة والسبعين عاما من وصولهم، تم إهلاك 95% خمسا وتسعين في المائة من سكان مكسيكو الوسطى، إذ إن أكثر من 25 مليون نسمة عام 1519م صارت 1.3 مليون عام 1595م. وأينما حلّ الجنود الإسبان تكون النتيجة نفسها، ففي غرب نيكاراغوا تم إبادة 99% خلال 60 سنة، وفي غرب ووسط الهندوراس تم قتل 95% من السكان خلال نصف قرن.<sup>(3)</sup> وعلى هذا المنوال قس على سائر المناطق التي طالتها أيدي الإسبان، فقد كان الموت الزؤام والتعذيب المريع والعبودية المهينة هي الطابع البارز لصنائع أولئك "الفاحين" من المسيحيين لبلاد الهندو المساكين. فكانوا يقتلون عشوائيا بلا رحمة ولا ميز.

ويصف "لاس كازاس" أن المذابح التي قام بها المسيحيون في حق الهندو لم تعرف في تاريخ الشعوب، فكانوا يدخلون على القرى فلا يتركون طفلا أو حاملا أو امرأة تلد

(1) وهذا ليس غريبا ممن في تعاليمه المقدسة: [طوبى لمن يُمسِكُ أطفالك وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!] (سفر المزامير 137: 9، ترجمة فان دايك، ص 691).

(2) ينظر: المسيحية والسيوف، برتولومي دي لاس كازاس، ص 10-11.

(3) Grenke, *God, Greed, and Genocide: The Holocaust through the Centuries* PP.141-142.

إلا وبقروا منهم البطون وقطّعوا أوصالهم كما يقطّعون الخراف في الحضيّة، وكانوا يراهنون على من يشق الرّجل بطعنة سكين، أو يقطع رأسه أو يدلق أحشاءه بضربة سيف. كانوا ينتزعون الرضع من أمهاتهم ويمسكونهم من أقدامهم ويرطمون رؤوسهم بالصخور أو يلقونهم في الأنهار ضاحكين ساخرين، وكانوا يشعلون النار في مجموعات الهنود، ويحرقونهم أحياء ويشوون أسيادهم على مشواة من القضبان، وتحت نار هادئة حتى يحتضروا ببطء وسط العذاب.

إلى أن قال: "ولقد شاهدت مرة أربعة من هؤلاء الأسياد فوق المشواة. وبما أنهم يصرخون صراخا شديدا أزعج مفوض الشرطة الإسبانية الذي كان نائما «أعرف اسمه، بل أعرف أسرته في قشتالة» فقد وضعوا في حلوقهم قطعا من الخشب اخرستهم، ثم أضرموا النار الهادئة تحتهم. رأيت ذلك بنفسي، ورأيت فظائع ارتكبتها المسيحيون أبشع منها".<sup>(1)</sup> وقال أيضا: "لقد قتلوا أمام عيني أكثر من ثلاثة آلاف إنسان رجالا وأطفالا ونساء، لقد شاهدت وحشية لم يرها بشر قبلي، ولا خطرت على بال إنسان".<sup>(2)</sup>

ولا أحد يعلم على وجه الدقة كم كان عدد الهنود الذين أبادهم الغزاة الإسبان، فثمة من يقول إنهم مائتا مليون، ومن هم من يقول أكثر، أما "لاس كازاس" فيعتقد أنهم مليار من البشر. ومهما كان الرقم فقد كانت تنبض بحياتهم قارة أكبر من أوربا بسبعة عشر مرة، وها قد صاروا الآن أثرا بعد عين.<sup>(3)</sup> وبكلام وجيز، يصف "برتولومي

(1) المسيحية والسيف، برتولومي دي لاس كازاس، ص 28-29.

(2) المصدر السابق، ص 36.

(3) ينظر: المسيحية والسيف، من مقدمة الناشر، ص 16.

دي لاس كازاس "المشهد بقوله: "إن الذين ذهبوا إلى هناك من أدياء المسيحية أبادوا الشعوب الهندية الوادعة ومحو ذكرها من وجه الأرض."<sup>(1)</sup>

فتلك إذن، أحداث دامية، ومآسي شجية، ارتكبتها من ينتسبون إلى ديانة المحبة، تحت الغطاء الديني، وبتسويق شرعي، فباسم المسيحية صنعوا ما ذكر من المجازر والإبادة في حق الشعوب المسالمة، ولهم في نصوص كتابهم المقدس ما يشجعهم على ذلك، وبمباركة الرب يرتكبون جرائمهم. يقول لاس كازاس: "كان الإسبان طوال هذه السنين يكتبون ويزعمون أن الله أرسلهم لفتح هذه البلاد ... وأن الله هو الذي نصرهم على هذه الأمم. وكانوا يحمدون الله في صلواتهم ويشكرونه لأنه أعطاهم كل هذه الخيرات ولأنهم قاموا بكل هذا الطغيان."<sup>(2)</sup>

وهو ما تؤكد أيضا "كارين أرمسترونغ" Karen Armstrong، فتقول: "كان الإسبان يهاجمون الأمريكتين، يقتلون السكان الأصليين ويستولون على الأراضي والغنائم والعبيد. كانوا يدعون غالبا بأنهم يقاتلون باسم المسيحية."<sup>(3)</sup>

وكانت القرارات البابوية، هي التي منحت ملوك إسبانيا حق امتلاك أراضي ما وراء البحار، وكان ذلك الحق حسب "لاس كازاس" يعني: نهب البلاد وإفناء العباد، وكانت القرارات البابوية تقضي بأن يكون التبشير أولا، والاستعمار ثانيا، بمعنى أن يكون للرهبان أولوية على العسكر الغزاة، وأن تكون الغنائم للكنيسة كما للدولة.

(1) المسيحية والسياف، برتولومي دي لاس كازاس، ص 25.

(2) المصدر السابق، ص 61.

(3) حقول الدم: الدين وتاريخ العنف، كارين أرمسترونغ، ص 357.

يصف "لاس كازاس" بعض الرهبان وهم يلهثون وراء الذهب، فيحدثنا عن رئيس المطارنة الذي كان يرسل خدمه ليأتوه بحصته منه. وكثيرا ما راسل "لاس كازاس" ملك إسبانيا يناشده ويستعطفه ويسترحمه في رسائل عديدة ليتدخل بوقف عذاب أولئك البشر. إلا أن آذان الملك كانت لا تسمع آنذاك إلا إلى رنين الذهب. وكيف يسمع له مادامت جرائم عسكره ورهبانه داخل إسبانيا لا تقل فظاعة عن جرائم عسكره ورهبانه في العالم الجديد، فقد أخذ الإسبان باسم الدين المسيحي يسفكون دم المسلمين الأندلسيين الذين ألقوا سلاحهم، وتجردوا من وسائل الدفاع عن حياتهم وحرماتهم. وظلوا يسومون المسلمين أنواع التعذيب والتنكيل والفتك والقهر طوال مائة سنة، فلم يبق من الثلاثين مليوناً مسلم واحداً.<sup>(1)</sup>

وتذكر "هيلين إيليري" أن الكنيسة أيدت استرقاق السكان المحليين - سيما في جنوب أمريكا -، وسرقة أراضيهم المحلية، وفي عام 1493م سوغ مرسوم بابوي إعلان الحرب على أي سكان محليين في جنوب أمريكا، الذين يرفضون اعتناق المسيحية، وادعى القاضي "إينسيسكو" Encisco في عام 1509م: "بأن للملك كل الحق في إرسال جنوده إلى الهنود ليستولوا على أراضي هؤلاء الكفار، ويأخذوها منهم، ... وإذا ما رفض الهنود يمكن بصورة قانونية تماماً أن يحاربهم، وأن يقتلهم، وأن يسترقتهم، تماماً كما قام يوشع باستعباد سكان بلاد كنعان."<sup>(2)</sup>

(1) ينظر: المسيحية والسيوف، من مقدمة الناشر، ص 12-13.

(2) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إيليري، ص 105.



ارتكبت ظلما وعدوانا الإبادة والمجازر والمحرقات في حق الشعوب المستضعفة في أمريكا الجنوبية، باسم المسيحية ورجالاتها، "ففي عام 1570م، أسست محاكم التفتيش محكمة عرفية مستقلة في بيرو، وفي مدينة مكسكو بقصد تحرير الأرض، التي أصبحت ملوثة بالهنود والهراطقة، وجرى إحراق السكان المحليين الذين لم يتحولوا إلى المسيحية مثل إحراق أي من الهراطقة".<sup>(1)</sup>

أما عن الإبادة في أمريكا الشمالية، فتحدث "كارين أرمسترونغ" أن الإنجليز مارسوا سياسة استئصالية للسكان المحليين في المستعمرات التي احتلوها، ثم تعلق قائلة: "وقد برروا عنفهم عبر قراءة انتقائية بدرجة كبيرة للكتاب المقدس، متجاهلين تعاليم المسيح الداعية إلى السلام، ومستمسكين بعدوانية بعض النصوص العبرانية، كان ألكسندر لايتون Alexander Leighton يعظ بهذه الكلمات: «الله محارب عظيم»، ويتابع بالقول إن الكتاب المقدس هو «أفضل كتاب تعليمات للحرب»".<sup>(2)</sup>

فالذي طبع التاريخ المسيحي إذن، هو تغليب تعاليم العنف والدموية على بعض ما جاء عن المسيح في الإنجيل من الدعوة إلى السماحة والصبر والمحبة والخلق الحسن، فميلهم إلى الحرب وتعطشهم للدماء جعلهم يتنكرون لتعاليم المحبة والسلم والموادعة التي جاء بها المسيح، في مثل ما ورد في إنجيل متى: [سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: «الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ» أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تُقَاوِمُوا الشَّرِيرَ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَاعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُحَاكِمَكَ لِيَأْخُذَ قَمِيصَكَ، فَاتْرُكْ لَهُ رِدَاءَكَ أَيْضًا. ...

(1) الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إيليري، ص 103.

(2) حقول الدم: الدين وتاريخ العنف، كارين أرمسترونغ، ص 402.

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: «أَحِبِّبْ قَرِيبَكَ وَأَبْغِضْ عَدُوَّكَ». أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَصَلُّوا مِنْ أَجْلِ مُضْطَهِّدِكُمْ، لِتَصِيرُوا بَنِي أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، لِأَنَّهُ يُطْلِعُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالْأَخْيَارِ، وَيُنْزِلُ الْمَطَرَ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ. فَإِنْ أَحْبَبْتُمْ مَنْ يُحِبُّكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟»<sup>(1)</sup>

فأين هذه التعاليم وسط ما سلف ذكره من الأشلاء والدماء والدمار والإبادة الجماعية لشعوب وأمم، وبشتى أنواع التقتيل والتَّنكيل، فنحن إذن أمام انفصام نكد بين التعاليم النظرية والواقع الحيّ العملي، الذي ظهرت أحداثه في سجلات الماضي الأسود لتاريخ الكنيسة، التي يبدو وكأنها قد نسخت نصوص السماحة والمحبة معنى وأبقت عليها لفظاً، فالتنزيل العملي لتلك التعاليم يخالف لديها المنطوق والشفوي، فالخطابات في واد والواقع العملي في واد آخر؛ حيث إننا نجد أن الخطاب المسيحي مهووس بالحديث عن المحبة والمودة والسلام، لكن في الألفاظ دون المعاني، إذ لا تطابق بين ما يقال مع ما يفعل. فهناك في أرض الواقع نجد أمراً آخر غير ما يروج له في خطابات المحبة والوئام، لا نجد هناك إلا السيف والدماء والأشلاء، في تناغم تام مع دموية النصوص التوراتية، وفي انسجام تام مع الوجه الآخر لتعاليم الإنجيل. حيث إن العهد الجديد ذو وجهين متناقضين، وقابل للتوجيه نحو وجهتين متعارضتين، فنجد فيه الدعوة إلى السلام والتحريض على العنف.

ومع أن "سوزان جوستر" Susan Juster أشارت إلى أن حلول العهد الجديد مكان العهد القديم في الفكر المسيحي قد شكل تحدياً جاداً للمنظرين المسيحيين للحرب، إذ

(1) إنجيل متى 5: 37-46 (الترجمة اليسوعية، ص50)

حسب الحواريين، كان المسيح يعلن عن نفسه بأنه "رب السلام" وليس ربّ حرب؛ فإنها أوضحت أيضا أنه قد سُجِّلَ عن يسوع في المقابل قوله: [لا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَحْمِلَ السَّلَامَ إِلَى الْأَرْضِ، مَا جِئْتُ لِأَحْمِلَ سَلَامًا بَلْ سَيْفًا]<sup>(1)</sup>. وذكرت أن هذا هو ما زوّد تاريخ المسيحية المبكرة في صراعها مع خصومها بذخيرة حربية وفيرة تساند بها المقاتلين في الحرب باسم الدين. ثم أوردت ما ذهب إليه "جون كالفن" بقوله إنه إذا اعتُرض على فكرة الحرب في المسيحية، بكون العهد الجديد ليس فيه نصوص ولا تعاليم تقرّر شرعية الحرب بالنسبة للمسيحيين، فإن الجواب على ذلك هو أن الأسباب التي حملت على الحرب، والتي كانت موجودة قديما، لا تزال موجودة في اليوم الحاضر. كما أوردت أيضا تأكيد رجل الدين "وليام غوج" «1575-1653م» William Gouge على أن الحروب التي شُنت في العهد القديم، مأمور بها أيضا في العهد الجديد. وذكرت أن رجل الدين الإنجليزي "ريتشارد بيرنارد" «1568-1641م» Richard Bernard كان يرفض المفهوم القائل إن مسيح العهد الجديد من دعاة السلام، فيقول: "نعم، نودّي «رب السلام» أكثر من «رجل الحرب»، لكن أميرنا للسلام أمرنا بالحروب، ويسرّه إذا ركبنا صهوة الجواد وقهرنا أعداءه وذبجناهم.<sup>(2)</sup>

ونجد أن التّنظير لهذا الفكر الحربي كان منذ زمن بعيد في الديانة المسيحية، فقديمًا في القرن الخامس الميلادي، صاغ القديس "أوغسطين"<sup>(3)</sup> Augustin «354-

(1) إنجيل متى 10: 34 (الترجمة اليسوعية، ص 65).

(2) S. Juster, Sacred Violence in Early America (University of Pennsylvania Press, Incorporated, 2016) PP.78-79.

(3) أوغسطين، القديس Saint Augustin: لاهوتي وفيلسوف كاثوليكي. يعتبر كبير مفكري النصرانية في عهدها الأولى. اعتنق النصرانية عام 386م ودافع عن الكنيسة دفاعا قويا. حاول التوفيق بين الفكر=

430م» مبدأ الاضطهاد لهداية الأجيال التالية، وأقامه على أسس من الكتاب المقدس، واستند إلى كلمات قالها المسيح في مثل من أمثاله التي كان يذكرها لحوارييه، من قبيل: أجبروهم على اعتناق دينكم. فوضع هذا القديس للكنيسة دستوراً يقضي بعقوبات قد تصل إلى حد الحرق والقتل للمخالف.<sup>(1)</sup>

وكان على منظري الحرب في المسيحية أن يسيروا على خط رفيع بين عالم العهد القديم المتعطش للدماء وسلمية "موعظة الجبل" التي نصح فيها المسيح أتباعه بقوله: [أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ]<sup>(2)</sup>، وهكذا وعبر هذا التوتر تم نحت أعظم المفاهيم تأثيراً في تاريخ الغرب على يد القديس "أوغسطين"، وهو مصطلح "الحرب العادلة"<sup>(3)</sup>، فقد كان هو أول

=الأفلاطوني وبين العقيدة النصرانية. أشهر آثاره سيرة حياة ذاتية عنوانها "اعترافات" Confessiones «حوالي عام 400م» و"مدينة الله" De Civitate Dei «413-426م». (معجم أعلام المورد، ص 86).  
(1) ينظر: قصة الاضطهاد الديني في المسيحية الإسلام، توفيق الطويل، الزهراء للإعلام العربي: القاهرة، ط1: 1991م. ص 70-72.

(2) إنجيل متى 5: 44 (كتاب الحياة، ص 1145).

(3) يقول وهبة الزحيلي: "يردد المسيحيون بأن المسيحية والسلام توأمان لايفترقان، وظلت فكرة السلام هي السائدة في المسيحية، وأنها دين يقوم في الأصل على فكرة السلام الخالصة طوال ثلاثة قرون، إلى أن جاء القديس «أوغسطين» في ابتداء القرن الرابع الميلادي، وفسر الدين في مؤلفين أخرجهما على أساس الاعتراف بمشروعية الحرب باعتبارها من أعمال القضاء العادل المنتقم، ولأنها لصالح المهزمين، ومن أجل ضمان السلام. وبذلك أنهى الصراع القائم بين المسيحية والإمبراطورية الرومانية، وسوغ للمسيحيين جواز القيام بأداء الخدمة العسكرية أو الانخراط في الجيش الروماني." ولاحظ الزحيلي أن القديس أوغسطين أباح الحرب بنوعها الدفاعية وحرب الاعتداء معا، كما أباح نظرية الحروب الصليبية قبل أن يظهر الإسلام بثلاثة قرون. (آثار الحرب في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة، وهبة الزحيلي، دار الفكر: دمشق، ط3: 1998م. ص 47).

واضع لنظرية هذه الحرب في القرن الخامس للميلاد، والتي ميزها عن كل من الحروب الانتقامية في العهد القديم ومن اللاعنف المسيحي.<sup>(1)</sup>

فالحرب العادلة مسلك رفيع بين هاذين المفهومين، وهو في تنظيره ذاك مكّن للفكر الإقصائي ضد "الآخر"، وشرّع للتنكيل به. يقول توفيق الطويل: "الكاتب الذي قدر له أن يمكن لنظام الاضطهاد، ويزود أنصاره المتأخرين بالحجج المؤيدة للقمع والكبح، كان القديس أوغسطين «ت430» الذي أسكت اسمه كل نزاع إلى الرحمة زمانا طويلا."<sup>(2)</sup>

وإذن، وكما سبق بيان ذلك، فإن الموقف من "الآخر" المخالف في الدين أو المعتقد، كان هو الإبادة بشتى أنواع الفتك والتقتيل، أو التعذيب بأبشع ما يمكن لخيال الإنسان أن يصله، أو الإقصاء والتهميش في أفضل الأحوال وأحسنها، أو كل تلك مجتمعة، بدءا بالإقصاء ثم الاعتقال والتعذيب ثم الحرق والتقتيل، وكل ذلك كان تحت رعاية الكنيسة وتحت سلطانها، بل وبتعاليمها تمارس حروب الإبادة. يقول محمد عمارة: "كان الضيق «بالآخر»، والإنكار له، والسعي في اضطهاده واستئصاله، موقفا عاما، ومؤسسيا، يُنظرُ له «القديسون»، ويجعلونه من مقتضيات «قانون الإيمان» ثم تنهض البابوية، والكنائس بإجبار الدول والأباطرة والملوك والأمراء -فضلا عن الدهماء- على شن حملات الاضطهاد والحروب والإبادة للمخالفين!"<sup>(3)</sup>

(1) Juster, Sacred Violence in Early America P.79.

(2) قصة الاضطهاد الديني في المسيحية الإسلام، توفيق الطويل، ص69.

(3) الإسلام والآخر: من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، ط3: 2002م. ص88.

وفي الختام، إن صفوة القول في هذا الفصل الذي يتناول مسألة صورة "الآخر" في الإنجيل وما يتضمنه من بعض التعاليم الأخلاقية النبيلة، أن يقال شتان بين النظرية والتطبيق، فكل ما حملته بعض نصوص الإنجيل من معاني السّماحة والمحبة، وكل ما دلت عليه من بعض الأخلاق الكريمة، غاب تماما عن الأنظار وسط اللون الأحمر الدموي القاتم لتاريخ الكنيسة المسيحية عبر عصورها المتوالية؛ فأحداث الواقع التي حفظتها سجلات التاريخ، تعدّ ترجمة عملية للتعاليم الدموية لنصوص العنف في الكتاب المقدس بشقيه التوراة والإنجيل.

لتكون بذلك العالمية التي أدخلها بولس في الديانة المسيحية وبالا على البشرية، بما جاءت به من الذبح والإبادة لأمم وشعوب بأكملها، وكل ذلك يتمّ باسم ربّ المحبة وتعاليم السلام. فالتناقض الحاصل فيما جاء به الإنجيل من القيم والأحكام، يفتح الباب للتأويل في كل الاتجاهات، لتكون كل الخيارات مطروحة. ففيه تعاليم المحبة والعالمية والسلام، وفيه أيضا ما يعارض ذلك ويضاده من أحكام تزدري "الآخر" وتنتقص منه، وتنص على اختصاص دعوة يسوع بخراف بني إسرائيل فقط.

## **الفصل الرابع**

### **صورة "الآخر" في القرآن الكريم**

- المبحث الأول: صورة "الآخر" في القرآن الكريم ضمن السياق التاريخي.
- المبحث الثاني: "الآخر" في القرآن الكريم إنسان مكرم.
- المبحث الثالث: "الآخر" وعالمية الخطاب القرآني.
- المبحث الثالث: "الآخر" وقيم التعايش في القرآن الكريم.

## الفصل الرابع: صورة "الآخر" في القرآن الكريم

إن الناظر في القرآن الكريم، والمتدبر لآياته، ليقف على رسالة شاملة وشفافية، ذات معان كافية ووافية، تجيب عن كلّ ما يدور بخلد الإنسان من أسئلة وجودية، وتنبئه عن حقيقة نفسه وحقيقة كلّ ما يحيط به من الكائنات؛ ثمّ إن هذا الكتاب، الذي هو رسالة الله تعالى إلى خلقه، ليخبر الإنسان عن أصله وماهيته، ويعلمه قدره ومنزله ووظيفته في هذا الوجود، كما يحدّد له السبيل السوي والطريق القويم الذي يجب عليه أن يسلكه حتى ينال الرضى وسعادة الدارين.

وإنّ من جملة ما بيّنه الله تعالى في كتابه، تفصيل أحكام التعامل مع الناس أجمعين، وتقعيد ضوابط السلوك اتجاه الآخرين، فعلى أساس من قواعد قرآنية متينة، وتشريعات سماوية حكيمة، بُنيت أصول التعامل مع الآخرين سواء أكانوا مسلمين أو كافرين، وحُدّدت طبيعة العلاقات التي تربط بين الناس، وأسّست المواقف الجليلة والتصوّرات الواضحة عن "الآخر" كيفما كان جنسه أو لونه أو دينه. وقد تحدّث القرآن الكريم بتفصيل عن واجبات المسلمين اتجاه غيرهم، وبيّن أن الأصل في علاقة المسلم بغير المسلم ليست الخصومة، إنما الدعوة إلى الخير والهدى، بالحكمة والموعظة الحسنة، مع مراعاة مبدأ "لا إكراه في الدين".

وعلى هذه الأسس القرآنية تتشكّل الصورة التي يصنعها القرآن الكريم حول "الآخر" وتحدّد طبيعته، وتنجلي ماهية العلاقة التي تربط المسلم بغيره. وفي هذا الفصل حديث عن بعض هذه المبادئ التي قامت عليها العلاقة مع "الآخر"، وفيه بيان لجوانب من منظومة القيم التي وضعها رب العالمين في أحكام التعامل مع سائر الناس



أجمعين، وفيه أيضا ذكر لبعض النماذج التي قامت في تاريخ الأمة القرآنية شاهدة على التنزيل العملي لتعاليم القرآن الكريم.

وكان لا بد في البداية من بيان السياق التاريخي الذي ظهرت فيه النظرة القرآنية نحو "الآخر"، فتلك مقدمة لازمة لتتضح الصورة ويكتمل الفهم بخصوص ما جاء به القرآن الكريم من المبادئ والتصورات حول الإنسان بوجه عام. إذ لا بد لتذوق الجمال والجلال والكمال في الهدي القرآني، ولاستشعار سمو مبادئه وعظمة شرائعه، من الوقوف على ما كانت عليه الإنسانية في ذلك الوقت من الانحطاط والسفول في كل مجالات الحياة.

## المبحث الأول: صورة "الآخر" في القرآن الكريم ضمن السياق التاريخي.

نزل القرآن الكريم في عصر ساد فيه منذ أمدٍ بعيد إنكار "الآخر" وهضم حقوقه، وكان النفي والإقصاء والاضطهاد هو الطابع السائد فيه، وكانت البشرية في جميع أرجاء الدنيا تنثرت تحت وطأة الاستبداد والطغيان والفساد على كل مستوياته. فقد كان الزمن الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوأ المحطّات التي مرّ بها تاريخ البشرية، وأشدّ مراحل الإنسانية حلكة وسواداً، حيث بلغ انحطاط الإنسان فيها إلى مداه، وهبط به الهوان إلى أقصاه، ووصل به الإسفاف إلى منتهاه، حتى إنه انسلخ في كثير من الأحيان عن إنسانيته، وصار عدواً لأخيه الإنسان، فلم يرع للآخر قدراً ولا كرامة، فاستبيحت محارمه، واستهين بمقوماته، وصار دمه وعرضه رخيصة بلا قيمة، بله المال والمتاع؛ فكان جميع بني الإنسان في تيه وضلال، لا يعرفون السبيل السالكة، ولا يميّزون موارد الهلاك، يسرون في صمم على غير هدى، ويخبطون بلا رشاد في جاهلية عمياء.

إن هذا الوصف هو ما انطبق تماماً على الحقبة التاريخية التي سبقت البعثة النبوية، فالسياق التاريخي الذي نزل فيه القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم، كان سياق إنكار للآخر وعدم اعتراف به، فقد كانت البشرية في تردّي متواصل، وانحدار شديد ومستمر، بل كانت الإنسانية في الاحتضار، كما وصفها أبو الحسن الندوي، حينما قال رحمه الله: "كان القرن السادس والسابع «الميلاد المسيح» من أخط أدوار التاريخ بلا خلاف، فكانت الإنسانية متدلّية منحدرّة منذ قرون، وما على وجه الأرض قوة تمسك بيدها وتمنعها من التردّي، فقد زادت الأيام سرعة في هبوطها وشدة في إسفافها، وكأنّ الإنسان في هذا القرن قد نسي خالقه، فنسي نفسه ومصيره، وفقد

رشدته، وقوة التمييز بين الخير والشر، والحسن والقبيح، وقد خفتت دعوة الأنبياء من زمن...<sup>(1)</sup>

فمنذ دهر طويل، وردح من الزمان بعيد، والبشرية في تنائي متواصل عن أنوار النبوة، تمضي بعماء في صحراء من التيه معتم، وتسري في ليل بهيم وديجور موحش، تتخبط في غيهب حلكة وسواد، وتشق طريقها في ضلال وظلام دامس، قد أضاعت مقاصدها، وتاهت عن غايتها؛ لا تدري مسالك النجاة، ولا تبصر مواطن العطب، تخطو بتعثراً على أرض زلقة، في عناء دائم، ونكد مستمر، ومأس دامية، يرويه التاريخ بحزن، في صحائف مخضبة بالدماء، مكتوبة بدموع الشكالي، ومختومة بأنين الحزاني؛ وظل أمر البشرية على هذا المنوال من الظلم والظلام إلى أن جاء القرآن الكريم بأنواره وبهائه، فأرجع الحق إلى نصابه، وأعاد الحكم إلى صوابه، وأشرقت الأرض بنور كتاب ربها، وأضاء للبشرية مسالكها، وأعاد للأدمية كرامتها، وربط السماء بالأرض، فكان توجيه الإنسان سماوياً، وتعليمه علوياً، ومضى من استمسك بهدي القرآن سويًا على صراط مستقيم.

أما قبل نزول كتاب الله تعالى، فقد كانت الإنسانية حتماً في شقاء وحرَج وشدة، تتخبط على غير هدى، وتمضي مكبّة على وجهها، متنكّبة لصراط الله العزيز الحميد؛ وإن الناظر في تاريخ الأمم زمن البعثة النبوية وقبلها، ليرى بوضوح من أحوالها قبل نزول القرآن ما سبق وصفه من الظلمات المتراكمة بعضها فوق بعض، حتى حلّ مقت

(1) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، دار الجيل: بيروت، د.ط.

الله بجميع أهل الأرض، إلا بقايا من أهل الكتاب. ذلك أن الناس كلهم كانوا آنذاك أحد اثنين: إما كتابيٍّ محرّف أو غير كتابيٍّ منحرف، فأنحدرت كل القيم الإنسانية في طول الأرض وعرضها، ولم يبق على وجه البسيطة من يتمسك بالخلق والدين، إلا نزر قليل من اليهود والنصارى، أما سائر الناس من أهل الكتاب ومن غيرهم فكانوا يعيشون في جاهلية جهلاء بلا أخلاق تهذبهم ولا دين يؤدبهم؛ وإن حال البشرية ذاك، وما آلت إليه من السفول والسقوط من عين الله تبارك وتعالى، هو ما أشار إليه رسول الله عليه الصلاة والسلام حينما قال: [وإنّ الله، نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب]<sup>(1)</sup>.

يقول ابن القيم رحمه الله: "ولما بعث محمد ﷺ كان أهل الأرض صنفين، أهل كتاب وزنادقة لا كتاب لهم، وكان أهل الكتاب أفضل الصنفين، وهم نوعان مغضوب عليهم وضالون."<sup>(2)</sup>

وإن غالبية أهل الكتاب كانوا أهل تحريف وتجديف، وأصحاب تزيف وتخريف، وإنهم غيروا من الدين اسمه ورسمه، وبدلوا فيه الجوهر والمظهر، حتى إنه لو بعث أصحابه الأولون، وأنبياءؤه المرسلون لأنكروه وتركوه، كما أشار إلى ذلك أبو الحسن الندوي بقوله: "أصبحت الديانات العظمى، وصحفها العتيقة، وشرائعها القديمة ...

(1) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم: 2865، ص 1310. (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: أبو قتيبة نظر الفريابي، دار طيبة: الرياض، ط1: 2006م).

(2) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، ص 227.

فريسة العابثين والمتلاعبين، ولعبة المحرّفين والمنافقين، وعرضة الحوادث الدامية والخطوب الجسيمة حتّى فقدت روحها وشكلها، فلو بعث أصحابها الأولون، وأنبيأؤها المرسلون، أنكروها وتجاهلوها.<sup>(1)</sup>

لقد صارت تلك الديانات رسوما بلا معنى، وهياكل من الشعائر بلا روح، فاحتقرت الإنسان الذي لا ينتمي إلى دائرة "الأنا"، وأبعدت "الآخر" عن ظلال تمييزها الوارفة، كما هو شأن الديانة اليهودية، التي ازدرت الإنسان غير اليهودي وجعلته في مصاف البهائم السوائم، بما وضعت ونسجت من نصوص مقدسة، أضفت القداسة على السلالة العبرية، ونسبت باقي البشرية إلى النجاسة والهوان. ويصف الندوي حالة تلك الديانة بقوله: "أصبحت اليهوديّة مجموعة من طقوس وتقاليد لا روح فيها ولا حياة، وهي -بصرف النظر عن ذلك- ديانة سلاليّة، لا تحمل للعالم رسالة، ولا للأمم دعوة، ولا للإنسانيّة رحمة."<sup>(2)</sup> ويذكر محمد الناصري أنه تمّ تطويع النص الديني لإثبات التفوق اليهودي على كل الأمم، باعتبارهم "شعب الله المختار"، الشعب الخاص والمقدس للرب، الشعب الذي سخّرت كل الأمم لخدمته.<sup>(3)</sup> كما جاء في سفر التثنية: [لأنّك شعب مقدّس للربّ إلهك وقد اختارك الربّ لتكون له شعبا خاصّا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض]<sup>(4)</sup>.

(1) السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، تحقيق: سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير: دمشق، ط3: 2004م. ص59.

(2) المرجع السابق، ص59.

(3) العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، محمد الناصري، دار الهادي: بيروت، ط1: 2009م. ص119.

(4) سفر التثنية 14: 2 (ترجمة فان دايك، ص226).

وأما الديانة المسيحية، فإن بولس قد أطفأ ما فيها من نور النبوة، وطمس ما بها من تعاليم المسيح عليه السلام، حتى أصبحت النصرانية مزيجاً من خرافات ووثنيات اليونان والرومان وسائر البلدان، "وعادت نسيجاً خشبياً من معتقدات وتقاليد لا تغذي الروح، ولا تمد العقل ولا تشعل العاطفة، ولا تحل معضلات الحياة، ولا تنير السبيل، بل أصبحت بزيادات المحرفين، وتأويل الجاهلين، تحول بين الإنسان والعلم والفكر، وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية."<sup>(1)</sup> كما صارت بعد تحريفها وبالا وحرباً على البشرية، وسيفاً على الرقاب، وناراً تلتهم الأخضر واليابس؛ فإذا كانت اليهودية تحتقر "الآخر" فإن المسيحية تضطهده باسم العالمية وتعاليم المحبة. يقول الناصري: "وكذلك الشأن بالنسبة للديانة المسيحية وبعد تحريفها، أعلنت حربها ضد «الآخر»، وقصرت مهمة المسيح في حمل السيف."<sup>(2)</sup> لما ورد في إنجيل متى: [لا تظنّوا أنّي جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً]<sup>(3)</sup>. وكذلك ما جاء في إنجيل لوقا: [جئت لألقي على الأرض ناراً، وما أشدّ رغبتني أن تكون قد اشتعلت! ... أتظنّون أنّي جئت لأحلّ السّلام في الأرض؟ أقول لكم: لا، بل الانقسام]<sup>(4)</sup>.

فجاءت المسيحية بالسيف والنار، وبهما فرضت على سائر الأمم التي أجبرت قسراً على التحول إلى المسيحية، يقول محمد الناصري: "وكانت المسيحية -آخر الديانات

(1) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص 42.

(2) العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، محمد الناصري، ص 120.

(3) إنجيل متى 10: 34 (ترجمة فان دايك، ص 14).

(4) إنجيل لوقا 12: 49-51 (الترجمة اليسوعية، ص 239).

قبل الإسلام- قد فرضت فرضا بالحديد والنار ووسائل التعذيب والقمع التي زاولتهما الدولة الرومانية بمجرد دخول الإمبراطور قسطنطين في المسيحية.<sup>(1)</sup>

وعلى العموم فإن عالمية سائر الحضارات والديانات قبل الإسلام كانت تفرض بقوة السلاح، وبالقهر والاستبداد، كما يقول طه جابر العلواني: "كانت العالمية قبل الإسلام قد فرضت على أيدي الهلنيين والرومان في إطار مبادئ قهر الإنسان للإنسان المتوارثة الشائعة لدى أمم الأرض."<sup>(2)</sup>

وكانت هذه العالمية تقوم دوما على حساب كرامة "الآخر" وحرية، فالغالب يقهر المغلوب ويرغمه على الذوبان في نظامه الثقافي، ويجبره على قبول منظومته القيمية ويكرهه على الدخول في عالميته المسيطرة، وبهذا يعيد صياغة "الآخر" وصناعته من جديد وفق نموذج الحضارة المهيمنة. فقهر "الآخر" واحتقاره، والاستيلاء على كل مقوماته الفكرية والدينية والدينية هو القانون السائد في عامة الحضارات القديمة، يقول علواني: "ولقد مرت بتاريخ البشرية فترات سادت فيها مفاهيم ومعايير وقواعد «العالميات المختلفة» التي حاول إقامتها الحيثيون والفراعنة والبابليون، وكذلك الهكسوس والسومريون والأكاديون، ثم جاء من بعدهم العبرانيون والهلينيون والرومان، وقد كانت كل تلك المحاولات تغفل عن الرؤية السليمة لطبيعة الكون

(1) العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، محمد الناصري، ص 66.

(2) المسلم والآخر في بلدان الأقليات المسلمة، مجمع الفقه الإسلامي بالهند، دار الكتب العلمية: بيروت،

ط1: 2007م. ص 94.

والحياة والإنسان وعلاقتها بالخالق العظيم -جل شأنه-، وتحاول أن تقدّس الذات وتحتقر الغير.<sup>(1)</sup>

وإذا كان الانحراف عن القيم السامية والأخلاق الراقية هو الحال الذي آلت إليه الرسالتان السماويتان، فإن الديانات الوضعية الوثنية كانت أشدّ فسادا وكسادا، فقد بنيت المجوسية في إيران منذ قديم الزمان على عبادة العناصر الطبيعية، فعكفوا على عبادة النار، وحيث إن معبودهم لا يأمر ولا ينهى فإنهم عاشوا أحرارا لا فرق بينهم وبين من لا دين لهم ولا خلاق. وأما البوذية الهندية والآسيوية فقد تحولت إلى وثنية تحمل معها الأصنام حيث سارت. وفاقته البرهمية في الهند في عدد المعبودات التي بلغ تعدادها في القرن السادس إلى 330 مليون آلهة. وهذه الوثنيات هو ما كان قد انتشر أيضا في بلاد العرب، إذ كان في جوف الكعبة وفنائها ثلاث مائة وستون صنما.<sup>(2)</sup>

فكانت عبادة الأحجار والأوثان في العمق اغتياالا للعقل وامتهانا لكرامة الإنسان، كما أن الخضوع والتذلّل لعناصر الطبيعة استخفاف بالإنسان، وهدر لكرامته، واستهانة بمنزلته التي حباه الله تعالى إياها في هذا الوجود. وإنّ ما آلت إليه كل من الرسالتين السماويتين، والديانات الوضعية ليدفع في اتجاه واحد، ويسوق إلى مصير واحد، هو ضياع الإنسان وانحطاطه، ومن ثمّ هوان "الآخر" تبعا.

فوسط الفوضى العارمة التي تتخبط فيها البشرية دينيا واجتماعيا، والتي عمّت بلواها جميع الحضارات وكافة الديانات، كان منطق "الأنا" المستعلي والمتسلط الذي لا

(1) المسلم والآخر في بلدان الأقليات المسلمة، ص 77.

(2) ينظر: السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص 62-66.



يلمح في "الآخر" إلا كونه محلاً لتحقيق الذات وإشباع الرغبات، هو الطابع العام الذي اتسمت به العلاقات بين الأمم والشعوب، وكان هو الصفة البارزة لطبيعة الأواصر الواصلة بين الأفراد والجماعات، فلم يكن للتفكير في قيمة وكرامة "الآخر" مجال، ولا مكان آنئذ للحديث عن معاني الكرامة والمساواة والأخوة الإنسانية؛ فقد علا خطاب الاستعلاء، وطغى منطق القوة والغلبة، وساد قانون القوي يقهر ويستولي على الضعيف، كما كان في مقابل استعلاء "الأنا"، النظرة الدونية والاحتقار والاستصغار اتجاه "الآخر" هو المبدأ القائم في ذهن الجاهلي وواقع الجاهلية.

وفي هذا الشأن يتحدث محمد الناصري عن السياق الذي نزل فيه القرآن وظهر فيه الإسلام قائلاً: "ظهر الإسلام في زمن عدم الاعتراف بالآخر دينياً وحضارياً، فالحضارات التي سبقت الإسلام «الفرعونية، الإغريقية، الرومانية» وبقدر ما قدمت من نفع للإنسانية على المستوى المادي، بقدر ما أكدت في المجال الاجتماعي على مبادئ الاستبداد التي حكمت على الآخر بالدونية والاحتقار والإلغاء."<sup>(1)</sup>

وقد كانت مقاليد الحكم قبل البعثة وإبانها، والتسلط على أمم الأرض في القرن السادس المسيحي، تتقاسمه قوتان، ويتجاذب أطرافه إمبراطوريتان: الرومانية الشرقية

(1) العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، محمد الناصري، ص 119.

أو البيزنطية<sup>(1)</sup> في الغرب، والساسانية الفارسية<sup>(2)</sup> في الشرق، وقد احتلت هاتان الدولتان صدارة العالم، إلا أنهما كانتا قد فقدتا مقومات البقاء، لما انحدرتا إليه من الهوان على كافة الأصعدة، وعلى جميع المستويات الدينية والأخلاقية والاجتماعية وغيرها، وهذا ما أشار إليه أبو الحسن الندوي، حينما وصف ما آلت إليه الحالة الاجتماعية والاقتصادية في إمبراطورية الرومان من الانحلال والتردي، فقال رحمه الله: "بلغ الانحلال الاجتماعي غايته في الدولة الرومية والشرقية، وعلى كثرة مصائب الرعية ازدادت الإتاوات، وتضاعفت الضرائب. حتى أصبح أهل البلاد يتذمرون من الحكومات. ويمقتونها مقتا شديدا. ويفضلون عليها كل حكومة أجنبية."<sup>(3)</sup>

ولهذه الأسباب، من الفساد السياسي والكساد الاقتصادي، والشطط في استعمال السلطة، انفجر الضغط الاجتماعي، وحدثت اضطرابات وثورات شعبية أودت بحياة

(1) الإمبراطورية الرومانية الشرقية هي المعروفة بالإمبراطورية البيزنطية ويعرفها العرب بالروم، وكانت تحكم في العصر الذي نتحدث عنه، دول اليونان والبلقان، وآسيا الصغرى؛ وسورية وفلسطين، وحوض البحر الأبيض المتوسط بأسره؛ ومصر، وكل إفريقيا الشمالية، وكانت عاصمتها القسطنطينية، وكان ابتداء الإمبراطورية المذكورة سنة 395؛ وانتهأؤها بغلبة العثمانيين على القسطنطينية سنة 1453 م. (السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، هامش ص 69).

(2) كانت أعظم من الإمبراطورية الرومانية الشرقية- بعد انشقاقها عن الإمبراطورية الرومانية الكبرى- مساحة وأبهة وثروة؛ وقد تأسست على يد «أردشير» في سنة 224 م، وكانت تحكم حين بلغت أوجها: خوزستان، وميديه، وفارس، وأذربيجان، وطبرستان، ... والعراق، واليمن من الجزيرة العربية، وقد دخلت بعض ولايات الهند في حكمها في بعض الفترات، وقد اتسعت هذه الإمبراطورية اتساعا كبيرا منذ القرن الرابع المسيحي، وقد أوغلت في الشمال والشرق وبلغت أقصى حدودهما. وقد كانت طيسيفون (المدائن) عاصمة الإمبراطورية، ومقر الإمبراطور الإيراني، وكانت مجموع مدائن كما يبدو من اسمها العربي، وقد بلغت أوجها في الرقي والمدنية والبذخ؛ في القرن الخامس إلى ما بعد. (السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، هامش ص 71).

(3) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص 45.

الأعداد الهائلة من الناس. وآل حال الرومان إلى الفوضى بعد ضغط الحكام على الشعوب: "وحدثت اضطرابات إثر اضطرابات، وثورات إثر ثورات، وقد هلك عام 532م في اضطراب واحد في عهد جيستن الأول (Justin, I) ثلاثون ألف شخص في القسطنطينية - عاصمة المملكة- وأصبح الهم الوحيد اكتساب المال من أي وجه، ثم إنفاقه في الترف، وقد أمعنوا في طرق التسلية، حتى وصلوا فيها إلى الوحشية".<sup>(1)</sup>

أما الجانب الأخلاقي عند الرومان فقد بلغ في الانحطاط ما يوحى بقرب الانهيار وزوال هيمنة الإمبراطورية، حيث "ذابت أسس الفضيلة. وانهارت دعائم الأخلاق. حتى صار الناس يفضلون العزوبة على الحياة الزوجية ليقضوا مآربهم في حرية. وكان العدل ... يباع ويساوم مثل السلع. وكانت الرشوة والخيانة تنالان من الأمة التشجيع".<sup>(2)</sup> وينقل الندوي عن المؤرخ "إدوارد جيبون" Edward Gibbon قوله: "وفي آخر القرن السادس وصلت الدولة في ترديها وهبوطها إلى آخر نقطة. وكان مثلها كمثلدوحة عظيمة كانت أمم العالم في حين من الأحيان تستظل بظلها الوارف. ولم يبق منها إلا الجذع الذي لا يزداد كل يوم إلا ذبولاً".<sup>(3)</sup>

وبالنظر إلى الطرف المقابل في الشرق، نجد أن الإمبراطورية الإيرانية الساسانية، لا تقل شرًا وسوءًا عن منافستها الرومانية، فقد تدنت فيها القيم الأخلاقية إلى درجة انتكاس الفطرة ومخالفة ما تواضع أهل العقول على تحريمه وإنكاره. ويصف الندوي

(1) السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص 69-70.

(2) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص 46.

(3) The History of Decline and Fall of the Roman Empire by Edward Gibbon، نقلا عن: ماذا خسر

العالم بانحطاط المسلمين، للندوي، ص 46.

هذه الصورة القاتمة بقوله: "أما فارس التي شاطرت الروم في حكم العالم المتمدن فكانت الحقل القديم لنشاط كبار الهدامين الذين عرفهم العالم، كان أساس الأخلاق متزعزعا مضطربا منذ عهد عريق في القدم، ولم تزل المحرمات النسبية التي تواضعت على حرمتها ومقتها طبائع أهل الأقاليم المعتدلة موضع خلاف ونقاش، حتى إن يزدجرد الثاني الذي حكم في أواخر القرن الخامس الميلادي تزوج بنته ثم قتلها، وأن بهرام جوبين الذي تملك في القرن السادس كان متزوجا بأخته".<sup>(1)</sup>

فكانت الأخلاق والقيم في أزمة حقيقية، سيما بعد ظهور "مزدك" <sup>(2)</sup> Mazdak في أواخر القرن الخامس المسيحي الذي ولد عام 487م، والذي أعلن أن "الناس ولدوا سواء لا فرق بينهم، فينبغي أن يعيشوا سواء لا فرق بينهم، ولما كان المال والنساء مما حرصت النفوس على حفظه وحراسته كان ذلك عند مزدك أهم ما تجب فيه المساواة والاشتراك".<sup>(3)</sup> وإلى هذا الحد بلغ السفول بالإنسانية في الفرس، فصارت تصغي للأصوات النشار المخالفة للعقل والفطرة والحلقة السوية، وتتبع "مزدك" الذي طغى "فدعا إلى

<sup>(1)</sup> ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص 56.

<sup>(2)</sup> مزدك Mazdak المتوفى حوالي 528م: زعيم دين فارسي، قاد حركة مناهضة للزرادشتية Zoroastrianism السائدة في عهده، وأسس المزدكية التي قالت بوجود مبدئين أصليين هما الخير (أو النور)، والشر (أو الظلام)، والتي دعت إلى المشاركة في الأموال والنساء. وفق إلى إقناع ملك الفرس قباد الأول Kavadh I بالدخول في دينه ولكن الكهان الزرادشتيين والنبلاء الفرس نقموا عليه فقتل بعد ارتداد قباد عن المزدكية. (معجم أعلام المورد، ص 424).

<sup>(3)</sup> ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص 57.

إباحة الأموال والنساء، وجعل الناس شركاء فيها، وقويت دعوته، وكان الناس يدخلون على الرجل في داره، فيغلبونه على منزله وأمواله، لا يستطيع الامتناع منهم.<sup>(1)</sup>

وإلى هذا الأمد بلغ التردّي الأخلاقي في المجتمع السّاساني، الذي ساد فيه الاستعباد، واستفحل فيه التفاوت الطبقي، وترسّخ تأليه البشر من الحكام، ليكون المقابل لذلك هو الاستخفاف بالعقول وامتهان الإنسان، فغابت الكرامة والشيم الفاضلة عن ساحة البشرية في تلك الدولة الآيلة إلى السقوط. فقد "كانت الأحوال سيئة جدّا في هذه الإمبراطورية -الإيرانية السّاسانية- في القرن السادس المسيحيّ، فكانت تحت رحمة الملوك الذين كانوا يحكمون بالوراثّة، ويرون أنفسهم فوق الناس وفوق بني آدم، وكانوا يخاطبون بكلمة «الإله» وتضاف إليهم كلمة الألوهية بطريق مكشوف."<sup>(2)</sup> وفي شأن الفوارق الطبقيّة في المجتمع يقول الندوي: "وكان في هذا التفاوت بين طبقات الأمة امتهان للإنسانية يظهر لك جليا في مجالس الأمراء والأشراف، حيث يقوم الناس على رؤوس الأمراء كأنهم جماد لا حراك بهم ويجلسون مزجر الكلب."<sup>(3)</sup>

ولم يقتصر الهوان والانحطاط للقيم والأخلاق على الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية، بل عمّ السفل جميع أرجاء الدنيا، وطمّ إفلاس الإنسان في سائر أنحاء المعمورة، فما من بقعة عمران بشري إلا وللخراب الأخلاقي فيها نصيب.

(1) السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص72.

(2) المرجع السابق، ص73.

(3) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للندوي، ص61.

فالهند والصين وأمم آسيا الوسطى وسائر أوروبا كانت كلها تعيش في ظلام حالك من الجهل وأخلاق الجاهلية، على غرار قبائل العرب. "أمّا الهند ... فقد اتّفقت كلمة المؤرّخين لها على أنّ أحطّ أدوارها ديانة، وخلقا، واجتماعا، ذلك العهد الذي يبتدئ من مستهلّ القرن السادس الميلاديّ، فانتشرت الخلاعة حتّى في المعابد وأصبحت لا عيب فيها، ... وكانت المرأة لا قيمة لها ولا عصمة، وكان الرجل قد يخسر امرأته في القمار، وإذا مات زوجها صارت كالموودة لا تتزوج ولا تستحق احتراماً".<sup>(1)</sup>

وإذا يَمَنّا نحو الصين فإنّ الحالة الدينية فيها قد بلغت مبلغا كبيرا من السوء، فقد "أصيبت البرهمية والبوذية بالانحطاط، ودخلت فيها العادات الساقطة ... فلم تكن عند الصينيين رسالة دينية للعالم يحلون بها مشاكله".<sup>(2)</sup> ولم تكن آسيا الوسطى أفضل حالا ولا أحسن دينا من جارتها الصين، حيث إن سائر الأمم "في آسيا الوسطى وفي الشرق، كالمغول والترك واليابانيين، ... كانت بين بوذية فاسدة، ووثنية همجية، لا تملك ثروة علمية، ولا نظاما سياسيا راقيا، إنما كانت في طور الانتقال من عهد الهمجية إلى عهد الحضارة، ومنها شعوب لا تزال في طور البداوة والطفولة العقلية".<sup>(3)</sup>

ولا يختلف حال الأمم الأوربيّة - المتوغّلة في الشمال والغرب - عن حال الأمم في شرق المعمورة، إذ كانت هي أيضا تعيش في ظلام حالك من الجهل والأميّة، والحروب الدامية، وكانت بعيدة عن جادة قافلة الحضارة الإنسانية ولا شأن للعالم بها ولا شأن لها

(1) السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص75.

(2) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للندوي، ص61.

(3) المرجع السابق، ص68.

بالعالم.<sup>(1)</sup> وقد بلغ الضياع بالأوربيين وهوان الإنسان عندهم إلى حد صاروا فيه يبحثون في شأن المرأة هل هي حيوان أم إنسان، وهل لها روح خالدة أم ليست لها روح خالدة، وهل لها حق الملكية، والبيع، والشراء، أم ليس لها شيء في ذلك؟!<sup>(2)</sup>

يقول "روبرت بريفولت" Robert Briffault: "لقد أطبق على أوربة ليل حالك من القرن الخامس إلى القرن العاشر، وكان هذا الليل يزداد ظلاما وسوادا، وقد كانت همجية ذلك العهد أشد هولا، وأفظع من همجية العهد القديم، لأنها كانت أشبه بجثة حضارة كبيرة قد تعفنت، وقد انطمست معالم هذه الحضارة، وقضي عليها بالزوال، وقد كانت الأقطار الكبيرة التي ازدهرت فيها هذه الحضارة وبلغت أوجها في الماضي، كإيطاليا، وفرنسا، فريسة الدمار والفوضى والخراب."<sup>(3)</sup>

ولم تكن أمة العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في منأى عن هذه الآفات التي أصابت العالم بأسره، فخاضوا مع الخائضين، واتَّبَعُوا أهواءهم، وانحرفوا عن الفطرة، "فساءت أخلاقهم، فأولعوا بالخمَر والقمار، وبلغت بهم القساوة والحمية المزعومة إلى وأد البنات، وشاعت فيهم الغارات، وقطع الطُّرُق على القوافل، وسقطت منزلة المرأة، فكانت تورث كما يورث المتاع أو الدابة."<sup>(4)</sup> وكانوا قبل البعثة قبائل متفرقة

(1) ينظر: السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص78.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص78.

(3) نقلا عن: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للندوي، ص51-52.

(4) السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص78-79.

متناحرة، يقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضهم بعضا، وكان الاستبداد هو القانون المسيطر على قبائل العرب، كما أن التمييز الطبقي بين السادة والعبيد كان وباء مستفحلا.<sup>(1)</sup>

ولم يبق إذن في ذلك الزمان من أمم الدنيا من يصلح لخلافة الله تعالى وعمارة الأرض، وليس فيها من هو مؤهل لأن يستأمن على الإنسان في كرامته وتشريفه وسعادته ومصيره، فكل ما يوجد في ذلك الوقت من الحضارة والمدنية، والهمجية أيضا، كلها تدفع بالإنسان نحو الشقاء الأبدي، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، بسبب الظلم والضلal الذي ساد واستأسد في سماء الأمم، يقول أبو الحسن الندوي: "وبالجملة لم تكن على ظهر الأرض أمة صالحة المزاج، ولا مجتمع قائم على أساس الأخلاق والفضيلة، ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرحمة، ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة، ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء."<sup>(2)</sup>

فبعيدا عن هدي النبوة وأنوارها، عاشت الأمم في ليل مطبق، وصارت حرمان الإنسان مستباحة وأضحت إنسانيته مهدورة في جميع البقاع، وساد هوان البشرية في كل الأصقاع، وسقطت كرامة بني آدم في أكبر وأكثر الأمصار تحضرا وتمدنا في القرن السادس الميلادي، بله باقي البلدان المتخلفة عن الركب الحضاري؛ فنجد حسب ما يقرره الندوي أن غطرسة ملوك إيران احتقرت الإنسان والإنسانية، واعتبرت حكامها فوق مستوى البشر<sup>(3)</sup>. ويضيف كذلك عن الرومان قائلا: "ولم يكن الرومان يختلفون

(1) ينظر: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحمد بن عثمان المزيد، مدار الوطن للنشر: الرياض، ط1: 2010م، ص37.

(2) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للندوي، ص91.

(3) ينظر: السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص90-91.



عن الإيرانيين كثيرا، وإن لم يبلغوا شأوهم في الوقاحة وامتهان الإنسانية وإهدار كرامتها"، وينقل عن المؤرخ الأوربي "فيكتور شوبار" Victor Chopard قوله: "كانت القياصرة آلهة، ولم يكن ذلك عن طريق الوراثة، بل كان كل من تملك زمام البلاد إلها".<sup>(1)</sup> ولم يختلف الشأن في باقي بقاع الأرض التي أساءت جميعها إلى الإنسان وأضاعت كرامته؛ فبالنظر إلى القارة الهندية مثلا نجدها قد "بلغ فيها إهدار كرامة الإنسان، وازدراء الطبقات التي اعتبرها الشعب الآري المحتل للبلاد، والقانون المدني الذي وضعه مشرّعه، مخلوقا خسيسا لا يتميز عن الحيوان الدّاجن إلا بأنه يمشي على اثنين، ويحمل صورة الآدمي ... مبلغا يصعب تصوّره"<sup>(2)</sup> من الانحطاط والدناءة والسفول بقيمة وقدر الإنسان، أما بلاد العرب، فإن القرن السادس بالنسبة لهم، كان "من أشدّ الفترات التي مرّت بها الجزيرة العربية ظلما وانحطاطا".<sup>(3)</sup>

ومجمل القول إن الإنسان في ظل هذا الانفلات من مبادئ الفطرة، وضرورات العقل، وهدايات الإيمان، وعدل الشرائع، صار بلا قيمة ولا كرامة في ربوع الدنيا، وأضحى من العبث في هذا السياق التاريخي الحديث عن كرامة "الآخر"، والاعتراف به، وصون حقوقه، فكل تلك القضايا بالنظر إلى ذلك العصر تعدّ من المثاليات، التي لا محل لها في حياة ماديّة علا فيها صوت الجهل، وطغى منطق القوة على قوة المنطق والفهم السليم، وغاب العقل وانتكست الفطرة، فكانت الإنسانية في هبوط مهول نحو قاع سحق، وإلى هاوية لا قرار لها، لولا رحمة ربي بأن بعث في الأمة رسولا هاديا، وأنزل معه

(1) The Roman World, p. 814، نقلا عن: السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص93.

(2) السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص94.

(3) المرجع السابق، ص101.

القرآن الكريم نورا ونبراسا تستنير به الإنسانية طريقها وتخرج به من ظلماتها، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ۚ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(1)</sup>.

وانطلاقا من كل ما ذكر سلفا، يمكن القول إن السياق التاريخي الذي نزل فيه القرآن، كان نفي "الآخر" واضطهاده والاستهانة بكرامته هو الطابع العام في كل الحضارات والديانات، وإن إقصاء "الآخر" والنظرة الدونية هو ما كان سائدا في كافة أنحاء العالم آنذاك، وذلك لهوان قيمة الإنسان ودنو قدره في عين أخيه الإنسان في تلك الأزمان، فكانت الإنسانية حقا في أحلك أوقاتها وأبأس حالاتها، يقول الندوي رحمه الله: "وقصارى القول: إن القرن السادس المسيحي -الذي كانت فيه البعثة المحمدية- وما يليه من فترة زمنية، كان من أحط أدوار التاريخ، ومن أشدها ظلما ويأسا من مستقبل الإنسانية وصلاحيتها للبقاء والازدهار."<sup>(2)</sup>

فكانت البشرية في ذلك القرن تسير في نفق مظلم نحو الهلاك، "وبالجملّة فقد كانت الإنسانية في عصر البعثة في طريق الانتحار، ... وكان الناس في شغل شاغل ... لا يفكرون في الروح والقلب، والسعادة الأخروية وخدمة الإنسانية."<sup>(3)</sup> كما أن إنسان ذلك العصر كان "إنسانا حائرا ضائعا ليس في قلبه إلا الخوف والجزع، وليس في عقله إلا

(1) سورة المائدة، الآية 17-18.

(2) السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص 83-84.

(3) المرجع السابق، ص 85.

الخواء والخرافات .. وكان هذا هو حال إنسان ما قبل شريعة الإسلام. <sup>(1)</sup> إنسان تائه وتافه، يعيش في جاهلية حياة مائعة، مهدور الكرامة لا قدر له. "فالمجتمع الجاهلي قبل الإسلام شهد هدرا كبيرا لكرامة الإنسان، فقد كانت الأحوال متردّية ساقطة هابطة في العالم الإنساني بأسره، وقد عمّ الفساد كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية على السواء، وباتت الدنيا في ظلام دامس." <sup>(2)</sup>

ولذلك كانت البشرية في أمس الحاجة إلى من يقود ركبها إلى مرافئ الأمان، ويسوقها موكبها إلى الملاذ السعيد، ويخرجها من غياهب الظلمات إلى أنوار رب الأرض والسموات، ومن مهانة عبادة العباد إلى عزّ عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. وهذا ما لا يتم إلا بصناعة الإنسان من جديد، وصياغته على أنوار الوحي وهدى النبوة، فالقضية ليست مجرد إصلاح بسيط لانحراف محدود في السلوك الإنساني، وإنما يتعلق الشأن بتغيير جذري وعميق، يزيل عن الإنسانية أنقاض الجاهلية، ويقيم البناء الشامخ الذي يسع الأمم كلها، فالمسألة إذن هي "قضية إنشاء إنسان جديد، يختلف عن الإنسان القديم في كل شيء، كأنّه ولد من جديد، أو عاش من جديد" <sup>(3)</sup> مصداقا لقوله تعالى: ﴿أَوْمَسَ كَانَ مَيْتًا

<sup>(1)</sup> المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، راغب سرجاني، مؤسسة اقرأ: القاهرة، ط1: 2011م. ص396.

<sup>(2)</sup> المرجع السابق، ص396.

<sup>(3)</sup> السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص103.

فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَا مَثَّلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا<sup>(1)</sup>.

وبالقرآن الكريم يحي الإنسان ويكون له شأن، ويصير ذا قيمة وكرامة، وينجو من هوان الدنيا الآخرة؛ وعليه فإن القضية في البعثة النبوية ونزول القرآن هي "الأخذ بحجز الإنسانية المنتحرة التي استجمعت قواها للوثوب في جحيم الدنيا والآخرة، والسلوك بها على طريق أولها سعادة يحظى بها العارفون المؤمنون، وآخرها جنّة الخلد التي وعد المتّقون."<sup>(2)</sup> ولا أبلغ في تصوير هذا المعنى من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾<sup>(3)</sup>.

فبعد أن كانت الإنسانية على شفا جرف من جحيم الدنيا والآخرة، جاء اللطف الإلهي، ونزلت رحمت المولى تبارك وتعالى، وبعث سبحانه في الأمة محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله تعالى بإذنه وسراجا منيرا، لينير الله به قلوب عباده، ويهدي به من اتبع رضوانه سبل السلام. فبعد أن ساد الظلم أرجاء الدنيا، وعم الاستعباد لغير رب العباد بقاع الأرض، وغاصت الأمة في دياجير الظلمات لدهر طويل، لاح ذاك النور النبوي الهادي، هناك في جزيرة العرب، ليضيء للإنسانية جمعاء في أنحاء الدنيا دروبها الحالكة، ويأخذ بيدها إلى السبل السالكة، ويرد العبد الأبق التائه إلى

(1) سورة الأنعام، الآية 123.

(2) السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، ص 104.

(3) سورة آل عمران، الآية 103.

خالقه ومولاه، ويصنع الإنسان من جديد، الإنسان القرآني المجيد، الإنسان الكريم الذي يرفع الإنسانية مكانتها، ويحفظ للبشرية كرامتها، ويعرف للخالق قدره، وللخلق حقوقهم.

وقد أورد راغب سرجاني في وصف ما كانت عليه الإنسانية من الطغيان وما نالها من الخير بعد البعثة النبوية، ما نصه: "في هذا الجوّ المفعم بالاستعباد والاستبداد أرسل الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم فأعاد إلى الإنسانية كرامتها المهدورة، وشرفها الضائع، وردّها إليها اعتبارها وقيمتها، وأعلن أن الإنسان أعزّ مخلوق في الكون، وأعلى جوهر في العالم، وكان الشعار العام الذي رفعه القرآن -رسالة الله إلى العالمين- واضحاً جلياً: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(1)</sup>»<sup>(2)</sup>.

وصفوة القول في هذا الباب إن القرآن الكريم نزل في سياق تاريخي ديني وحضاري لا يعترف بالآخر ولا يصون كرامته، فجاء بتعاليم سماوية ترجع الإنسان إلى إنسانيته، وتهديه إلى سبل سعادته، وتبين له قدره ومنزلته، وتخبره بما حظي به عند الله من التكريم العام لجميع بني آدم، والتكريم الخاص بالمؤمنين؛ ولزم من ذلك أن "الآخر" أيضاً كيفما كان جنسه أو دينه، إنسان ذو كرامة مصونة بنصّ الوحي، وهذه هي النظرة التي بينها القرآن الكريم، وهي الصورة التي حدّتها نصوص كتاب الله تعالى كما سيأتي بيان ذلك في المحور الموالي.

(1) سورة الإسراء، الآية 70.

(2) المشترك الإنساني، راغب سرجاني، ص 396-397.

## المبحث الثاني: "الآخر" في القرآن الكريم إنسان مكرم.

إن جميع شرائع الله تعالى جاءت لتقرير كرامة الإنسان، ولتحقيق سموه وإنسانيته، ولبيان حقوقه وواجباته؛ وإن كافة أحكام الرب تبارك وتعالى ما وضعت في الأصل إلا لأجل أن ينال الإنسان مكانته العليا التي حباه المولى إياها، ويحقق سعادة الدارين. "فالإنسان وحياته وسعادته، وإحقاق الحق ورفع الظلم، وتحقيق العدالة، هي الهدف من إنزال هذه التشريعات"<sup>(1)</sup>. يقول راغب سرجاني: "يبدو واضحاً أن من أعظم الحقائق التي أنزل الله عزّ وجلّ من أجلها الشرائع السماوية الثلاث «اليهودية والمسيحية والإسلامية» هي الحفاظ على كرامة الإنسان، وضمان حقوقه وحياته، وفق تشريعات إلهية جعلت كرامة الإنسان جزءاً لا يتجزأ من الإيمان بها والتصديق بمبادئها."<sup>(2)</sup>

إلا أن ما طال الكتابين السماويين التوراة والإنجيل من التحريف، أهدر كرامة الإنسان وضيع حقوقه، واحتقر "الآخر" وشرّع لكثير من الأحكام المجحفة في حقه، وفي حق الإنسانية عموماً. فنجد أن التوراة تأصل لعقيدة تميّز العرق اليهودي على غيره، وتحتقر كل من لا تربطه بشعب إسرائيل روابط دموية وسلالية، وذلك بناء على فكرة الاختيار الإلهي، التي صار بمقتضاها اليهود شعب الرب الخاص، وصار "يهوه" رب اليهود الخاص، وهم بذلك أبعادوا عن ساحتهم كل أجنبي وغريب، من الأغيار الذين يرونهم غير مؤهلين ولا مستحقّين أن يكون ضمن شعب الرب، وهو ما يمكن أن يفهم ضمن

(1) مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام التوراة والإنجيل والقرآن، فرمزي فتحي جوهر، مجلة كلية العلوم الإسلامية (جامعة الموصل)، المجلد: 8، العدد: 2/15، سنة: 2014م. ص 488.

(2) المشترك الإنساني، راغب سرجاني، ص 395.

إقصاء "الآخر" وإهدار كرامته، ولذلك جاءت تشريعاتهم لتناسب نفسية اليهود واستعلاءهم على غيرهم، واستصغارهم لكل من يقع خارج دائرة "الأنا" ممن ليس له صلة نسب تربطه بالشعب. فأولوا الوصايا العشر التي تضمنت العديد من التشريعات الحكيمة بما يتوافق مع أهوائهم، وأدخلوا في التوراة أحكاماً تشتمل على إجحاف كبير في حق الأغيار.

ويستنتج أحمد سوسة أنه لا يوجد في التوراة الحالية مما جاء به موسى عليه السلام إلا الوصايا العشر فقط، أما باقي التشريعات فهي من وضع اليهود، فهم من صاغها على مقاساتهم وبناء على ما يتناسب مع أمزجتهم. وذكر "أن الشريعة التوراتية التي بين أيدينا لم يضعها النبي موسى ... وأن الشريعة التي نادى بها النبي موسى تنحصر في الوصايا العشر، وأنه وضعها لجميع الأمم، أما كتبة التوراة الذين جاؤوا من بعده هم الذين دبجوها بقصد تنزيه أرومتهم فأوقعوا التوراة في كثير من التناقض."<sup>(1)</sup>

ولذا نجد أن الكثير من التشريعات اليهودية كانت عنصرية، وموجهة حصراً لليهود، ولا تشمل غيرهم، سيما تلك التي تتضمن أحكاماً تحفظ كرامة الإنسان، فيكون المقصود بها هو كرامة أفراد شعب إسرائيل، ويدلّ على ذلك كلمات يكثر ترددها في التوراة، من قبيل "أخوك"، و"جارك" و"صاحبك" و"قريبك"، كلها يكون المراد بها هو اليهودي لا غير. وذلك في مثل ما جاء في سفر اللاويين: [وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك، فأسنده وليعش معك كنزك وضيّف. لا تأخذ منه فائدة ولا ربي، بل آتق إلهك فيعيش أخوك معك. لا تعطه فضّتك بفائدة ولا طعامك برّبي ... وإذا افتقر أخوك معك

(1) مفصل العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، دار الوراق: بيروت، ط1: 2014م. ص447.

فباعك نفسه، فلا تستخدمه خدمة العبيد، بل كأجير وضيف يكون معك. ... لأنهم عبيدي، هم اللذين أخرجتهم من أرض مصر، فلا يباعوا بيع العبيد. لا تتسلط عليه بقساوة، بل آتق إهلك<sup>(1)</sup>.

فالعبري لا تؤخذ منه الربى، ولا يتسلط عليه، ولا يباع ولا يستخدم كالعبيد، بل يخدم لمدة محددة فقط كما نصت على ذلك التوراة: [إذا باعك أخوك العبراني نفسه أو أختك العبرانية نفسها، فليخدمك ست سنين، وفي السنة السابعة أطلقه من عندك حرًا]<sup>(2)</sup>. لأنه من خاصة الرب، ومن شعبه الذي تجاوز مع عقيدة الاختيار الكرامة إلى القداسة، فلا يستخدم على الدوام؛ وتشترع التوراة أن أخذ الربا واتخاذ العبيد إنما يكون من الأغيار فقط، الذين هانت في عين اليهود كرامتهم، فجاء فيها في شأن الربا: [لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة، أو ربا طعام، أو ربا شيء ما مما يقرض بربا. للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا ليباركك الرب إهلك]<sup>(3)</sup>. فمباركة الرب حاصلة لمن لا يأخذ الربا من أخيه العبري ويأخذها من الأغيار. وأما في شأن العبودية فقد جاء في التوراة ما نصه: [وعبيدك وإماءك الذين يكونون لك، فمن الأمم التي حواليك تقتنون العبيد والإماء. وأيضا من أبناء الضيوف المقيمين معكم تقتنون ومن عشائرتهم الذين عندكم، أولئك المولودين في أرضكم، فهم يكونون لكم ملكا. وتورثونهم لبنيتكم من بعدكم إرث ملك، وتستخدمونهم للأبد. وأما إخوتكم بنو

(1) سفر اللاويين 25: 35-43 (الترجمة اليسوعية، ص 272).

(2) سفر التثنية 15: 12 (الترجمة اليسوعية، ص 382).

(3) سفر التثنية 23: 19-20 (ترجمة فان دايك، ص 236).



إسرائيل، فلا يتسلّط أحدهم على أخيه بقساوة ... لأنّ بني إسرائيل عبيد لي، إنّهم عبيدي الذين أخرجتهم من أرض مصر: أنا الرّبّ إلهكم<sup>(1)</sup>.

فالتوراة هنا تؤكد على مسألة الاختيار، وتقرّر أن اليهود هم عبيد الرب وخاصة، فلا يليق أن يستبعدوا من قبل غيره؛ وأما الأغيار فليسوا عبيده، لذلك أجازت التوراة استعبادهم من قبل اليهود إلى الأبد، وهذه ازدواجية في المعايير هو ما ينطبق على سائر أحكام التوراة، فهي قاعدة مطردة وقانون يسري على جميع تشريعاتها. ومن ذلك مثلاً ما جاء أيضاً في سفر اللاويين: [فمتى بعت صاحبك مبيعاً أو اشتريت من يد صاحبك فلا يغبن أحدكم أخاه ... فلا يغبن أحدكم صاحبه بل اخش إلهك]<sup>(2)</sup>. وصاحبك هنا هو اليهودي، أما غير اليهودي فغشّه قرابة تقرب اليهودي من ربه يهوه.<sup>(3)</sup> فالكلمات مثل "الرفيق" و"الغريب" تدلّ على الأخ اليهودي، وليس أي إنسان آخر.<sup>(4)</sup> وفي هذه الإشارات كفاية، للدلالة على عنصرية أحكام التوراة، فعلى ذلك المنوال من الازدواجية في الخطاب تنهج سائر تعاليمها، فترعى قداسة اليهود وتهدر كرامة "الآخر".

وأما الإنجيل فلم يأت بتشريعات جديدة ترعى كرامة الإنسان، ولا يتضمن جوانب التشريع أصلاً، لأن الغالب عليه الوعظ وسرد قصص المسيح يسوع، الذي جاء مقررّاً لما تضمنته التوراة من أحكام، فقال: [لا تظنّوا أنّي جئت لأبطل الشريعة أو

(1) سفر اللاويين 25: 44-55 (الترجمة اليسوعية، ص 272-273).

(2) سفر اللاويين 25: 14-17 (ترجمة فان دايك، ص 149).

(3) ينظر: الإسلام واليهودية: دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين، عماد علي حسن، ص 506.

(4) ينظر: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحك، ص 72.

الأنبياء ما جئت لأبطل، بل لأكمل<sup>(1)</sup>. فتواصل ذلك الميز اليهودي في حق "الآخر" مع تعاليم المسيح، كما في قصة المرأة الكنعانية، وفيها يصف غير اليهود بأنهم كلاب. وخالف الإنجيل التوراة في انغلاقها على العرق اليهودي، وفتح الباب أمام سائر الأمم، ثم وافقها في دمويتها حين إعماله نصوص العالمية التي جاء بها بولس، فكان ذلك الانفتاح في التاريخ المسيحي مصحوبا بالدم. وأرغمت قبائل وشعوب على قبول المسيحية بقوة السيف والنار، وأبيدت أمم ومحي ذكرها من الوجود باسم المسيحية، ديانة المحبة، كما سبق الإشارة إلى ذلك في شأن جرائم الحروب المسيحية في الأندلس والأمريكتين وما حدث بين طوائفها من إبادة وتصفية، كما في حالة الكاثاريين. وعموما فقد أهدرت العالمية المسيحية دم الإنسان بله كرامته.

وأما القرآن الكريم فقد جاء منذ البداية بإعلان واضح جليّ، يقرّر فيه كرامة الإنسان أيّا كان أصله، وكيفما كان لونه وجنسه، ومهما اختلف معتقده ودينه، فالتكريم الإلهي من لوازم طبيعة الإنسان؛ وجاءت تشريعات القرآن منسجمة تماما مع مقتضى هذه الكرامة الإنسانية، التي صانها دين الإسلام القائم على تعاليم كتاب الله تعالى، يقول سرجاني: "لقد ضمن الإسلام كرامة الإنسان من خلال تشريعاته، وجعل هذه التشريعات جزءا من عقيدة المسلم، لا يكتمل إيمانه إلا بها، وربط كل ذلك بالشواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فلا يحيف أحد عنها إلا بقدر ما يحيف عن دينه وعقيدته،

(1) إنجيل متى 5: 17 (الترجمة اليسوعية، ص 47).

فليس في الإسلام فضل لأحد على أحد، فتعاليم الإسلام تكفل للإنسان -أي إنسان- حقوقه، مهما اختلف لونه وطبعه وجنسه ودينه.<sup>(1)</sup>

إن المنهج القرآني جاء بتغيير النظرة الجاهلية للإنسان، بإعلان إلزامية التكريم للكيان الإنساني، وبتقرير الكرامة للناس أجمعين<sup>(2)</sup>، "بغض النظر عن معتقداتهم وألوانهم وثقافتهم وأعمارهم ومواقعهم، وهي شاملة لهم أحياء وأمواتا. وقد جاء النص على هذه الكرامة بصيغة التحقيق المتضمنة لـ (اللام) و(قد). وفي صيغة التضعيف في لفظ كَرَّمَ، وفي التفضيل"<sup>(3)</sup>، وهذا كله جاء في الإعلان الإلهي عن هذه الكرامة الشاملة للبشرية جمعاء في قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(4)</sup>. وهذا التكريم هو ما اعترف به إبليس حينما اعترض على أمر الله له بالسجود لأبي البشرية آدم عليه السلام، وجاء خبر ذلك في السورة السابقة نفسها، في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾<sup>(5)</sup>. ثم يخبرنا المولى سبحانه عن جواب إبليس واعترافه بكرامة الإنسان في قوله سبحانه: ﴿قَالَ

(1) المشترك الإنساني، راغب سرجاني، ص 397.

(2) ينظر: منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي، تهاني عفيف يوسف جابر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: فرجينيا، ط 1: 2015م. ص 156.

(3) موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، مروان إبراهيم القيسي، ط: 2014م. ص 9.

(4) سورة الإسراء، الآية 70.

(5) سورة الإسراء، الآية 61.

أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَىٰ لَيْسَ أَخْرَجْتَ إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْمَةِ لَا خَتِنَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا  
فَلِيلًا<sup>(1)</sup>.

إن عبارة «بني آدم» شاملة لجميع الناس، دون تفريق بين مؤمن وكافر، أو تمييز بين برّ وفاجر، فجميع بني آدم مكرّمون تكريماً عاماً بمقتضى الخلق والإيجاد، فلا تفاضل بين الناس من جهة الآدمية، فهم فروع لأصل واحد، وانتسابهم يرجع إلى أصل واحد، وقد "قرر القرآن الكريم وحدة الجنس والنسب للبشر جميعاً، وكثيرة هي الآيات القرآنية التي تزكي هذه الحقيقة وتثبتها، وبهذا يكون القرآن الكريم، وخلافاً للديانات السماوية التي سبقته، قد جعل العنصر البشري واحداً، مهما اختلفت ألوانهم وأجناسهم وأعراقهم، فهم سواء في النسب للنفس الواحدة، ومن ثم حكم القرآن على كل فوارق الحدود الجغرافية، وصراع القوميات والأجناس بالذوبان."<sup>(2)</sup>

وهوماً يشير إليه محمد أبو زهرة بقوله: "اعتبر الإسلام الناس جميعاً أمة واحدة، الإنسانية تجمعها، وإذا فرقت الأهواء فالأصل واحد."<sup>(3)</sup> فالمبادئ القرآنية التي جاء بها الإسلام، تلغي كل الفوارق الطبقية، وتقطع مع كل تمييز على أساس الانتماء القبلي، فانتفى بذلك الميز العنصري، والعصبية القبلية.

والإنسان مكرم خلقة وطبيعة، فتلك كرامة موهوبة متصلة بفعل الله، ولا تفاضل بين الناس من جهة الجنس ولا اللون، فكل البشرية ترجع إلى أصل واحد،

(1) سورة الإسراء، الآية 62.

(2) العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، محمد الناصري، ص 82-83.

(3) العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي: القاهرة، ط: 1995م، ص 21.

فالأبيض والأسود من آدم، وقد خلقه الله من تراب، فلا فرق بين بني آدم من حيث المادة والمعدن؛ وهم سواء في ميزان الله تعالى، ولا تفاوت بين الناس إلا من جهة ما اكتسبوا من الإيمان وحصلوه من التقوى مما له صلة بفعل الإنسان نفسه.

أما الألوان والأحساب فلا تعدّ شيئاً في ميزان الشرع، وقد جاء القرآن الكريم بإلغاء كلّ هذه المقاييس المادية في التمييز بين البشر، والله تعالى لا يحابي في الحق جنساً ولا عرقاً بعينه، ولا يرفع شأن الإنسان عند خالقه إلا العمل الصالح، أما لونه وشكله وجنسه وأصله، فلا قيمة فريدة ولا كرامة خاصة للإنسان عند الله تعالى من هذه الجهة، اللهمّ التكريم الإلهي لجنس الإنسان، وقد عمّ الله تعالى به سائر بني آدم، ولم يخصّ أو يفضل بشراً على آخر، فلا تقاس منزلة الإنسان عنده تعالى بهذه المقاييس المادية التي استوى فيها عند الله تعالى المؤمن والكافر، والتي ساوى فيها سبحانه بين العباد، بإعلان الكرامة الإنسانية لجميع ذرية آدم، دون تمييز لعرق أو جنس أولون على غيره، فالكل عنده سبحانه سواء، ولا تفاضل بينهم إلا بما حصلوه؛ وميدان التفاضل ومضمار التنافس للسمو والتعالي عند الرب العلي هو في المسارعة والمنافسة في طاعة رب العالمين، وذاك وحده هو ما يصنع الفرق بين الناس ويمايزهم ويفاضلهم في ميزان القرآن الكريم، أما الألوان والأحساب فلا تزيد ولا تنقص الإنسان قيمة ولا كرامة.

وورد في الآثار أن أبا ذر رضي الله عنه عيّر رجلاً عند النبي ﷺ بسواد أمه، فقال له: يا ابن السوداء، فغضب النبي ﷺ؛ وقال: «طَفَّ الصّاع طَفَّ الصّاع؛ ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل»، قال أبو ذر رضي الله عنه: «فاضطجعت وقلت للرجل: قم فطأ

على خدي»<sup>(1)</sup>. فكان الخضوع والامتثال من أبي ذر الغفاري رضي الله عنه فوراً، وأذعن لأمر النبي ﷺ في حينه، وندم على فعلته، فأراد أن يكفر عن صنيعه بإذلال نفسه أمام الرجل الذي عيّره.

وبذلك يكون النبي ﷺ كما يقول أبو الحسن الندوي: "قد اقتلع جذور الجاهلية، وحسم مادتها، وسد كل نافذة من نوافذها."<sup>(2)</sup> وذلك بشكل عملي في واقع أصحابه، فلم يدع عليه الصلاة والسلام للمعايير المادية ولا العنصرية مجالا لأن تفرق بين المؤمنين. وغيّر عليه الصلاة والسلام النظرة إلى الإنسان التي كانت تقوم على المظاهر والرسوم والأشكال، ونبه إلى ما هو أدق من ذلك وأعمق، فجوهر الإنسان وكنهه، هو قلبه وفعله، وذاك هو معدنه وأصله، وقيّمته وقدره.

فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أنه قال: مرّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لرجل عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال: رجل من أشرف الناس، هذا والله حريّ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مرّ رجل آخر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريّ إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يسمع لقوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا.»<sup>(3)</sup>

(1) قال العراقي: رواه ابن المبارك في البر والصلة مع اختلاف. (تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، العراقي (ت: 806 هـ) وآخرون، دار العاصمة: الرياض، ط1: 1987 م، ج5، ص2041).

(2) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن علي الندوي، ص143.

(3) رواه البخاري، كتاب الرقائق، باب فضل الفقر، رقم: 6447، ج8، ص95.

فكان عليه الصلاة والسلام يعالج فكر الصحابة بنور الوحي، ويغيّر النظرة المادية السائدة زمن الجاهلية، القائمة على المعايير الدنيوية الفانية، بنظرة إيمانية سامية، قائمة على المبادئ الشرعية الربانية. وهو ما فهمه الصحابة بجدّ، واستوعبوه بعمق، وتمثلوه بصدق، فكانوا رضي الله تعالى عنهم نماذج حيّة لأخوة إيمانية، عزّ نظيرها في تاريخ الإنسانية كلّها. وفي هذا السياق يتحدث الهولندي "ميليمّا" R. L. Mellema عن أجمل ما راقه في الإسلام وجذبه إلى الإيمان به، فقال: "مبدأ الأخوة في الإسلام، الذي يمتدّ ليشمل البشرية عامة، بغير اعتبار للون أو جنس أو عقيدة، وينفرد الإسلام بين كل الأديان في أنه الوحيد الذي طبق هذا المبدأ عملياً".<sup>(1)</sup>

فلا اعتبار في ميزان القرآن لألوان أبشار الناس وأجناسهم، ولا لسلالتهم وأعراقهم ولا لانتماءاتهم القبلية، وقد حطم النبي ﷺ أوثان حميّة الجاهلية في قلوب أصحابه، وتبرأ من كلّ من دعا بدعوى الجاهلية؛ ومع ما يحمله النبي ﷺ في قلبه الشريف من السّماحة والصبر المتين والحلم الفياض، فإنه قد واجه بصرامة قوية وحزم شديد، كل دعوة فيها رائحة العصبية التّنة، وكل نداء إلى الانتكاس بالتفاخر بالأحساب، ولذا فقد أعرض عليه الصلاة والسلام عن حكيم الأمة أبي ذر بعدما صدر منه استهانة في حق بلال الحبشي رضي الله عنه، فلم تشفع لأبي ذر مكانته من رسول الله ولا منزلته ولا نسبه.

(1) نقلاً عن: وإنك لعلّ خلق عظيم، صفّي الرحمن المباركفوري وآخرون، الرواد للإعلام: جدة، ط:

وروى البيهقي «ت: 458هـ» في شعب الإيمان: عن أبي أمامة قال: عير أبو ذر بلالا بأمه، فقال: يا ابن السوداء، وإن بلالا أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبره فغضب، فجاء أبو ذر ولم يشعر، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما أعرضك عني إلا شيء بلغك يا رسول الله، قال: "أنت الذي تعير بلالا بأمه؟" قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والذي أنزل الكتاب على محمد... ما لأحد عليّ فضل إلا بعمل، إن أنتم إلا كطف الصّاع"<sup>(1)</sup>.

وهكذا حسم النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الاعتداد بجنس الإنسان ولونه، فقطع بقوة مع أية دعوة جاهلية، وأنكر كل عصبية قبلية، وتبرأ من كل من كان عليها أو والها ونصرها، فقال: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»<sup>(2)</sup>. نصّ الحديث على تبرأ النبي ﷺ من العصبية وأهلها. يقول محمد أبو زهرة: "إن الإسلام حارب فكرة التمييز بالألوان، وحارب التمييز بالعنصر والجنس، فالناس جميعاً لآدم، لا فرق بين آري وسامي وحامي، بل الجميع ينتمون إلى أب واحد، وأم واحدة، وليس هناك عنصر اختص بصفات لا يختص بها الآخر، وإذا كان ثمة لغات لبعض هذه العناصر، فذلك بحكم البيئة وما توجه إليه"<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> رواه البيهقي في الشعب، فصل: ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر بالآباء، رقم: 4772، ج 7، 130-131. (شعب الإيمان، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: مختار الندوي، مكتبة الرشد: الرياض، ط 1: 2003م).

<sup>(2)</sup> رواه أبوداود، كتاب الأدب، باب في العصبية، رقم: 5121، ج 7، الصفحة: 441. (سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية: بيروت، ط 1: 2009).

<sup>(3)</sup> العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، ص 23.



إن تعبير أبي زهرة عن موقف الإسلام من التمييز العنصري، واستعماله لكلمة "حارب"، ليدلّ على مدى القوة التي واجه بها دين الله تعالى وكتابه هذه القضية الجاهلية، التي مزّقت أمم الأرض، وصار بعضها لبعض عدواً، وقاتل بعضها بعضاً، وصار الناس إلى شقاء وضيق، لا شيء غير التعصب للانتماء العرقي أو الجغرافي. وجاء "الإسلام فحارب العصبية القومية والإقليمية، ليكون العدل هو السائد، ولكي تكون المودة بين الناس في كل بقاع المعمورة"<sup>(1)</sup>.

فالعصبية العرقية فتنة نتنة، وسبيل لهلاك الأمم، ولذا، جاء دين الله عز وجل بقطع دابرها. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه قال: كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمّعها الله رسوله صلى الله عليه وسلم قال: «ما هذا؟» فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعوها فإنها منتنة».<sup>(2)</sup>

ووصف النبي صلى الله عليه وسلم لهذه العصبية بالنّتن، دليل واضح على احتقار دين الإسلام للدعوات القائمة على القومية والعصبية القبلية، يقول حسن خالد: "لقد احتقر الإسلام العصبية العنصرية، والعصبية الجنسية، والعصبية العائلية التي هزّت في الماضي كيان الإنسان الاجتماعي وخربته، ... ولقد اشتدت حملة النبي ﷺ على

(1) العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، ص 24.

(2) رواه البخاري، في كتاب التفسير، باب قوله: {يقولون لنن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل} (المنافقون: 8)، رقم الحديث: 4907، ج 6، 154-154.

النزعات الجاهلية التي منها التعصب للآباء والافتخار بهم، ورد الأجر والفضل كله إلى الأعمال لا إلى الأنساب<sup>(1)</sup>.

وقد بيّن القرآن الكريم استواء الناس جميعاً من جهة هذه الأنساب، فلا مجال للافتخار ولا للاحتقار في أمر ساوى الله فيه بين العباد، فوحدة الأصل الإنساني تنافي افتخار بعضهم على بعض، كما أن التكريم العام لبني آدم يتنافى مع انتقاص واحتقار بعضهم لبعض.

وإن في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(2)</sup> دليل على العموم والشمول في قضية التكريم، فمناطه هاهنا، في هذه الآية هو الآدمية، والأصل الإنساني، فكل بني آدم مكرّمون لإنسانيتهم تكريماً عاماً لا استثناء فيه، بصرف النظر عن جنس الإنسان ولونه ودينه. ثم إن الذي منح هذا العطاء والإحسان هو الخالق سبحانه وتعالى، فليس لأحد من الناس أن يسلب أي إنسان هذه المنحة الربانية. ومقتضى هذا التكريم استواء الناس جميعاً في المقاس الإنساني، فهم في هذا المعيار سواسية كأسنان المشط، لا تمايز بين الناس في ذلك، فلا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بمواهب الرحمن تعالى لخاصة عباده المؤمنين من التكريم الخاص.

إذ تكريم الله تعالى لبني الإنسان نوعان: عام لسائر الخلق، وهو وهبي لا يد للإنسان فيه، بل هو تابع لأفعال ربوبية الله تعالى، وفق إرادة الله الكونية. والثاني،

(1) موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، حسن خالد، معهد الانماء العربي: بيروت، ط: 1986م. ص 126.

(2) سورة الإسراء، الآية 70.

تكريم خاص بعباده المؤمنين، وهو كسبي يتحصّله الإنسان بالتّقوى، شرعي تابع لألوهية الله تعالى وفق إرادته الشرعية. فالأول خلقي له صلة بفعل الله تعالى، والثاني خلقي متصل بفعل العبد. فالأول من جهة المادة، والثاني من جهة المعنى؛ والناس سواسية من الجهة الأولى: أي من جهة العنصر والمادة، والتفاضل الحاصل بينهم إنما هو من جهة المعاني التي تقوم بالإنسان، أي من جهة الخلق لا الخلقة، فلا تفاوت بين الناس في الجانب الطيني، فهم فيه سواء، إنما التفاضل في النفوس والأرواح، ففيها المطمئنة إلى أمر الله وفيها اللّوامة، وفيها من نزلت إلى أسفل سافلين. وقد جمع الله تعالى التكرمين العام والخاص في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَفْنَا آلَ نَاسٍ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ① ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ② إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ③ (1).

فجمال الخلقة وكمال الصورة في أحسن تقويم، تكريم عام لجميع الإنسان في هذه الحياة الدنيا، ويعقبه سفول عام غدا يوم القيامة لمن لم يتدارك نفسه بتزكية جانب الروح والخلق، وإنّ من لم يتحقّق في كرامة التّقوى نال الهوان في الآخرة، لأن الله تعالى لا ينظر في الإنسان إلى المتاع والصور والهيئات، ولكن ينظر إلى الأعمال والنّيات، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». وفي لفظ آخر: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، التّقوى ها هنا». وأشار إلى صدره. (2)

(1) سورة التين، الآيات 4-6.

(2) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، باب ما جاء في النظر، ج 2، ص 425-426. (الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: 458هـ)، عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادني: جدة، ط1: 1993م).

فالميزان الحق الذي يوزن به الإنسان هو ما تحصل في قلبه من التقوى، وظهر على جوارحه من العمل الصالح، أما الأشكال والرسوم والهيئات، والأحساب والأنساب، فلا قيمة لها في ميزان الله تعالى، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أحسابكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»<sup>(1)</sup> فاستواء الخلق من جهة الخلقة ألغى فوارق الحسب والنسب بين الناس، وأذهب التعاضم بالمادة والمعدن، وعمل الإنسان هو معيار الكرامة والهوان. قال عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بآبائها، فالناس رجلان: برّ تقى كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب»<sup>(2)</sup>.

فأصل الناس واحد، والكرامة في ميزان الله تعالى لا تتحقق للإنسان بالنسب، بل بما عمل وكسب، والشيء الوحيد الذي يعلي من قدر الإنسان أو يذنيه هو عمله. فالقربة والدم والرحم والنسب وأصل الإنسان وفصله، كل هذا في ميزان القرآن الكريم لا يغني من الحق شيئاً، فلا يرتفع قدر امرئ عند الله تعالى لنسبه، ولا يحط من قيمته

(1) رواه البيهقي في الأسماء والصفات، باب ما جاء في النظر، ج2، ص426. (المصدر السابق)

(2) رواه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة الحجرات، رقم الحديث: 3270، ص739. (سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت: 279هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف: الرياض، ط1، د.ت.)

لعرقه ودمه، ولا يتقدم إنسان أو يتأخر إلا بإيمانه وعمله؛ كما قال عليه الصلاة والسلام: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»<sup>(1)</sup>.

وقد تمثل النبي ﷺ بهذه القيم القرآنية التي لا تجعل لجانب الطين قدرا، ولا تدع للسلالة منزلة وفخرا، فأعلن البراءة من قرابته ونسبه، إن لم يتداركوا أنفسهم بتزكية الأرواح، وسلوك سبيل الفلاح، وانتهاج طريق الصلاح، بالإيمان بالله تعالى والخضوع لعظمته، فنادى صلى الله عليه وسلم في قرابته، وفيهم أقرب المقربين إليه، وأحب الناس إلى قلبه الشريف، بنته فاطمة رضي الله عنها، فقال ﷺ: «يا بني عبد مناف، اشترُوا أنفسكم من الله، يا بني عبد المطلب اشترُوا أنفسكم من الله، يا أمّ الزبير بن العوام عمّة رسول الله، يا فاطمة بنت محمد، اشترُوا أنفسكم من الله، لا أملك لكما من الله شيئا، سلاني من مالي ما شئتما»<sup>(2)</sup>.

فها هو ذا النبي ﷺ يسمح لأهله وأقربائه أن يسألوه ما شاءوا مما في مستطاعه وطوقه من المال الذي يملك، أما رضوان الله تعالى والنجاة من سخطه، فليس في مقدوره ﷺ ولا في ملكه، فلا ينفع أهله عند الله تعالى انتسابهم إلى رسوله، إلا أن يعملوا على إنقاذ أنفسهم من النار بأنفسهم، دون اتكال على الحسب أو تعويل على النسب النبوي. وفي هذا بيان للفرق الشاسع، والبون الواسع، بين النظرة القرآنية التي ألغت التفاخر بالأنساب، والاعتداد بها، ونصوص التوراة التي قامت نظرتها إلى الإنسان بناء على

(1) رواه ابن ماجه في سننه، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم: 225، ج 1، ص 152. (السنن، محمد بن يزيد بن ماجه (ت: 273هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية: دمشق، ط 1: 2009م).

(2) رواه البخاري، في كتاب المناقب، باب: من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية، ج 4، ص 185.

معيّار السلالة والعرق، والتي جعلت من القداسة والطهر مجرد الانتماء إلى ذرية بني إسرائيل.

أما القرآن الكريم فجاء مقرّراً ألا فرق بين بني آدم إلا بالدين والعمل الصالح، فالأنساب لا تعدّ شيئاً في ميزان الله تعالى، ولا تكريم عند الله تعالى أو هوان من جهة الأحساب، إنما عمل الإنسان ما يكرمه أو يهينه، قال عليه الصلاة والسلام: «إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد، وإنما أنتم ولد آدم، ... ليس لأحد على أحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح»<sup>(1)</sup>.

"ووفقاً لهذا المنظور باتت مسألة المفاضلة بين الأفراد والشعوب والتي قوامها العرق واللون أو اللغة أمراً واهياً غير مقبول ولا معقول، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فالميزة أو القيمة التي يتميز بها الإنسان عن الآخرين باتت صنع إرادته وفعله"<sup>(2)</sup> وعليه، فإن النظرة القرآنية إلى "الآخر" لا تنطلق من هذه الأسس السلالية، وإنما تنبثق من وحدة الأصل الإنساني، وأن كل الناس من آدم، وآدم من تراب، فجاء الإعلان الإلهي عن "إزالة الفوارق العنصرية وأسباب المفاخرات المادية بالتنبيه على وحدة

(1) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند الشاميين من حديث عامر الجني، برقم: 17313، ج28، 548. (المسند، أحمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط1: 2001م).

(2) صورة الإنسان في الحديث النبوي الشريف، كامل حمّود، دار الفكر اللبناني: بيروت، ط1: 1993م. ص118.

الأصل بالنداء العام<sup>(1)</sup> في سورة الحجرات: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ»<sup>(2)</sup>.

يذكر السيد قطب في تفسيره أن النداء "يا أيها الناس" يهتف بالإنسانية جميعها على اختلاف أجناسها وألوانها ليردها إلى أصل واحد، وإلى ميزان واحد، "يا أيها الناس" يا أيها المختلفون أجناسا وألوانا، المتفرقون شعوبا وقبائل، إنكم من أصل واحد، فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا، "يا أيها الناس" والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم من ذكر وأنثى، وهو يطالعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل إنه ليس التناحر والخصام، إنما هو التعارف والوئام، وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني حساب في ميزان الله تعالى، إنما هنا ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، وتلك هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، المجتمع الإنساني العالمي<sup>(3)</sup>.

فميزان التقوى هو المعيار الرباني الذي يقاس به شرف الإنسان وكرامته عند الله تعالى، أما الجانب المادي في بني آدم، من الأصل والنسب، والأجناس والقبائل، فليس في ذلك ما يدعو للتفرقة والتمييز والتحقير أو التفاخر، لوحدة الأصل، وعموم التكريم، ففي الآدمية كرامة عمّ الله بها جميع بني الإنسان، والبشرية في ذلك سواء. وقد نادى النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد،

(1) مجموعة الرسائل المدنية، عطية محمد سالم، دار الجوهرة: المدينة المنورة، ط1: 1426هـ. ج2، ص132.

(2) سورة الحجرات، الآية 13.

(3) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق: القاهرة، ط32: 2003م. ج6، ص3348.

وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى.<sup>(1)</sup>

فشرف الإنسان لا يتحقق بمجرد انتمائه إلى سلالة بعينها، ويقرّر ابن تيمية «ت: 728هـ» أن تعليق الشرف في الدين بمجرد النسب هو حكم من أحكام الجاهلية. فقال رحمه الله: "ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحدا بنسبه ولا يذم أحدا بنسبه؛ وإنما يمدح بالإيمان والتقوى ويذم بالكفر والفسوق والعصيان.<sup>(2)</sup>

فلا اعتبار في ميزان الشرع لمقياس المادة، إنما جانب الروح هو الفيصل في شأن رفعة الإنسان وشرفه، وبتغليب جانب المعنى في بني آدم، وحد الإسلام البشرية تحت راية التوحيد، بعيدا عما تفرضه المادة من الفوارق العنصرية في الشكل واللون والجنس والعرق، وقد شبه أبو الحسن الندوي اختلاف الناس وتنوعهم مع وحدة أصلهم وتوحيدهم لربهم، بباقة ورد، فقال: "إن هذا الإيمان بالله والرسول واليوم الآخر والإسلام لله ولدينه أقام عوج الحياة، وردّ كل فرد في المجتمع البشري إلى موضعه، لا يقصر عنه ولا يتعدّاه، وأصبحت الهيئة البشرية طاقة زهر لا شوك فيها، وأصبح الناس أسرة واحدة أبوهم آدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى.<sup>(3)</sup>

(1) رواه أحمد في المسند، برقم: 23489، ج38، ص474.

(2) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء: المنصورة، ط3: 2005م. ج35، 140-141.

(3) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن علي الندوي، ص142.



ويذكر عطية سالم أنّ كون الناس جميعاً من زوجين اثتلفا يؤكد التأخي، وكونهما من تراب ينفي التفاضل، وبوحدة هذا الأصل زالت الحواجز، وتلاشت الفوارق، وذابت العناصر، وأذهب الله نخوة الجاهلية الأولى، فأصبح المقياس بمقتضى المعاني والمعنويات، وهو النعمة التي امتن الله بها على خلقه، وبها ألغى مقياس المادة.<sup>(1)</sup>

وبالرجوع إلى الآية سالفه الذكر، في سورة الحجرات، نجد إشارته سبحانه إلى التكرمين العام والخاص: فأما الأول وهو مناط التكليف: فصفة الأدمية العاقلة، والبشرية في ذلك سواء، فهو تكريم موهوب من الكريم سبحانه. وأما الثاني فتكريم خاص، متّصل بتحقيق ذلك التكليف، ويقوم على فعل العبد، فهو تكريم مكتسب. وبعد أن نبّه سبحانه إلى استواء الناس من جهة الأصل والمعدن والتكريم، وأنهم جميعاً من أبوين، وأنهم بذلك إخوة في الإنسانية، وأنّ هذه الأخوة تقتضي التعارف والتآلف: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾؛ بين سبحانه أن التفاضل إنما يكون من جهة المعنى لا المادة، ومن جهة الأرواح لا الأشباح، فقال جلّ شأنه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

وإن التكريم العام هو عطاء الربوبية في هذه الدنيا، فهو تكريم للبشر بوصفهم بشراً، بصرف النظر عن أفعالهم؛ أي إن التكريم العام كوني مرتبط بالإنسانية. أما التكريم الخاص فهو شرعي مرتبط بدين الله تعالى، وهو عطاء الألوهية لعباده المتقين في الآخرة.<sup>(2)</sup> بل وفي هذه الدنيا أيضاً، بما خص الله تعالى به عباده المؤمنين من الأنس

(1) مجموعة الرسائل المدنية، عطية محمد سالم، ص 132.

(2) ينظر: موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، مروان إبراهيم القيسي، ص 16.

به، والفرح بطاعته، وسكون النفس إلى ذكره، واطمئنان القلب بكلامه، وبما نالوه منه سبحانه من الكرامات والبركات، والتوفيق والتيسير والنصرة والمعية الخاصة، وبما أكرمهم به من سعادة قربهِ والحياة الطيبة في طاعته، وبما نجّاهم من نقيض ذلك كله، من الضنك والتعاسة وشقاء الدنيا والآخرة، والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(1)</sup>.

وفي شأن المعية الخاصة قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(2)</sup>، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(3)</sup>، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(4)</sup>. والمعية في هذه الآيات، هي معية نصر وتأييد، وهداية وتوفيق، وحفظ وإعانة، يقول عبد الرحمن السعدي: "معية الله التي ذكرها في كتابه نوعان: معية العلم والإحاطة وهي المعية العامة، فإنه مع عباده أينما كانوا. ومعية خاصة، وهي معيته مع خواص خلقه، بالنصرة والعطف والتأييد."<sup>(5)</sup> وهو ما قرّره ابن القيم «ت: 751هـ» من قبل فقال: "المعية نوعان: عامة. وهي معية العلم والإحاطة. كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾<sup>(6)</sup>... وخاصة: وهي معية القرب،

(1) سورة الرعد، الآية 29.

(2) سورة العنكبوت، الآية 69.

(3) سورة البقرة، الآية 193.

(4) سورة الأنفال، الآية 47.

(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط1: 2002م. ص944.

(6) سورة الحديد، الآية 4.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾<sup>(1)</sup> ... فهذه معية قرب. تتضمن الموالاة، والنصر، والحفظ. وكلا المعنيين مصاحبة منه للعبد، لكن هذه مصاحبة اطلاع وإحاطة. وهذه مصاحبة موالاة ونصر وإعانة.<sup>(2)</sup> وفي شأن الحياة الطيبة التي اختص الله بها عباده المؤمنين، قال جلّ وعلا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّسْ ذَكَرٍ أَوْ انْتَبَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(3)</sup>. فجمع الله في هذه الآية من التكريم الخاص بالمؤمنين كرامة الدنيا والآخرة.

وأما التكريم العام فهو من قبيل ما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(4)</sup>. وهذا يشمل كل بني آدم من الأبرار والفجار، ومن المؤمنين والكفار، فهو تكريم من جهة صنعة الإنسان ومادته ومعدنه وخلقته، فقد خلقه الله تعالى بيده ابتداء، كما أخبر عن ذلك في قوله: ﴿قَالَ يٰٓإِبْرٰهٖمُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾<sup>(5)</sup>، فقال الرازي تعليقا: "من كان مخلوقا بيد الله كانت العناية به أتم وأكمل، وكان أكرم وأكمل ولما جعلنا من أولاده وجب كون بني آدم أكرم وأكمل."<sup>(6)</sup>

(1) سورة النحل، الآية 128.

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر الزرعي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط1: 1999م. ج2، ص202.

(3) سورة النحل، الآية 97.

(4) سورة الإسراء، الآية 70.

(5) سورة ص، الآية 74.

(6) تفسير الفخر الرازي، محمد بن عمر الرازي (ت: 606هـ)، ج21، ص16.

وبعد أن سَوَّى الله الإنسان وأكمل خلخته، نفخ سبحانه فيه من روحه، وأمر ملائكته أن يسجدوا له تكريماً لجنسه، فقال سبحانه: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَبَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ﴾<sup>(1)</sup>، وأضاف الله عز وجل روح آدم إلى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها كما يقال بيت الله.<sup>(2)</sup>

ومن مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان، أن سَخَّرَ له الكائنات، واستخلفه في الأرض ومكَّن له واستعمره فيها، وخلق في أحسن تقويم وأكمل صورة، كما في قوله سبحانه: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾<sup>(3)</sup>، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾<sup>(4)</sup>. وإنَّ من أعظم ما كَرَّمَ الله به الإنسان وأكرمه به عقله، فهو سرّ حمل الأمانة، ومناط التكليف، ومحور التشريف، وعنوان الكرامة، وأداة العلم والفهم التي بها يدرك مراد الله من كلامه، وبها يفقه شرعه، وهكذا تنسجم وتلتقي "كلمات الله الكونية مع كلماته الشرعية في تكريم الإنسان. فكما سَخَّرَ الله له الكون وخلق في أحسن تقويم وسوّاه وفقاً لكلماته الكونية، فإنه أكرمه بإنزال الشرائع وبيان الحقوق وفقاً لكلماته الشرعية."<sup>(5)</sup>

(1) سورة الحجر، الآية 29.

(2) لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الخازن (ت: 741هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1: 1415 هـ. ج3، ص55.

(3) سورة غافر، الآية 64.

(4) سورة التين، الآية 4.

(5) موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، مروان إبراهيم القيسي، ص13.

فجمع الله للإنسان من المكارم ما يسمو به ويرقى على كثير مما خلق الله تعالى، وقد فضل الله بني آدم على كثير مما خلق تفضيلاً، "فبنوا آدم كرموا بالدين، وكرموا بالعقل، وكرموا بتحميل الأمانة، وكرموا بطهارة أجسامهم أحياء وأمواتا بغض النظر عن دينهم، ونجاسة الكفار والمشركين نجاسة معنوية، أما أجسامهم فطاهرة ومن هنا حلّ لنا أكل ذبائح أهل الكتاب ونكاح محصناتهم." (1) لقوله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَجِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ ءُتُوا أَلْكَيْتَبَ حِلَّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلَّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَتِ وَالْمُحْصَنَتُ مِنَ الَّذِينَ ءُتُوا أَلْكَيْتَبَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (2).

يقول محمد الصبّاغ: "ليست هناك فكرة أو دين قائم الآن وفي الإنسان حقه من الكرامة والتكريم، والرعاية والعناية، والعدالة والتحرر مثل الإسلام. لقد وفر الإسلام العظيم للإنسان الكرامة، ورعاه وعني به من قبل أن يوجد ويولد حتى يتوفى بل بعد أن يتوفى" (3). فإن تكريم القرآن الكريم لبني آدم لا يقتصر على كون الإنسان حيّاً، بل يلازمه التكريم الإلهي حيّاً وميتاً، وجسد الإنسان لا يمتنّ أو يهان، حتى لو صار جثة بعد مفارقتها للروح، يقول محمد علي البار: "الإنسان في الإسلام مكرم حيّاً وميتاً، مسلماً كان وكافراً.. وقد منع رسول الله ﷺ المثلة ولو بالكلب العقور، رغم أن قريشاً مثلت بعمّه حمزة في يوم أحد، ولاكت هند بنت عتبة -زوج أبي سفيان ووالدة معاوية- كبده، واتخذت من آذانه قرطاً." (4)

(1) الإنسان في القرآن الكريم، محمد بن لطفي الصبّاغ، المكتب الإسلامي: بيروت، ط1: 1992م. ص36

(2) سورة المائدة، الآية 6.

(3) الإنسان في القرآن الكريم، محمد بن لطفي الصبّاغ، ص36.

(4) معاملة غير المسلمين، محمد علي البار، دار القلم: دمشق، ط1: 2004م. ص54.

إنّ الإنسان في المنظور القرآني يبقى مكرّماً بتكريم الله تعالى له حيّاً وميتاً، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: مرّ بنا جنازة، فقام لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقمنا به، فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهودي، قال: «إذا رأيتم الجنازة، فقوموا»<sup>(1)</sup> وإن الصحابة الكرام قد استكثروا وقوف النبي ﷺ لجنازة اليهودي، فمع أنهم قاموا جميعاً لها تأسيا برسول الله، إلا أنّ أحدهم قال للنبي مستفسراً: إنها جنازة يهودي، سيما وأن اليهود حاولوا اغتياله وتسميمه وسحره، وكادوا له أشد الكيد، وخانوا العهد ووقفوا مع القبائل المحاربة لرسول الله ﷺ يوم الخندق، ولم يتركوا مكيدة أو حرباً إلا وأشعلوها ضده، ومع ذلك فإن النبي ﷺ رد على استفسار الصحابة بقوله: «أليست نفساً»<sup>(2)</sup> فالنفس البشرية تستحق الاحترام، والإنسان مكرم حياً أو ميتاً.<sup>(3)</sup>

يقول محمد أبو زهرة: "فالكرامة الإنسانية يقررها القرآن والسنة لكل من يتحقق فيه معنى الإنسانية."<sup>(4)</sup>

وبناء على كل ما سبق ذكره من المبادئ والمفاهيم، يمكن الخلوص إلى أن "الآخر" من بني آدم في المنظور القرآني إنسان مكرّم، تكريماً عاماً، يشمل التّاس جميعاً، دون تفريق في ذلك بين المؤمنين منهم والكفار، ولا بين الأبرار منهم والفجار، فكل إنسان له حقوقه ومكتسباته الخلقية، من التكريم الربّاني العام، ويستحق بذلك أن يعامل وفقاً لما وهبه الله تعالى من الكرامة الإنسانية. فلا يقصى "الآخر" في القرآن الكريم من

(1) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب: من قام لجنازة يهودي، برقم: 1311، ج 2، ص 85.

(2) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب: من قام لجنازة يهودي، برقم: 1312، ج 2، ص 85.

(3) ينظر: معاملة غير المسلمين، محمد علي البار، ص 55.

(4) العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، ص 21.

حياض الرحمة والغفران بسبب لونه أو جنسه، ولا يحتقر أحد لأصله وفصله، ولا يرفع شأن الإنسان حسبه ولا نسبه؛ بل يقرّر القرآن الكريم أن منزلة المرء يحددها عمله وفعله، كما بين كتاب الله تعالى أن التقوى هو السبيل لنيل الكرامة الخاصة بعد التكريم العام؛ فبعد أن بيّن الله تعالى منزلة الإنسان وتكريمه إياه، بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(1)</sup>. أخبر سبحانه عن ميزان الكرامة عنده فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾<sup>(2)</sup>. فالله تعالى لا ينظر في الإنسان إلى الصور والهيئات، ولكن ينظر إلى الأعمال والنيات، والمقياس الوحيد للتفاضل بين بني آدم هو في تقوى الله تعالى؛ أما من حيث الأصل فكل الناس من آدم، وآدم من تراب، فلا مصوغ للتفاخر بالأحساب والأنساب، كما أنّ وحدة الأصل مدعاة للتآخي ومنافية للتطاحن والتدابر.

(1) سورة الإسراء، الآية 70.

(2) سورة الحجرات، الآية 13.

## المبحث الثالث: "الآخر" وعالمية الخطاب القرآني.

جاء القرآن الكريم بدعوة كونية عالمية شاملة، تنادي الخلق أجمعين إلى الدخول في رحمة الله رب العالمين، دون إقصاء أو ميز على أيّ أساس عرقي كما هو الشأن في توراة اليهود؛ وإذا كانت عالمية الدعوة النصرانية أمرا دخيلا عليها وطارئا فيها، فإن الدعوة القرآنية قامت منذ البداية على العالمية والشمول، فهي خصيصة جوهرية وأصيلة فيها، كما قال المولى جلّ شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(1)</sup> ، وبين سبحانه أن هذه العالمية إنما هي رحمة شاملة، فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

فدين الله تعالى بما يتضمّن من تشريعات سامية، وتعاليم سماوية تحفظ للإنسان كرامته، كان رحمة شاملة من الله تعالى بالبشرية التي كانت قد تاهت عن سبيل سعادتها وانحدرت في درك الشقاء اللامتناهي. وفي هذا المبحث حديث عن هذين المبدئين العظيمين: العالمية والرحمة، فهما الأساس الذي قامت عليه النظرة القرآنية إلى "الآخر" أيا كان أصله وفصله، وكيفما كان لونه وجنسه، فجميع الآخرين على اختلاف أشكالهم وأديانهم وأقاليمهم هدف لدعوة الإيمان ووجهة لنشر رحمة الله تعالى، حتى تفوز البشرية بسعادة الدارين، وتتحقّق لها كرامة الدنيا والآخرة؛ وإن كلا من الدعوة والرحمة لأمران متلازمان وشأنان مترابطان، فالدعوة إلى الله تعالى، دعوة إلى رحمة الله ومغفرته.

(1) سورة سبأ، الآية 28.

(2) سورة الأنبياء، الآية 106.



هذا، وقد أعلن القرآن الكريم منذ البداية الغاية من إنزاله، فبين سبحانه وتعالى أن كتابه جاء هداية للبشرية من ظلماتها، وأن نزوله كان رحمة بالإنسانية تخرجها من شقائها، فهو كتاب مبارك ورحمة لكل من آمن به وسار على هداه، قال سبحانه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ بِاتِّبَاعِهِ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(1)</sup>. فالرحمة أمر جوهري وعميق في الدعوة القرآنية وملازم لها، والآيات في هذا الباب كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

وإن الميزة التي اختص به الخطاب القرآني، هو النداء العام لجميع البشرية للدخول في رحمة الله تعالى، فلم تكن دعوته منذ البداية قومية ولا إقليمية، ولا محصورة في عرق معين أو قبيلة بعينها، بل كانت عالمية وإنسانية وشاملة، وكثيرا ما جاء في كتاب الله تعالى النداء بـ"يا أيها الناس"، فيكون الخطاب موجها إلى الإنسانية جمعاء، دون أي تفريق على أي أساس عنصري، وذلك من قبيل النداء العالمي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَذُجَاءُكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشَبَاقٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

قال ابن عطية «ت: 546هـ»: "هذه آية خوطب بها جميع العالم."<sup>(4)</sup> فالعالمية إذن هي سمة الخطاب القرآني، تجلّت في هذا النداء الخالد، الذي يدعو فيه رب العالمين جميع

(1) سورة الأنعام، الآية 156.

(2) سورة الأعراف، الآية 51.

(3) سورة يونس، الآية 57.

(4) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت: 546هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1: 2001م. ج3، ص126.

الإنسانية إلى الاتعاض والاستشفاء بكتابه، فهو النور الهادي والبلسم الشافي لكل ما تعانيه البشرية من البؤس والشقاء في كل مناحي الحياة. فبالقرآن الكريم ينال الناس السعادة والهداية، وبه تنزل عليهم الرحمة والسكينة والطمأنينة، وبه يتحصّلون على الحياة الطيّبة، والكرامة في الآخرة.

وهكذا، فإن رسالة النبي ﷺ عالمية شاملة، لا تحدّها حدود إقليمية، ولا تقيدها قيود عرقية، ولا يحصرها زمان ولا مكان، فهي دعوة صالحة لكل زمان ومكان وإنسان وجان، فالعموم والشمول هو السمة البارزة في الدعوة القرآنية. فإذا كانت دعوة سائر الأنبياء والرسل عليهم السلام موجهة إلى أقوامهم خاصة، وفي أزمنة بعينها، فإن دعوة النبي ﷺ جاءت بالعالمية التي لا تحصرها حدود عنصرية ولا مكانية ولا زمانية. فالناس جميعا في كل زمان ومكان، على اختلافهم عقيدة ودينا، وتنوعهم أصلا وعرقا، وعلى امتداد الأعصار والأمصار، محل للدعوة والهداية والرحمة.

ويؤكد القرآن الكريم في آيات كثيرة على اختصاص الدعوة المحمدية بهذه الميزة، التي لم تكن لدى الأنبياء السابقين، الذين كانت دعوتهم خاصّة بأممهم، "فكان كل نبيّ يبعث إلى قومه خاصة، وكانت رسالة كل منهم محدودة المكان والزمان"<sup>(1)</sup>. ومن ذلك ما قال الله تعالى في شأن أوّل الرّسل، نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَلْفُومٌ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾<sup>(2)</sup>.

(1) عالمية الإسلام ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء، عبد الوهاب طويلة ومحمد حلواني، دار القلم: دمشق، ط1: دت. ص41.

(2) سورة الأعراف، الآية 58.

وكذلك الشأن بالنسبة لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، فقد بين الله تعالى أن دعوة إبراهيم كانت موجهة إلى قومه خاصة في قوله تعالى: ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه﴾<sup>(1)</sup>. ولما آمن بدعوة إبراهيم لوط عليه السلام، أرسل نبياً إلى قوم مخصوصين، فقال جل شأنه عن دعوته: ﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون القبحة ماسبقكم بها من أحد من العلمين﴾<sup>(2)</sup>. كما أرسل هود عليه السلام إلى قومه: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة﴾<sup>(3)</sup>. فلما كفروا بدعوة هود عليه السلام أبعدهم الله من رحمته، ولعنوا في الدنيا والآخرة: ﴿واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعداً لعاد قوم هود﴾<sup>(4)</sup>. وكذلك كانت دعوة صالح عليه السلام خاصة بقومه: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة﴾<sup>(5)</sup>. وبعث شعيب في قومه: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة﴾<sup>(6)</sup>.

وقد يرسل الله تعالى إلى قوم بعينهم أنبياء كثر، كما هو شأن بني إسرائيل الذين بعث الله فيهم عددا كبيرا من الأنبياء، وعلى رأسهم موسى وعيسى عليهما السلام، وقد أخبرنا كما نصّ على ذلك القرآن الكريم أن دعوتهم خاصة بقومهم، فقال الله تعالى على

(1) سورة العنكبوت، الآية 15.

(2) سورة الأعراف، الآية 79.

(3) سورة الأعراف، الآية 64.

(4) سورة هود، الآية 59.

(5) سورة الأعراف، الآية 72.

(6) سورة الأعراف، الآية 84.

لسان موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَفْقَهُمْ لِمَ تُوذَوْنَ وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ<sup>(1)</sup>﴾. فبين موسى عليه السلام أن رسالته في قومه من بني إسرائيل، وكذلك قال عيسى عليه السلام، حينما حكى الله تعالى عنه قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّنِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ<sup>(2)</sup>﴾.

أما عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، فقد جاء الخطاب الإلهي يأمره بإعلان عالمية الدعوة إلى الناس جميعاً، فقال في شأنه: ﴿فُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً<sup>(3)</sup>﴾. فجاءت دعوته ﷺ بالعموم والشمول لسائر الناس ولجميع الأقوام في كل زمان ومكان، فهذه إذن حقيقة قرآنية لا مرأى فيها. ويخلص مؤلفو موسوعة بيان الإسلام إلى قولهم: "ثبت بالدليل القاطع كون إبراهيم عليه السلام أرسل إلى قومه فقط، وثبت كون نوح عليه السلام أرسل إلى قومه فقط، وثبت في الكتب المقدسة محدودية رسالة موسى وعيسى عليهما السلام، فإذا كان ذلك مع أولي العزم، والديانتين السابقتين على الإسلام، فالأولى أن نقول بأن عالمية الرسالة من الأمور التي اختص بها دين محمد ﷺ".<sup>(4)</sup>

وجاء في تفسير ابن جرير الطبري «ت: 310هـ» تعليقا على الآية ما نصه: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للناس كلهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرسل، مرسلًا إلى

(1) سورة الصف، الآية 5

(2) سورة الصف، الآية 6.

(3) سورة الأعراف، الآية 158.

(4) موسوعة بيان الإسلام، داليا محمد إبراهيم وآخرون، القسم 2، مج 3، ج 5، ص 168.

بعض الناس دون بعض، فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم.<sup>(1)</sup>

فبيّن الطبري المعنى الواضح من الآية وهو عموم رسالة النبي ﷺ، خلافا لما كانت عليه دعوات الأنبياء قبله، وهذه الخصوصية في رسالة محمد ﷺ هو ما أشار إليه ابن عطية الأندلسي «ت: 546هـ» في تفسير الآية سالفة الذكر بقوله: "وهذه الآية خاصة لمحمد صلى الله عليه وسلم بين الرسل، فإن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث إلى الناس كافة وإلى الجن، ... وتقتضيه الأحاديث، وكل نبي إنما بعث إلى فرقة دون العموم."<sup>(2)</sup>

ولا خلاف بين أهل الإسلام قديما وحديثا على عمومية رسالة النبي ﷺ، فهو ما يدل عليه صريح القرآن والسنة، وإجماع الأمة، فيذكر فخر الدين الرازي «ت: 606هـ» أن قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ يقتضي كونه مبعوثا إلى جميع الناس، ويؤكد أيضا، أنه من المعلوم من الدين بالتواتر كون النبي ﷺ مبعوثا إلى العالمين.<sup>(3)</sup> فجاء القرآن منذ البداية بخطاب عالمي لا ينحصر في قبيلة أو قطر معين، "ومن هذا المنطلق دخل في الإسلام منذ بدء الدعوة ناس من غير العرب، كان منهم الحبشي والرومي والفارسي، أسلموا وحسن إسلامهم ﷺ، وكانوا من صحابة رسول الله ﷺ المقربين."<sup>(4)</sup>

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، ج 10، ص 498.

(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، محمد عبد الحق بن عطية (ت: 546هـ)، ج 2، ص 465.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرازي (ت: 606هـ)، ج 15، ص 29.

(4) عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، عبد الوهاب طويلة ومحمد حلواني، ص 45.

والآيات والأحاديث الدالة على هذه العالمية للرسالة القرآنية كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾<sup>(1)</sup>. وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(2)</sup>. وهو ما أخبر به أيضا نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في قوله: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي». ثم ذكر منها: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصّة، وبعثت إلى الناس كافة»<sup>(3)</sup>.

يقول ابن كثير رحمه الله «ت: 774هـ»: "والآيات في هذا كثيرة، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه، صلوات الله وسلامه عليه، رسول الله إلى الناس كلهم" <sup>(4)</sup>.

والقرآن الكريم برمته، من أوله إلى آخره يشير إلى عالمية الرسالة المحمدية، فابتداء من أول آيات المصحف في أول سورة، نجد التأكيد على هذه العالمية، في قوله سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(5)</sup>، فالله تعالى رب جميع الناس، وليس ربّا خاصا بالعجم أو العرب، أو رب المسلمين وحدهم، بل هو رب العالمين، وكتابه ذكر للعالمين: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(6)</sup>؛ كما أن هذا المعنى هو ما تمّ تقريره أيضا في آخر سورة من سور القرآن الكريم، إذ نجد الإشارة والتأكيد على هذه العالمية في سورة الناس في

(1) سورة الفرقان، الآية 1.

(2) سورة سبأ، الآية 28.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا"، برقم: 438، ج 1، ص 95.

(4) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت: 774هـ)، ج 3، ص 489.

(5) سورة الفاتحة، الآية 1.

(6) سورة يوسف، الآية 104.

قوله تعالى: ﴿فَلْأَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾<sup>(1)</sup>. فهو سبحانه رب الناس جميعاً، وليس رباً خاصاً بالعرب ولا بالعجم.

وكل هذه المعاني تصب في اتجاه واحد، هو تقرير أن "دين الإسلام لم يرتبط بأناس أو أقوام، بل جاء إلى الناس جميعاً، فقد بعث الله محمداً ﷺ إلى كل بشر يسمع ويعقل، فكانت رسالته عامة لجميع الأجناس والشعوب، لا فرق بين لون أو عرق، ثم صحبت الزمان في مسيرته، فإذا انتهى جيل من الناس، فإن الجيل الذي يليه مخاطب ومكلف بها إلى قيام الساعة."<sup>(2)</sup>

وهو ما يؤكد قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾<sup>(3)</sup> فكل من بلغه القرآن الكريم إلى قيامة الساعة مكلف ومعني بالرسالة التي جاء بها محمد ﷺ، يقول البيضاوي «ت: 685هـ» في تفسيره لقوله سبحانه ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾: "أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر، أو من الثقلين، أو لأنذركم به أيها الموجودون ومن بلغه إلى يوم القيامة."<sup>(4)</sup>

وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(5)</sup>.

(1) سورة الناس، الآية 1.

(2) عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، عبد الوهاب طويلة ومحمد حلواني، ص 43.

(3) سورة الأنعام، الآية 20.

(4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط 1: 1418 هـ ج 2، 157.

(5) سورة الأحزاب، الآية 40.

وإن في ختم النبوة، دلالة وتقرير على عالمية رسالة النبي محمد ﷺ وبقائها، وعدم ارتباطها بأقوام محدودين، فعالمية الإسلام تنبثق من منطلق رئيس وهام، هو كونه آخر الأديان<sup>(1)</sup>، ولا نبي بعد محمد ﷺ، فلزم أن تكون الرسالة الخاتمة عامة وخالدة، ولا تموت بموت نبيها، بل تبقى في الأمة وتحملها الأجيال إلى التي تليها إلى يوم القيامة.

يقول كريم فرحات: "إن اكتساب هذه الرسالة العالمية يعني أن الله عز وجل جعلها للناس كافة، فهي الأخيرة وليس هناك رسالة أخرى، ولا رسول آخر، فهي خاتمة رسالات الله للعالم كله إلى أن تنتهي هذه الحياة، ومن ثم تكون عامة شاملة."<sup>(2)</sup>

وحفاظا على هذه العمومية والعالمية والشمول للرسالة، فقد حمل النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع مسؤولية تبليغ الخطاب القرآني العالمي لجميع الحاضرين من الصحابة، لأنه لا نبي يبعث من جديد، فمحمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلزم من ذلك أن تتحمل أمته بعده مسؤولية البلاغ وعالمية الخطاب، فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا ليبلغ شاهدكم غائبكم؛ لا نبي بعدي، ولا أمة بعدكم.» ثم رفع يديه فقال: «اللهم اشهد»<sup>(3)</sup>. وكان كثيرا ما يحث النبي ﷺ أمته على نشر دعوته، ولو بأقل نصاب وأيسر قدر يستطيع الإنسان حفظه، فقال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء، عبد الوهاب طويلة ومحمد حلواني، ص 43.

(2) السلام روح الإسلام، كرم حلمي فرحات، الدار الثقافية للنشر: القاهرة، ط 1: 2006م. ص 46.

(3) رواه البزار في مسنده، ج 12، ص 300. (البحر الزّخار المعروف بمسند البزار، أحمد بن عمر البزار، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، ط 1: 2009م).

(4) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم: 3461، ج 4، ص 170.



وكان عليه الصلاة والسلام يبشّر بانتشار دعوته، وأنها ستبلغ الآفاق، وتعمّ سائر بقاع الأرض، حتى لا يبقى قطر من أقطار الدنيا إلا ودخله نورها، فعن تميم الداري رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين»<sup>(1)</sup>.

وتحقيقاً لهذه العالمية، كان عليه الصلاة والسلام، يبعث أصحابه بالرسائل إلى حكام الأمم في كثير من بقاع الأرض. فقد كتب رسول الله ﷺ إلى سائر الملوك والأمراء في عهده، وأرسل إلى هرقل إمبراطور الروم، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى المقوقس عظيم القبط ونجاشي الحبشة، وإلى سائر أمراء العرب يدعوهم إلى الإسلام. وكما أن رسالته عامة في المكان، فهي أيضاً عامة في الزمان لأنه ﷺ خاتم النبيين والمرسلين.<sup>(2)</sup>

وروى الطبراني «ت: 360هـ» في الكبير أنه خرج رسول الله ﷺ فقال: «إن الله عز وجل بعثني رحمة للناس كافة فأدّوا عني يرحمكم الله...» فقال أصحاب رسول الله ﷺ: "نحن يا رسول الله نؤدّي عنك فابعثنا حيث شئت". فبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة إلى كسرى، وبعث سليط بن عمرو إلى هوزة بن علي صاحب اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى صاحب هجر، وبعث عمرو بن العاص إلى جيفر وعباد ابني جلندا ملكي عمان، وبعث دحية الكلبي إلى قيصر، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى

(1) رواه أحمد في مسنده، ج 28، ص 155.

(2) ينظر: الميزان في مقارنة الأديان، محمد عزت الطهطاوي، ص 291.

النجاشي، فرجعوا جميعاً قبل وفاة رسول الله ﷺ غير العلاء بن الحضرمي فإن رسول الله ﷺ توفي وهو بالبحرين.<sup>(1)</sup>

وبهذا يتقرر أن "الآخر" أي كان دينه وجنسه، وفي أي أرض كانت، وفي أي زمان ومكان، معنيّ بعالمية الخطاب القرآني، ووجهة لنشر رحمة رب العالمين، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(2)</sup>. وهذا إعلان واضح وبيان جليّ عن مقصد البعثة النبوية، والغاية من إرسال محمد ﷺ، فما جاء عليه الصلاة والسلام إلا رحمة شاملة لجميع الأمة، فجوهر بعثته وسرّ رسالته هو الرحمة بالعالمين. وهو ما تمثله النبي ﷺ وعاش عليه، فيروي مسلم «ت: 261هـ» في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين قال: «إني لم أبعث لعناً، وإنما بعثت رحمة»<sup>(3)</sup>. ولمسلم عن أبي هريرة أيضاً أنه قال: قدم الطفيل وأصحابه فقالوا: يا رسول الله إن دوساً قد كفرت وأبت، فادع الله عليها ف قيل: هلكت دوس. فقال: «اللهم اهد دوساً وائت بهم»<sup>(4)</sup>.

فلم يكن همّ النبي ﷺ هو لعن المكذبين ولا تعجيل إنزال العذاب على المخالفين، بل كان كلّ أمله أن يستنقذ الناس جميعاً من شقاء الدنيا والآخرة، وتنعم البشرية كلّها برحمة الله تعالى؛ وقد لقي ﷺ في ذلك السبيل أصنافاً وألواناً من الأذى مما

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، ج 20، ص 8-9. (المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت: 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية: القاهرة، ط 2: د.ت.)

(2) سورة الأنبياء، الآية 106.

(3) رواه مسلم، في كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب، برقم: 2599، ص 1204.

(4) رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار، برقم: 2524، ص 1175.

لم يؤذه أحد، وتحمل وصبر على ذلك حتى أظهر الله دينه وأعلى كلمته، وفتح الله به أعينا عميا وآذانا صمًا وقلوبا غلفاء، وهدى الله به من الضلالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، ولم يلتحق ﷺ بالرفيق الأعلى إلا بعد أن صارت أمته على الدين القويم والملة السوية التي لا عوج لها، فتركها على المحجة البيضاء والنهج الأبلج الواضح. وكان ذلك نصرا مبينا وفتحا عظيما من الله تعالى لرسوله بعد صبره الطويل على ألوان البلاء وأصناف الشدائد والمحن. قال عليه الصلاة والسلام: «لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة، وما لي ولا لبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال»<sup>(1)</sup>.

ومن البلاء الذي تعرض له عليه الصلاة والسلام، ما لقيه من المحنة من قبل أهل الطائف، بعدما قطع أميالا ذات العدد في الصحاري المقفرة والشمس الحارقة على قدميه الشريفتين، سائرا من مكة التي اشتد عليه فيها أذى المشركين، لما خلا لهم السبيل إليه بموت عمه أبي طالب، في عام الحزن الذي توفيت فيه أيضا أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، ففقد عليه الصلاة والسلام من كان يؤنسه ويسانده داخل البيت وخارجه: زوجه وعمه.<sup>(2)</sup> وذهب إلى الطائف عساها يجد من ينصر دينه ويؤوي دعوته، والذي يحدوه في ذلك هو إيمانه برّبه تعالى وتوكله عليه، وحبّه لهداية الناس، وأمله في استجابة أهل الطائف لدعوته، حتى ينالوا رضوان الله ويدخلوا في رحمته سبحانه، وينجوا من سخطه وعقابه. إلا أن القوم كانوا مجرمين، فلم يستجيبوا لدعوته،

(1) رواه أحمد في المسند، برقم: 14055، ج 21، 443.

(2) ينظر: السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام (ت: 213هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي: بيروت، ط 2: 1990م. ج 2، ص 64-65.

ولم يسلم عليه الصلاة والسلام من أذاهم، حيث إنهم ردّوا عليه ببالح سوء، وألبوا عليه سفاءهم، وبالغوا في إيذاه<sup>(1)</sup>.

وعن عروة بن الزبير، أن عائشة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته، أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ فقال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجيني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: "فناداني ملك الجبال وسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين"، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(2)</sup>.

والشاهد من هذه القصة هو جواب النبي ﷺ وردّه على ملك الجبال، فعلى الرغم من أنه ﷺ قد لقي من أهل الطائف الأذى الشديد، من السب والشتم والتعير والضرب، إلا أنه احتل كل ذلك وصبر عليه، ولم يتعجل هلاكهم، ولم يدع عليهم بالفناء؛ ولم يُرد الانتقام لنفسه بعد أن صارت الفرصة سانحة، فلو شاء، لسمح لملك الجبال أن

(1) ينظر: السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام، ج 2، ص 67-70.

(2) رواه مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، رقم 1795، ص 864.

يطبقها عليهم لتتكسر تلك الجماجم القاسية وتسيل منهم الدماء في أودية الطائف وشعابها، إلا أن ما في قلبه ﷺ من الرأفة والرحمة يبيان ذلك؛ ولم يكن عليه الصلاة والسلام لينتقم لنفسه. فكلّ همه هو هداية الناس ودخولهم في رحمة الله تعالى. وهذا ما كان كلّ أمله، ورجاؤه أن يخرج الله تعالى من أصلاب أولئك المشركين المعاندين من يوحد الله تعالى ولا يشرك به.

وإنه عليه الصلاة والسلام ليحزن ويأسى على كل نفس لم تقبل دعوة الإيمان، فهمة المتواصل وحزنه الدائم هو هداية الأمة وإرشادها إلى سبيل السعادة والرضوان، ويصف الله تعالى حزنه الشديد أسفا وحسرة على الكافرين بآياته سبحانه، فيقول: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعَ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثِرِهِمْ؛ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾<sup>(1)</sup>. وجاء في زاد المسير أن معنى هذه الآية عند اللغويين والمفسرين هو: فلعلك مهلك نفسك، وقاتل نفسك، بعد توليهم عنك أسفا - وهو الحزن الشديد -<sup>(2)</sup>.

يقول ابن الجوزي «ت: 597هـ»: "وهذه الآية يشير بها إلى نهي رسول الله ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان قومه لئلا يؤدي ذلك إلى هلاك نفسه بالأسف."<sup>(3)</sup>

وجاء أيضا عند الطبري أن المراد من الآية هو لعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها حزنا وتلهفا ووجدا، على آثار قومك الذين لم يؤمنوا بكتاب الله تعالى.<sup>(4)</sup> وهو

(1) سورة الكهف، الآية 6.

(2) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (ت: 597هـ)، المكتب الإسلامي: بيروت، ط: 1983م. ج 5، ص 104-105.

(3) المصدر السابق، ج 5، ص 105.

(4) ينظر: تفسير الطبري، ج 15، ص 149.

ما أخبر به سبحانه أيضا في قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَلِغٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(1)</sup>. فيقول الزمخشري «ت: 583هـ»: "البخ: أن يبلغ بالذبح البخاع ... وهو عرق مستبطن الفقار، وذلك أقصى حدّ الذبح، ولعل للإشفاق، يعنى: أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك ألا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا، أو لامتناع إيمانهم، أو خيفة أن لا يؤمنوا."<sup>(2)</sup> وهو من قبيل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾<sup>(3)</sup>.

وفي المقابل نجد النبي ﷺ يفرح ويتهلّل وجهه الشريف عند إسلام أي شخص من الناس، فكان يسعد بذلك ويبتهج، لما ينال من آمن بالله من الرحمة والعق من العذاب والهوان الأبدي، ومن ذلك ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»<sup>(4)</sup>.

وشبه النبي ﷺ حرصه على استنقاذ الناس من النار، وإصرار البعض على الاطراح فيها بقوله: «مثلي كمثّل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدوابّ التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحّمن فيها، قال فذلكم

(1) سورة الشعراء، الآية 2.

(2) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت: 538هـ)، ج4، ص376.

(3) سورة فاطر، الآية 8.

(4) رواه البخاري، في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبيّ فمات، برقم: 1356، ج2، ص94.

مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلمّ عن النار، هلمّ عن النار فتغلبوني تقحّمون فيها»<sup>(1)</sup>

فهّم النبي ﷺ هو نجاة جميع البشرية من النار، ودخولها في رحمة الله، ونيلها سعادة الدنيا والآخرة، والرحمة في الخطاب القرآني أوسع وأشمل من أن تكون خاصة ومحصورة في جنس دون آخر. ومن أسماء الله تعالى الحسنى الرحمن الرحيم، بمعنى ذو الرحمة الواسعة الشاملة، ومن صفاته أنه رؤوف رحيم، قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(2)</sup>. ويذكر الألوسي «ت: 1270هـ» رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "أي شأنها أنها واسعة تبلغ كل شيء، ما من مسلم ولا كافر، ولا مطيع ولا عاص، إلا وهو متقلب في الدنيا بنعمتي"<sup>(3)</sup>.

ومن الأحاديث التي تدعو إلى الرحمة بمعناها الشامل، قول النبي ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء»<sup>(4)</sup>. وحرف "من" الموصول في هذا الحديث يدلّ على الشمول، فالرحمة هنا عامة للإنسان أيا كان معتقده وجنسه، بل ويدخل فيها أيضا سائر الحيوان، وقد أمر النبي ﷺ بالرحمة مع جميع خلق الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «بيننا رجل بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد

(1) رواه مسلم، في كتاب الفضائل، باب شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، ص 1084.

(2) سورة الأعراف، الآية 156.

(3) روح المعاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية: بيروت، ط 1: 1415 هـ، ج 5، ص 72.

(4) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب الرحمة، برقم: 4941، ج 7، ص 298.

بئراً، فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماء، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له"، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»<sup>(1)</sup>

وصح عن النبي ﷺ خبر مغفرة الله تعالى لامرأة بغية لأنها سقت كلباً رحمة به. فعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن امرأة بغية رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها فغفر لها»<sup>(2)</sup>

فإذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الخطايا للبغايا، فكيف بالرحمة بالإنسان الذي كرمه رب البرايا؛ وبناء على هذه المعاني التي تمثلها ودعا إليها النبي ﷺ، فإن القرآن الكريم حينما قرّر أن الغاية من بعثة محمد ﷺ هو الرحمة العامة والشاملة للعالمين، فإن ذلك هو ما ظهر عملياً في سيرته العطرة وتعاليمه السامية وأخلاقه الكريمة، وحرصه الشديد على أمته، فقد كان كلّ همّه إنقاذ الناس من عذاب الله ودخولهم في رضوانه.

وقد شبه النبي ﷺ ما بعث به من الهدى والرحمة بالغيث المدرار، الذي يسقط على سائر الأقطار، دون تمييز ولا تفريق بين أرض وأرض، ولا بين بقعة وأخرى، بما يتصف به هذا الغيث من العموم والشمول والرحمة، فيرتوي به جميع الأخضر واليابس والشجر والحجر، وينزل خيراً وبركة حيث حلّ في سائر بقاع الدنيا، وينتفع به ما شاء

<sup>(1)</sup> رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب الآبار على الطرق إذا لم يُتأذَّ بها، برقم: 2466، ج 3، ص 132-133.

<sup>(2)</sup> رواه مسلم في صحيحه، في كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها، برقم: 2245، ص 1068.



الله من خلقه. قال عليه الصلاة والسلام: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»<sup>(1)</sup>.

إن الرسالة النبوية إذن جاءت كالغيث للعالمين، فهي دعوة عالمية، لا تحصر في جنس معين، أو في بلد بعينه، أو في زمان محدد، والخطاب القرآني نداء لجميع الناس بلا ميز أو إقصاء لأي فرد من الإنسانية جمعاء، وقد جاءت صيغة «أَيُّهَا النَّاسُ» في القرآن الكريم عشرين مرة، مستغرقة النوع الإنساني عبر الزمان والمكان. وهو ما يعترف به المستشرق "مونتجمري وات" Montgomery Watt حينما قال: "فالقرآن يخاطب البشر عامة، وليس الإنسان العربي في الوسط الثقافي أو الحضاري العربي فحسب. وتلك حجة قوية، لأن الإسلام قد انتشر بالفعل انتشاراً واسعاً خارج نطاق الوسط الثقافي العربي بمعناه الضيق أو الأصلي فاعتنقته أجناس مختلفة من أوساط ثقافية مختلفة".<sup>(2)</sup>

وإذا ثبت أن القرآن الكريم جاء بدعوة عالمية قوامها الرحمة بالعالمين، فإن "الآخر" أياً كان، معني بهذه العالمية والرحمة، بل هو محلها ووجهتها، إذ لا معنى لعالمية الدعوة والرحمة إن لم تشمل "الآخر" أياً كان. يقول عمر عبید حسنه: "«الآخر» بكل

(1) رواه البخاري، في كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، برقم: 79، ج 1، ص 27.

(2) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة العامة المصرية للكتاب: القاهرة، ط: 1998م. ص 67.

أحواله محل الدعوة والتبليغ، وهو داخل في عموم الخطاب الإسلامي، وهو من أمة سيدنا محمد ﷺ، باعتبار أن أمة سيدنا محمد ﷺ هي أمة الإجابة «الذات» التي آمنت به وصدقته، وأمة الدعوة «الآخر»، التي لما تؤمن به بعد فهي محل الدعوة والبلاغ المبين، لذلك فالآخر له كامل الحقوق الإنسانية في الرؤية الإسلامية<sup>(1)</sup>. وقد كان خطاب النبي ﷺ عالميا وشاملا، "فلم يكن خطابه لأمة دون أمة ووطن دون وطن، ولكن كان خطابه للنفس البشرية وللضمير الإنساني."<sup>(2)</sup>

وبما يحمله هذا الخطاب من معاني الاعتراف بالآخر والدعوة إلى الحوار معه، وقد تضافرت الآيات التي تحت على ذلك، والقرآن الكريم برمته رسالة الله تعالى إلى الإنسان، يحاوره فيها ويجادله، ويعظه، ويرغبه ويرهبه. فكتاب الله تعالى مليء بأصناف المحاورات والمجادلات لعموم البشر من المؤمنين وغير المؤمنين من أهل الكتاب وسائر أهل الأديان والعقائد، كل يحاوره سبحانه بأسلوب الأكمل والأمثل، ودعا نبيه ﷺ حامل رسالته إلى ذلك، ومن الآيات في هذا المعنى على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(3)</sup>، ونادى نبيه أن يخص أهل الكتاب بدعوتهم إلى المشترك الديني فقال سبحانه: ﴿فُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ

(1) نحو فقه للاستغراب: مقارنة نظرية وتاريخية، محمد البنعادي، مجلة الأمة: قطر، العدد: 132،

عام 1430هـ. من مقدمة عمر عبيد حسنه، ص 12.

(2) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص 119.

(3) سورة النحل، الآية 125.

تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا بِشَهَادَاتِنَا مُسْلِمُونَ<sup>(1)</sup>.

ومجمل القول في هذا الباب إن القرآن الكريم يقرر في نظره إلى "الآخر" غير المؤمن بآيات الله تعالى الشرعية، أيًا كان وأينما كان ومتى كان، أنه محلّ لعالمية الخطاب القرآني، وإن في دعوته ومحاورته اعترافاً به، فهو مقصد للدعوة ووجهة للرحمة التي نادى بها المولى تبارك وتعالى وجعلها جوهر البعثة النبويّة، يقول طه جابر العلواني: "إن عالميتنا ليست عالمية تعصّب أو دعوة تنطلق من الخصوصية الجغرافية لمضاهاة العالمية الغربية، إنها عالمية الرحمة لنا وللغربيين على حد سواء وللعالم أجمع"<sup>(2)</sup>.

فالعالمية القرآنية، عالمية هداية ورحمة، وتسامح أيضاً، فإنها لم تفرض بالقوة كما هو شأن عالمية بعض الحضارات والديانات، كالرومانية والمسيحية، بل جاءت بدعوة سمحة، ترغّب في دخول رحمة الله تعالى برحمة، وتؤكد على مبادئ التعايش والحوار وحرية الاختيار.

(1) سورة آل عمران، الآية 63.

(2) المسلم والآخر، مجمع الفقه الإسلامي، ص 105.

## المبحث الرابع: "الآخر" وقيم التعايش في القرآن الكريم.

إن عالمية الخطاب القرآني، تدعو "الآخر" في كل زمان ومكان إلى رحمة الله الشاملة، وبأسلوب الرحمة والحوار العميق، بالحكمة والموعظة الحسنة، وهو ما يفيد ضمناً الاعتراف بالآخر، وإنّ من تمام هذا الاعتراف وكماله، أن ينتفي الإجماع وتكون حرية الاختيار مكفولة، فأساس التعايش مع "الآخر" الذي قامت عليه تعاليم القرآن الكريم، ودعت إليه وأصلت له، هو ضمان حرية الدين والمعتقد.

هذا، وإن النظرة القرآنية إلى "الآخر"، نظرة شمولية لا تقصي أحداً لجنسه أو لونه أو دينه، وهي نظرة حنو وإشفاق ورحمة، كما أنها نظرة تسامح وتشريف وتكريم، لأن "الآخر" إنسان ابتداء، وقد تقررت حرية وكرامة ومركزية الإنسان في الخطاب القرآني. ويمكن الخلوص بناء على ما سبق الحديث عنه في المحاور السالفة، في شأن ما جاءت به تعاليم القرآن وقام عليه دين الإسلام من العالمية الشاملة والرحمة العامة مع "الآخر"، إلى ما خلاص إليه عمر السيد حينما قال: "خلاصة القول: إن الأمة الإسلامية ذات طابع عالمي جامع، تؤهلها هويتها الإسلامية لأن تكون قطبا ناظما جامعاً للبشرية كلّها عبر الزمان والمكان".<sup>(1)</sup>

وذلك أولاً لعالمية الخطاب القرآني وعدم تمرّكه على قطر أو جنس معين، وثانياً لما قامت عليه رسالة الإسلام من مبادئ الرحمة والتسامح. فلا إقصاء ولا عنصرية ولا اضطهاد في تعاليم كتاب الله تعالى، بل إنّ ما تتسم به أحكامه من السماحة جعلته يكفل حرية "الآخر" في أقدم ما قام عليه الدين برمته؛ وضمن للإنسان حرية

(1) الأنا والآخر من منظور قرآني، السيد عمر، دار الفكر: دمشق، ط1: 2008م. ص69.

الاختيار بين الإيمان والكفر، في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَفَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾<sup>(1)</sup>.

وعلى هذا الأساس القرآني قامت العلاقة مع "الآخر"، فبعد الدعوة والبيان وقول الحق وبسط البرهان، يبقى للآخر حرية الاختيار بين القبول والرفض؛ وكما أن على المسلم حقوقا وواجبات اتجاه أخيه المسلم، فإن عليه أيضا حقوقا ومسؤوليات اتجاه "الآخر" أخيه في الإنسانية، فهو ابتداء محل الدعوة والهداية، ووجهة لعالمية الرحمة التي أرسل بها محمد ﷺ، بما يفرض ذلك من حسن المعاملة وطيب المعاشرة.

وكذلك فإن "الآخر" إنسان كرمه الله عز وجل وفضله على كثير مما خلق، فمن الواجب أن يعامل على هذا الأساس، ومن مقتضيات هذا التكريم الإلهي لبني آدم، أن توقّر إنسانية الإنسان فلا يحتقر ولا يهان من جهة آدميته، وتحترم حرّيته في الاختيار لنعمة العقل التي وهبه الله تعالى.

وذاك هو جوهر التعايش وأساسه، فالعالمية القرآنية عالمية بلاغ وبيان وليست عالمية إكراه ولا اضطهاد. بل إنها "عالمية غير قائمة على حتمية قبول التكليف من كلّ مخاطبيها، بل تقوم على تلقي الخطاب، وعلى معرفة ما فيه من قيم ومعرفة مقاصده، ثم الاختيار في دخول مجال التكليف، أو البقاء خارجها، ليكون ضمن دائرة الخطاب المتجدد ... فالإنسان غير المسلم هو أحد أعضاء عالميّة الخطاب القرآني، ونحن - المسلمين - مسؤولون عن بناء الجسور ومدّها إليه، تحقيقا لعالمية الخطاب، التي لا

(1) سورة الكهف، الآية 29.

تكون ولا تتحقق أقصى حدود تحققها بغير دعوته وخطابه، فتصل الدعوة وحاملوها مستوى البلاغ.<sup>(1)</sup>

وهو المستوى الذي تقف عنده هذه العالمية ولا تتعداه إلى الإكراه على مضمون البلاغ، وهذا هو المبدأ الذي قامت عليه الدعوة النبوية، وهو ما قرره القرآن الكريم، فالله تعالى يخاطب نبيه محمداً ﷺ في كتابه العزيز بقوله: ﴿بِإِنِّ اسْلَمُوا بِفَدِ إِهْتَدَوْا وَإِ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾<sup>(2)</sup>. وفي هذه الآية إشارة إلى الأمرين: عالمية الخطاب وحرية الاختيار، فمن جهة العالمية، يقول ابن كثير رحمه الله في تعليقه على هذه الآية نفسها: "وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته، صلوات الله وسلامه عليه، إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورة، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث"<sup>(3)</sup>.

ومن جهة حرية الاختيار، فإن الآية تعني: إن قبلوا دعوة الإيمان فهم من المهتدين، وإن اختاروا الضلالة فليس من واجبك عليهم يا محمد ﷺ إلا البلاغ والنصح والإرشاد، ولهم حرية البقاء على ما هم عليه من الدين والمعتقد، فكل إنسان وبما وهبه الله تعالى من الحرية والعقل والإرادة والقدرة على التمييز والاختيار يكون مسؤولاً عن اختياراته وسلوكه. وإلى هذا المعنى من التنصيص على حرية الاختيار وانتهاء مسؤولية الدعوة عند مستوى البلاغ يشير ابن جرير الطبري رحمه حينما ذكر

(1) عالمية الخطاب القرآني: دراسة تحليلية في السور المسبحات الخمس، مصطفى جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: فرجينيا، ط1: 2012م. ص73.

(2) سورة آل عمران، الآية 20.

(3) تفسير ابن كثير، ج2، ص26.

في تفسيره أن المراد من قوله جل ثناؤه: ﴿وإن تولوا﴾ هو وإن أدبروا معرضين عما تدعوهم إليه من الإسلام، وإخلاص التوحيد لله رب العالمين، فإنما أنت رسول مبلغ، وليس عليك غير إبلاغ الرسالة إلى من أرسلتك إليه من خلقي.<sup>(1)</sup>

وهذا المعنى هو ما تؤكد عليه أيضا العديد من الآيات في القرآن الكريم، منها قوله سبحانه: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَّغُ﴾<sup>(2)</sup>. وقد تكررت هذه الآية وأمثالها كثيرا في كتاب الله تعالى، وفي ذلك تأكيد واضح على حرية الاختيار وانتفاء الإكراه في الخطاب الدعوي القرآني. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاَعْلَمُوا أَنَّ مَا عَلَى رَسُولِنَا أَلْبَلَّغُ الْمُبِينِ﴾<sup>(3)</sup>. فعند البلاغ تقوم الحجة وتتضح المحجة، وتنتهي تبعة الرسول ومسؤوليته. فما عليه إلا الدلالة على الخير والإرشاد إليه، أما هداية التوفيق فليست بيده، ولا يملكها لغيره؛ فأمر الهداية موكول إلى الله تعالى، ولا يملكها الإنسان لنفسه ولا لغيره، ولا يشرع له أن يكره غيره عليها، لأنها شأن قلبي غيبي لا سبيل للعباد إليه. ولما كان الأمر كذلك، فإن الله تعالى أمر نبيه محمدا ﷺ بالتبليغ فحسب دون أن يحمل الناس كرها على الإيمان، أما الهداية فشأن خاص بالله تعالى وبيده، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، قال جل شأنه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدْيُهُمْ وَلَا كَيْدُ اللَّهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(4)</sup>.

(1) تفسير الطبري، ج 5، ص 288.

(2) سورة المائدة، الآية 101.

(3) سورة المائدة، الآية 94.

(4) سورة البقرة، الآية 271.

وما بعث الله رسوله إلا بالدعوة والبلاغ: لقوله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾<sup>(1)</sup>، فانحصرت الوظيفة في البلاغ ولا سلطان للنبي ﷺ على خلقه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾<sup>(2)</sup>، أي: ذكر الناس، وعظهم، وأنذرهم، وبشرهم، فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله وتذكيرهم، ولم تبعث مسيطرا عليهم، مسلطا، ولا موكلا بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك، فلا عليك بعد ذلك لوم.<sup>(3)</sup> فإنك ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾<sup>(4)</sup>، ولا بمسلط، ولا أنت بجبار، تحملهم على ما تريد. إنما كل أمرهم إلى الله تعالى، ودعهم وحكمه فيهم<sup>(5)</sup>.

وهذا المعنى وارد أيضا في مثل قوله سبحانه: ﴿إِنِ اعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾<sup>(6)</sup>. وجاء في تفسير المنار ما نصه: "فما أرسلناك عليهم حفيظا، أي ومن تولى وأعرض عن طاعتك التي هي طاعة الله فليس من شؤون رسالتك أن تكرهه عليها... لا حفيظا عليهم، أي: لا مسيطرا ورقيبا تحفظ على الناس أعمالهم فتكرههم على فعل الخير، ولا جبارا تجبرهم عليه، بل الإيمان والطاعة من الأمور الاختيارية التي تتبع الاقتناع"<sup>(7)</sup>.

(1) سورة المائدة، الآية 69.

(2) سورة الغاشية، الآية 21-22.

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص 923.

(4) سورة الغاشية، الآية 22.

(5) ينظر: تفسير الطبري، ج 24، 340.

(6) سورة الشورى، الآية 45.

(7) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا (ت: 1354هـ)، دار المنار: مصر، ط 3:

1367هـ. ج 5، ص 280.



وقد بين المولى سبحانه وظيفه النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّجْءُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾<sup>(1)</sup>. وإن مهمة النبي ﷺ هي دلالة الخلق على الخالق، فكانت "رسالته إلى الناس عامة محصورة في التبليغ بعد تجلية حقائق الإيمان، وتعرية أوهام الكفر والفسوق والعصيان، وليس للرسول ولا لأحد من بعده أن يتجاوز حدود التبليغ والإرشاد والنصح. وبذلك يرسي الإسلام مبدأ الحريات الإنسانية في مسألة العقيدة وهي ركن الأركان في الدين، فالعقيدة محلها القلب وليس لأحد على القلوب سلطان، إلا لخالق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما."<sup>(2)</sup>

فلا سبيل إلى فرض الإيمان بالإكراه، وحكى محمد رشيد رضا إجماع المسلمين على إبطاله، حينما قال في تفسيره للآية: ﴿أَقَانَتْ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(3)</sup>: "أي إن هذا ليس في استطاعتك أيها الرسول، ولا من وظائف الرسالة التي بعثت بها أنت وسائر الرسل: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾"<sup>(4)</sup>، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾"<sup>(5)</sup>، وهذه أول آية نزلت في أن الدين لا يكون بالإكراه أي لا يمكن للبشر ولا استطاع، ثم نزل عند

(1) سورة الأحزاب، الآية 45-46.

(2) مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجاً وسيرة، عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار الفتح للإعلام العربي: القاهرة، ط: 1996م. ص 50.

(3) سورة يونس، الآية 99.

(4) سورة الشورى، الآية 45.

(5) سورة ق، الآية 45.

التنفيذ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾<sup>(1)</sup> أي لا يجوز ولا يصح به ... وأجمع علماء المسلمين على أن إيمان المكره باطل لا يصح<sup>(2)</sup>.

والإكراه في الدين أمر ممتنع أصلاً، تأباه طبيعة الدين نفسه، لأنه شأن قلبي، ولا سلطان لأحد على قلوب العباد، إلا رب العباد الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. كما أن المسؤولية والمحاسبة تكون مع توافر الحرية والعقل والإرادة، وتسقط تحت الإكراه والإجبار، ولا معنى للترغيب في الثواب والترهيب من العقاب لو لم تكن الحرية مكفولة، كما أنه لا يثاب الإنسان على عمل قام به إذا كان مسلوب الحرية والإرادة، ولا يحاسب على ما صدر منه تحت التهديد والإكراه، ويذكر عثمان علي حسن، أن الطريق الأمثل للعقيدة الإقناع لا الإكراه، والاختيار لا الإجبار، فالإكراه عليها أمر غير ممكن للبشر على البشر، فإن خضعت الأركان فأني للجنان أن يخضع، وهو موطن العقيدة، تحبس فيه وتختفي بين جوانحه، فلا تمتد إليها يد البشر، والعقيدة المكره عليها صاحبها لا يقبلها الله، ولا يحاسب أو يجازى عليها.<sup>(3)</sup>

فمن أسلم بلسانه تحت الإكراه ولم يؤمن قلبه لا يعد عند الله مسلماً. وكذلك من كفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان لا يعد كافراً، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ اكْرَاهَ وَفُلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَسَّ شَرْحٌ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ

(1) سورة البقرة، الآية 255.

(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج11، ص484.

(3) الحرية الدينية وعقوبة الردة: مناقشات وردود، عثمان علي حسن، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (جامعة قطر)، عام 2004م، ص173.

عَظِيمٌ»<sup>(1)</sup>، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله تجاوز لأمتي عما توسوس به صدورها، ما لم تعمل به أو تتكلم به، وما استكروها عليه»<sup>(2)</sup>.

ونتيجة لمبدأ عدم الإجبار والإكراه وجد "الآخر" الذي سيبقى دوما محلا لعالمية الخطاب، كما أنه لا مصوغ للعالمية إلا بوجوده، كما صار التعايش مع هذا "الآخر" الذي لم يقبل دعوة الإيمان وآثر دينه وفكره، حتمية شرعية، ومبدأ قرآنيا أصيلا، قرّره نصوص كتاب الله تعالى بكل جلاء ووضوح، فنصّت ابتداء على الحرية في قضية الإيمان أو الكفر، كما في قوله سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾<sup>(3)</sup>، ويذكر السعدي أنه مع هذه الآية، لم يبق إلا سلوك أحد الطريقين، بحسب توفيق العبد، وعدم توفيقه، وقد أعطاه الله مشيئة بها يقدر على الإيمان والكفر، والخير والشر، فمن آمن فقد وفق للصواب، ومن كفر فقد قامت عليه الحجة، وليس بمكره على الإيمان.<sup>(4)</sup>

ولعل قضية الحرية الدينية التي كفلها القرآن الكريم تظهر في أبهى تجلّيتها في قوله سبحانه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(5)</sup>. والآية محكمة غير منسوخة، يقول القرطبي: "ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة الحكم بالإذن

(1) سورة النحل، الآية 106.

(2) رواه ابن ماجة، أبواب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، برقم: 2044، ج 3، ص 200.

(3) سورة الكهف، الآية 29.

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، ص 476.

(5) سورة البقرة، الآية 255.

بالمحاربة"<sup>(1)</sup>. ويذكر خالد حسن أن ابن تيمية قال عن هذه الآية: "جمهور السلف على أنها ليست منسوخة ولا مخصوصة، وإنما النص عام، فلا نكره أحدا على الدين. والقتال لمن حاربنا، فإن أسلم عصم ماله ودمه، وإذا لم يكن من أهل القتال فلا نقاتله. ولا يقدر أحد قط أن ينقل أن رسول الله ﷺ أكره أحدا على الإسلام لا ممتنعا ولا مقدورا ولا فائدة في إسلام مثل هذا. ولكن من أسلم قبل منه ظاهر الإسلام."<sup>(2)</sup>

ويورد ابن كثير في تفسيره أن معنى هذه الآية هو "لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرها مقسورا"<sup>(3)</sup>.

ويذكر ابن القيم أن هذه الآية نزلت في رجال من الصحابة كان لهم أولاد، قد تهودوا وتنصروا قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أسلم الآباء وأرادوا إكراه الأولاد على الدين، فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك حتى يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الإسلام. ثم قال ابن القيم رحمه الله: "والصحيح: الآية على عمومها في حق كل كافر،

(1) تفسير الطبري، ج 4، ص 554.

(2) موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، حسن خالد، ص 100-101.

(3) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء ابن كثير، ج 1، ص 682.

وهذا ظاهر على قول من يجوز أخذ الجزية<sup>(1)</sup> من جميع الكفار، فلا يكرهون على الدخول في الدين، بل إما أن يدخلوا في الدين، وإما أن يعطوا الجزية.<sup>(2)</sup>

(1) الجزية في اللغة: وزنها فعلة، من جزي يجزي إذا كافأ عما أسند إليه، فكأن أهل الذمة أعطوها جزاء ما منحوا من الأمن تحت ظل حكم الإسلام.<sup>1</sup> وهي "المال المأخوذ من كفار أهل الذمة بالتراضي؛ لكفنا عن قتالهم، وحقن دماءهم، وسكانهم الدائم في دار الإسلام."<sup>2</sup> وتتخذ من كل الأمم سواء أكانوا كتابيين أم مجوساً أم غيرهم، وسواء أكانوا عرباً أو عجماء. وقد ثبت بالقرآن أنها تؤخذ من الكتابيين كما ثبت بالسنة أنها تؤخذ من المجوس، ومن عداهم يلحق بهم.<sup>3</sup> وحكى القرطبي إجماع العلماء على أنها تؤخذ من الرجال الأحرار البالغين المقاتلين، دون النساء والذرية والعبيد والمجانين والشيخ الفاني، وبأداء أهل الجزية لجزيتهم لا يؤخذ منهم شيء من ثمارهم ولا تجارتهم ولا زروعهم، إلا أن يتجروا في بلاد غير بلادهم التي أقروا فيها وصولحوا عليها فيأخذ منهم العشر.<sup>4</sup> ومن عجز عن الجزية تسقط عنه، ولا يكلف الأغنياء بأدائها عن الفقراء.<sup>5</sup> وعموماً، فإن الجزية: مقدار ضئيل من المال، أقل الزكاة المفروضة على المسلمين، يتفاوت بتفاوت حالة الذمي المالية، وتدفع الجزية لسببين:

- انتفاع أهل الكتاب بالمرافق العامة للمسلمين، كالقضاء والشرطة والطرق الممهدة والآبار وغيرها، والمرافق العامة التي تحتاج إلى نفقات يدفع المسلمون قسطها الأكبر، ويسهم أهل الكتاب بالجزية في تكاليف هذه المرافق.
- الاعفاء من واجب الدفاع عن البلاد، فلا يكلف القادرون من أهل الكتاب أن يحملوا السلاح ليدافعوا عن البلاد بل يقوم بذلك المسلمون، ولذلك يدفع أهل الكتاب هذه الضريبة نظير إعفائهم من هذا الواجب الكبير، ويسجل التاريخ أن بعض أهل الكتاب قاموا بنصبتهم في الدفاع فسقطت عنهم الجزية وذلك في عهد عمر رضي الله عنه.<sup>6</sup> ويقول يوسف القرضاوي: "إن الجزية: قدر مالي يؤديه الذمي، مقابل الدفاع عنه وعدم مشاركته في أعمال القتال التي يتكلف بها المسلمون، وأنها بدل عن فريضتين فرضتا على المسلمين. هما: فريضة الجهاد وفريضة الزكاة، ونظراً للطبيعة الدينية لهاتين الفريضتين لم يلزم بهما غير المسلمين. على أنه في حالة اشتراك الذميين في الخدمة العسكرية والدفاع عن الحوزة مع المسلمين فإن الجزية تسقط عنهم."<sup>7</sup>

<sup>1</sup>-الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت: 671 هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب: الرياض، ط: 2003م. ج8، ص114.

<sup>2</sup>-معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مجموعة مؤلفين، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية: الرياض، ط2: 2017م. ج2، ص613.

<sup>3</sup>-فقه السنة، السيد سابق، مكتبة الرشد: الرياض، ط1: 2001. ج3، ص132.

<sup>4</sup>-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج8، ص112-113.

<sup>5</sup>-المصدر السابق، ج8، ص115.

<sup>6</sup>-ينظر: الإسلام، أحمد شلبي، ص167-168.

<sup>7</sup>-غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة: القاهرة، ط4: 2005م. ص61.

(2) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، ص237.

ويورد رشيد رضا في تفسيره أن حرية الاختيار هو حكم دين الإسلام الذي يزعم الكثيرون من أعدائه أنه قام بالسيف، ويتساءل هل كان السيف يعمل عمله في إكراه الناس على الإسلام في مكة أيام كان النبي ﷺ يصلي مستخفياً، وأيام كان المشركون يفتنون المسلم بأنواع من التعذيب ولا يجدون رادعاً حتى اضطر النبي وأصحابه إلى الهجرة؟ أم يقولون إن ذلك الإكراه وقع في المدينة بعد أن اعتز الإسلام! وهذه الآية قد نزلت في غرة هذا الاعتزاز. ولم يأذن النبي لمن استأذنه من أصحابه بإكراه أولادهم المتهودين على الإسلام ومنعهم من الخروج مع اليهود. فذلك أول يوم خطر فيه على بال بعض المسلمين الإكراه على الإسلام، وهو اليوم الذي نزل فيه لا إكراه في الدين.<sup>(1)</sup>

وتجدر الإشارة إلى أن النبي ﷺ عفا عن أولئك المشركين في فتح مكة يوم أظهر الله عليهم، رغم ما وجد منهم من استهزاء وتكذيب وتعذيب له ولأصحابه رضوان الله عليهم، ورغم ما لاقوا منهم من تنكيل وقتال طال أمده أزيد من عشرين سنة. مع ذلك كله فقد قام فيهم ﷺ خطيباً وقال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.<sup>(2)</sup>

يقول ابن قيم الجوزية: "ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم تبين له أنه لم يكره أحداً على دينه قط، وأنه إنما قاتل من قاتله، وأما من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيماً على هدنته، لم ينقض عهده، بل أمره الله تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج3، ص36-37.

(2) ينظر: تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط14: 1985م. ص258.

له. <sup>(1)</sup> لقوله تعالى: ﴿بِمَا اسْتَفْتَمُوا لَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ﴾ <sup>(2)</sup>. ثم ذكر ابن القيم أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة صالح اليهود وأقرهم على دينهم، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم، فمن على بعضهم، وأجلى بعضهم، وقاتل بعضهم. وكذلك لما هادن قريشا عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدؤوا هم بقتاله ونقض عهده، ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم. <sup>(3)</sup>

ويقرر ابن القيم أيضا أن المقصود من ذلك كله هو أن النبي ﷺ لم يكره أحدا على الدخول في دينه البتة، وإنما دخل الناس في دينه اختيارا وطوعا، فأهل اليمن كانوا على دين اليهودية ثم دخلوا في الإسلام من غير رغبة ولا رهبة، وكذلك من أسلم من يهود المدينة، لم يسلموا رغبة في الدنيا ولا رهبة من السيف، بل أسلموا في حال حاجة المسلمين وكثرة أعدائهم، ومحاربة أهل الأرض لهم من غير سوط ولا نوط. <sup>(4)</sup>

وتحمل من اعتنق الإسلام من الصحابة كل أصناف الأذى وأنواع البلاء من أجل دينهم ومعتقدهم، فلم يكن الإكراه على الدخول في دين الإسلام، بل كان الإكراه والاضطهاد للخروج منه، وصبر المؤمنون على ذلك واحتملوا "معاداة أقربائهم وحرمانهم نفعهم بالمال والبدن مع ضعف شوكة المسلمين وقلة ذات أيديهم، فكان أحدهم يعادي أباه وأمه وأهل بيته وعشيرته، ويخرج من الدنيا رغبة في الإسلام، لا لرئاسة ولا مال،

(1) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، ص 238.

(2) سورة التوبة، الآية 7.

(3) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، ص 238.

(4) المصدر السابق، ص 238-239.

بل ينخلع من الرئاسة والمال، ويتحمل أذى الكفار من ضربهم وشتيمهم وصنوف أذاهم ولا يصرفه ذلك عن دينه.<sup>(1)</sup>

فدخول الناس في دين الإسلام لم يكن تحت الإكراه، ولم ينتشر بقوة السيف كما يدعي خصومه، بل بقوة الحق الذي يحمله، وبالسماحة التي تتصف بها تعاليمه، وهذا ما تعترف به المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه"، حينما تساءلت أحقاً انتشر الإسلام بالسيف؟ فأجابت قائلة: "على العكس من هذه المغالطة التي تعد بلا شك من أقسى الأحكام الظالمة المسبقة الراسخة ضد الإسلام، يثبت التاريخ لنا أن الدور الحاسم في انتشار الإسلام يرجع إلى التسامح العربي."<sup>(2)</sup>

وكلّ حروب الإسلام التي خاضها الرسول ﷺ في وجه قريش ومشركي العرب، وفي وجه فارس والروم، لم تكن لنشر العقيدة بالسيف والقهر والإكراه. بل كانت لردّ عدوان الحاقدين على الإسلام والمعتدين على حريات الناس، وشرعت لكف أذى أولئك الذين يكفرون بحرية الناس في اختيار العقيدة التي يشاؤون والدين الذي يحبّون. ولو سلك الإسلام مسلك القهر في نشر دعوته، لما لجأ النبي ﷺ إلى إطلاق سراح القرشيين عقب فتح مكة.<sup>(3)</sup>

وبناء عليه، فحمل السيف في الإسلام لم يكن لإرغام الناس ولا لإكراههم على الدين، وإنما كان يُرفع دفاعاً عن حوزة المسلمين، وردّاً لعدوان المعتدين، وصيانة لحرية

(1) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، ص 239.

(2) الله ليس كذلك، زيغريد هونكه، ص 40.

(3) ينظر: موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، حسن خالد، ص 99-100.



الاختيار التي كان يصادرها أئمة الكفر في البلاد التي يسوسونها ويسودونها، فيمارسون على أهلها الوصاية على دينهم ومعتقداتهم رعاية لمصالحهم ومناصبهم، ويقفون سدا مانعا وحاجزا عازلا أمام الدعوة والهداية حتى لا تشيع بين العامة.

فلا يدعون نور الإيمان يصل إلى قلوب الناس، ولا يتركون صوت القرآن الكريم يصدح في الآفاق ويبلغ أسماع العباد، ولا يريدون لنداء التوحيد أن يرفع ويعلو ويتردد صده في الأرجاء، ولا يسمحون لشمس الإسلام أن تشرق على ربوع تلك البقاع، فيرفع السيف في وجه السيف لإبطال الحيف وكشف الزيف، ولحذف العوائق في وجه الحقائق، ولفتح الحدود وكسر القيود التي يضعها الظالمون في طريق دعوة الإيمان ونور الهداية. فإذا أزيحت العقبات والحواجز من طريق الخطاب القرآني العالمي بالفتح والنصر وإعلاء كلمة الله تعالى، لا كلمة الكفر وأئمتهم، صار الناس أحرارا في اختيار ما يشاؤون، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فإن حرية الاختيار مكفولة بنص القرآن الكريم.

إن حمل السيف في الإسلام كان في وجه السيف المشهور، الذي يريد قطع الطريق على عالمية الخطاب القرآني ودعوة الهداية والإيمان حتى لا تصل ولا تعم ولا تشيع بين الناس، وكان في وجه السيف المسلول الذي يسعى لإسكات صوت الحق لئلا يذاع ويبلغ الأسماع؛ ولم يكن قطعاً حمل السيف في دين الله تعالى لإكراه الناس عليه، فلا إكراه في الدين، ولكن كان لتحرير العباد من الوصاية والإكراه الذي تمارسه عليهم قوى الكفر، ولفتح الطريق أمام الدعوة لتبلغ جميع الناس تحقيقاً لعالمية الخطاب القرآني لا لإكراههم عليها ولكن لتمكينهم منها وإيصالها إليهم، ولصيانة حريتهم في الاختيار

بعد البلاغ والبيان وكشف الحجة وإيضاح المحجة. فلم يكن السيف لإكراه الناس على الإيمان، ولكن لتحريرهم من سيف الكفر الذي على رقابهم والذي يحول بينهم وبين حرية السماع وحرية الاختيار. وحتى يتمكنوا من الإنصات لنداء الفطرة وصوت الحق في حرية، ولهم بعد ذلك حق الاختيار.

وما من بلاد فتحها المسلمون، وكسروا فيها شوكة الكفر وأهله، وأزاحوا منها سلطان الشرك وزمرته، وبلغ الناس فيها دعوة الحق، ومكّنوا من حريتهم في الاختيار واتخاذ القرار، إلا وتجد العباد فيها يسارعون إلى ربهم، ويدخلون طوعا في دين الله أفواجا، وأما من بقي منهم على دينه وكفره، فلا يقاتل ولا يعتدى عليه، فالشرع الحكيم حرّم الظلم والعدوان إلا على الظالمين، ولا يقاتل إلا المقاتلون، ومن سالم سلم، ومن أسلم فقد أفلح ونجح.

يقول ابن القيم: "فلما بعث الله رسوله ﷺ استجاب له ولخلفائه بعده أكثر أهل الأديان طوعا واختيارا، ولم يكره أحدا قط على الدين، وإنما كان يقاتل من يجاربه ويقاتله، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالا لأمر ربه سبحانه وتعالى حيث يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾" (1). (2)

وهو ما تقرّ به المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه" بقولها: "لا إكراه في الدين: تلك هي كلمة القرآن الملزمة ... فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامي، وإنما بسط سلطان الله في أرضه، فكان للنصراني أن يظل نصرانيا،

(1) سورة البقرة، الآية 255

(2) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، ص 237.

ولليهودي أن يظل يهوديا كما كانوا من قبل، ولم يمنعهم أحد أن يؤدوا شعائر دينهم، ولم يكن أحد لينزل أذى أو ضررا بأحبارهم أو قساوستهم ومراجعهم، وبيعهم وصوامعهم وكنائسهم.<sup>(1)</sup>

وتاريخ الإسلام بطوله وعرضه، خير شاهد على عدم حصول أي اضطهاد ديني لأتباع الملل الأخرى، لأجل استئصال دينهم، أو إبادة عنصرهم، أو بغية إدخالهم قسرا في دين الإسلام، فكل ذلك لم يحدث. يقول هاني المبارك: "إن الإسلام ليفخر أن أرضه لم تشهد أي لون من ألوان الاضطهاد الديني، ويعود الفضل في ذلك إلى تعاليم الإسلام التي كفلت الحرية الدينية للجميع ولم تفرق في ذلك بين أكثرية وأقلية."<sup>(2)</sup>

وبالنظر إلى مقاصد وأخلاق الحرب في القرآن الكريم وأحكام الإسلام، فشتان بينها وبين غايات وتعاليم الدمار والدموية والهلاك التي جاء بها الكتاب المقدس، فإن هذا الأخير يدعو إلى الإبادة الشاملة ويأمر بالقتل دون استثناء، من أجل احتلال الأرض الموعودة، والسطو على الممتلكات أو تدميرها، ولإبادة أو استعباد أربابها، كما سبق بيان ذلك في المباحث السالفة التي ذكر فيها بعض النماذج من النصوص التوراتية التي تقرّر تلك الأحكام الجائرة، ومنها على سبيل المثال ما جاء في سفر يشوع وهو يتحدث عن «بطولات» الشعب المختار في الإبادة والدمار، الذي لم يسلم منه إنسان ولا عمران، بل حتى حيوان، فجاء عند يشوع ما نصه: [فاندفع الشعب نحو المدينة كلّ إلى

(1) الله ليس كذلك، سيجريد هونكه، ص 41.

(2) الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، هاني المبارك وشوقي أبو خليل، دار الفكر: دمشق، ط 1:

وجهته، واستولوا عليها. ودمروا المدينة وقضوا بحدّ السيف على كلّ من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتّى البقر والغنم والحمير<sup>(1)</sup>.

فإذا كانت هذه هي تعاليم وأخلاق الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى، فإن القرآن الكريم قد جاء بمبادئ وأحكام لا يمكن وبما تتصف به من العدل والإحسان والسماحة إلا أن تكون من السماء، فليس بمقدور بشر أن يصوغها.

وغاياتها ابتداء، ليس التمكين للإنسان من أجل نيل أعراض الدنيا، ولكن لأجل إقامة دين الله وإعلاء كلمة الله تعالى في الأرض، ولنصب ميزان العدل والمعروف بين الناس. قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَخَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(2)</sup>. فالمقصود من الجهاد ليس هو جمع الأموال ولا السطو على ممتلكات الغير، أو إجبار الناس على الدخول في الإسلام، ولكن الغاية العظمى منه هو التمكين لدين الله تعالى وإعلاء كلمته، حتى تنتشر الهداية، ولا يعترض سبيلها قطاع الطرق الذين يقفون حاجزا دون وصول الخير والبر والهدى إلى عامّة عباد الله تعالى، وحتى تزول المعوقات التي تحول دون الناس ورحمة الله تعالى. فالهدف هو فتح السبيل أمام دعوة الإيمان ونداء الفطرة، حتى يصل إلى قلوب الناس وعقولهم، دون أن يحول بينها وبينهم طغيان الفئة الظالمة، ولا استبداد السلطة الحاكمة. فالغاية إذن هي الدعوة إلى الله تعالى ورحمته وكفى.

(1) سفر يشوع 6: 20-21 (كتاب الحياة، ص 284).

(2) سورة الحج، الآية 39.

وقد بين النبي ﷺ هذه الغاية لعل ﷺ حينما أرسله إلى الجهاد، فقال له: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم»<sup>(1)</sup>

وكان النبي ﷺ حريصاً كل الحرص على أن يكون القتال آخر ما يلجأ إليه، فرؤي أنه ﷺ «بعث معاذاً في سرية وقال: لا تقاتلوهم حتى تدعوهم، فإن أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم، فإن بدؤوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً، ثم أروهم ذلك القتل وقولوا لهم هل إلى خير من هذا سبيل؟ فلأن يهدي الله تعالى على يدك خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت»<sup>(2)</sup>

فالهداية هي رأس الأمر في شأن الجهاد في الإسلام، فإذا تحققت، تحقق المقصود الأعظم، ولم يكن القتل غاية أبداً ولا هدفاً، ولذلك فقد غضب النبي ﷺ بشدة لما قتل أسامة ابن زيد رجلاً بعد نطقه بالشهادتين، فروى البخاري أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة، فصباحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:

(1) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، رقم: 3009، ج4، ص60.

(2) أورده السرخسي في المبسوط، ج10، ص31. (المبسوط، محمد بن أحمد السرخسي (ت: 483هـ)، دار المعرفة: بيروت، ط: 1993م).

«يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله» قلت: كان متعوّذاً، فما زال يكررها، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.<sup>(1)</sup>

وهذا الحديث يبيّن مدى حرص النبي ﷺ على الأرواح، وتعظيمه لشأن الدماء، فغضبه الشديد ﷺ على صنيع أسامة بن زيد رضي الله عنهما برهان جليّ على خطورة وحرمة القتل بغير حق، ولو في ساحات القتال.

وفي حروب الإسلام، لا يكون القتل مقصوداً لذاته، إنما هو دفع لضرر محقق وكفّ لتهديد حاصل، وردّ لعدوان قائم، ومقارعة سيف لسيف مسلول، فإذا أغمد المعتدي سيفه وكفّ عدوانه، فلا يعتدى عليه، ولا يقاتل إلا الذين يقاتلون، والمبدأ القرآني السامي السماوي واضح وجليّ في هذا الشأن، قال الله عز وجل: ﴿وَفَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(2)</sup>. فما أسمى وما أعلى هذه التعاليم، التي تنصّ على العدل، وتحرم الظلم، في ساحات القتال، حيث الدماء والأشلاء في كل مكان، وحيث الفوضى وكثرة الهرج، ومع ذلك، وفي تلك الحال، يدعو القرآن إلى الثبات على الحق، وألا يدفع الإنسان غضبه فيحيد عن الصواب، ويحمله رأيه على العدوان.

ويروي الطبري عن حبر القرآن، الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال في تفسير الآية: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: «لا تقتلوا

<sup>(1)</sup> رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحركات من جهينة، رقم: 4269، ج 5، 144.

<sup>(2)</sup> سورة البقرة، الآية 189.

النساء، ولا الصبيان، ولا الشيخ الكبير، ولا من ألقى إليكم السلم وكف يده، فإن فعلتم هذا فقد اعتديتم». ويروي أيضا، أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عدي بن أرطاة، كتابا يقول له فيه إني وجدت آية في كتاب الله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾<sup>(1)</sup> أي لا تقاتل من لا يقاتلك، يعني النساء، والصبيان، والرهبان.<sup>(2)</sup>

وعند القرطبي أن هذه الآية محكمة ومعناها قاتلوا الذين هم بحالة من يقاتلونكم، ولا تعتدوا في قتل النساء والصبيان والرهبان وشبههم.<sup>(3)</sup> وهذه المعاني هي ما يؤكد عليه أيضا ابن كثير في تفسيره، حينما بين أن المقصود من عدم العدوان في الآية سالفه الذكر هو ارتكاب المناهي من المثلة، والغلول، وقتل النساء والصبيان والشيخ الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار وقتل الحيوان لغير مصلحة.<sup>(4)</sup>

وكانت تعاليمه ﷺ واضحة في بيان هذه الآداب في أحكام القتال ومقاصده، فكان ﷺ إذا أمر أميرا على جيش، أو سرية، أو صاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم

(1) سورة البقرة، الآية 189.

(2) تفسير الطبري، ج 3، ص 291.

(3) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، ج 2، ص 348.

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج 1، ص 524.

إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ... فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم،...»<sup>(1)</sup>.

وكان أيضا يقول عليه الصلاة والسلام: «انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيئا فانيا. ولا طفلا، ولا صغيرا، ولا امرأة، ولا تغلوا...»<sup>(2)</sup>

فنهى رسول الله ﷺ نهيا أكيدا عن قتل النساء والأطفال والولدان والشيخوخ الذين لا يد لهم لقتال ولا رأي لهم فيه، وقرّر عليه الصلاة والسلام ذلك في أحاديث عديدة منها ما رواه الإمام مالك «ت: 179هـ» عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ رأى في بعض مغازيه امرأة مقتولة فأنكر ذلك، ونهى عن قتل النساء والصبيان.<sup>(3)</sup> وبناء عليه حكى الإمام النووي «ت: 676هـ» الإجماع على ذلك، فقال: "أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا"<sup>(4)</sup>.

وبعد إيراد الإمام الشوكاني للأحاديث الدالة على النهي عن قتل من سبق ذكرهم من المستضعفين، قال معلقا: "وأحاديث الباب تدل على أنه لا يجوز قتل النساء والصبيان، وإلى ذلك ذهب مالك والأوزاعي فلا يجوز ذلك عندهما بحال من الأحوال،

(1) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ص 828.

(2) رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الدعاء على المشركين، رقم: 2614، ج 4، ص 256.

(3) رواه مالك، كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو. ص 282. (الموطأ، مالك بن أنس، دار ابن حزم: بيروت، ط 1: 2011م).

(4) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط 2: 1392هـ. ج 12، ص 48.



حتى لو تترس أهل الحرب بالنساء والصبيان أو تحصنوا بحصن أو سفينة وجعلوا معهم النساء والصبيان لم يجز رميهم ولا تحريقهم<sup>(1)</sup>.

وبناء عليه، فمن المقرر في دين الإسلام أن من آداب الجهاد ألا يقاتل إلا المقاتلون من حملة السلاح في وجه المسلمين، وإن الوصايا التي عهد بها أبو بكر رضي الله عنه إلى سرية أسامة بن زيد، لشاهد صدق وبرهان حق على سمو الأخلاق وسماحة الأحكام التي جاء بها دين الله تعالى في شأن القتال، والتي تمثلها المسلمون واقعا عملياً، عملاً بتعاليم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ ومما جاء فيها: "لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ولا تقعروا نخلاً وتحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له"<sup>(2)</sup>.

فمقصود الجهاد الأسمى هو الدعوة إلى الله وأن تكون كلمة رب العالمين هي العليا، ومن آدابه ألا يحمل السيف إلا في وجه حامله الذين يريدون أن يصدوا عن سبيل الله، أما القتل فغير مقصود لذاته، فلا يقتل المستضعفون الذين لا طاقة لهم ولا يد لهم في قتال، يقول ابن تيمية: "وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين. وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة كالنساء والصبيان والراهب

(1) نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ)، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار ابن الجوزي: الرياض، ط1: 1427هـ. ج14، ص116-117.

(2) الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط2: 1415هـ. ج2، ص200.

والشيخ الكبير والأعمى والزمن ونحوهم فلا يقتل عند جمهور العلماء ... لأن القتال هو لمن يقاتلنا إذا أردنا إظهار دين الله<sup>(1)</sup>. فلا يقاتل إلا حاملوا السلاح من الكارهين لكلمة الله أن تسود والساعين لمنعها أن تشيع والقاطعين لطريقها، الذين يقفون سدا مانعا في وجه عالمية الدعوة القرآنية، ويصدون عن ذكر الله تعالى وإقام الصلاة، ويحاربون كلمة الله تعالى حتى لا تكون هي العليا، فهؤلاء من المقاتلين المعتدين من يكون لهم التصدي، لكف عدوانهم ولإعلاء كلمة الحق وإظهارها.

ومع أن سيف الحق يسلّ في وجه سيف الباطل المشهور، فإن القاعدة المطردة هي أن الظلم ممتنع والعدل واجب والإحسان وارد في أحكام التعامل مع "الآخر" المحارب، فالله تعالى أثني ورضي وجازى بالجنة من أطعم الأسير، وهو العدو المحارب الذي وقع في أيدي المسلمين، فقال جلّ شأنه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾<sup>(2)</sup>، إلى أن قال سبحانه: ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾<sup>(3)</sup>.

روى ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: "كان أسراؤهم يومئذ مشركين". ثم علّق عليه قائلا: "ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغذاء وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول: الصلاة وما ملكت أيمانكم."<sup>(4)</sup>

(1) مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ج 28، ص 195.

(2) سورة الإنسان، الآية 8.

(3) سورة الإنسان، الآية 12.

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج 8، ص 288-289.

وفيما حكاه ابن كثير كفاية وبلغة في بيان السماحة والسمو للذين كان عليهما المسلمون مع أعدائهم المحاربين، الذين صاروا أسرى في أيديهم. وقد أورد الطبري في تفسيره أن المراد بالأسير: "هو الحربي من أهل دار الحرب يؤخذ قهرا بالغلبة... فأثنى الله على هؤلاء الأبرار بإطعامهم هؤلاء تقربا بذلك إلى الله وطلب رضاه، ورحمة منهم لهم" (1).

فيتحدث الطبري رحمه الله هنا عن رحمة الأبرار من الصحابة الكرام بأولئك الأسرى من المحاربين الكفار الفجار. ومع أن أولئك حاربوا الله ورسوله والمؤمنين، وكانوا حريصين كل الحرص لو كتبت لهم الغلبة على قتل المسلمين وسفك دماء المؤمنين واستحلال أموالهم وأعراضهم واستعباد من أرادوا منهم، مع ذلك كله لما سقط أولئك في أيدي المؤمنين، لم يتحدث القرآن الكريم عن الحقد أو الانتقام، بل أثنى ومدح ورضي على من ترك طعامه وهو يشتهي وفي حاجة إليه من المؤمنين، وأعطاه لذلك الأسير الكافر المحارب، وإن هذا السمو في الأخلاق والعلو في الخصال والرقى في السجايما هو ما كان عليه الرعيل الأول من الصحابة الأجلاء، وتلك هي أخلاق القرآن الكريم، وهذه هي تعاليمه السامية في التعامل مع "الآخر" المحارب.

وإذا تقرّر هذا، فإن القاعدة القرآنية الكبرى في أسس التعامل مع "الآخر" في حالة السلم وعدم العدوان هي قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفْتِلَوْكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (2).

(1) ينظر: تفسير الطبري، ج 23، ص 543-544.

(2) سورة الممتحنة، الآية 8.

يقول الطبري بعد إيراده لأقوال عدة في تأويل الآية: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: غني بذلك: لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفْتِلَوْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَلَلِ وَالْأَدْيَانِ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتَصْلُوهُمْ، وَتَقْسُطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّ بِقَوْلِهِ: الَّذِينَ لَمْ يُفْتِلَوْكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، جَمِيعٌ مِنْ كَانَ ذَلِكَ صِفَتَهُ، فَلَمْ يَخْصُصْ بِهِ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ، وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: ذَلِكَ مَنْسُوخٌ"<sup>(1)</sup>.

والمراد بالإقسط في الآية، ليس هو العدل وإنما الإحسان، والإفضال على وجه الصلة والبر، وهو ما أشار إليه أبوبكر بن العربي «ت: 543هـ»، حينما ذكر أن المقصود من قوله تعالى: ﴿وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ هو أن تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة، وليس يريد به العدل؛ فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل.<sup>(2)</sup>

وإجمالاً فإن تسامح التعاليم القرآنية مع "الآخر"، كان واقعا عمليا في تاريخ أمة الإسلام، وظهر ذلك بجلاء في قيم العدل والإحسان، التي قامت عليها أحكام التعامل مع غير المسلمين من المحاربين والمسلمين من أهل الذمة، سواء كانوا كتابيين أو من باقي أهل الملل.

وأهل الذمة في اصطلاح الفقهاء هم المعاهدون من اليهود والنصارى، ومن في حكمهم ممن يقيم في دولة المسلمين، وسَمَّوا بذلك لأن لهم عهد الله، وعهد رسوله، وعهد

(1) تفسير الطبري، ج 22، ص 574.

(2) أحكام القرآن، محمد بن عبد الله بن العربي (ت: 543هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط 3: 2003م. ج 4، ص 228.

جماعة المسلمين، على أن يعيشوا في حماية الإسلام، وتحت راية المجتمع الإسلامي آمينين مطمئنين.<sup>(1)</sup>

ومن صور التسامح مع أهل الذمة من أهل الكتاب، ما أباح الله تعالى من مصاهرتهم وأكل طعامهم، فلم يحكم بالنجاسة على ذواتهم ومأكولاتهم، فقال جلّ شأنه: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾<sup>(2)</sup>.

وإن في العهود والمواثيق التي قطعها رسول الله ﷺ وصحابته من بعده مع غير المحاربين من أهل الذمة لخير دليل وأعظم برهان على سماحة التعاليم القرآنية، بما تضمنته من المبادئ السامية والأخلاق الرفيعة التي لم يعرف لها تاريخ الغالب مع المغلوب نظيراً، وبما نصّت عليه في حق "الآخر" المخالف في الدين من ضمان الحرية معتقده، وصيانة لكرامته وحقوقه وممتلكاته، وبما أصلت له من قواعد وبنود العيش المشترك في أمان وسلام بلابغي ولا قهر ولا عدوان.

وإن تلك العهود لتكشف بحق عن الصفحة الناصعة في مسيرة دعوة الإيمان وتاريخ الإسلام الذي سجّل بكل فخر واعتزاز عظمة تعاليم القرآن، وشهد بكل أمانة وصدق على شرف وسمو أخلاق المسلمين، وبين بجلاء حقيقة الاعتراف والتسامح

(1) ينظر: الإسلام والآخر، صابر طعيمة، مكتبة الرشد: الرياض، ط1: 2007م. ص488.

(2) سورة المائدة، الآية 6.

والتعايش مع "الآخر" الذي نصت عليه تعاليم القرآن والسنة، والذي صار واقعا عمليا عاشه المسلمون في معاملاتهم ومعاشراتهم مع "الآخر".

ويروي أصحاب السير أن النبي ﷺ أول ما قدم المدينة وضع أول دستور يضبط العلاقة بين المسلمين ومن يعيش بين ظهرائهم من اليهود، والذي "يجوز أن يعتبر أقدم دستور دقيق مسجل في العالم بقي بنصه وفصّه إلى هذا اليوم، بما يتضمنه من موادّ وبنود عميقة في الحكمة السياسية والمدنية والحربية، تجلّت فيها الحكمة النبوية، والهداية الربانية، والدراسة المتزنة للواقع"<sup>(1)</sup>.

فجاء عند ابن هشام «ت: 213هـ» أن رسول الله ﷺ كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم.<sup>(2)</sup> ومما جاء في هذه الوثيقة: "وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم"<sup>(3)</sup>

فأقر النبي ﷺ اليهود على ما كانوا عليه من الدين والمعتقد، وكفل لهم حرية القيام بشعائهم وطقوسهم، وضمن لهم الحقوق الإنسانية والمساواة المدنية، ولم يضطهدهم في دينهم ولا أمر بإبادتهم، ولا احتقرهم ولا استبعدهم ولا استعبدتهم كما هو الشأن في قوانين الغالب مع مغلوبه في تلك الحقبة.

(1) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، هامش ص 282 بتصرف يسير.

(2) السيرة النبوية لابن هشام، ج 2، ص 143.

(3) المصدر السابق، ج 2، ص 144.

وتضمنت وثيقة المدينة التسامح العميق مع "الآخر" والاعتراف به، وضمان حقوقه وحرية وكرامته. مع أن الغلبة والقوة والسلطان كان بيد المسلمين، لا بيد "الآخر"، إذ كتبت بنود تلك الوثيقة والإسلام في عزٍّ ومنعة لا في زمن ضعف وهوان، فقد كان له أنصاره من الأنصار والمهاجرين، فلم يكن إقرار تلك التعاليم السمحة السامية نتيجة خوف أو تحت قهر أو لضعف. بل من موقع القوة جاءت تلك التشريعات الرفيعة، لتثبت أن الإسلام بتعاليمه السماوية القرآنية لم يكن هدفه في يوم من الأيام إبادة "الآخر" أو نفيه واستئصاله، بل على العكس من ذلك، إن كل تعاليم القرآن وتشريعات الإسلام ما وجدت إلا لدعوة "الآخر" إلى سعادة وكرامة الدنيا والآخرة، فإن أبي فلا تحرمه أحكام القرآن والسنة من كرامته الإنسانية ولا من حقوقه الدنيوية، ولا من حرية الدينية. وقطعت معه في ذلك العهود والمواثيق التي تضمن له العيش بكرامة في بلاد المسلمين وتحت سلطانهم.

ومن صور التسامح النبوي مع أهل الكتاب من النصارى، ما ينجلي بوضوح في قصة وفد نصارى نجران، الذين جاؤوا إلى النبي ﷺ وهو في مسجده، وسمح لهم بأداء صلاتهم فيه.<sup>(1)</sup> ويقرر ابن القيم أن من فقه هذه القصة جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين، وكذا صلاتهم به.<sup>(2)</sup>

وبعد حوارهِ ﷺ مع القوم عقد لهم عهداً وأبرم لهم ميثاقاً، كان مما جاء فيه: "ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم، وملتهم، وأرضيهم،

(1) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط 27: 1994م. ج 3، ص 629.

(2) زاد المعاد لابن القيم، ج 3، ص 638.

وأموالهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وألا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم، ...<sup>(1)</sup> "وكل أساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وبيعهم وأهل بيعهم ورقيقهم وملتهم ومتواطئهم، وعلى كل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير جوار الله ورسوله لا يغير أسقف من أسقفته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم ولا مما كانوا عليه..."<sup>(2)</sup>.

فضمنت موثيق رسول الله ﷺ للمعاهدين جميع حقوقهم الإنسانية، وصانت لهم حريتهم الدينية، وحفظت كل مكتسباتهم الدنيوية، في سماحة وسمو لا يعرفه إلا التاريخ الإسلامي، في زمان كان الغالب فيه يفترس المغلوب، بينما جاءت تعاليم القرآن وشرائع الرسول لتحفظ للناس جميعا كرامتهم وحقوقهم، وتدعوهم إلى الفلاح وإلى رحمة الله رب العالمين، وترغب في التراحم والرحمة ولو بالكلب العقور، ففي كل كبد رطبة أجر، وتنهى عن الظلم والبغي والعدوان، وتأمّر بالعدل والإحسان.

وعلى تعاليم كتاب الله تعالى وعلى نهج رسول الله ﷺ سار صحبه الأبرار، فجدد أبو بكر الصديق رضي الله عنه العهد مع نجران بنفس الصيغة والمضمون الذي كتبه به رسول الله ﷺ، فجاء فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتبه عبد الله أبي بكر، خليفة محمد النبي ﷺ لأهل نجران: أجارهم بجوار الله، وذمة محمد النبي ﷺ على أنفسهم

(1) دلائل النبوة، لأبي أحمد بن الحسين البهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1: 1985م، ج5، ص389.

(2) دلائل النبوة للبيهقي، ج5، ص391.



وأرضهم، وملتهم، وأموالهم، وحاشيتهم، وعبادتهم، وغائبهم وشاهدهم، وأساقفتهم، ورهبانهم، وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير...<sup>(1)</sup>

وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه دائم التأكيد على البر بأهل الذمة، وكان شديد الحرص على أن يتحرى بنفسه مراعاة الولاية لهذا الالتزام.<sup>(2)</sup> وحدث في عهد عمر رضي الله عنه، أنه وجد يهوديا يتكفف الناس، فسأله عن ذلك، فقال: إنه شيخ عاجز ولا أحد ينفق عليه، فأخذه عمر إلى بيت المال وفرض له التفقة، وقال: ما أنصفناه، إذ أخذنا منه الجزية شابًا وتركناه شيخًا. فكان له الضمان الاجتماعي في بيت مال المسلمين.<sup>(3)</sup> ومن وصايا عمر رضي الله عنه وهو على فراش الموت: "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرا، وأن يوفي لهم بعهدهم، وأن يُقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم."<sup>(4)</sup>

ثم جاء عثمان بن عفان رضي الله عنه من بعده لتقرير ما عاهد عليه عمر أهل الذمة من النصارى، فأوصى عامله في كتابه له على حفظ بنود معاهدة عمر.<sup>(5)</sup> ثم خلفهم

<sup>(1)</sup> مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس: بيروت، ط6: 1987م، ص191.

<sup>(2)</sup> مواطنون لا ذميون، فهي هويدي، دار الشروق: القاهرة، ط1999م، ص 114.

<sup>(3)</sup> معاملة غير المسلمين، محمد علي البار، الصفحة: 35-36.

<sup>(4)</sup> رواه البيهقي في السنن الكبرى، في كتاب الجزية، باب الوصاة بأهل الذمة، برقم: 18741، ج9، 347. (السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط3: 2003م).

<sup>(5)</sup> ينظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، ص197-198.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه من بعدهم فضمن لأهل الكتاب ما ضمنه لهم رسول الله ﷺ وخلفاؤه من بعده.<sup>(1)</sup>

والحقيقة أن التسامح كان سمة بارزة في تاريخ المسلمين مع "الآخر"، سواء في عهد النبي ﷺ، أو في زمن من جاء بعده، ممن سار على نهجه وحفظ وصاياه ﷺ وقام على أمره، واستقام شأنه على تعاليم القرآن الكريم. فالسماحة خلق المسلمين ودينهم، وبذلك جاءت تعاليم كتابهم، وعلى ذلك كان نبينهم ﷺ، الذي على نهجه سار الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون، ويسير كل من استمسك بتعاليم الكتاب والسنة إلى يوم الدين. فحفظوا العهود والمواثيق، وصانوا الحقوق والحرمان. وعاش غير المسلمين بجوار المسلمين وبينهم في أمن وأمان، وفي حفظ وكرامة، يغدون ويروحون آمنين مطمئنين، لا يخافون، لا على أنفسهم ولا على أموالهم من بغي ولا عدوان، لأن سيف الشرع مسلول لإقامة العدل وحفظ الحرمان.

وقد أوجب الإسلام على المسلمين حماية دماء ونفوس وأعراض وأموال غير المسلمين، وصيانة سائر ممتلكاتهم، وحرّم بشكل قطعي وحذر بشدة ووضوح من أي ظلم أو اعتداء أو أذى يطل أي معاهد ممن في ذمة المسلمين. وورد في ذلك الأحاديث الكثيرة، منها قوله ﷺ: «ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»<sup>(2)</sup>. وهذا الحديث يتضمن وعيدا شديدا

(1) ينظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص 198-199.

(2) رواه أبو داود في سننه، كتاب الخراج، في باب تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، ج 4، ص 658.

وترهيباً وتفزيماً في حق كل من يعتدي على واحد من المعاهدين، فإن رسول الله ﷺ هو من يكون غداً يوم القيامة خصمه وحجيجه.

وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً»<sup>(1)</sup>.

إن هذه التعاليم النبوية وبما تتضمنه من التحذير والترهيب، تؤكد على ما كفله الإسلام للآخر من حقوق لا تستباح ومكتسبات لا تمس. بل تبقى محفوظة مصونة بنصوص الشرع وتعاليم الوحي. فالآخر المعاهد غير المحارب، والمخالف في الدين والمعتقد، له حق الحياة وحق العيش الكريم بين المسلمين، ولا يحل لأحد أن ينتقصه شيئاً من حقوقه، ولا أن يغصبه بعضاً من ممتلكاته، ولا أن ينال نصيباً من حرمانه. وإن الله تعالى شرع له المعاملة بالعدل والإحسان، وأمر له بالوفاء بالعهود، وحرّم البغي والعدوان عليه، فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾<sup>(2)</sup>.

وأبدع سيد قطب رحمه الله في وصف ما جاءت به هذه الآية من المبادئ السامية والتعاليم السماوية التي تجسّد الإطار العام، الذي يحكم ويؤطر العالمية التي جاء بها الخطاب القرآني، في مجتمع الإنسان الذي لا تحده حدود إقليمية ولا تفصله العنصريات

<sup>(1)</sup> رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم، رقم: 3166، ج 4، ص 99.

<sup>(2)</sup> سورة النحل، الآية 90-91.

العرقية، فيتحدث سيد قطب مقررًا أن كتاب الله تعالى جاء لينشئ أمة وينظم مجتمعا، ثم لينشئ عالما ويقيم نظاما. وأنه جاء دعوة عالمية إنسانية لا تعصب فيها لقبيلة أو أمة أو جنس؛ وجاء أيضا بالمبادئ التي تكفل تماسك المجتمع، والثقة بالمعاملات والوعد والعهد: فجاء [بالعدل] الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجارة للصهر والنسب، والغنى والفقر، والقوة والضعف. إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع. وإلى جوار العدل [الإحسان] الذي يدع الباب مفتوحا لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثارا لود القلوب، وشفاء لغل الصدور. ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوي جرحا أو يكسب فضلا. والأمر بالإحسان يشمل كل عمل وكل تعامل، فيشمل محيط الحياة كلها في علاقات العبد بربه، وعلاقاته بأسرته، وعلاقاته بالجماعة، وعلاقاته بالبشرية جميعا.<sup>(1)</sup>

وعلى هذه الأسس قامت علاقة المسلم بأخيه المسلم، وبسائر الناس ممن تجمعهم به وحدة الأصل والأخوة الإنسانية، فلا يجوز للمسلم أن يحيد أبدا عن مبدأ العدل والإحسان، لأن الله تعالى هو من أمر بذلك في كتابه العزيز، وهو المبدأ الذي فيه صلاح البشرية وقوام المجتمعات، وفيه ضمان العيش بسلام وأمان في المجتمع مهما اختلفت عناصره لونا وجنسا، دينا وعقيدة. وأما نقيض ذلك المبدأ من الظلم والسوء، فهو آفة الانهيار وعلامة الهلاك، في مجتمع مآله التفكك والدمار. ولذلك فقد حرم الله تعالى كل ما من شأنه أن يردي بالإنسان إلى هلاك الدنيا والآخرة، وإلى الفساد في الأرض، قال

(1) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج4، ص2190 بتصرف.

سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا إِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(1)</sup>.

فالله تعالى بين أن البغي والعدوان، هو من جملة ما حرّمه على عباده، وأن العدل والإحسان على رأس ما أمر الله تعالى به أوليائه، وعلى هذا الميزان السماوي تقاس أفعال العباد، وتتحدّد الحقوق والواجبات، وبناء على القانون الذي أنزله الله تعالى للناس أجمعين في كتابه الكريم يكون التعامل والتعايش مع سائر ما خلق الله، وفق منهج الله تعالى.

وفي ختام هذا الفصل يتبيّن أن القرآن الكريم، جاء منذ نزوله بخطاب كوني ونداء عالمي، إلى الناس أجمعين في كل زمان ومكان، خطاباً لا تمييز فيه على أساس عرقي ولا عنصري، خطاباً لا يحابي فيه رب العالمين أحداً من خلقه، فلا ينص على تفضيل جنس ولا لون ولا عرق على آخر، ولا قبيلة ولا أمة على أخرى؛ وإن خيرية أمة محمد ﷺ لا تقوم على أسس قومية ولا إثنية، بل بما مدحها الله تعالى به من حبّها للخير ونصحها للبشرية، فقال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(2)</sup>. وجاء عند الطبري أن عمر بن الخطاب قال: لو شاء الله لقال: «أنتم»، فكنا «كلنا»، ولكن قال: «كنتم». «في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن صنع مثل صنيعهم، كانوا خير أمة أخرجت للناس يأْمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»<sup>(3)</sup>. ويروي ابن جريري أيضاً أن عمر بن الخطاب

(1) سورة الأعراف، الآية 31.

(2) سورة آل عمران، الآية 110.

(3) تفسير الطبري، ج 5، ص 671.

قال في حجة حجها ورأى من الناس رعة سيئة، -أي أخلاق رعونة وسوء-، فقرأ هذه الآية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ثم قال: «يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الأمة، فليؤد شرط الله منها»<sup>(1)</sup>.

فالخيرية مشروطة بشروط من حققها من سائر العالمين نالها، ولا تنال بمجرد الانتساب إلى الأمة عرقيا ولا إقليميا، ولكن ينالها من حقق شروط الله التي نصت عليها الآية، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان به سبحانه، بما يقتضي ذلك ويعنيه من حفظ لحقوق الله تعالى وحقوق عباده. ولما رأى عمر رضي الله عنه من الأمة انحرافا عن مسار الخيرية، بالتخلي عن الأخلاق الفاضلة، ذكرها أن فضل الأمة لا ينال بمجرد الانتساب إليها، ولكن بالقيام بما لأجله فضلها الله تعالى.

وعليه، فالخطاب القرآني واضح في بيان أن الأفضلية والخيرية لا تكون على أسس عرقية، والله تعالى ساوى بين عباده في هذا الجانب، فمن حيث الأصل والمعدن، كل البشرية من آدم، وآدم من تراب، والناس سواسية من حيث أصلهم الترابي، وهم سواسية كذلك من حيث التكريم الإلهي لبني آدم جميعا. فلا فخر ولا فضل لأحد من بني آدم على الآخر إلا بما يتحصّله الإنسان ويكتسبه من الإيمان والعمل الصالح. وعلى هذه الأسس تقوم النظرة القرآنية إلى "الآخر"، فهو إنسان كرمه الله تعالى، وأنزل القرآن لأجله، ليكون له نبراسا ونورا وهدى، يخرج به من ظلمات التيه والضلال الذي كانت تتخبط فيه البشرية بعيدا عن تعاليم كتاب الله تعالى.

(1) المصدر السابق، ج 5، 672.

كما أن هذا القرآن الكريم جاء بأحكام وشرائع تصون إنسانية الإنسان أيا كان، وتحفظ له كرامته التي كانت في زمن نزوله مهدورة، فأمر بإقامة ميزان العدل، وأثنى على المحسنين، وحرم الظلم والبغي بغير الحق، ونهى عن العدوان حتى في ساحات القتال، كما منع الإكراه في الدين، وصان كرامة الناس أجمعين. وكان ما جاء به من تعاليم السماحة والرحمة منهاجاً تمثله النبي ﷺ، وعاش عليه أصحابه الكرام رضوان الله تعالى عليهم، ومن مظاهر السماحة والتعايش الذي جسده المسلمون واقعا عمليا، ما عقدوه من العهود والمواثيق مع أصحاب الملل، تكفل لهم حريتهم الدينية، وتحفظ لهم بموجبها أموالهم وأعراضهم ودماءهم وسائر ما تحت أيديهم، في زمن كان الغالب فيه يفترس المغلوب. وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ مؤكدة على تعظيم حرمة المعاهدين من غير المسلمين.

## الخاتمة

في ختام هذا البحث، وبعد استقراء للنصوص الدينية في كل من التوراة والإنجيل، وبعد تفهّم وتدبر لآيات القرآن الكريم التي تحدّثت عن "الآخر" وبيّنت الموقف منه بالشرح والتفصيل، يمكن تسجيل الخلاصات التالية:

- إخبار القرآن الكريم عن فضل ومنزلة الكتب السماوية السابقة مع بيانه لما طالها من عبث العابثين، وتحريف الغالين، وتأويل المبطلين، وإخراج حروف الكتب عن مكانها لفظاً ومعنى. فإذا كانت التوراة والإنجيل كتابين سماويين، يؤمن جميع المسلمين بقديسيتهما، وبأنهما أنزلا تباعاً على سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام. فإن القرآن الكريم جاء أيضاً بإثبات تحريف أهل الكتاب للتوراة والإنجيل. وهو الأمر الذي أقرّ به علماؤهم قديماً، وأكّده خبراء النقد النصي حديثاً. بينما بقي نصّ القرآن الكريم محفوظاً بوعده الله تعالى، وبما هيّأه له من أسباب الحفظ.
- إدراك صورة "الآخر" وفهم طبيعته في التوراة لا يمكن تحصيله دون الوقوف عند عقيدة "الشعب المختار"، فهي قطب رحي العقائد والتشريعات جميعاً في الفكر الديني اليهودي، وعليها وحوّلها تحوم سائر أحكام التوراة وأحداثها.
- "الاختيار الإلهي" لشعب إسرائيل وفق الرؤية الكتابية جاء عبر سلسلة من الانتقاعات والعهود والوعود انتهت بتقديس شعب إسرائيل وتفضيله على سائر أمم الأرض. وذلك ابتداءً من ذرية نوح التي اختار منها الرب سام، ولعن كنعان، ومروراً بذرية إبراهيم التي اصطفى منها الرب إسحاق دون أخيه إسماعيل، وكذلك صنع في ذرية إسحاق نفسها، فاجتبي منها إسرائيل دون أخيه الأكبر عيسو، وقطع معه العهد، ليرث بركة آبائه وينال وعود الرب بامتلاك الأرض المباركة والسيادة على أمم الدنيا.



- تقديس التوراة "لشعب الرب"، وإعلاؤها لمنزلته، وإضفاؤها لحل الطهر والقداسة عليه، جاء في مقابل ازدرائها واحتقارها "الآخر" الذي لا تصون له كرامة ولا تحمي له حقوقاً؛ وهو ما ظهر بجلاء وكشفته بوضوح شروحاتها الحاخامية التي تعتبر في الفكر اليهودي توراة شفوية تضاهي أو تفوق التوراة المكتوبة قدسية.
- تكريس التوراة لفكرة الانعزال عن "الآخر" من خلال ما تقرره من أحكام اتجاه الأغيار، بأنهم نجس، ولا يجب الاقتراب منهم ولا الاحتكاك بهم؛ ويبلغ الاحتقار مداه حينما يصنّف "الآخر" في الفكر الحاخامي ضمن صنف الحيوانات النجسة.
- تحريف حكماء التوراة الشفوية لما جاء في التوراة المكتوبة من المعاني والأحكام التي اتصفت بالعدل والإنصاف مع "الآخر"، كالوصايا العشر التي تنهى عن القتل والسرقة والزنا وعدد من الخصال الذميمة. وحصر حاخامات اليهود لتلك المناهي في "شعب الرب"، واستباحتهم من الأغيار ما حرّموه بينهم، كالربا والغش والخداع وغيره. وهو ما تسعفهم عليه أيضاً بعض نصوص التوراة بتأكيداها على ألفاظ يفهمون أن المراد منها هم اليهود لا غيرهم، مثل كلمة "أخوك"، "جارك"، "قريبك"، فكل المناهي التي وردت فيها مثل هذه العبارات تكون أحكامها مقصورة على "الشعب" دون غيره.
- عدم حفظ تعاليم التوراة المكتوبة والشفوية لكرامة "الآخر" في زمن السلم الذي لابغي فيه ولا عدوان على "شعب الرب"، حيث إن النظرة الدونية نحو "الآخر" التي تكرسها نصوص التوراة تشرّع وتسمح بإلحاق الأذى والضرر بالأغيار والتضييق عليهم من كل سبيل، متى أمكن ذلك. وتمنع من مساعدة وإنقاذ "الأمميين" ولو كانوا على شفير الهلاك.
- اتصاف تعاليم الحرب في التوراة الحالية بالدموية الطافحة، فهي كتاب دموي بامتياز، وإن أسفارها لتدعو بعبارات واضحة إلى الإبادة الجماعية والتصفية العرقية للأمم بأكملها، بأن يمحى ذكرها من تحت أديم السماء. كما نصّت على أبشع صور التقتيل

والهمجية، من ذبح للأطفال والنساء والشيوخ، وبقر لبطون الحوامل، ورضخ لرؤوس الولدان على الصخور، وتمزيق لأجسام الصغار أمام أهلهم وذويهم، وفناء ودمار شامل لا يسلم منه إنسان ولا عمران ولا حيوان.

• الانغلاق على العرق الذي نصّت عليه التوراة الحالية، جاء في مقابله الانفتاح الذي دعا إليه الإنجيل على سائر الأمم، فكانت الديانة المسيحية ديانة تبشيرية، إلا أن هذه العالمية التي أدخلها بولس في الديانة كانت وبالا على أمم الأرض، بما فرضت عليهم من الحديد والنار.

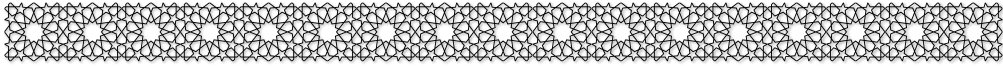
• الطابع البارز في الخطاب المسيحي قديما وحديثا عند تناوله لقضايا "الآخر" هو التأكيد على المحبة، وأن الرب محبة، وأن المسيحية محبة، ويسعفه على ذلك الطرح نصوص عديدة جاء بها الإنجيل الذي كثيرا ما وعظ وأرشد إلى الأخلاق الفاضلة، ورسخ قضية المحبة بين أتباعه، حتى إنه ليتجاوز بها في بعض الأحيان محبة القريب إلى محبة العدو. إلا أن معضلة الإنجيل هي تضارب تعاليمه وتناقضها، حيث إنه يأمر بالشيء وضده، فلا يشتمل على منظومة أخلاقية واحدة، بل على منظومات متعددة، فإذا أمر هنا بالمحبة والسلام والوئام والوداعة المطلقة، فإنه يأمر في مكان آخر بنقيض ذلك من الدعوة إلى حمل السيف وإعلان الحرب، وحب اشتعال نيرانها، فجاء بالعديد من القيم المتضاربة.

• نظرة الإنجيل إلى "الآخر" تتوافق أحيانا تمام الموافقة مع النظرة التوراتية التي تحتقر "الآخر" وتزدريه.

• التضارب الحاصل في تعاليم الإنجيل، سمح لمقدسيه من المسيحيين أن يوجهوه حيث شاءوا، فتارة يكون لهم سند متين وموردا غنيا بالنصوص إذا تعلّق الأمر بخطابات السماحة والمحبة، وتارات أخرى يجدون فيه بغيتهم إذا أرادوا نقيض ذلك مما يقرّره "رب الجنود" في العهد القديم من الدعوة إلى القتال وسفك الدماء، "فرب الجنود" و"رب المحبة" كلاهما واحد في الفكر الديني المسيحي.

- التاريخ الدموي للكنيسة خير شاهد على إعمالها لنصوص الدموية التوراتية، وإهمالها لنصوص المحبة الإنجيلية.
- نفي "الآخر" واضطهاده وهدر كرامته هو المبدأ السائد في جميع الحضارات والأديان، في القرن السادس المسيحي. وهو السياق التاريخي الذي نزل فيه القرآن الكريم.
- إن الخطاب القرآني جاء منذ البداية بإعلان عالمي يخاطب البشرية جمعاء، وأتى بدعوة كونية لا يحدّها مكان ولا يحصرها زمان، مبيناً قيمة الإنسان ومنزلته في الوجود، ومقرراً الكرامة الإنسانية التي أهدرتها جميع الأمم زمن نزول القرآن.
- إن "الآخر" في القرآن الكريم أيا كان جنسه ودينه إنسان مكرم معني بالرحمة العالمية والرسالة الخالدة التي بُعث بها محمد ﷺ، وقد تقرّر في القرآن كرامة ومركزية الإنسان في الوجود.
- التّكريم الإلهي العام لبني آدم جميعاً مما ساوى فيه ربّ العالمين بين الناس، وألغى القرآن الكريم الاعتداد بالحسب والنّسب، فلا يخاطب شعباً دون آخر، ولا يحابي جنساً ولا لونا ولا عرقاً دون آخر، فالناس جميعاً أصلهم ومعدنهم واحد، ولا فضل لأحد على الآخر إلا بما اكتسبه الإنسان وحصله مما يدخل ضمن التّكريم الإلهي الخاص بعباده المؤمنين من التقوى والعمل الصالح.
- جوهر العالمية التي جاء بها القرآن الكريم هو الرحمة، وبها انتشرت دعوته، أما السيف فلم يشهر إلا في وجه مَنْ سلّه من الذين وقفوا حاجزاً أمام رسالة الإسلام، يريدون قطع الطريق على دعوة الإيمان ونداء الفطرة حتى لا يعمّ البلاد ويذاع بين العباد ويبلغ الأسماع ويتردّد صدهاء في قلوب العالمين.
- إن القرآن الكريم قد حفظ حقوق "الآخر" وصان كرامته، وكفل حرّيته في أقدم ما يدعو إليه، وهو الدين والمعتقد، فنصّ بوضوح وجلاء على النهي عن الإكراه في الدين. وبَيّن أن مهمة الرسول ﷺ هي البلاغ، وليس من واجبه أن يكره الناس على الإيمان.

- إن النبي ﷺ وصحابته الكرام قد تمثّلوا تعاليم السماحة مع "الآخر" التي جاء بها القرآن الكريم، وظهر ذلك بوضوح في تاريخ المسلمين، وتجلّت أخلاق التعايش عملياً في العهود والمواثيق التي قطعها رسول الله ﷺ وصحابته من بعده مع أهل الذمة من أهل الكتاب وغيرهم، وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ لتؤكد على ما قرّره القرآن الكريم من قيم العدل والإحسان والتسامح مع غير المسلمين.



مَرْحَمًا لِلدِّينِ

## ملحق النصوص الأجنبية

| النص الأجنبي                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                            | الصفحة |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| <p>No peace among the nations without peace among the religions.</p> <p>No peace among the religions without dialogue between the religions.</p> <p>No dialogue between the religions without investigation of the foundations of the religions.</p> <p><i>*H. Küng, Islam: Past, Present and Future P.XXIII.</i></p>                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                                   | 8      |
| <p><b>Biblical criticism:</b> the study and investigation of biblical writings that seeks to make discerning and discriminating judgments about these writings ... Generally speaking, the questions asked in biblical criticism have to do with the preservation and transmission of the biblical text, including in what manuscripts the text has been preserved, their date, setting, and relationship to each other, and what the most reliable form of the text is; the origin and composition of the text, including when and where it originated, how, why, by whom, for whom, and in what circumstances it was produced, what influences were at work in its production, and what sources were used in its composition; and the message of the text as expressed in its language, including the meaning of the words as well as the way in which they are arranged in meaningful forms of expression.</p> <p><b>Textual Criticism:</b> The aim of this field of biblical criticism is to establish the original wording or form of the biblical text insofar as this is possible.</p> <p><i>*P.J. Achtemeier, R.S. Boraas, HarperCollins and Society of Biblical Literature, The Harpercollins Bible Dictionary: P.141.</i></p> | 57     |

R. Simon, né à Dieppe, le 13 mai 1638 ... Professeur de philosophie à Juilly ... il est ordonné prêtre à Paris le 10 septembre 1670. Il publie l'Histoire Critique du Vieux Testament et est exclu de l'Oratoire le 21 mai 1678 ... réside à Paris, Rouen et Dieppe, où il meurt le 21 avril 1712.

*\*H. Margival, Essai Sur Richard Simon Et La Critique Biblique Au Xviie Siècle P.7.*

His being traditionally described as the "father of biblical criticism". 59

*\*A. Hunwick, Richard Simon Critical History of the Text of the New Testament: Wherein Is Established the Truth of the Acts on Which the Christian Religion Is Based (Brill, 2013) P.XXXIII.*

so that Simon was viewed as the father of historical criticism in biblical studies. 59

*\*J. Van Seters, The Edited Bible: The Curious History of the "Editor" in Biblical Criticism P.185.*

Today there would not be any version of the New Testament, Greek, Latin, Syriac or Arabic, that could be truly called authentic because not one of them in whatever language is completely free from interpolations. 59

*\*Hunwick, Richard Simon Critical History of the Text of the New Testament: Wherein Is Established the Truth of the Acts on Which the Christian Religion Is Based P.69*

how does it help us to say that the Bible is the inerrant word of God if in fact we don't have the words that God inerrantly inspired, but only the words copied by the scribes—sometimes correctly but sometimes (many times!) incorrectly? What good is it to say that the autographs (i.e., the originals) were inspired? We don't have the originals! We have only error-ridden copies, and the vast majority of these are centuries removed from the originals and different from them, evidently, in thousands of ways. 61

---

*\*D. Ehrman, Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why (HarperCollins, 2005) P.7.*

---

Not only do we not have the originals, we don't have the first 62  
copies of the originals. We don't even have copies of the copies of the  
originals, or copies of the copies of the copies of the originals. What we  
have are copies made later—much later. In most instances, they are  
copies made many centuries later.

And these copies all differ from one another, in many thousands  
of places. As we will see later in this book, these copies differ from one  
another in so many places that we don't even know how many  
differences there are. Possibly it is easiest to put it in comparative terms:  
there are more differences among our manuscripts than there are  
words in the New Testament.

---

*\*Ehrman, Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why. P.10.*

---

As we learned at Moody in one of the first courses in the 62  
curriculum, we don't actually have the original writings of the New  
Testament. What we have are copies of these writings, made years  
later—in most cases, many years later. Moreover, none of these copies  
is completely accurate, since the scribes who produced them  
inadvertently and/or intentionally changed them in places. All scribes  
did this. So rather than actually having the inspired words of the  
autographs (i.e., the originals) of the Bible, what we have are the  
errorridden copies of the autographs.

---

*\*Ehrman, Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why. P.4-5.*

---

The handwritten copies of the NT contain a lot of differences We 63  
are not sure exactly what the number is, but the best estimate is  
somewhere between 300,000 and 400,000 variants.

---

---

\* *D.B. Wallace, Revisiting the Corruption of the New Testament: Manuscript, Patristic, and Apocryphal Evidence (Kregel Publications, 2011) P.20.*

---

This would be the most explicit statement about the Trinity in the Bible, but it is definitely not part of the original text. This fact has been known by scholars for more than half a millennium. 63

\**Wallace, Revisiting the Corruption of the New Testament: Manuscript, Patristic, and Apocryphal Evidence P.21.*

---

Christians and Jews are considered "people of the book." The book is the Bible. For the Jews the Bible is the Hebrew Bible. The Christian Old Testament is the Hebrew Bible with a reordering of some of the texts and some additions. Even if the ways in which Christians and Jews read the book might differ, they have the Hebrew Bible in common. 67

\**M.A. Morrison, S.F. Brown and J. O'Brien, Judaism (Chelsea House, 2009) P.70.*

---

Torah is derived from the root **הרה** which in the hifil conjugation means "to teach" (cf. Lev. 10:11). The meaning of the word is therefore "teaching," "doctrine," or "instruction". 68

\**F. Skolnik and M. Berenbaum, Encyclopaedia Judaica (New York: Thomson Gale, 2007) Vol.20, P.39*

---

PENTATEUCH The expression derives from two Greek words, penta, "five," and teuchos, "vessel, container," and refers to the first five books of OT. This designation dates to the time of Tertullian (ca. 200 A.D.), but Jewish canons label these books collectively as the Torah, which means "Teaching, Instruction." In English Bibles these first five books are commonly called "Law." This designation is misleading because it misrepresents the content of the Pentateuch. Large portions are not law at all. 68

\**Holman Reference, Holman Illustrated Pocket Bible Dictionary (B&H Publishing Group, 2007) P.279.*

---



The English word Bible comes from the Greek ta biblia, which 68 means "The Books," a name well chosen since the Bible is a collection of many individual works, and not the product of a single person. In the New Testament, there are twenty-seven books, and in the Old Testament, either thirty-nine (in Protestant and Jewish editions) or forty-six (in Catholic editions).

*\*L. Boadt, R.J. Clifford and D.J. Harrington, Reading the Old Testament: An Introduction (Paulist Press, 2012) Chap. 1.*

the whole Bible was referred to as Tanakh, the initial letters of 69 Torah (Pentateuch), Nevi'im (Prophets), and Ketuvim..

*\*Skolnik and Berenbaum, Encyclopaedia Judaica Vol.20, P.39*

The Torah refers to the Pentateuch, the Five Books of Moses, 69 often signifying in particular the handwritten scroll of the Pentateuch used in the synagogue...

*\*A. Avery-Peck and J. Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism (Taylor & Francis, 2004) P.165.*

the term is taken to signify the whole of the Hebrew Scriptures 69 or Old Testament. Beyond this, the term may have the sense of the "whole Torah," written and oral, and so may stand for the entire content of Judaism itself.

*\*A. Avery-Peck and J. Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism (Taylor & Francis, 2004) P.165.*

The idea of 'oral Torah' is a basic concept of rabbinic Judaism: 70 God's revelation at Sinai includes not only the 'written Torah' recorded in the Bible, but also an equivalent complex of traditions. Only by means of the latter can the Bible become fully applicable and the divine rule of life appropriate to each particular situation (thus e.g. the doctrine of the two *Torot* in an anecdote about Hillel and Shammai...

---

*\*H.L. Strack and Günter Stemberger, Introduction to the Talmud and Midrash (Fortress Press, 1991) P.31.*

---

The name "written law" was given to the Pentateuch, Prophets and Hagiographa, and that of "oral law" to all the teachings of the "sages" consisting of comments on the text of the Bible. The word Torah alone was applied to the entire Bible, the term "Talmud" was reserved for the oral law, though the meaning of these two words is identical; namely, "teaching" or "study."

*\*M.L. Rodkinson, The History of the Talmud: From the Time of Its Formation, About 200 B. C., up to the Present Time (New Talmud Publishing Company, 1903) P.5.*

---

The Written Law-Torah sh ba'al ktav "Torah that is written" is another name for the Tanakh, which, of course, includes the Torah, but I will accept the common usage and refer to the whole Hebrew Bible henceforth as Torah. The Oral Law-Torah she be'al peh (Torah that is spoken") is a massive, two-thousand-year-long running commentary on the Torah, explaining its meaning and how its commandments are to be observed ... The Oral Law is a supple instrument that has been extraordinarily successful in connecting the Jewish people to the Torah down through several millennia in which the Jewish condition has been in endless flux. In short, the brilliance and user-friendly quality of the Oral Law, which serves as a kind of operating manual for the practice of Judaism, is the secret to the survival of the Jewish people.

*\*R.M. Schneier, I.S. Ali, B. Clinton and S.G. Freedman, Sons of Abraham: A Candid Conversation About the Issues That Divide and Unite Jews and Muslims (Beacon Press, 2013) P.33.*

---

Moshe received the entire Torah at Sinai. Every detail, explanation, and tradition was revealed to him during the forty days he spent on the mountain while God dictated the text of the written Torah.

---

---

*\*N.T.L. Cardozo, The Written and Oral Torah: A Comprehensive Introduction (Jason Aronson, Incorporated, 1998) P.7.*

---

Ce que désigne la Torah chez les juifs est une bonne illustration 71  
de l'extension et de l'élasticité du concept. Il s'agit tout d'abord des cinq  
premiers livres de l'Ecriture que nous appelons Pentateuque, puis, par  
réduction, des dix paroles données par Dieu à Moïse ... et enfin, par  
amplification, de toute parole écrite ou orale supposée prendre sa  
source dans les paroles reçues de Moïse au Sinaï, à savoir la Torah orale  
et la Torah écrite.

*\*J.E. Renault, La Loi Et La Croix: L'écriture De La Croix Dans L'écriture De La Loi  
(Faculté de théologie de Lugano, 2009) P.36.*

---

The term Torah refers to the sum total of the revelation of God to 72  
humankind, encompassing the written (Torah shebikhtab) and oral  
(Torah shebe'al peh) laws. The former includes the books of the  
Hebrew Bible, said to have been transmitted by God to Moses in  
writing; the latter is represented in the Talmudic literature, understood  
to comprise teachings that God instructed Moses orally and that were  
handed down through the generations, until, beginning in the first  
centuries C.E., they were written down to prevent them from being lost.  
Having the sense of "revelation" and understood to define exactly what  
God expects of the Jews.

*\*Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism. P.165.*

---

The use of the plural *Torot* (e.g., Gen. 26:5) was taken to refer to 72  
those two branches of divine revelation which were traditionally  
regarded as having been given to Moses on Mount Sinai.

*\*Skolnik and Berenbaum, Encyclopaedia Judaica . Vol.20, P.39.*

---

The word "write" (*ketav*) was regarded as the authority for 73  
the Written Law (hence Torah *she-bi-khetav*, i.e., the Torah included in

---

the word *ketav*) while “by the mouth” (*a/pi*) was taken to refer to the Torah *she-be-al/peh*. i.e., the Torah referred to in the phrase *a/pi*.

*\*Skolnik and Berenbaum, Encyclopaedia Judaica. Vol.20, P.39.*

the phrase "al pi hadevarim haeleh" ... the words "al pi" literally 73  
mean "by the mouth of," has been understood in rabbinic tradition as the basis for the concept of an Oral Law that accompanied the Written Law or Torah, the purpose of which is to clarify the meaning and intent of the written word.

*\*M. Sicker, The Convocation at Sinai: A Study in Biblical Interpretation (New York: iUniverse, 2008) P.167.*

And now Rabbi Simeon ben Lakish comes and teaches that not 73  
only did Moses receive all the commandments and their interpretations, but also all words of prophecy, as well as Mishnah and Talmud.

*\*A.J. Heschel and G. Tucker, Heavenly Torah: As Refracted through the Generations (Continuum, 2005) P.563.*

וא"ר לוי בר חמא אמר ר' שמעון בן לקיש מאי דכתיב «שמות כד, יב» ואתנה 74  
לך את לוחות האבן והתורה והמצוה אשר כתבתי להורותם לוחות אלו עשרת הדברות  
תורה זה מקרא והמצוה זו משנה אשר כתבתי אלו נביאים וכתובים להורותם זה גמרא  
מלמד שכולם נתנו למשה מסיני:

And Rabbi Levi bar Hama said that **Rabbi Shimon ben Lakish said:** God said to Moses, “Ascend to me on the mountain and be there, **and I will give you the stone tablets and the Torah and the mitzva that I have written that you may teach them**” «Exodus 24:12», meaning that God revealed to Moses not only the Written Torah, but all of Torah, as it would be transmitted through the generations.

- **The “tablets” are the ten commandments** that were written on the tablets of the Covenant,
- **The “Torah” is the five books of Moses.**
- **The “mitzva” is the Mishna**, which includes explanations for the mitzvot and how they are to be performed.

- "That I have written" refers to the Prophets and Writings, written with divine inspiration.
- "That you may teach them" refers to the Talmud, which explains the Mishna...

This verse **teaches** that **all** aspects of Torah **were given to Moses from Sinai**.

*\*Talmud Bavli; the William Davidson Talmud. Berakhot 5a:3, Available: <https://www.sefaria.org/Berakhot.5a.3?lang=bi>.*

by the end of Judaism's formative period, in the fifth and sixth centuries C.E., the word Torah lost its capital T, becoming simply "torah," meaning, "that which is in the status of The Torah," hence, anything that is authoritative as God's will for the people of Israel. What for nearly a millennium had been a particular scroll or book came to serve as a symbol of an entire system. When a rabbi spoke of "torah," he no longer meant only a particular object, a scroll and its contents. Now the word encompassed a distinctive and well-defined world view and way of life, defined by the religion of Judaism.

*\*Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism P. 165.*

Beginning in the Rabbinical literature of late antiquity, therefore, the word Torah connotes a broad range of distinct categories. "Torah," referring to the rabbis who study it and the community that accepts its teachings, connotes a social status and a social group, a type of social relationship

*\*Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism P. 165.*

The most important initiative in so broadening the meaning of the word "torah" occurred in Mishnah Tractate ABOT, ca. 250 C.E.. There, the meaning of "the Torah" as a particular book of revelation is joined by a second sense. In Abot, Torah is instrumental. The figure of the sage, his ideals and conduct, form the goal, focus, and center. Tractate Abot regards study of torah as what a sage does. The substance

of torah is that a sage says, whether or not the saying relates directly to scriptural revelation. The sages in tractate Abot usually do not quote verses of Scripture and explain them, nor do they speak in God's name. Yet, it is clear, sages talk torah. It follows that whatever a sage says falls into the classification of torah. Accordingly, Abot treats torah-learning as an indicator of the status of the sage. Tractate Abot stands as the first document of the doctrine that the sage embodies the torah and is a holy man. The beginning is to claim that a sage's saying falls into the category of torah. The end is to view the sage himself as torah incarnate.

*\*Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism. P. 166*

The next major step in the expansion of the meaning of the word "torah" is found in the Jerusalem Talmud, which treats the Mishnah as equivalent to Scripture. Once the Mishnah entered the status of Scripture, it would take but a short step to a theory of the Mishnah as part of the revelation at Sinai—hence, oral torah. The Mishnah now is claimed to contain statements made by God to Moses. Here emerges a clear and unmistakable expression of the distinction between two forms in which a single torah was revealed at Mount Sinai, part in writing, part orally.

77

*\*Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism. P. 166*

The torah thus comes to stand for something more than revelation and a life of study, and the sage now appears as a holy, not merely a learned, man. In this way, the word "torah" forms the centerpiece of a theory of Israel's history, on the one side, and future, on the other.

77

*\*Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism. P. 166*

The Hebrew Bible is a collection of twenty-four books in three divisions: the Law (Torah), the Prophets (Nebi'im), and the Writings (Ketubim), sometimes referred to by the acronym Tanak. 79

The Torah consists of five books: Genesis, Exodus, Leviticus, Numbers, and Deuteronomy (traditionally, the books of Moses).

The Prophets are divided into the four books of the Former Prophets (Joshua, Judges, Samuel, and Kings; 1 and 2 Samuel and 1 and 2 Kings are each counted as one book) and the four books of the Latter Prophets (Isaiah, Jeremiah, Ezekiel, and the Twelve; the Twelve Minor Prophets [Hosea, Joel, Amos, Obadiah, Jonah, Micah, Nahum, Habakkuk, Zephaniah, Haggai, Zechariah, Malachi] are counted as one book).

The Writings consist of eleven books: Psalms, Proverbs, Job, Song of Songs (or Canticles), Ruth, Lamentations, Qoheleth (or Ecclesiastes), Esther, Daniel, Ezra- Nehemiah (as one book), and Chronicles (1 and 2 Chronicles as one book).

*\*J.J. Collins, Introduction to the Hebrew Bible: Second Edition (Fortress Press, 2014) P.2.*

Protestantism One of the three major branches of CHRISTIANITY, originating in the 16th-century REFORMATION. The term applies to the beliefs of Christians who do not adhere to ROMAN CATHOLICISM or EASTERN ORTHODOXY. A variety of Protestant denominations grew out of the Reformation. The followers of MARTIN LUTHER established the evangelical churches of Germany and Scandinavia; ...The doctrines of the various Protestant denominations vary considerably, but all emphasize the supremacy of the BIBLE in matters of faith and order, JUSTIFICATION by GRACE through faith and not through works, and the PRIESTHOOD of all believers. 80

*\*Britannica Concise Encyclopedia (Chicago: Encyclopaedia Britannica, 2006) P.1556.*  
*"Protestantism."*

The *Protestant Old Testament* has the same content as the Hebrew Bible but arranges the books differently. The first five books are the same but are usually called the Pentateuch rather than the Torah. Samuel, Kings, Ezra-Nehemiah, and Chronicles are each counted as two books, and the Minor Prophets as twelve, yielding a total of thirty-nine books. 81

*\*J.J. Collins, Introduction to the Hebrew Bible P.2*

Il est possible d'être juif sans être «religieux», c'est-à-dire très pratiquant. Le terme «Juif» ne se rapporte pas seulement à ceux qui suivent les lois religieuses et les enseignements juifs. Dans la loi et la pensée juives, il est possible de se convertir au judaïsme, mais un juif de naissance, même s'il se convertit à une autre religion, demeure Juif. 84

*\*Michel Malherbe, Encyclopédie Des Religions De L'humanité (Paris Fleurus, 1997) P.36.*

there were many other gospels and epistles written about the sayings and teachings of Jesus that never became part of the New Testament. These other gospels and epistles are known from the writings of historians, early church fathers, and from the discovery of the Nag Hammadi Texts and the Dead Sea Scrolls. Because there was an abundant amount of literature that was written about the life of Jesus, there were many disagreements among early Church authorities about which books should be considered canonical ... There were other books that were at one time considered canonical, but they are not included in what became the New Testament of today. 85

*\*Robert W. Mood, The New Testament in Question (Saudi Arabia: world assembly of muslim youth-eastern province) P.3.*



Although all four of these gospels are anonymous, by the middle of the second century Christians had begun to assign the authorship of each of these gospels either to an apostle and, therefore, a presumed eyewitness to the life and ministry of Jesus- as in the case of Jesus' apostles Matthew and John-or to a disciple of an apostle and, therefore, a secondary witness to Jesus-as in the case of Mark, a disciple of Peter; and Luke, a disciple of Paul. 86

*\*A.J. Bellinzoni, The New Testament: An Introduction to Biblical Scholarship (Wipf & Stock Publishers, 2016) P.306.*

All four gospels are anonymous. The earliest manuscripts have no bylines, no signatures, and no titles. The attribution of authorship with which we are familiar was established by the church in the late second century.<sup>5</sup> As a rule, anonymity detracts from credibility because we do not know the qualifications or motivations of the writer. 86

The gospels do not claim to be written by eyewitnesses. All four gospels were written in the third person, not the first person And all four were written in Greek, not Aramaic-the language commonly spoken at the time and place of the alleged events

*\*B. Zuersher, Seeing through Christianity: A Critique of Beliefs and Evidence (Xlibris US, 2014) P.145*

"Bible" (from the Greek biblos meaning "document" or "book") points to the authority of the Bible as the book of divine revelation. ... signifies the actual content of the books proclaiming the authoritative message of salvation – the word of God ... The Bible is above all a book of God and about God – God himself being the primary author and the subject matter of the scriptures. 87

*\*John Anthony McGuckin, The Encyclopedia of Eastern Orthodox Christianity (Oxford: Blackwell, 2011) V.1, P.70.*

The books of the New Testament were originally written in Greek. None of the original manuscripts has survived, and the old texts that do survive are not all the same. Scholars known as textual critics try to reconstruct the lost originals as accurately as possible.

*\*Robert S. Ellwood and Gregory D. Alles, The Encyclopedia of World Religions (New York: Facts On File, 2007) P.321.*

Early Christian tradition understood this passage to refer to a new covenant, centered around Jesus, which replaces the old Mosaic one. This led to the terms "New Testament" and "Old Testament"... Jews, however, view the original covenant as still operative. For this reason, Jews have tended to reject the term "Old Testament."

*\*Marc Zvi Brettler, How to Read the Bible (Philadelphia: The Jewish Publication Society, 2005) P.7-8.*

The writings collected into the New Testament were written during the end of this same period since they are dated from about A.D. 50 to 150. The New Testament canon was not closed in the Latin Church until much later, certainly not before the late fourth century and long after Constantine the Great established Christianity as the official religion of the Roman Empire. All the twenty-seven books of the New Testament, for example, are listed for the first time as the only canonical New Testament scriptures by Athanasius, bishop of Alexandria ... A.D. 367. If the Latin Church finally accepted twenty-seven books as the canonical New Testament by the fifth century, the Greek Church apparently was not thoroughly convinced about the canonicity of one book, Revelation, until about the tenth century.

*\*J.H. Charlesworth, The Old Testament Pseudepigrapha (Hendrickson Publishers, 2010) P.XXIII.*

bishop of Alexandria, theologian, church father, and saint. 90

Athanasius was born around the year 300, perhaps in 298, .. Later Coptic legends locate Athanasius's birthplace in Upper Egypt, but these claims seem to contradict his genuinely Greek education ... The Alexandrian bishop Alexander (311–328) ordained him as a deacon at the time of the fateful dispute with Arius, ... Elected ... as the successor of Alexander in the summer of 328.

*\*L. Jones, Encyclopedia of Religion (Thomson Gale, 2005) V.1, P.571.*

... l'Occident. Berbère, né en 354 à Tagaste (aujourd'hui Souk-Ahras), en Africa, il mourra évêque d'Hippone (Bône, aujourd'hui) ... 91

*\*Fernand Braudel, Grammaire Des Civilisations (Paris: Flammarion, 1993) P.376.*

The first council that accepted the New Testament canon of twenty-seven books was the Synod of Hippo Regius in North Africa in 393; however, the formal decisions taken by that council have been lost. A brief summary of the acts of the Synod of Hippo Regius was read at and accepted in Canon 24 of the third Synod of Carthage in North Africa in 397. 91

*\*Bellinzoni, The New Testament: An Introduction to Biblical Scholarship P.428.*

La Révélation coranique a une histoire fondamentalement 99  
différente de celle des deux premières. S'étageant sur environ vingt ans, elle est, sitôt communiquée au Prophète par l'Archange Gabriel, apprise par cœur par les fidèles et, en même temps, fixée par écrit du vivant même de Mahomet. Les dernières recensions du Coran qui seront opérées de douze à vingt-quatre ans après la mort du Prophète, sous le califat de Uthman, bénéficieront du contrôle exercé par ceux qui savaient déjà le texte par cœur, l'ayant appris du temps même de la Révélation et récité constamment par la suite. Et l'on sait que le texte a

été, depuis lors, conservé de façon rigoureuse. Le Coran ne pose pas de problème d'authenticité.

*\*Maurice Bucaille, la Bible, le Coran et la Science: les Ecritures Saintes examinées à La Lumière des connaissances modernes (Paris: Seghers, 1990) P.254.*

The first that collective identities are not naturally generated but are the product of ongoing processes of social construction. This construction involves the - more or less intentional- drawing of boundaries that demarcate the collective entity and that determine who and what belongs inside and who and what belongs outside. In other words, the demarcation of cultural identity inevitably entails processes of inclusion and exclusion.

*\*Sasja Tempelman, "Constructions of Cultural Identity: Multiculturalism and Exclusion," Political Studies 47.1 (1999): P. 17.*

Moreover, the self-other dichotomy can be differently constructed by different elements within a single ethnic or religious group, leading to internal conflict over the self-definition and boundaries of that group. These tensions may contribute to the formation of distinct sects espousing different views on the group's identity and the nature of the boundaries that serve to demarcate and preserve that identity. Identity construction is thus a complex task, as a group defines itself not only in contrast to other groups ("external others") but also in contrast to members of its group that would contest the group's identity or construct it in a different way ("internal others").

*\*C.E. Fonrobert and M.S. Jaffee, The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature P.243.*

The ethnic identity of ancient Israelites was constructed in opposition to Gentile, or alien, "others."

*\*C.E. Hayes, Gentile Impurities and Jewish Identities. P.7.*

In rabbinic literature, reference is made to non-Israelites (gentiles of various descriptions). These "external others" often appear in rabbinic literature as mirror opposites of Israelites, and so sharpen the rabbis' definition of Israel.<sup>1</sup> However, insofar as this literature explores and develops a definition of the rabbi as the ideal Jew, reference is made to non-rabbinic Jews (of various descriptions). These "internal others" often appear in rabbinic literature as mirror opposites of the rabbis and so sharpen the rabbis' definition of their own class.

*\*C.E. Fonrobert and M.S. Jaffee, The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature P.243.*

Extending over thirty-five centuries of history and over well-nigh all the lands of the civilized globe, Judaism could not always retain the same form and character.

*\*Singer and others, The Jewish Encyclopedia Vol.7, P.359*

Judaism: The religion of the Jewish people...developed under the influence of the various civilizations with which they have come in contact.

*\*Singer and others, The Jewish Encyclopedia Vol.7, P.359*

But the self-other dyad is by no means stable or constant. Dramatic changes in the political and cultural conditions of Jewish life in Antiquity led inevitably to revision and renegotiation of the self-other dichotomy.

*\*C.E. Fonrobert and M.S. Jaffee, The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature (Cambridge University Press, 2007) P.243.*

At Solomon's death, c. 930 B.C., his son Rehoboam was recognized as the new king in Judah, but was rejected by the elders of the northern tribes at the council of Shechem ... The northern tribes now elected the exiled Jeroboam as their leader. Two kingdoms

emerged, Israel in the north and Judah in the south ... The new northern kingdom of Israel, with Jeroboam its first king, had as its capital city Shechem (later changed to Samaria). The southern kingdom of Judah, with Rehoboam its first king, had Jerusalem as its capital. Israel had several changes of dynasty ... until the destruction of Samaria in 722B.C. Judah was more stable... until Jerusalem was also destroyed in 586B.C.

*\*T. Dowley and K. Publications, The Kregel Bible Atlas (Kregel Publications, 2004) P.42.*

Traditionally, a Jew is defined as a person whose mother is Jewish (matrilineal descent) or who has converted according to Jewish law. 113

*\*R.L. Eisenberg, Dictionary of Jewish Terms: A Guide to the Language of Judaism (Taylor Trade Publishing, 2011) P.195.*

Est juif un enfant dont la mère est juive ou encore toute personne qui s'est convertie au judaïsme selon les préceptes de la Halakhah (c'est-à-dire de jurisprudence rabbinique, laquelle prévoit que la conversion n'est effective qu'après la circoncision, s'il s'agit d'un homme, et un bain rituel; pour les deux sexes. 113

*\*R.L. Eisenberg, Dictionary of Jewish Terms: A Guide to the Language of Judaism (Taylor Trade Publishing, 2011) P.195.*

Joseph Caro (1488-1575) was born in Toledo, Spain ... Caro early proved his brilliance. In 1520, after he wrote a commentary on Maimonides' Mishne Torah, he was appointed chief rabbi of Adrianople, Turkey, and had students from all over the world ... One of Caro's important works is Bet Joseph, a collection of Jewish laws, to which he devoted twenty years of his life (1522-1542). Soon after its publication in Venice in 1551, was hailed as the greatest extant legal 113

code, and showed Caro to be the most profound scholar of Talmudic learning of his age ... Although Caro considered his Bet Joseph his magnum opus, he was destined to be immortalized by the Shulhan Arukh, a digest and more popular version of Bet Joseph. ... With the publication of the Shulhan Arukh in 1564, Caro became the most famous teacher and scholar of his day.

*\*C. Leviant, Masterpieces of Hebrew Literature: Selections from 2000 Years of Jewish Creativity (Jewish Publication Society, 2008) P.521-522.*

There are two places in the Torah that deal with the subject of matrilineal descent. The first relates to the subject of the Hebrew slave. A Jew can be sold into slavery if he was a thief and was unable to pay for the item he stole. As a form of rehabilitation, the court will assign him a Jewish family to live with and work for over a period of six years. During those six years, his master may give him a non-Jewish slave to sire children with her. The Torah is very specific in telling us that at the end of six years, when the Hebrew slave goes free, "His (non-Jewish) wife and children belong to the master, and he goes free." The children are considered her children and not his, and they also have the status of Canaanite slaves. 114

The second proof comes from ... the prohibition of intermarriage.

*\* <http://blogs.timesofisrael.com/her-son-not-your-son/>*

א"ר יוחנן משום ר"ש בן יוחי דאמר קרא (דברים ז. ד) כי יסיר את בנך מאחרי בנך הבא מישראלית קרוי בנך ואין בנך הבא מן העובדת כוכבים קרוי בנך אלא בנה 115

Rabbi Yoḥanan says in the name of Rabbi Shimon ben Yoḥai: As the verse states with regard to the same issue: "Your daughter you shall not give to his son...for he will turn away your son from following Me" (Deuteronomy 7:3–4). Since the verse is concerned that after

one's daughter marries a gentile, the father will lead his children away from the service of God, this indicates that your son, i.e., your grandson, from a Jewish woman is called "your son" by the Torah, but your son from a gentile woman is not called your son, but her son.

*\*Seder Nashim; Kiddushin 68b:3; Talmud Bavli; the William Davidson Talmud. Available: <https://www.sefaria.org/Kiddushin.68a?lang=bi&p2=Deuteronomy.7.3&lang2=bi&w2=Kiddushin&lang3=en>*

In one sense Judaism is fundamentally different from Christianity and Islam. Jewish identity does not depend primarily on accepting a belief system or on following a particular way of life. According to Jewish law, a person is Jewish if he or she has a Jewish mother. 117

*\*D. Cohn-Sherbok, Judaism (Routledge, 1999) P.27*

It is called the Old Testament, with relation to the New, which does not cancel and supersede it, but crown and perfect it ... the Old Testament still remains glorious, though the New far exceeds in glory. 118

*\*M. Henry and J.B. Williams, Exposition of the Old and New Testament (James Nisbet, 1828) P.33*

There are some fourteen Hebrew and Greek terms that are translated "people" in the Bible. These terms refer to different categories of people, such as crowds, inhabitants of a place, individuals, assemblies of people, and so forth 119

*\*W.E. March, Great Themes of the Bible (Presbyterian Publishing Corporation, 2006) P.101*

Goy (Hebrew: "nation;" plural: goyim) In the Bible, a synonym for " 'Am," nation. 119

*\*Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism P.47.*

the Hebrew goy in the Bible means nation, not Gentile, as in post-biblical parlance. 119



---

*\*D.P. Elkins and A. Treu, The Bible's Top 50 Ideas: The Essential Concepts Everyone Should Know (SPI Books, U.S., 2005) P.71.*

---

Ezra. The 10th book of the Writings section of the Bible, it relates 120  
the story of the return of the Jews from exile in Babylonia to the Land  
of Israel during the 6th century B.C.E. Together with Nehemiah, Ezra  
received permission from the Persian ruler to lead the Jewish exiles  
back to Jerusalem and rebuild the Temple. Ezra instituted religious  
reforms, such as periodic readings (with explanations) of the Torah to  
the people.

*\*Eisenberg, Dictionary of Jewish Terms: A Guide to the Language of Judaism P.126.*

---

many Jews in antiquity believed that "the Bible" was completed 120  
in the time of Ezra during the Persian period (mid-fifth century B . C . E  
. ) . If this belief is correct, the distinction between "biblical" and  
"postbiblical" is simple: something which is "biblical" is pre-Persian,  
something which is "postbiblical" is post-Persian. The belief, however,  
is erroneous, because the Bible contains many works that were written  
after the Persian period.

*\*S.J.D. Cohen, From the Maccabees to the Mishnah (Westminster Press, 1987) P.20.*

---

Goy, used over 300 times in the Hebrew Bible, seems to more 121  
precisely connote a people associated with a particular territory or  
governing system ...The Hebrew Bible generally pictures the Israelites  
as a goy among other goyim.

*\*S.L. Gravett, K.G. Bohmbach and F.V. Greifenhagen, An Introduction to the Hebrew Bible: A Thematic Approach (Westminster John Knox Press, 2008) P.202*

---

The Hebrew Bible prefers to refer to the Israelites as an am, a 121  
word appearing more than 1,800 times in the Hebrew Bible. The word  
am focuses more on the connotation of common origins and kinship

---

relations, and is therefore closest in meaning to the modern term "ethnic group."

*\*S.L. Gravett and others, An Introduction to the Hebrew Bible: A Thematic P.202.*

In some contexts the term goy has a definitely negative nuance 122 as it is applied with reference to idolatrous or hostile peoples. In postbiblical Hebrew, goy and goyim came for a time to be used derogatively of non-Jews

*\*W.E. March, Great Themes of the Bible (Presbyterian Publishing Corporation, 2006) P.101*

But the word also begins to take on a more negative reference to 122 the non Israelite nations that are seen in some way to threaten the identity of the Israelites

*\*S.L. Gravett and others, An Introduction to the Hebrew Bible P.202*

In classical Rabbinic writings, by contrast, "goy" refers to an 122 idolater. In these writings, all of humanity is divided between Israel, defined as those who know God and accept the Torah, and gentiles, who worship idols.

Idolaters die and do not rise from the dead. Israel is destined to rise from the grave and stand in judgment, with most of Israel promised eternal life in the restoration of the Garden of Eden, or Paradise ... In contemporary parlance, a derogatory term of reference for a gentile; the adjectival form, goyish, similarly distinguishes its referent in a negative way as unJewish.

*\*Avery-Peck and Neusner, The Routledge Dictionary of Judaism P.47.*

the word Goy we must not attempt to deduce its rabbinic 122 meaning from its biblical usage; the two are radically different. In the Bible, the word Goy means "nation," and is applied both to Israel and to other nations." As used by the Rabbis, however, Goy refers to the

individual non-Jew, and it retains that meaning for the Rabbis often even when it occurs in the biblical passages they interpret. This new meaning necessitates new grammatical forms of the word. Since, in rabbinic usage, the word is no longer a collective noun but refers to the individual; it now possesses not only a masculine form,<sup>15</sup> as in the Bible, but also a feminine form,<sup>16</sup> and plurals of these respective forms which again apply not to collective groups but to disparate individuals

*\*M. Kadushin, The Rabbinic Mind (Global Publications, 2001) P.40.*

The other terms for the non-Jew, ... Nokri means "stranger" and, 123  
whilst usually referring to the non-Jew," may also refer to a Jew who is a stranger in the sense that he is not a member of a particular family." Goy and Nokri appear to be subconcepts of the more inclusive concept of 'Ummot Ha-Olam, the nations of the world, with which we are already acquainted, and which regards the entire non-Jewish world as a single entity.

*\*M. Kadushin, The Rabbinic Mind (Global Publications, 2001) P.41.*

The English word "gentile" comes from a Latin word (gentilis), a 124  
person belonging to a "clan" or "nation.

*\*W.E. Mills and R.A. Bullard, Mercer Dictionary of the Bible (Mercer University Press, 1990) P.324.*

A word of Latin origin (from "gens"; "gentilis"), designating a 124  
people not Jewish, commonly applied to non-Jews. The term is said (but falsely so) to imply inferiority and to express contempt ... The word "Gentile" corresponds to the late Hebrew "goi," a synonym for "nokri," signifying "stranger," "non-Jew." ... As the non-Israelite and the nokri were "heathens," "goi" came to denote a "heathen," like the later "akkum," which, in strict construction, is not applicable to Christians or Mohammedans.

*\*Singer, The Jewish Encyclopedia V.5, P.615.*

AKKUM (Heb. עֲכֹרִים), abbreviation consisting of the initial letters of עֲבֹדַת כּוֹכְבִּים וּמַזְלוֹת ("worship of stars and planets") or עוֹבְדֵי כּוֹכְבִּים וּמַזְלוֹת ("worshippers of stars and planets"). It was originally applied to the Chaldean star worshipers but it was later extended to apply to all idolaters and forms of idolatry. This word is not found at all in the oldest editions of the Mishnah, Talmud, the Yad of Maimonides, or the Shulḥan Arukh. Most editions of these works have a note to the effect that the laws against Akkum refer only to ancient idolaters and not to Christians.

*\*Skolnik and Berenbaum, Encyclopaedia Judaica V.1 P. 569*

Gentiles, a name given by the Hebrews to all those that had not received the law.

*\*A. Calmet, Calmet's Dictionary of the Holy Bible (Crocker & Brewster, 1856) P.454*

gentile ... a person of a non-Jewish nation or of non-Jewish faith; especially : a Christian as distinguished from a Jew

*\*<https://www.merriam-webster.com/dictionary/gentile>.*

It has become relatively common to refer to the outsider by the term 'Gentile'... It is deliberately broad in scope, referring to any person or community that was not counted among the insiders by Jews ... For Christians, 'Gentiles' referred to people who had no link with the cultural and religious heritage of Israel.

*\*D.C. Sim and J.S. McLaren, Attitudes to Gentiles in Ancient Judaism and Early Christianity (Bloomsbury Publishing, 2014) P.2.*

The names Canaan and Israel are controversial. Much of the controversy is generated by the Bible ... The Bible constructs a wall of difference between people who are Canaanite and people who are Israelite

---

*\*K.L. Noll, Canaan and Israel in Antiquity: A Textbook on History and Religion: Second Edition (Bloomsbury Publishing, 2012) P.2*

---

the biblical narratives are directed against the indigenous peoples of Canaan 132

*\*M.G. Brett, Ethnicity and the Bible (Brill Academic Publishers, 1996) P.21.*

---

"HAM SINNED AND CANAAN WAS CURSED?!" 134

THE BIBLICAL ACCOUNT of Noah's drunkenness and his curse of slavery is very clear about who was cursed. Although it was Ham who behaved improperly toward his father, Noah, it was not Ham whom Noah cursed. Rather, Noah cursed Ham's son Canaan. Why Canaan was cursed if it was Ham who sinned is a question that has been debated for well over the past two thousand years.

*\*D.M. Goldenberg, The Curse of Ham: Race and Slavery in Early Judaism, Christianity, and Islam (Princeton University Press, 2009) P. 157.*

---

We wonder why Noah cursed Canaan instead of Ham. There are four basic answers to this problem Ham's Punishment Transferred to Canaan: According to this view, Canaan was cursed because his father, Ham, had already been blessed. Since a curse cannot rest where a blessing has been bestowed, Ham was punished by the curse being set upon his youngest son. 134

Ham Cursed, Not Canaan: Some have suggested that the words, "Cursed be Canaan," should be understood to mean, "cursed be the father of Canaan." The original reading was "Ham" but was changed to "Canaan" to conform with the fact that the Canaanites were subjugated by the Israelites in the conquest.

Canaan Cursed for His Own Sin: In order to justify the curse on Canaan, it has been suggested that Canaan was an accessory to his

---

father's sin. It is hypothesized that Canaan saw Noah's nakedness and told Ham.

Canaan's Descendants Cursed, Not Canaan Himself: "Ross" has argued rather convincingly that the curse was on Canaan's descendants, not Canaan himself. "Ross" points out that Ham had no respect for his father's nakedness and that this constituted a major step toward moral abandon. Noah saw in Canaan the evil traits that characterized his father, Ham. This moral abandon and sexual perversion marked Canaan's descendants as well. The curse, then, is not directed against the man Canaan, but against the Canaanite people the descendants of Canaan many generations later. The Canaanites were to suffer the curse of conquest-not because of the sins of Ham but because they themselves acted like their ancestor, Ham, with moral abandon. The curse on Canaan's descendants was a prophecy and a judgment that was fulfilled in the conquest of the land by Joshua.

*\*J.C. Laney, Answers to Tough Questions: A Survey of Problem Passages and Issues from Every Book of the Bible (Wipf & Stock Publishers, 2010) PP.23-24.*

The point of the story in w. 20-7 is not that Noah committed a sin in becoming drunk, but that Ham sinned in seeing his father when he was naked, an act which called forth a curse on Canaan, Ham's son ... The incongruity that it is Canaan and not his father who is cursed (w. 25, 27) is connected with Israel's traditional hatred of the Canaanites, who are seen as destined to become slaves.

*\*J. Barton and J. Muddiman, The Oxford Bible Commentary (OUP Oxford, 2007) P.47.*

The Jewish idea of the chosen people is one of the topics on which a great number of academic as well as non-academic works have been written from theological, philosophical, and psychological perspectives ... The idea of chosenness, which basically denotes the

special relationship between God and the people of Israel, is the *raison d'être* of the Jewish religion as well as Jewish people ... Indeed, what is unique about the Jewish idea of chosenness is related to the fact that it provides Judaism with the elements of religion and nationality at once.

*\*S.L. Gurkan, The Jews as a Chosen People: Tradition and Transformation (Taylor & Francis, 2008) P.1.*

Blood is a matter not only of belief but also of practice. In rituals 156  
such as sacrifice, circumcision ... Blood is at once symbol and substance.  
Or, to quote Roy Wagner's suggestive phrase, blood is a symbol that  
"stands [also] for itself... It is therefore at once an ambivalent symbol of  
life and of death. It can also be a symbol of purity and of impurity. It is,  
then, the very "fluidity" of blood as a symbol that gives it its power,  
because it can be filled with a host of meanings, some of them even  
contradictory.

*\*D. Biale, Blood and Belief: The Circulation of a Symbol between Jews and Christians (University of California Press, 2008) P.4.*

This blood-giving raises a question, though. Where do the 157  
borders of the community end?... Blood is what humanity has in  
common. But it is also what separates and distinguishes ... Blood is a  
universal fluid but also a marker of difference.

This dialectic between blood as unifying and blood as dividing  
has been a critical one for Jews since the fifteenth century.

*\*D. Biale, Blood and Belief: The Circulation of a Symbol between Jews and Christians P.6.*

Through blood, human beings can commune with God. 157

*\*D. Biale, Blood and Belief. P.9.*

The basic proposition, spelled out in detail, is that Israel stands in 163  
a special relationship with God, and that relationship is defined by the  
contract or covenant, that God made with Israel. The covenant comes

to particular expression ... in two matters: first, the land, second the Torah. Each marks Israel as different from all other nations, on the one side, and as selected by God, on the other.

*\*J. Neusner, The Classics of Judaism: A Textbook and Reader (Westminster/John Knox Press, 1995) P.156.*

the contract, or covenant, produces the result that God has 164  
acquired Israel, which God created. The reason is that only Israel  
accepted the Torah, among all the nations, and that is why God made  
the covenant with Israel in particular... Why is the covenant made only  
with Israel? The gentiles did not accept the Torah, Israel did, and that  
has made all the difference.

*\*J. Neusner, The Classics of Judaism P.156.*

"The Jews are called human beings, but the goyim are not 172  
humans. They are beasts." (Baba Mezia,114b).

*\*Christopher Fredrickson, The Rabbinic Gospel of Mark (Lapid Publications, 2017)  
P.110.*

... (יחזקאל לד', לא) ואתן צאני צאן מרעיתי אדם אתם אתם 172  
קרויין אדם ואין עובדי כוכבים קרויין אדם  
... (Ezekiel 34:31), which teaches that you, i.e., the Jewish people,  
are called "man," but gentiles are not called "man."

*\*[https://www.sefaria.org/Bava\\_Metzia.114b.2?lang=bi](https://www.sefaria.org/Bava_Metzia.114b.2?lang=bi)*

Although the non-Jew has the same body structure as the Jew, 174  
they compare with the Jew like a monkey to a human. (Schene luchos  
haberith, p. 250 b)

*\*E. Dubay, The Atlantean Conspiracy (Final Edition) (Lulu Enterprises Incorporated,  
2013) P.91.*

"If you eat with a goy, it is the same as eating with a dog." 175  
(Tosapoth, Yevamot 94b).

*\*Lapid Fredrickson, The Rabbinic Gospel of Mark P.111.*



---

The souls of non-Jews come from impure spirits and are called pigs. 175

*\*E. Dubay, The Atlantean Conspiracy P.91*

---

The father-son relationship is another metaphorical description 181  
of the relationship between Yahweh and Israel. Even though the  
practice of adoption in biblical society was very limited, the Yahweh-  
Israel union was described as a father-son relationship in which  
Yahweh calls Israel "My son" and "My first-born":

Then you shall say to Pharaoh, "Thus says Yahweh, 'Israel is My  
son, My first-born.' So I said to you, "Let My son go, that he may serve  
Me.'" (Ex. 4:22-23; cf. Is. 43:6; Hos. 11: 1)

Not only does Yahweh call Israel "My son," but Yahweh also asks  
Israel to call him "My father."

And I said, "You shall call Me, My father, And not turn away from  
following Me." (Jer. 3: 19; cf. 3:4; 31:20)

... The Bible even asserts that Yahweh gave birth to Israel. ...

Yahweh said that he nourished and brought up Israel. Therefore,  
the Bible portrays the intimacy of Yahweh's relationship with Israel in  
terms of a father-son imagery ...

Thus, Yahweh's adoption of Israel as his son also carries this  
aspect. Yahweh did not need any consent or agreement with Israel in  
order to choose and adopt him as his son. This is the reason why  
Yahweh called Israel "My son" without any previous notice, asking the  
nation to call him "My father."

As a son of Yahweh, Israel was bestowed with many special  
privileges. First of all, Israel was called by the name of Yahweh.

*\*S.T. Sohn, The Divine Election of Israel (Wipf & Stock Publishers, 2001) PP.67-69.*

---

Besides bearing the name, another privilege bestowed upon 183  
Israel as Yahweh's son was to be his heir, to be a people of inheritance

---

(Dt. 4:20-21). As a son, he had a right to the inheritance, particularly since the eldest son had a privileged position and received a double share of his father's property (Dt. 21: 17). Thus, Israel as Yahweh's first-born was entitled to an inheritance from Yahweh and was even called the tribe of his inheritance.

*\*S.T. Sohn, The Divine Election of Israel P.70*

When Yahweh separated the people and set their boundaries according to the number of the sons of God<sup>130</sup> and gave the nations their inheritances, Israel was Yahweh's portion and allotted inheritance. 184

*\*S.T. Sohn, The Divine Election of Israel P.71*

Since adoption was an expression of election, the possession of the land for Israel was the sure mark of their sonship and their election. 185  
The visible sign of sonship was possession of the land which Yahweh gave them as an inheritance. Thus, the phrase "the and which Yahweh your God is giving you as an inheritance to possess" [אֶרֶץ אֲשֶׁר יְהוָה] [אֱלֹהֶיךָ נִתֵּן-לָךְ נַחֲלָה לְרִשְׁתָּהּ] as well as "the people of inheritance" [עַם נַחֲלָה] must be understood in the context of adoption and election.<sup>133</sup> Therefore, as a son of Yahweh Israel had two privileges, that is, to bear the name of Yahweh and to inherit the land.

*\*S.T. Sohn, The Divine Election of Israel P.72*

'Murder' is the correct translation, i.e. the unlawful killing of a member of the community. The commandment does not cover capital punishment, killing in war, or the killing of animals for food. 196

*\*Barton and Muddiman, The Oxford Bible Commentary P.82*

For us it is explicit that the prohibition "You shall not murder" refers only to [the case of] a Jew killing another Jew and not to a Jew 197

killing a Gentile, even if that Gentile were to be amongst the righteous amongst the nations.

*\*Ophir Yarden, "Recent Halakhic Discourse in Israel Encouraging Racism and Violence," P.222.*

Rabbi ben Yohai ... did not think gentiles were even worthy to live. His views regarding gentiles were that "even the best of gentiles should all be killed. 197

*\*E. Hendrie and T. Marrs, Solving the Mystery of Babylon the Great (Great Mountain Publishing, 2011) P.117.*

Rabbi Elba wrote and distributed an article entitled: 198  
'Examination of the Rules Concerning the Murder of Non-Jews.' The article included the conclusions of a study in which Rabbi Elba ruled that the murder of non-Jews is often permitted. He concluded that the prohibition on murder in the Ten Commandments does not cover the case in which a Jew kills a gentile.

*\*D. Kretzmer, F.K. Hazan and F.E. Stiftung, Freedom of Speech and Incitement against Democracy (Springer Netherlands, 2000) P.250.*

Recently a book was discovered in circulation in Israel 198  
encouraging the murder of "goyim," a derogatory term for non-Jews. Written by Rabbi Yitzhak Shapira and Rabbi Yosef Elitzur the book entitled Torat HaMelech or The King's Torah and published in 2009, makes some outrageous statements that excuses Jews for killing non-Jews including babies and children who may pose a threat to Jews now or in the Future. The commandment against murder "refers only to a Jew who kills a Jew, and not to a Jew who kills a gentile."

*\*S. Armato, The Bible and Western Culture (AuthorHouse, 2014) P.40.*

BT Sanhedrin 52B: "A non-Jew is not considered a neighbor" 202

*\*M. Hoffman, Judaism Discovered (Independent History & Research Company, 2008) P.361.*

"His neighbor's wife" excludes the wife of another, i.e., a gentile, 202  
who is not referred to as "his neighbor."

*\*<https://www.sefaria.org/Sanhedrin.52b.22?lang=bi>*

The Gemara asks: If so, then even a ger toshav should be 203  
included, as he too performs work for you. The Gemara responds: The  
initial section of the verse states: "Your neighbor," which refers to your  
neighbor who is Jewish, and not a ger toshav, who is not called a  
neighbor.

*\*[https://www.sefaria.org/Bava\\_Metzia.111b.12?lang=bi](https://www.sefaria.org/Bava_Metzia.111b.12?lang=bi)*

as stated in the beraitha: 'his neighbor' — and not a gentile. But 204  
isn't it appropriate to learn that a gentile is excluded from the phrase  
'his brother'? One (phrase) conies to permit exploiting him (a gentile)  
and the other comes to permit robbing him, as he holds that robbery of  
a gentile is permitted."

*\*Hoffman, Judaism Discovered P.361.*

The wording for this ruling on the permissibility of stealing from 206  
a gentile and how gentiles do not qualify as a brother or neighbor is  
corroborated in Dikdukei Sofrim, ...

the rabbis inserted an escape clause: "But there is a rabbinic  
prohibition, according to the one who says that robbery of a gentile is  
forbidden because of desecration of God's name in the last chapter  
'HaGoze' (chapter 10 of Bava Batra) ." This deceitful clause has not in  
any way ameliorated treatment of gentiles by robber rabbis and other  
Talmudists. Robbery of a gentile is forbidden in cases where such  
robbery will result in harm to Judaism.

*\*Hoffman, Judaism Discovered P.361.*

What does an injunction to exterminate the Canaanites say 212  
about the character of the one who gives it? How does it represent

Israel's God? A few adjectives spring to mind: xenophobic, militaristic, racist, exclusivist, barbaric. If we base our characterisation on the Book of Joshua we cannot but conclude that 'in a savage world the power behind the savagery is Yahweh'.

*\*Gareth Jones Lloyd, "Sacred Violence: The Dark Side of God," Journal of Beliefs & Values 20.2 (1999): P. 187*

In the Paris Disputation which took place in 1240, Christian adversaries argued that the Talmud should be destroyed since it serves as a rival to Scripture and also contains attacks on the Christian faith. The Christian side was led by Nicholas Donin, a converted Jew who was opposed to the rabbinic tradition; on the Jewish side Rabbi Yehiel ben Joseph of Paris, a prominent Talmudist, was joined by three other rabbis. The disputation itself was initiated by a letter sent by Pope Gregory IX to the Kings of Christendom complaining about the Talmud ... Turning to other charges, Donin claimed that the Talmud permits Jews to spill the blood of gentiles. Thus Sof.15 states 'the best gentile may be killed'. In defence Rabbi Yehiel stated that an important phrase is here missing: 'the best gentile may be killed in time of war.'

*\*D. Cohn-Sherbok, Judaism and Other Faiths PP.47-49*

The Talmud contains many passages directed against gentiles, saying:

- (a) a gentile may be left to die, ...
- (b) a Jew who kills a gentile is not liable to the death penalty, whereas a gentile who kills a Jew is liable;
- (c) it is permitted to steal the money of a gentile; ...
- (g) it is forbidden to help a gentile woman to give birth or to suckle her child; ...

Again, Yehiel argued that the 'gentiles' referred to here are not Christians. The term 'gentiles' is thus meant to refer to ancient Egyptians and Canaanites who were steeped in immorality of every kind.

*\*D. Cohn-Sherbok, Judaism and Other Faiths PP.49-50*

Après la mort et la résurrection de Jésus, c'est à Jérusalem que se rassemble la première communauté des croyants. Puis répondant à la mission confiée par Jésus "Allez par toutes les nations", les apôtres partent annoncer la Bonne Nouvelle. 240

*\*Malherbe, Encyclopédie Des Religions De L'humanité P.52*

Therefore the great commission in Matt 28:19f in no way excludes Israel: in no way it replaces Israel with the Gentiles. On the contrary, it presupposes the restoration of Israel as a people and as a territory. 241

*\*J. Adna and H. Kvalbein, The Mission of the Early Church to Jews and Gentiles P.70.*

The term "Canaanite" would have evoked complex history between Canaan and Israel to Matthew's Clearly, this would bring to mind her "otherness" and "foreignness" greater contrast to the Jewish disciples ... 243

*\*Daniel N. Gullotta, Among Dogs and Disciples: P.329*

Have mercy on me, O Lord, Son of David. It is surprising that a non Jew addresses Jesus as Son of David'. Is one to infer that already the woman is acknowledging that Jesus is the Jewish saviour, his mission to Israel? However that may be, 244

*\*D.C. Allison, Matthew: A Shorter Commentary P.254.*

Examinations of selected passages from the New Testament, like the two above from Matthew, have led an increasing number of scholars of the New Testament and historians of early Christianity to conclude that Jesus lived as a Jew. 244

---

*\*S.E. Grosby, Biblical Ideas of Nationality: Ancient and Modern P. 166.*

---

The general resolution of this contradiction has been to see the passage within the spectrum of salvation-history, that is, at "present," Jesus's ministry is only to Jews but "later," after his death and resurrection, he delivers the disciples their universal instruction, a ministry that is for all humankind. 252

*\*Gullotta, "Among Dogs and Disciples PP.332-333.*

---

The Jewish Christians were probably heading to the margins by the second part of the first century. We have seen that Paul himself was intent on establishing communities of believers on pagan soil, and he is the only massively effective evangelist we hear of in our first-century sources.<sup>1</sup> His churches, which appear to have grown even after he relocated to evangelize elsewhere, comprised exclusively or almost exclusively pagan converts. 253

*\*D. Ehrman, The Triumph of Christianity: How a Forbidden Religion Swept the World (Simon & Schuster, 2018) P.75.*

---

From every aspect it is Paul who makes the profoundest contribution to the Christian understanding of love. Paul sees himself deeply loved by God/Christ and his life depends upon that love. 253

Indeed, the life which he now lives is not his, but the life which Christ himself lives in Paul.

*\*W.Swartley, The Love of Enemy and Nonretaliation in the New Testament P.19-20.*

---

Personal faith in divine personal love sustained Paul and had called him into service. This is so basic that God becomes for Paul "the God of love" 254

*\*W.M. Swartley, The Love of Enemy and Nonretaliation in the New Testament P.20.*

---

Every Christian knows that love plays a significant role in the New Testament. It is fundamental to Christian teaching that God is love 255

---

and Christians ought to love God and love their neighbors. It would not be accurate, however, to say that the central teaching of Jesus was love or that the unifying theme of the New Testament is love.

*\*B.V. Brady, Christian Love (Georgetown University Press, 2003) P.52*

The Bible teaches clearly that the distinctive mark of true Christianity is love. Love for God; love for other people and love and obedience to the Word of God. Love has always been the distinguishing mark of true Christianity. 255

*\*L. Munoz, Birth, Criminal History and Judgment of the Roman C. Church P.181.*

Love, ... has often been claimed to be the distinctive feature of Christian ethics, 258

*\*P. Byrne, L. Houlden and P.L. Houlden, Companion Encyclopedia of Theology P.695.*

John Kleinig suggests that the command to love our neighbor as ourself means "to include among our interests (in a non-self-regarding fashion) the interests of other." 264

*\*Norman H Young, "The Commandment to Love Your Neighbor as Yourself and the Parable of the Good Samaritan (Luke 10: 25-37)," P.265.*

Eight times the New Testament commands us to love our neighbors as we love ourselves (Matt. 19:19, 22:39; Mark 12:31 33; Luke 10:27; Rom. 13:9; Gal. 5:14; James 2:8) ... the parable of the Good Samaritan. The people in Luke's audience might have defined "the neighbor" as one's friend or a member of the community. Jesus, however, by making the moral hero a person outside the community, explodes the general preconception of the neighbor. This parable, writes PHEME PERKINS; "ignores social boundaries and all the reasonable sorts of calculations people make" ... The neighbor is not limited to the person who lives next door, or to an acquaintance, or 264



even to a fellow community member. The neighbor is, as Victor Furnish notes, the next person you meet.

*\*Brady, Christian Love P.59.*

though Jesus does not answer the intended import of the question, he does give a perfectly valid answer to the verbal form of the enquiry. The lawyer is forced to become involved in the parable: he is slapped down bleeding beside the Jericho road, and it becomes no longer a question of who qualifies for his help but who will help him. Barth's pronouncement that your "neighbour is [your] fellow man acting towards [you] as a benefactor" 264

*\*Young, "The Commandment to Love Your Neighbor as Yourself and the Parable of the Good Samaritan (Luke 10: 25-37)," P.269.*

From all this it seems clear that there is not in Jesus' recorded sayings a complete ethical doctrine such as would satisfy a scientific maker of systems. This cannot be found there. 270

*\*A. C. Pigou, "The Ethics of the Gospels" p.289.*

A great variety of opinions have been proposed to account for the placement of 2 Cor. 6:14-7:1 into its present context. Some scholars view the passage as written by Paul and originally belonging in its current context. But since the beginning of the nineteenth century, many have challenged the integrity of the text as it stands.' The arguments that have been proposed against the passage as belonging in its present place are many but they can be briefly summarized as follows: 1) 2 Cor. 6:14-7:1 does not fit the context of 2:14-7:4. ... 3) By itself, 2 Cor. 6:14-7:1 functions as a carefully constructed independent unit, intelligible by itself ... 5) There is a spirit of exclusivism in the passage which seems incompatible with Paul's outlook ... 285

---

*\*Paul Brooks Duff, "The Mind of the Redactor: 2 Cor. 6:14-7:1 in Its Secondary Context," Novum Testamentum 35.2 (1993): PP.160-161.*

---

Thus a great deal of doubt has been raised about the authenticity 285  
of these verses ... In addition to the many literary problems this passage  
raises, the uncompromising distinction between believers and  
unbelievers ... is surprising. It is difficult, for example, to harmonize the  
strong statement that one should not be mismatched with unbelievers  
with Paul's allowance for marriages between believers and non-  
believers ... However, there are points of contact between this text and  
others in Paul's letters where the church is envisioned as the temple of  
God made up of sanctified believers which must be kept pure. The  
corollary of this notion of holy temple is the view that members who  
threaten to bring impurity into the community should be treated as  
outsiders.

*\*Barton and Muddiman, The Oxford Bible Commentary P.1141-1142.*

---

The words "before me" may not have been written by John 288  
because they are not present in ... several other witnesses. On one hand,  
it can be argued that these words were added (in some manuscripts  
before the verb and in others after it) in an attempt to clarify an  
otherwise mysterious statement: 'All who came are thieves and  
bandits.' On the other hand, it can be argued that the words ... "in order  
to lessen the possibility of taking the passage as a blanket  
condemnation of all Old Testament worthies", or they were deleted  
because they were considered superfluous ... But the statement was  
probably not directed at OT saints and prophets—rather, at those who  
came on the scene pretending to be the Christ. ... Such terms could  
depict evil Jewish religious leaders or false messiahs.

*\*P.W. Comfort, New Testament Text and Translation Commentary P.295.*

---

Christianity is portrayed as a religion of love and peace. Often 298  
this emphasis on love and peace is juxtaposed with the vengeful god of  
the Old Testament ... We shall argue that the foundational event of  
Christianity, the sacrifice of the son of God, is a violent act that has led  
to violence on a wider scale. Only a selective reading of the New  
Testament can yield a vision of Christianity as a religion of nonviolence.

*\*H. Avalos, Fighting Words: The Origins of Religious Violence pp. 150-151.*

The "hatred called for here is actually a lesser love. Jesus was 300  
calling His disciples to cultivate such a devotion to Him that their  
attachment to everything else-including their own lives-would seem  
like hatred by comparison.

*\*J.F. MacArthur, The Macarthur Bible Commentary (Thomas Nelson, 2005) P.1308.*

Being a member of this new family was not without cost. The 300  
same was true for being a disciple ... Those who followed Jesus "left  
everything" (Luke 5:11). They left behind parents, family, children, and  
jobs (Luke 14:26; Mark 2:14). They shared Jesus' poverty and itinerant  
life (Matt 8:20). For some it involved celibacy for the sake of the  
kingdom (Matt 19:11-12).

*\*T. Rausch, Eschatology, Liturgy and Christology: Toward Recovering an  
Eschatological Imagination PP.51-52.*

Jesus declares that following him takes precedence over all social 301  
obligations, even those family obligations one's society

*\*C.S. Keener, The Historical Jesus of the Gospels P.205.*

New Testament interpreters have long puzzled over the 301  
meaning of the saying, "Let the dead bury their own dead" (Matt 8:22;  
Luke 9:60), and although many ingenious solutions have been  
proposed, none has been generally convincing.

*\*Byron R. McCane, "Let the Dead Bury Their Own Dead" P.31*

By all accounts, interpreters have had a hard time making sense 302  
of Matt 8:21-22. The passage has posed serious, apparently intractable,  
problems. ... the point of the disciple's request has remained mysterious  
... Jesus' answer has been even more troubling. His words are so harsh  
that most commentators try to soften their impact: perhaps Jesus is  
merely quoting an Aramaic proverb, or the original form of the saying  
may have been miscopied, or possibly the word for "dead" only means  
"dying." Although none of these proposals has gained wide acceptance,  
most interpreters do agree that the saying should be read as a call to  
discipleship.

*\*McCane, "Let the Dead Bury Their Own Dead" PP.37-38.*

Hell fire. There are two words in the N. T. translated hel One is 303  
Hades, and always signifies simply the place of departed spirits; the  
other is Gehenna, and is the word used here. It indicates, by a significant  
metaphor, the place of future punishment.

\*L. Abbott, An Illustrated Commentary on the Gospel According to  
Matthew (1875) P.91

Where is the limit between tolerance and intolerance? The 303  
Christian god in the life of this world asks, "O faithless and perverse  
generation, how long shall I be with you and suffer you?" (Mark,  
9:19/41). This is sufficient to conclude that limits do exist.

*\*Zorica Kuburić, "On the Possibilities for Dialogue and Religious Tolerance in  
Protestantism," RELIGIOUS DIALOGUE IN THE BALKANS: THE DRAMA OF  
UNDERSTANDING. P.210.*

Then there is the curious story of the fig tree, which always rather 304  
puzzled me. You remember what happened about the fig tree ... This is  
a very curious story, because it was not the right time of year for figs,  
and you really could not blame the tree.

---

*\*B. Russell and P. Edwards, Why I Am Not a Christian: And Other Essays on Religion and Related Subjects (Touchstone, 1957) P.19.*

---

as Jesus apparently instructs contradictory commands to his 307  
disciples. Firstly, Jesus instructs that his disciples are to go nowhere  
among the Gentiles enter no town of the Samaritans. . However, later,  
his disciples to "make disciples of all nations" ... In Amy Jill-Levine's  
view, the Great Commission does not entail a lost privilege for the  
Jewish community but rather places the Gentiles on equal footing with  
them (Levine 1956, 3). However is this really the case? A closer  
examination of the Matthean text would strongly suggest otherwise for  
several reasons. The most obvious is the derogatory language used by  
Matthew to describe and characterise Gentiles throughout the gospel.

*\*Gullotta, "Among Dogs and Disciples: An Examination of the Story of the Canaanite Woman (Matthew 15:21-28) and the Question of the Gentile Mission within the Matthean Community," P.327.*

---

Scholars typically understand the saying as an insulting rejection 308  
of the woman's request. Jesus calls the woman a dog, an unclean animal  
according to Jewish tradition that scavenged around the countryside  
consuming garbage, vomit, and corpses, and hence were considered  
'the most despicable, insolent, and miserable of creatures' ... dogs  
became an apt metaphor for Gentiles, the rabbis declaring that 'the  
people of the world are like dogs'.

*\*K. Iverson, Gentiles in the Gospel of Mark: 'Even the Dogs under the Table Eat the Children's Crumbs' (Bloomsbury Academic, 2007) P.48.*

---

Commentators frequently note Mark's use of the diminutive 308  
form which may soften the address, instead referring to little dogs',  
'house dogs', or 'puppies'. It is also possible that the term is merely a  
stylistic choice that parallels the diminutive term used to describe the

---

woman's little daughter. Whichever nuance is meant, the term undeniably addresses the woman's ethnicity. It is because she is a Gentile that her request is rejected. She is one of the dogs, not one of the children. The blessings of God are to be extended first to Israel. Only after the nation has been fed and satisfied will the unclean Gentiles become participants in the kingdom and receive the blessings of God.

*\*Iverson, Gentiles in the Gospel of Mark: 'Even the Dogs under the Table Eat the Children's Crumbs' PP.48-49.*

It is possible that he is testing her, as teachers sometimes tested their disciples, but he is certainly reluctant to grant her request ... Perhaps he is requiring her to understand his true mission and identity, lest she treat him as one of the many wandering magicians to whom Gentiles some times appealed for exorcisms.

*\*C.S. Keener, The Gospel of Matthew: A Socio-Rhetorical Commentary (Eerdmans Publishing Company, 2009) P.417*

Even a thing which seems hard can be said with a disarming smile. We can call a friend 'and old villain', or 'a rascal', with a smile and a tone which takes all the sting out of it and which fills it with affection. We can be quite sure that the smile on Jesus' face and the compassion in his eyes robbed the words of all insult and bitterness".

*\*L. Morris, The Gospel According to Matthew (Inter-Varsity Press, 1992) P.404-405.*

While older scholars conclude that the Gospel of Matthew is pro-Gentile, even to the extent of being anti-Jewish, I concur with the growing number of contemporary scholars who maintain that Matthew's community still identified itself as Jewish. I argue even further that the story of the Canaanite Woman is evidence not so much of an anti-Gentile attitude, but of a pro-Jewish one.

*\*G. Jackson, Have Mercy on Me: The Story of the Canaanite Woman in Matthew 15:21-28 (Bloomsbury Academic, 2002) P.34.*

Christ warned that outside or 'without [the city of God] are dogs 314

*\*Stephen A Kent, "Deviant Scripturalism and Ritual Satanic Abuse Part One: Possible Judeo-Christian Influences," Religion 23.3 (1993): P.235.*

Christianity has actually substituted a different type of group 317  
privilege. Whereas ethnocentricity in the Hebrew Bible is founded on  
genealogy, Christianity has created a new ethnos based on devotion to  
Christ ... This passage is often misinterpreted to mean that the result of  
following Jesus is conflict within the family. However, the original  
Greek ... is best understood to mean that the purpose of Jesus is to bring  
conflict.

*\*Avalos, Fighting Words: The Origins of Religious Violence p.161.*

Urban begins his sermon by delineating the sufferings of 'our 330  
Christian brothers...in Jerusalem, in Antioch and the other cities of the  
East'. Churches are used as stables, ... Jerusalem, the very place where  
'Christ Himself suffered for us', has been 'reduced to the pollution of  
paganism'. The pope then goes on to explain why this land is  
deservedly called holy: this is where the Saviour himself lived, as well  
as the Mother of God, the Apostles, ...but Urban also reaches further  
back into biblical history: 'The children of Israel, who were led out of  
Egypt, and who prefigured you in the crossing of the Red Sea, have  
taken that land by their arms, with Jesus as leader... Here Urban clearly  
draws a parallel between the crusaders and the Israelites who  
conquered Canaan ... Urban continues the parallelism between the  
Israelites under Joshua and the crusaders Urban tells the crusaders:  
'Moreover, you who are to go shall have us praying for you .... It is our  
duty to pray, yours to fight against the Amalekites ...

*\*C. Hofreiter, Making Sense of Old Testament Genocide: Christian Interpretations of Herem Passages (Oxford University Press, 2018) P.172-173*

The second stage in the church's century-long program to 333 eliminate the Cathars took the form of the Inquisition. In 1231 ... Pope Gregory IX authorized this new arm of the Church specifically to ferret out individual Cathars who had survived the Crusade. ... Their victims included the unrepentant Cathars condemned to death-and for many of them, death by being burned alive... By 1325, there were virtually no Cathars left in Europe to distort the truth of that faith.

*\*R.A. Johnson, Peacemaking and Religious Violence: From Thomas Aquinas to Thomas Jefferson (Wipf & Stock Publishers, 2009) P.42.*

According to Stannard, the Spaniard's indiscriminate slaughter 336 of Native peoples began with Columbus's second voyage to the New World, in 1494. Accompanied by ferocious dogs that had been trained to disembowel human beings, the heavily armed Spaniards forced the Arawak, the Native peoples of Hispaniola, where Columbus first established himself, to supply them with food, slaves, and gold. The newcomers killed indiscriminately, as if for sport.

*\*A. Grenke, God, Greed, and Genocide: The Holocaust through the Centuries (New Academia Publishing, LLC, 2005) P. 140.*

Stannard uses statistics to show the extent of the destruction 337 wrought by the Spaniards. Within seventy-five years of the Spaniards' arrival, the population in central Mexico fell by almost 95 per cent, from more than 25 million in 1519 to about 1.3 million in 1595. Wherever the Spaniards went, consequences were the same. In western Nicaragua, 99 per cent of the people were dead within sixty years of the Spaniards' arrival. In western and central Honduras, 95 per cent of the people were, killed in half a century.

*\*Grenke, God, Greed, and Genocide: The Holocaust through the Centuries PP.141-142.*



The superseding of the Old Testament by the New posed a serious challenge to Christian theorists of war. According to his disciples, Christ had famously declared himself a God of peace, not war ... But Jesus was also recorded to have said, "I came not to send peace but a sword" (Matt. 10:34), and there was plenty of ammunition in the chronicles of the early Christians struggles with their foes to sustain a militant defense of war in the name of religion. John Calvin addressed the question directly in *The Institutes*: "But if it is objected, that in the New Testament there is no passage or example teaching that war is lawful for Christians, I answer, first, that the reasons for carrying on war, which anciently existed still exists in the present day" (IV12). William Gouge's 1631 treatise on war (*God's Three Arrowes*) raised the question as well. To the objection "All these proofs are taken out of the Old Testament, which gives not sufficient warrant to Christians," he answered: "Warres waged in the Old Testament are commended in the New." The English divine Richard Bernard dismissed the notion that the Christ of the New Testament was a pacifist. Yes, he was more often called a "God of Peace" than a "man of Warre," he acknowledged. But Our Prince of peace telleth us of warrs, and is pleased to be set out as a Captain of an Host riding on horseback, and subduing his enemies, and making a slaughter of them.

\* *S. Juster, Sacred Violence in Early America (University of Pennsylvania Press, Incorporated, 2016) PP.78-79.*

Christian theorists of war had to walk a fine line between the bloodthirsty precedent of the ancient world and the pacifism of the Sermon on the Mount in which Christ counseled his followers to "love thy enemies" (Matt. 5:44). Out of this tension developed one of the most influential concepts in the history of the West, that of the "just

war." As with so many important theological developments, credit is usually given to St. Augustine for first articulating a theory of just war in the fifth century that distinguished it both from the vengeful wars of the Old Testament and from Christian nonviolence.

*\*Juster, Sacred Violence in Early America P.79.*

---

## الفهارس العامة

| الصفحة | الفهارس                 |
|--------|-------------------------|
| 504    | فهرس الآيات القرآنية    |
| 509    | فهرس الأحاديث والآثار   |
| 511    | فهرس نصوص الكتاب المقدس |
| 523    | فهرس الأعلام            |
| 529    | فهرس الأماكن            |
| 530    | فهرس الفرق والأقوام     |
| 531    | فهرس المصادر والمراجع   |
| 557    | فهرس الموضوعات          |

## فهرس الآيات القرآنية

| الصفحة            | رقمها | أطراف الآيات الكريمات                                                                                 | السورة   |
|-------------------|-------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------|
| 402               | 1     | ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾                                                               | الفاتحة  |
| 50                | 41    | ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾                 | البقرة   |
| 053               | 77    | ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمُوتُ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ |          |
| 53                | 78    | ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾                                            |          |
| 390               | 193   | ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾                                                        |          |
| 52                | 84    | ﴿أَقْبَتُوا مَنِوْنَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾                                      |          |
| 50                | 100   | ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾                            |          |
| 49                | 104   | ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾                                              |          |
| 48                | 145   | ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾                  |          |
| 434<br>435        | 189   | ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفْتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾                          |          |
| 36                | 211   | ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾                                                                    |          |
| 33                | 136   | ﴿فُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾                                                | آل عمران |
| 422<br>423<br>430 | 255   | ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾                                                                          |          |
| 33                | 285   | ﴿- اَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ -﴾                                         |          |
| 39                | 2     | ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾                            |          |
| 418               | 20    | ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾                                                                 |          |
| 52                | 77    | ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَعَرِيفًا يَلُوبُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾                                   |          |
| 52-45             | 93    | ﴿فُلْ قَاتُوا بِالتَّوْرَةِ قَاتِلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾                                     |          |

|                 |           |                                                                                         |         |
|-----------------|-----------|-----------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 449             | 110       | ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾                                          |         |
| 51-48           | 187       | ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ ءَاثَرُوا﴾                                    |         |
| 41              | 45        | ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾                                               | النساء  |
| 93              | 81        | ﴿أَبَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَفُرْعَان﴾                                                   |         |
| 35              | 135       | ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾                     |         |
| 34              | 149       | ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾                                      |         |
| 39              | 173       | ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ فَذُجَاءَ كُمْ بُزْهَلٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾                         |         |
| 393<br>441      | 6         | ﴿الْيَوْمَ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾                                                | المائدة |
| 41-51           | 14        | ﴿فَبِمَا نَفَضِهِم مِّثْلَهُمْ لَعَنَاهُمْ وَجَعَلْنَا فُلُوبَهُمْ فَلْسِيَةً﴾          |         |
| 92-48           | 16        | ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ فَذُجَاءَ كُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾                      |         |
| 366             | -17<br>18 | ﴿فَذُجَاءَ كُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾                                  |         |
| 42              | 43        | ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾                                        |         |
| 25              | 45        | ﴿وَكَيفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ﴾                                        |         |
| -40-38<br>66-65 | 46        | ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾                                   |         |
| 85-38           | 48        | ﴿وَفَقَّبَيْنَا عَلَى ءَاثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾                              |         |
| 25              | 49        | ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾                          |         |
| 96              | 50        | ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾        |         |
| 50              | 68        | ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ﴾                                  |         |
| 420             | 69        | ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِّن رَّبِّكَ﴾                   |         |
| 50-37           | 70        | ﴿فَلْ يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفِيمُوا التَّوْرَةَ﴾         |         |
| 419             | 94        | ﴿فَبِإِذْنِ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ |         |
| 419             | 101       | ﴿مَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾                                                |         |
| 29              | 109       | ﴿فَبَاخِرَانِ يُفَوِّمَانِ مَقَامَهُمَا﴾                                                |         |
| 403             | 20        | ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْفُرْعَانُ لَا نَذِرْكُمْ بِهِ ءَ وَمَنْ بَلَّغَ﴾         | الأنعام |

|     |           |                                                                                    |         |
|-----|-----------|------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 47  | 92        | ﴿فُلْ مِّنْ أَنزَلِ الْكِتَابِ الذِّمَّةَ جَاءَ بِهِ مُوسَى﴾                       |         |
| 367 | 123       | ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾                  |         |
| 397 | 156       | ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا﴾                  |         |
| 397 | 51        | ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾                        | الأعراف |
| 398 | 58        | ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَلْفُومُونَ عِبَادُوا اللَّهَ﴾ |         |
| 399 | 64        | ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَلْفُومُونَ عِبَادُوا اللَّهَ﴾             |         |
| 399 | 72        | ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَلْفُومُونَ عِبَادُوا اللَّهَ﴾         |         |
| 399 | 79        | ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْبَهِيشَةَ﴾                          |         |
| 399 | 84        | ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَلْفُومُونَ عِبَادُوا اللَّهَ﴾       |         |
| 411 | 156       | ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾                                                |         |
| 45  | 157       | ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾                         |         |
| 400 | 158       | ﴿فُلْيَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾               |         |
| 390 | 47        | ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾                                                 | الأنفال |
| 92  | 37        | ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ﴾                    | يونس    |
| 397 | 57        | ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَجَاءَ تَكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾                  |         |
| 421 | 99        | ﴿أَبَانتُ تَكْرِهَ النَّاسِ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾                         |         |
| 399 | 59        | ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْفِيْئَةِ﴾                 | هود     |
| 402 | 104       | ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾                                           | يوسف    |
| 390 | 29        | ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾                   | الرعد   |
| 95  | 9         | ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾                    | الحجر   |
| 392 | 29        | ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَبَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحٍ فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾       |         |
| 447 | -90<br>91 | ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾                                | النحل   |
| 391 | 97        | ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾                    |         |
| 422 | 106       | ﴿إِلَّا مَن أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾                         |         |

|                          |     |                                                                          |          |
|--------------------------|-----|--------------------------------------------------------------------------|----------|
| 414                      | 125 | ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ |          |
| 391                      | 128 | ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾    |          |
| 65                       | 2   | ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ | الإسراء  |
| 375                      | 61  | : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ                     |          |
| 375                      | 62  | ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾                     |          |
| 369<br>375<br>382<br>391 | 70  | ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾                                        |          |
| 93                       | 1   | ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾           | الكهف    |
| 409                      | 6   | ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ﴾                           |          |
| 417<br>423               | 29  | ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾                                         |          |
| 396<br>406               | 106 | ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾                    | الأنبياء |
| 432                      | 39  | : ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ       | الحج     |
| 402                      | 1   | ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾                  | الفرقان  |
| 34                       | 105 | ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾                                  | الشعراء  |
| 34                       | 123 | ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾                                         |          |
| 34                       | 141 | ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾                                       |          |
| 34                       | 160 | ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾                                  |          |
| 399                      | 15  | ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾     | العنكبوت |
| 390                      | 69  | ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾                                  |          |
| 410                      | 8   | ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾                           | فاطر     |
| 36                       | 24  | ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾                        |          |
| 392                      | 64  | ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾                                     | غافر     |
| 35                       | 77  | ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾                             |          |
| 403                      | 40  | ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾                    | الأحزاب  |

|            |           |                                                                                 |          |
|------------|-----------|---------------------------------------------------------------------------------|----------|
| 421        | -45<br>46 | ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً﴾              |          |
| 396<br>402 | 28        | ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾             | سبأ      |
| 391        | 74        | ﴿قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾          | ص        |
| 420        | 45        | ﴿فَبِإِنْ أَعْرَضُوا بِمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَمِيْظاً﴾                  | الشورى   |
| 421        | 45        | ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾                                               |          |
| 387        | 13        | ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾                | الحجرات  |
| 395        | 13        | ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْفِكُمْ﴾                                   |          |
| 421        | 45        | ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾                                            | ق        |
| 390        | 4         | ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾                                           | الحديد   |
| 439        | 8         | ﴿لَا يَنْهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفْتَلِكُمْ فِي الدِّينِ﴾        | الممتحنة |
| 400        | 5         | ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَفْقُومْ لِمَ تُؤَدُّونَنِي﴾                   | الصف     |
| 400        | 6         | ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ |          |
| 29         | 3         | ﴿وَأَخْرَيْتَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾                                | الجمعة   |
| 50         | 5         | ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمَلُوا﴾                  |          |
| 438        | 8         | ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾      | الإنسان  |
| 438        | 12        | ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾                             |          |
| 420        | -21<br>22 | ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾            | الغاشية  |
| 383<br>392 | 6-4       | ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾                          | التين    |
| 403        | 1         | ﴿فَلْأَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾                                                  | الناس    |



## فهرس الأحاديث والآثار

|     |                                                               |
|-----|---------------------------------------------------------------|
|     | ١                                                             |
| 394 | إذا رأيتم الجنازة، فقوموا                                     |
| 402 | أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي                      |
| 435 | اغزوا باسم الله في سبيل الله                                  |
| 404 | ألا ليبلغ شاهدكم غائبكم؛ لا نبي بعدي                          |
| 406 | اللَّهُمَّ اهد دوسا وائت بهم                                  |
| 446 | ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه                                   |
| 394 | أليست نفسا                                                    |
| 412 | أن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر                   |
| 386 | إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد                             |
| 423 | إن الله تجاوز لأمتي عما توسوس به صدورها                       |
| 405 | إن الله عز وجل بعثني رحمة للناس كافة                          |
| 384 | إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أحسابكم                     |
| 383 | إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم                         |
| 352 | إنَّ اللَّهَ، نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم           |
| 436 | انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله                 |
| 433 | انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم                                |
| 442 | إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم |
| 406 | إني لم أبعث لَعَّانا، وإنما بعثت رحمة                         |
| 35  | الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه                         |
| 404 | بلغوا عني ولو آية                                             |
|     | ب                                                             |

|     |                                                             |   |
|-----|-------------------------------------------------------------|---|
| 410 | الحمد لله الذي أنقذه من النار                               | ح |
| 381 | دعوها فإنها منتنة                                           | د |
| 411 | الراحمون يرحمهم الرحمن                                      | ر |
| 377 | طفّ الصّاع طفّ الصّاع؛ ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل | ط |
| 412 | في كل ذات كبد رطبة أجر                                      | ف |
| 437 | لا تخونوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا                   | ل |
| 433 | لا تقاتلوهم حتى تدعوهم                                      |   |
| 407 | لقد أخفت في الله وما يخاف أحد                               |   |
| 443 | لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي                   |   |
| 405 | ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار                       |   |
| 413 | مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم                        | م |
| 410 | مثلي كمثلي رجل استوقد ناراً                                 |   |
| 378 | ما رأيك في هذا؟                                             |   |
| 385 | من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه                             |   |
| 447 | من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة،                          |   |
| 436 | نهى عن قتل النساء والصبيان                                  | ن |
| 444 | هذا ما كتبه عبد الله أبي بكر                                | ه |
| 434 | يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله                 | ي |
| 387 | يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد                             |   |
| 384 | يا أيها الناس، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية           |   |
| 385 | يا بني عبد مناف، اشتروا أنفسكم من الله                      |   |

## فهرس نصوص الكتاب المقدس العهد القديم

| الأسفار | أطراف النصوص                                                                    | رقمها     | الصفحة |
|---------|---------------------------------------------------------------------------------|-----------|--------|
| التكوين | وَقَالَ اللَّهُ: نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا             | 1: 26     | 280    |
|         | هَذِهِ عَلَامَةُ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَنَا وَاضِعُهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ       | 9: 12-17  | 150    |
|         | أَمَّا أَبْنَاءُ نُوحٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَهُ مِنَ الْفُلِّ                  | 9: 18-19  | 131    |
|         | وَاشْتَغَلَ نُوحٌ بِالْفَلَاحَةِ وَغَرَسَ كَرْمًا                               | 9: 20-27  | 132    |
|         | وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: "اذهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ          | 12: 1-3   | 138    |
|         | فَشَرَعَ أَبْرَامُ يَتَنَقَّلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى أَنْ بَلَغَ مَوْضِعَ شَكِيمَ | 12: 6-7   | 139    |
|         | ارْفَعْ عَيْنَيْكَ وَتَلَفَّتْ حَوْلَكَ                                         | 13: 14-17 | 139    |
|         | انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعَدَّ النُّجُومَ إِنْ اسْتَطَعْتَ ذَلِكَ             | 15: 5-7   | 140    |
|         | وَأَمَّا أَنْتَ فَتَحْفَظْ عَهْدِي، أَنْتَ وَنَسْلُكَ مِنْ بَعْدِكَ             | 17: 9-14  | 151    |
|         | فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَأَكْثَرُ نَسْلِكَ جِدًّا                | 18: 1-8   | 140    |
|         | أَمَّا سَارَائِي زَوْجَتُكَ فَلَا تَدْعُوهَا سَارَائِي بَعْدَ الْآنَ            | 18: 15-21 | 141    |
|         | وَأِبْرَاهِيمُ لَا بُدَّ أَنْ يُصْبِحَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً            | 18: 18    | 195    |
|         | وَرَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لِإِبْرَاهِيمَ | 21: 9-13  | 153    |
|         | يَمْرُحُ                                                                        |           |        |
|         | وَأَسْمَعَ لِكَلَامِ سَارَةَ فِي كُلِّ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ                | 21: 12-13 | 154    |
|         | فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِسًا لِأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ                           | 25: 8     | 158    |
|         | لَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَطَاعَ قَوْلِي، وَحَفِظَ أَوْامِرِي                       | 26: 5     | 72     |
|         | لِيُسْتَعْبَدَ لَكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدَ لَكَ قَبَائِلُ                          | 27: 1-29  | 144    |
|         | إِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ سَيِّدًا لَكَ                                            | 27: 37    | 144    |
|         | قَدْ كَرِهْتُ حَيَاتِي مِنْ جَرَاءِ الْبَنَاتِ الْحَثِّيَّاتِ                   | 27: 46    | 155    |

|             |              |                                                                                      |        |
|-------------|--------------|--------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| 156         | 2-1:28       | لَا تَتَزَوَّجُ مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ                                               |        |
| 142         | 4-1:28       | وَلْيُبَارِكْكَ اللَّهُ الْقَدِيرُ وَيُنَمِّكَ وَيُكَثِّرَكَ                         |        |
| 145         | -13:28<br>15 | أَنَا هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهَ إِسْحَقَ                    |        |
| 145         | -25:32<br>32 | وَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. فَصَارَعَهُ رَجُلٌ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ              |        |
| 146         | -11:35<br>12 | أَنَا هُوَ اللَّهُ الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ، فَيَكُونَ مِنْكَ أُمَّةٌ          |        |
| 200         | 12-11:2      | وَحَدَّثَ بَعْدَ أَنْ كَبُرَ مُوسَى أَنَّهُ ذَهَبَ لِيَفْتَقِدَ إِخْوَتَهُ           |        |
| 179         | 8-7:3        | فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي                             |        |
| 181         | 22:4         | إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرِ                                                        |        |
| 180         | 23-22:5      | يَا سَيِّدُ، لِمَاذَا أَسَأْتَ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ                                 |        |
| 179         | 7-6:6        | وَأَتَّخِذْكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلَهًا                                |        |
| 146         | 8-2:6        | أَنَا الرَّبُّ. أَنَا الَّذِي تَرَأَيْتُ لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ       |        |
| 159         | 13:12        | وَيَكُونُ لَكُمْ الدَّمُ عَلَامَةً عَلَى الْبُيُوتِ                                  |        |
| 213         | 3:15         | الرَّبُّ رَجُلٌ حَرْبٍ                                                               |        |
| 211         | 14:17        | أَنِّي سَأُحْمِو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مَحْوًا مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ                    |        |
| 121         | 6-5:19       | لَآنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا لِي. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً مِنَ الْكَهَنَةِ | الخروج |
| -161<br>176 | 6-5:19       | إِنْ أَطَعْتُمْ عَهْدِي، تَكُونُونَ لِي مَلَكًا خَاصًّا                              |        |
| 115         | 4-2:21       | إِنْ اشْتَرَيْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا فَلْيَخْدُمْكَ سِتَّ سَنَوَاتٍ                |        |
| 177         | 31:22        | وَتَكُونُونَ لِي شَعْبًا مُقَدَّسًا                                                  |        |
| 159         | 8-4:24       | فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ                                           |        |
| 157         | 8-7:24       | وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ                          |        |
| 74          | 12:24        | وَأَقِمْ هُنَاكَ حَتَّى أُعْطِيَكَ لَوْحِي الْحِجَارَةَ                              |        |
| 158         | 21:29        | وَتَأْخُذُ مِنَ الدَّمِ الَّذِي عَلَى الْمَذْبَحِ                                    |        |

|             |          |                                                                                     |          |
|-------------|----------|-------------------------------------------------------------------------------------|----------|
| 158         | 29:43-46 | وَأَجْتَمِعُ هُنَاكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَقْدَسُ بِمَجْدِي                        |          |
| 158         | 31:13    | لِتَعْلَمُوا أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي يُقَدِّسُكُمْ                            |          |
| 157         | 8:6      | فَقَدَّمَ مُوسَى هَارُونَ وَبَنِيهِ وَغَسَّلَهُمْ بِمَاءٍ                           |          |
| 166         | 19:1-2   | لَا تُتَرِّبْهَايِمَكَ جِنْسَيْنِ                                                   |          |
| 203         | 19:13-18 | لَا تَظْلِمَ قَرِيبَكَ،                                                             |          |
| 259         | 19:18    | لَا تَنْتَقِمَ وَلَا تَحْقِدْ عَلَى أَبْنَاءِ شَعْبِكَ                              |          |
| 202         | 20:10    | إِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ قَرِيبَةٍ، فَالزَّانِي وَالزَّانِيَةُ يُقْتَلَانِ |          |
| 166         | 20:25-26 | أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ الَّذِي مَيَّزَكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ                       |          |
| 184         | 20:26    | وَقَدْ أَفْرَزْتُكُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا خَاصِّي                    |          |
| 197         | 24:21    | وَمَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا يُقْتَلْ                                                   | اللاويين |
| -207<br>373 | 25:14    | فَلَا يَغِينُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ                                                    |          |
| -206<br>371 | 25:35-37 | وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ وَعَجَزَ عَنْ إِعَالَةِ نَفْسِهِ فِي وَسْطِكَ             |          |
| -191<br>372 | 25:44-46 | وَأَمَّا عِبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ                            |          |
| 192         | 25:47-49 | وَإِذَا طَالَتْ يَدُ غَرِيبٍ أَوْ نَزِيلٍ عِنْدَكَ                                  |          |
| 159         | 26:11-12 | وَأَجْعَلْ مَسْكِنِي فِي وَسْطِكُمْ                                                 |          |
| 180         | 11:29    | لَيْتَ كُلُّ شَعْبِ الرَّبِّ يُصْبِحُونَ أَنْبِيَاءَ                                |          |
| 180         | 16:41    | لَقَدْ قَتَلْتُمَا شَعْبَ الرَّبِّ                                                  | العدد    |
| 219         | 31:7-18  | وَأَحْرَقُوا مُدْنَهُمْ كُلَّهَا بِمَسَاكِينِهَا وَحُصُونِهَا                       |          |
| 213         | 3:22     | لَا تَجْزَعُوا مِنْهُمْ لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ يُحَارِبُ عَنْكُمْ              |          |
| 214         | 7:1-2    | وَطَرَدَ مِنْ أَمَامِكُمْ سَبْعَ أُمَمٍ، أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكُمْ               | التثنية  |
| 115         | 7:3      | وَلَا تُعْطِ ابْنَتَكَ لِابْنِهِ، وَلَا تَأْخُذِ ابْنَتَهُ لِابْنِكَ                |          |

|             |               |                                                                                        |
|-------------|---------------|----------------------------------------------------------------------------------------|
| 164-<br>176 | 7: 6-8        | لَأَتَّكُمُ شَعْبٌ مُّقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ                                     |
| 215         | 7: 22-24      | سَيَظْرُدُ تِلْكَ الْأُمَمَ مِنْ أَمَامِكُمْ تَذْرِيجِيًّا                             |
| 183         | 4: 20         | أَمَّا أَنْتُمْ فَقَدْ اخْتَارَكُمُ الرَّبُّ وَأَخْرَجَكُمُ مِنْ أَثُونِ<br>الْحَدِيدِ |
| 185         | 4: 20         | شَعْبَ مِيرَاثِهِ                                                                      |
| 165-<br>184 | 4: 37-38      | وَلَأَنَّهُ قَدْ أَحَبَّ آبَاءَكُمْ، وَاخْتَارَ ذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ         |
| 68          | 4: 44         | هَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ الَّتِي وَضَعَهَا مُوسَى                                      |
| 162         | 5: 1-21       | وَاسْتَظَرَدَ الرَّبُّ: «دَوِّنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ                                   |
| 194         | 5: 6-28       | لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي                                              |
| 228         | 13: 12-<br>17 | وَتَحَرَّمَهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ                  |
| 160         | 14: 1         | أَنْتُمْ أَوْلَادٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ                                                |
| 353         | 14: 2         | لَأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكَ وَقَدْ اخْتَارَكَ الرَّبُّ               |
| 177         | 14: 21        | لَأَتَّكُمُ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهُكُمْ                                      |
| 185         | 15: 4         | الْأَرْضَ الَّتِي وَرَثَهَا لَكُمْ مِلْكًا                                             |
| 372         | 15: 12        | إِذَا بَاعَكَ أَخُوكَ الْعِبْرَانِي نَفْسَهُ                                           |
| 213         | 20: 3-4       | لَأَنَّ الرَّبَّ إِلَهُكُمْ سَائِرُ مَعَكُمْ لِمُحَارَبَةِ أَعْدَائِكُمْ               |
| 215         | 20: 10-<br>15 | فَكُلُّ الشَّعْبِ السَّاكِنِ فِيهَا يُصْبِحُ عَبِيدًا لَكُمْ                           |
| 216         | 20: 16-<br>17 | فَلَا تَسْتَبْقُوا فِيهَا نَسَمَةً حَيَّةً، بَلْ دَمَّرُوهَا عَنْ بَكْرَةٍ<br>أَبِيهَا |
| 183         | 21: 17        | إِنْ كَانَ رَجُلٌ مُتَزَوِّجًا مِنْ امْرَأَتَيْنِ                                      |
| 207         | 23: 19-<br>20 | أَمَّا الْأَجْنَبِيُّ فَأَقْرِضْهُ بَرِبًا                                             |
| 212-<br>226 | 25: 19        | اخْكُوا ذِكْرَ شَعْبِ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ                                |

|             |              |                                                                                           |                     |
|-------------|--------------|-------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------|
| 177         | 19:26        | [فَيَجْعَلُكُمْ أَسْمَى مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ                                              |                     |
| 190         | 19:26        | وَأَنْ يَجْعَلَكَ فَوْقَ جَمِيعِ الْأُمَمِ الَّتِي خَلَقَهَا مَجْدًا                      |                     |
| 177         | 9:28         | يَجْعَلُكُمْ لِنَفْسِهِ شُعْبًا مُقَدَّسًا                                                |                     |
| 182         | 10:28        | فَتَرَى جَمِيعَ شُعُوبِ الْأَرْضِ أَنَّ أَسْمَ الرَّبِّ أُطْلِقَ عَلَيْكَ                 |                     |
| 181         | 18:32        | الصَّخْرُ الَّذِي وَلَدَكَ أَهْمَلْتَهُ                                                   |                     |
| -221<br>432 | 21-20:6      | وَقَضَوْا بِحَدِّ السَّيْفِ عَلَى كُلِّ مَنْ فِيهَا مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ<br>وَأَطْفَالٍ |                     |
| 223         | 8:8          | وَلَدَى اسْتِيلَائِكُمْ عَلَى الْمَدِينَةِ تُضْرِمُونَ فِيهَا النَّارَ                    |                     |
| 222         | 28-24:8      | وَفَنُّوا جَمِيعَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ                                                   |                     |
| 223         | -28:10<br>40 | وَقَتَلَ بِالسَّيْفِ مَلِكَهَا وَكُلَّ نَفْسٍ فِيهَا                                      | يشوع                |
| 212         | 40:10        | وَدَمَّرَهَا وَقَتَلَ كُلَّ مُلُوكِهَا، وَلَمْ يُفْلِتْ مِنْهَا نَاجٍ                     |                     |
| 224         | -10:11<br>23 | وَقَضَوْا فِيهَا عَلَى كُلِّ نَسَمَةٍ بِحَدِّ السَّيْفِ                                   |                     |
| 225         | -43:21<br>45 | وَهَكَذَا وَهَبَ الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ جَمِيعَ الْأَرْضِ                                  |                     |
| 180         | 11:5         | عِنْدَئِذٍ يَنْزِلُ شَعْبُ الرَّبِّ إِلَى بَوَابَاتِ الْمَدِينَةِ                         |                     |
| 220         | -10:21<br>12 | وَأَقْضُوا عَلَى أَهْلِ يَابِيشَ جِلْعَادَ بِحَدِّ السَّيْفِ                              | القضاة              |
| 226         | 3-1:15       | أَقْتُلْهُمْ جَمِيعًا رِجَالًا وَنِسَاءً، وَأَطْفَالًا وَرُضْعَاءَ                        |                     |
| 319         | 3:15         | لَا تَعْفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بَلْ أَقْتُلْهُمْ جَمِيعًا رِجَالًا وَنِسَاءً             |                     |
| 227         | 9-7:15       | وَقَضَى عَلَى جَمِيعِ الشَّعْبِ بِحَدِّ السَّيْفِ                                         |                     |
| 227         | -10:15<br>11 | لَقَدْ نَدِمْتُ لِأَنِّي جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا                                         | صموئيل <sup>1</sup> |
| 227         | 23:15        | أَنَّكَ رَفَضْتَ كَلَامَ الرَّبِّ فَقَدْ رَفَضَكَ الرَّبُّ مِنَ الْمُلْكِ                 |                     |
| 227         | -32:15<br>33 | وَقَطَعَ صَمُؤِيلُ أَجَاجَ إِرْبًا                                                        |                     |
| 213         | 28:25        | لَأَنَّ سَيِّدِي يُحَارِبُ حُرُوبَ الرَّبِّ                                               |                     |

|         |           |                                                                                                    |                   |
|---------|-----------|----------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------------|
| 180     | 18 :3     | بِيدِ دَاوُدَ عَبْدِي أَخْلَصْ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ                                                | صموئيل 2          |
| 213     | 26 :7     | حَقًّا إِنَّ رَبَّ الْجُنُودِ هُوَ إِلَهٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ                                       |                   |
| 178     | 13 :14    | لِمَاذَا ارْتَكَبْتَ هَذَا الْأَمْرَ فِي حَقِّ شَعْبِ اللَّهِ                                      |                   |
| 211     | 19 :3     | وَتَقْطَعُونَ كُلَّ شَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ وَتَطْمُونُ جَمِيعَ عُيُونِ الْمَاءِ                        | الملوك 2          |
| 178     | 20 :17-22 | وَأَيَّةُ أُمَّةٍ مِثْلُ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ                                                     | أخبار<br>الأيام 1 |
| 220     | 3 :20     | وَكَشَرَهُمْ بِمَنَاشِيرَ وَنَوَارِجَ حَدِيدٍ وَفُورِيسَ                                           |                   |
| 182     | 14 :7     | شعبي الذي دُعِيَ بِأَسْمِي                                                                         | أخبار<br>الأيام 2 |
| 117     | 9 :1-2    | فَاخْتَلَطَ النَّسْلُ الْمُقَدَّسُ بِأَمَمِ الْأَرَاذِيِّ                                          | عزرا              |
| 116     | 10 :10-11 | لَقَدْ خُنْتُمْ عَهْدَ الرَّبِّ وَتَزَوَّجْتُمْ مِنْ نِسَاءٍ غَرِيبَاتٍ                            |                   |
| 192     | 2 :4      | السَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ                                                              | المزامير          |
| 184     | 24 :1     | لِلرَّبِّ الْأَرْضُ وَكُلُّ مَا فِيهَا. لَهُ الْعَالَمُ                                            |                   |
| 180     | 33 :12    | طُوبَى لِلأُمَّةِ الَّتِي الرَّبُّ إِلَهُهَا، وَلِلشَّعْبِ الَّذِي اخْتَارَهُ                      |                   |
| 327     | 58 :10    | يَفْرَحُ الْأَبْرَارُ حِينَ يَرَوْنَ عِقَابَ الْأَشْرَارِ                                          |                   |
| 148     | 105 :6-11 | يَا ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِهِ، يَا بَنِي يَعْقُوبَ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ                   |                   |
| 217-319 | 137 :8-9  | طُوبَى لِمَنْ يُمَسِّكُ أَطْفَالَكَ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ                                  |                   |
| 181     | 1 :2      | إِنِّي رَبَّيْتُ بَنِينَ وَكَبَّرْتُهُمْ لَكِنَّهُمْ تَمَرَدُوا عَلَيَّ                            | إشعيا             |
| 218-319 | 13 :15-18 | وَيُمَزَّقُ أَطْفَالُهُمْ عَلَى مَرَأَى مِنْهُمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ، وَتُغْتَصَبُ نِسَاؤُهُمْ |                   |
| 182     | 46 :3     | وَيَا بَقِيَّةَ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ حَمَلْتُهُمْ مِنْذُ أَنْ حُبِلَ بِهِمْ           |                   |
| 182     | 49 :15    | هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا وَلَا تَرْحَمُ ابْنَ أَحْشَائِهَا                              |                   |
| 171     | 49 :22-23 | هَاءَ نَذَا أَرْفَعُ إِلَى الْأُمَمِ يَدِي وَلِلشُّعُوبِ أَنْصِبُ رَايَتِي                         |                   |



|             |          |                                                                               |        |
|-------------|----------|-------------------------------------------------------------------------------|--------|
| 171-<br>190 | 10:60    | [وَبَنُو الْعُرَبَاءِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكَ وَمُلُوكُهُمْ يَخْدُمُونَكَ       |        |
| 190         | 61:5-6   | وَيَقِفُ الْأَجَانِبُ وَيَزْعَوْنَ غَنَمَكُمْ                                 |        |
| 181         | 63:16    | فَأَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ، هُوَ أَبُونَا                                     |        |
| 181         | 3:19     | وَفَكَرْتُ أَنَّكَ تَدْعِينِي يَا أَبِي                                       |        |
| 184         | 3:19     | لَشَدَّ مَا يُسْعِدُنِي أَنْ أَقِيمَكَ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ                    |        |
| 179         | 7:23     | فَأَكُونَ لَكُمْ إلهًا وَتَكُونُوا لِي شَعْبًا                                |        |
| 183         | 10:16    | أَمَّا نَصِيبُ يَعْقُوبَ فَلَيْسَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَوْثَانِ                  |        |
| 88          | 31:31-32 | أَقْطَعْ فِيهَا مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ (وَبَيْتِ يَهُوذَا) عَهْدًا جَدِيدًا | إرميا  |
| 179         | 32:38    | وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إلهًا                         |        |
| 328         | 48:10    | مَلْعُونٌ مَنْ مَنَعَ سَيْفَهُ عَنِ الدَّمِ                                   |        |
| 219         | 51:20-23 | بِكَ أَحْطَمُ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ، وَالشَّيْخَ وَالْفَتَى                 |        |
| 219         | 9:5-6    | أَهْلِكُوا الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ      |        |
| 319         | 9:5-6    | لَا تَعْطِفْ عُيُونُكُمْ وَلَا تُشْفِقُوا. أَقْتُلُوا الشَّيْخَ               |        |
| 172         | 34:30-31 | أَنْتُمْ بَشَرٌ وَأَنَا إِلَهُكُمْ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ                | حزقيال |
| 160         | 35:6-9   | إِنِّي أَهْيَأُكَ لِلدَّمِ، وَالِدَّمُ يَتْبَعُكَ                             |        |
| 218         | 13:16    | فَيَفْنِي أَهْلَهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَيَتَمَرَّقُ أَطْفَالُهَا أَشْلَاءَ   | هوشع   |

## العهد الجديد

| الأسفار | أطراف النصوص                                                                                  | رقمها     | الصفحة |
|---------|-----------------------------------------------------------------------------------------------|-----------|--------|
| ٥١      | مِنْكَ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ                                        | 2: 6      | 242    |
|         | طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لِأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ                                         | 5: 3-9    | 318    |
|         | طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ، لِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ                        | 5: 9      | 267    |
|         | لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْغِي الشَّرِيعَةَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ                        | 5: 17-18  | 235    |
|         | لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ                        | 5: 17-18  | 269    |
|         | لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَبْطَلِ الشَّرِيعَةَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ مَا جِئْتُ لِأَبْطَلِ | 5: 17     | 373    |
|         | مَنْ غَضِبَ عَلَى أَخِيهِ اسْتَوْجَبَ حُكْمَ الْقَضَاءِ                                       | 5: 22-24  | 302    |
|         | فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْزِرُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ                 | 5: 29-30  | 314    |
|         | مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْيَمَنِ فَاعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ                                 | 5: 37-46  | 341    |
|         | أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِنَيْكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ              | 5: 43-48  | 260    |
|         | لَا تُعْطُوا الْمَقْدَسَاتِ لِلْكَلَابِ                                                       | 7: 6      | 313    |
|         | فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ افْعَلُوا                                | 7: 12     | 261    |
|         | فَكُلُّ مَا أَرَدْتُمْ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ لَكُمْ، افْعَلُوهُ أَنْتُمْ لَهُمْ              | 7: 12     | 312    |
|         | إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا                                                             | 10: 5-6   | 242    |
|         | لَا تَسْلُكُوا طَرِيقاً إِلَى الْأُمَمِ                                                       | 10: 5     | 307    |
|         | . لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُرْسِي سَلاماً عَلَى الْأَرْضِ                               | 10: 32-34 | 317    |
|         | لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَحْمِلَ السَّلَامَ إِلَى الْأَرْضِ                             | 10: 34    | 343    |
|         | لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَلْقِي سَلاماً عَلَى الْأَرْضِ                                 | 10: 34    | 354    |
|         | جِئْتُ لِأَفَرِّقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالْإِبْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا                   | 10: 35-36 | 300    |
|         | مَنْ لَيْسَ مَعِي، فَهُوَ ضِدِّي                                                              | 12: 30    | 320    |

|                   |            |                                                                             |     |
|-------------------|------------|-----------------------------------------------------------------------------|-----|
| 278               | 11 : 15    | لَيْسَ مَا يَدْخُلُ الْفَمَ يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ                          |     |
| 243               | 28-21 : 15 | لَمْ أَرْسَلْ إِلَّا إِلَى الْخِرَافِ الضَّالَّةِ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ  |     |
| 305               | 26-22 : 15 | وَإِذَا امْرَأَةٌ كُفَّانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ تَصِيحُ    |     |
| 303               | 17 : 17    | أَيُّهَا الْجِيلُ الْكَافِرُ الْفَاسِدُ، حَتَّامٌ أَتَقَى مَعَكَ            |     |
| 314               | 12 : 19    | وَيُوجَدُ خَصِيَّانٌ خَصَوْ أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكَوَتِ السَّمَاوَاتِ  |     |
| 299               | 19 : 19    | أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ                                                  |     |
| 259               | 40-36 : 22 | يَا مُعَلِّمُ، آيَةٌ وَصِيَّةٌ هِيَ الْعُظْمَى فِي التَّامُوسِ              |     |
| 303               | 14 : 23    | وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ         |     |
| 304               | 16 : 23    | وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمَيَّانُ                             |     |
| 304               | 19 : 23    | أَيُّهَا الْجَهَّالُ وَالْعُمَيَّانُ                                        |     |
| 304               | 33 : 23    | أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلَادَ الْأَفَاعِي                                  |     |
| 241<br>252<br>307 | 19 : 28    | فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ                                  |     |
| 293               | 17-16 : 2  | مَا بَالُهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَّاءِ           |     |
| 278               | 5-1 : 7    | لِمَ لَا يَجْرِي تَلَامِيذُكَ عَلَى سُنَّةِ الشُّيُوخِ                      |     |
| 278               | 23-14 : 7  | مَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ هُوَ الَّذِي يُنَجِّسُ الْإِنْسَانَ          |     |
| 305               | 29-25 : 7  | لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلَابِ       |     |
| 315               | 45-43 : 9  | إِنْ أَغْثَرْتُكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا                                       |     |
| 263               | 37-25 : 10 | مَنْ هُوَ قَرِيبِي؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ قَائِلًا: "إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلًا   | ٥١٩ |
| 304               | 14-13 : 11 | لَا يَأْكُلُ أَحَدٌ مِنْكَ ثَمَرًا بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ                   |     |
| 240               | 10 : 13    | وَيَجِبُ أَنْ تُعْلَنَ الْبِشَارَةُ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ   |     |
| 241               | 15 : 16    | اذْهَبُوا فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ، وَأَعْلِنُوا الْبِشَارَةَ إِلَى الْخَلْقِ |     |
| 315               | 18-17 : 16 | وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئًا مُمَيِّتًا لَا يَضُرُّهُمْ                          |     |
| 241               | 20 : 16    | فَذَهَبَ أُولَئِكَ يُبَشِّرُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ                           |     |
|                   |            |                                                                             |     |
|                   |            |                                                                             |     |

|         |           |                                                                                                 |                             |
|---------|-----------|-------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------|
| 300     | 11 :5     | تَرَكُوا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعُوهُ                                                               | نَهْيٌ                      |
| 296     | 42-41 :6  | لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَدَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ                                           |                             |
| 305     | 38-37 :7  | وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً                                            |                             |
| 301     | 60-59 :9  | دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ                                                         |                             |
| 303     | 40 :11    | يَا أَغْبِيَاءَ                                                                                 |                             |
| 354-318 | 49 :12    | جِئْتُ لِأُلْقِيَ عَلَى الْأَرْضِ نَارًا،                                                       |                             |
| 300     | 26 :14    | إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ                              |                             |
| 288     | 29 :16    | عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالْأَنْبِيَاءُ: فَلْيَسْمَعُوا لَهُمْ!                                      |                             |
| 318     | 27 :19    | فَاتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا، وَاضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ أَمَامِي                                  |                             |
| 295     | 27-25 :22 | إِنَّ مُلُوكَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ                                                          |                             |
| 240     | 47 :24    | وَتُعْلِنَ بِاسْمِهِ التَّوْبَةَ وَغُفْرَانَ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الْأُمَمِ                    | يُوحْيِي                    |
| 299     | 4 :2      | مَا لِي وَلَكَ يَا امْرَأَةٌ؟                                                                   |                             |
| 256     | 16 :3     | لَأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ                    |                             |
| 287     | 9-7 :10   | الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: أَنَا بَابُ الْخِرَافِ                                        |                             |
| 296     | 16-5 :13  | صَبَّ مَاءٌ فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ                           |                             |
| 258-259 | 35-34 :13 | وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا                        |                             |
| 267     | 27 :14    | سَلَامًا أَثْرُكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ                                                  |                             |
| 334     | 6 :15     | إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَتَّيَبُّ فِي يَطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ                              | سُفَرُ أَعْمَالِ الرِّسَالِ |
| 279     | 28-25 :10 | أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَى الْيَهُودِيِّ أَنْ يَتَعَامَلَ مَعَ الْأَجْنَبِيِّ |                             |
| 280     | 36-34 :10 | تَبَيَّنَ لِي فِعْلًا أَنَّ اللَّهَ لَا يُفْضِلُ أَحَدًا عَلَى أَحَدٍ                           |                             |
| 281     | 9-7 :15   | شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْمَعَ غَيْرُ الْيَهُودِ كَلِمَةَ الْبِشَارَةِ                             |                             |
| 273     | 26 :17    | فَقَدْ صَنَعَ جَمِيعَ الْأُمَمِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ                              |                             |

|              |                |                                                                               |          |     |
|--------------|----------------|-------------------------------------------------------------------------------|----------|-----|
| رسائل بولس   | إلى أهل رومية  | فليس اليهودي بما يبدو في الظاهر                                               | 29-28 :2 | 276 |
|              |                | أَمَّا الْآنَ، فَقَدْ أُعْلِنَ الْبِرُّ الَّذِي يَمْنَحُهُ اللَّهُ            | 24-21 :3 | 276 |
|              |                | أَيْنَ الْإِفْتِخَارِ؟ إِنَّهُ قَدْ أُبْطِلَ! وَعَلَى أَيِّ أَسَاسٍ؟          | 31-27 :3 | 277 |
|              |                | مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لِأَجْلِ الْفُجَّارِ                         | 6 :5     | 257 |
|              |                | وَلَتَكُنِ الْمَحَبَّةُ بِلَا رِيَاءٍ. انْفُرُوا مِنَ الشَّرِّ                | 21-9 :12 | 294 |
| رسائل بطرس 1 | كورنثس 1       | لَا يَطْلُبُ أَحَدٌ مَا هُوَ لِنَفْسِهِ                                       | 24 :1    | 261 |
|              |                | فَاجْلِسُوا الْمُحْتَقِرِينَ فِي الْكَنِيسَةِ قُضَاءً!                        | 5-4 :6   | 313 |
|              |                | أَمَّا الْآنَ فَيَثْبُتُ: الْإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ             | .13 :13  | 258 |
|              |                | عِيشُوا بِالسَّلَامِ، وَإِلَهُ الْمَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ سَيَكُونُ مَعَكُمْ   | 11 :13   | 254 |
| رسائل بطرس 2 | إلى أهل غلاطية | لَا تَدْخُلُوا مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ تَحْتَ نِيرٍ وَاحِدٍ                | 15-14 :6 | 284 |
|              |                | حَتَّى لَوْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ، أَوْ بَشَّرَكُمْ مَلَائِكُ مِنَ السَّمَاءِ | 15-8 :1  | 249 |
|              |                | مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحِ                 | 20 :2    | 254 |
|              |                | يَا أَهْلَ غَلَاطِيَةِ الْأَغْيَاءِ، مَنْ الَّذِي فَتَنَكُمْ                  | 13-1 :3  | 274 |
| رسائل بطرس 1 | إلى أهل فيلي   | قَبْلَ مَجِيءِ الْإِيمَانِ، كُنَّا تَحْتَ حِرَاسَةِ الشَّرِيعَةِ              | 29-23 :3 | 275 |
|              |                | إِحْذَرُوا الْكِلَابَ، إِحْذَرُوا الْعَمَلَةَ الْأَشْرَارَ                    | 2 :3     | 313 |
| رسالة بطرس 1 |                | أَمَّا أَنْتُمْ فَإِنَّكُمْ ذُرِّيَّةٌ مُخْتَارَةٌ وَجَمَاعَةٌ الْمَلِكِ      | 10-9 :2  | 282 |

|         |        |                                                                                |         |               |
|---------|--------|--------------------------------------------------------------------------------|---------|---------------|
| 262-257 | 9-7 :4 | أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، لِئَحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا                            | الأولى  | رسالة يوحنا   |
| 262     | 20 :4  | إِنْ قَالَ أَحَدٌ: "إِنِّي أَحِبُّ اللَّهَ" وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ |         |               |
| 316     | 11-9   | مَنْ تَعَدَّى تَعْلِيمَ الْمَسِيحِ وَلَمْ يَثْبُتْ فِيهِ                       | الثانية |               |
| 313     | 15 :22 | وَلِيَخْسِئِ الْكِلَابُ وَالسَّحَرَةُ وَالزُّنَاةُ وَالْقَتَلَةُ               |         | رؤيا<br>يوحنا |

## فهرس الأعلام

- أبو زهرة، 53، 376، 380، 394  
 أثناسيوس، 90  
 أجاج، 227، 228، 515  
 أحمد إيبش، 239  
 أحمد سوسة، 371  
 أحمد شلي، 246، 248، 425  
 آدم، 36، 46، 129، 130، 133،  
 149، 161، 280، 298، 361  
 364، 369، 375، 376، 377  
 382، 384، 386، 387، 388  
 391، 392، 393، 394، 395  
 417  
 إدوارد جيبون، 359  
 آرثر جوزيف بيلينزوني، 86  
 آرثر سيسيل بيغو، 270  
 أرسطو، 29، 30  
 أسامة ابن وزيد، 433  
 إسحاق، 52، 141، 142، 143، 144،  
 147، 148، 153، 154، 155  
 163، 198  
 إسرائيل شاحاك، 173، 193، 195،  
 199، 200، 201، 203، 205  
 206، 214، 229، 373  
 إسماعيل، 36، 52، 93، 141، 142،  
 148، 152، 153، 154، 155  
 163، 402  
 إكرام لمعي، 262، 263، 272، 274  
 275، 325  
 أبرام، 138، 139، 140، 151، 161،  
 511  
 إبراهيم، 46، 72، 97، 129، 130،  
 133، 138، 140، 141، 142  
 143، 144، 145، 146، 147  
 148، 150، 151، 152، 153  
 154، 155، 156، 161، 163  
 165، 250، 273، 274، 275  
 289، 389، 392، 399، 400  
 421، 511، 512، 516  
 ابن الجوزي، 409، 437  
 ابن القيم، 46، 47، 352، 390، 424  
 427، 430، 443  
 ابن تيمية، 46، 388، 406، 424  
 437  
 ابن حجر العسقلاني، 44، 45  
 ابن عاشور، 41، 42، 56  
 ابن عجيبة، 39  
 ابن عطية، 397، 401  
 ابن كثير، 36، 50، 92، 402، 418  
 424، 435، 438، 439  
 ابن ميمون، 174، 175، 205  
 ابن هشام، 426، 442  
 أبو الحسن الندوي، 350، 353، 358  
 364، 378، 388، 414  
 أبو بكر الصديق، 444  
 أبو ذر، 377، 380

- الألويسي، 411  
 الإمام النووي، 436  
 الإمام مالك، 436  
 البخاري، 40، 45، 55، 245، 378، 381، 385، 394، 402، 404، 410، 412، 413، 425، 433، 434، 447  
 ألبير بابي، 271، 287، 288، 289، 290، 291، 292  
 ألبيرتو دانزول، 155، 157، 159، 160، 161، 166، 167، 168، 237، 238، 273  
 البيضاوي، 403  
 البيهقي، 380، 383، 384، 444، 445  
 الجصاص، 38  
 الرازي، 38، 44، 391، 401  
 الزمخشري، 48، 49، 52، 67، 410  
 السيوطي، 97  
 الشوكاني، 436، 437  
 الطبراني، 405، 406  
 الطبري، 37، 48، 51، 53، 66، 400، 401، 409، 418، 419، 420، 424، 434، 435، 439، 440  
 العلاء بن الحضرمي، 405، 406  
 الفخر الرازي، 43، 391  
 القرطبي، 174، 423، 425، 435  
 ألكسندر لايتون، 341  
 المسيري، 70، 78، 82، 83، 84، 106، 109، 110، 124، 125، 137، 147، 150، 152، 164، 172، 174، 185، 189، 190، 193، 194، 205، 207، 237، 333  
 المقوقس، 405  
 المنذر بن ساوى، 405  
 أندرو لومير، 334  
 أندريه نيمير، 167، 168  
 أوربان الثاني، 326، 329، 331  
 أوغستين كالي، 126  
 أوغسطين، 343، 344، 345  
 إيرمان، 61، 62، 63، 253  
 إينسيسكو، 340  
 أينوسنت الثالث، 332، 333  
 بارت إيرمان، 61  
 بايرون ماكن، 301، 302  
 برنارد برادي، 255  
 بطرس، 81، 82، 89، 109، 111، 116، 138، 139، 279، 280، 281، 282  
 بلال الحبشي، 379  
 بندكت كاربزوف، 335  
 بنديكتوس السادس عشر، 325  
 بول دوف، 285  
 بولس، 73، 89، 246، 247، 248، 250، 251، 252، 253، 254، 256، 257، 258، 273، 274



- داود، 82، 108، 110، 180، 220،  
221، 243، 244، 305، 380،  
411، 436، 446، 516  
دحية الكلبي، 405  
دي لاس كازاس، 317، 336، 337،  
338، 339  
ديفيد بيل، 156، 157  
ديفيد م. غولدنبرغ، 134  
ديل أليسون، 244  
راغب سرجاني، 367، 369، 370، 375  
رشاد عبد الله شامي، 194، 202  
رشيد رضا، 420، 421، 422، 426  
رَفَقَةُ، 143، 155  
رقية علواني، 84، 167، 174، 175،  
236  
روبرت بريفولت، 363  
روجر جونسون، 333  
روفائيل البرموسي، 161، 169  
روي واغنر، 156  
ريتشارد بيرنارد، 343  
ريتشارد توماس فرانس، 311  
ريتشارد سيمون، 59  
ريموند أوف أغولير، 326  
زوريكا كوبورتش، 303  
زيغريد هونكه، 328، 329، 331،  
428، 430  
سارة، 46، 141، 142، 153، 154،  
511
- 275، 276، 277، 282، 283،  
284، 285، 286، 287، 294،  
295، 312، 313، 354، 374  
بيتر كرازنوف، 172  
بيرتراند راسل، 304  
بيل زيرشر، 86  
توما الأكويني، 323  
توماس روش، 300  
جاكوب نيوسنر، 162، 164  
جاي كارل لاني، 134  
جريجوريوس زياكاس، 262، 267،  
268، 280  
جورج تامر، 256، 257، 258، 261،  
266  
جون كالفن، 325، 343  
جون كلينيغ، 264  
جون ماك آرثر، 300  
جيرالد ل. بيرري، 248  
جيمس تشارلزورث، 90  
حام، 130، 131، 132، 133، 134،  
135، 139، 147  
حسن خالد، 381، 382، 424، 428  
حسن ظاظا، 169، 237، 238  
خالد الشنيبر، 283  
خليفة حسن، 107، 129  
دانيال غلوتا، 243، 252  
دانيال والس، 63

- سارتر، 31  
 عبد الله الطنطاوي، 170  
 سام، 21، 129، 130، 131، 132،  
 عثمان بن عفان، 445  
 عثمان علي حسن، 422  
 عرفان عبد الحميد، 66، 111، 113،  
 114، 116  
 عروة بن الزبير، 408  
 عزرا، 116، 117، 120، 332  
 عطية سالم، 389  
 علي البار، 44، 393، 394، 445  
 علي بن أبي طالب، 446  
 علي خليل، 209، 210  
 عماد علي حسن، 166، 373  
 عمر، 34، 36، 44، 93، 326، 391،  
 401، 403، 404، 407، 413،  
 414، 416، 425، 435، 436،  
 445  
 عمر عبید حسنه، 413، 414  
 عمرو بن العاص، 405  
 عمرو بن أمية الضمري، 405  
 عيسو، 143، 144، 148، 155  
 عيسى، 37، 38، 47، 49، 85، 245،  
 248، 251، 252، 267، 268،  
 329، 384، 400  
 غريغوري التاسع، 230، 333  
 غريغوري الثالث عشر، 335  
 غريغوري السابع، 328  
 غلينا جاكسون، 312
- سامويل روليز دريفر، 182  
 سامي عامري، 58  
 ستيفين غروسبي، 244  
 سليط بن عمرو، 405  
 سنحاريب، 108  
 سهل بن سعد الساعدي، 378  
 سوزان جوستر، 342  
 سيداروس اليسوعي، 85، 86  
 سيمون بن لاكيش، 73  
 سيوك تائي سوهن، 181، 182  
 شارل التاسع، 335  
 شارل جنيير، 252  
 الشافعي، 66  
 شارل جنيير، 248، 250، 251،  
 252  
 شاول، 226، 227، 246، 515  
 شبتاي كوهين، 214  
 شجاع بن وهب الأسدي، 405  
 شفيق مقار، 133  
 شمعون بن يوحاي، 197، 229  
 شيماء مجدي حسن، 187، 200، 209  
 صلاح الخالدي، 133  
 طه جابر العلواني، 355، 415  
 عائشة، 408  
 عبد الرحمن السعدي، 390، 423

- فرج الله عبد الباري، 241، 246، 251  
فولتير، 333  
فيصل عازر، 58  
فيكتور شوبار، 365  
فيليب ويسلي كومفورت، 288  
قسطنطين، 90  
كارل بارث، 265  
كاريت لويد جونز، 212  
كارين أرمسترونغ، 332، 339، 341  
كرت نول، 132  
كرنيليوس، 279  
كريستيان فان نيسبن، 236، 260  
262، 265، 268، 272، 281  
كريستيان نيسبن، 260، 261  
كريستيان هوفريتير، 330  
كريستين هايز، 127  
كريغ س. كينر، 301، 309  
كريم فرحات، 404  
كسرى، 405  
كمال الصليبي، 246، 247  
كنعان، 21، 129، 130، 131، 132  
133، 134، 135، 138، 139  
140، 146، 147، 148، 152  
156، 199، 220، 243، 330  
340  
كنيث كوهن، 114، 115  
كيللي إيفرسون، 308
- لوقا، 240، 251، 263، 289، 295  
296، 300، 301، 303، 305  
318، 354  
ليلى أبو المجد، 175، 176، 177  
186، 193، 195، 199، 208  
ليون موريس، 309  
ماثيو هنري، 118  
مارثن لوثر، 324  
ماكس كدوشين، 122  
متي، 89، 240، 242، 243، 252  
256، 259، 260، 262، 267  
269، 293، 300، 303، 304  
305، 307، 311، 312، 313  
314، 315، 317، 318، 341  
342، 343، 354، 374  
متي هنري، 283  
محمد الصباغ، 393  
محمد الناصري، 17، 353، 354  
355، 357، 376  
محمد جمال الدين القاسمي، 67  
محمد خليفة حسن، 54، 107، 130  
محمد شتيوي، 56  
محمد عزة دروزة، 239  
محمد عزت الطهطاوي، 242، 405  
محمد عمارة، 228، 229، 325، 326  
334، 345  
محمد يحيى، 31

|                                                                                                             |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| نوح، 129، 130، 131، 132، 133،<br>134، 135، 139، 147، 149،<br>150، 202، 398، 400، 511                        | مرقس، 240، 241، 251، 261،<br>265، 266، 268، 277، 278،<br>293، 304، 305، 315                                                                                                                                                                                                                                          |
| هانز كونج، 7                                                                                                | مرمرجي الكومني، 67                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |
| هربرت لوكير، 306، 307                                                                                       | مزدك، 360                                                                                                                                                                                                                                                                                                            |
| هرقل، 405                                                                                                   | مسلم، 340، 352، 406، 408، 411،<br>412، 436                                                                                                                                                                                                                                                                           |
| هوذة بن علي، 405                                                                                            | موريس بوكاي، 99                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
| هيكتور أفالوس، 298                                                                                          | موسى، 37، 38، 39، 47، 52، 65،<br>66، 68، 69، 70، 71، 72، 73،<br>74، 75، 77، 78، 82، 83، 85،<br>93، 101، 110، 113، 116،<br>121، 129، 146، 148، 149،<br>150، 157، 158، 159، 160،<br>161، 162، 163، 174، 175،<br>180، 194، 199، 200، 204،<br>219، 220، 224، 225، 238،<br>250، 287، 289، 371، 399،<br>400، 512، 513، 520 |
| هيلم إيليري، 334                                                                                            | موسى بن ميمون، 113، 174، 175،<br>199، 204                                                                                                                                                                                                                                                                            |
| وراف يوسف، 199                                                                                              | مونتجمري وات، 413                                                                                                                                                                                                                                                                                                    |
| وليام غوج، 343                                                                                              | ميشائل هوفمان، 206                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |
| وليم باركلي، 286، 287، 293، 294                                                                             | ميشائل درسيرر، 327                                                                                                                                                                                                                                                                                                   |
| ويلارد سوارتلي، 253                                                                                         | ميليم، 379                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
| يافث، 133                                                                                                   | نبوخذ نصر، 109                                                                                                                                                                                                                                                                                                       |
| يشوع، 82، 110، 130، 135، 212،<br>213، 221، 222، 223، 224،<br>225، 330، 431، 432                             | نحميا، 116                                                                                                                                                                                                                                                                                                           |
| يعقوب، 45، 46، 142، 143، 144،<br>145، 146، 148، 155، 156،<br>161، 163، 180، 182، 183،<br>249، 512، 516، 517 |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
| يهليل بن يوسف، 231                                                                                          |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
| يهوذا، 88، 108، 109، 110، 112،<br>242، 517                                                                  |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
| يوحنا، 63، 256، 257، 258، 259،<br>262، 267، 287، 288، 296،<br>299، 313، 316، 334                            |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |
| يوسف إلتزور، 198                                                                                            |                                                                                                                                                                                                                                                                                                                      |

## فهرس الأماكن

إيران، 364، 356  
 بابل، 109، 110، 112، 116، 139،  
 217  
 باريس، 59، 168، 230، 231  
 بيزير، 332  
 رايتسبون، 325  
 سيناء، 68، 69، 70، 71، 72، 75،  
 77، 83، 147، 161  
 عمان، 29، 34، 36، 108، 133،  
 196، 247، 262، 405  
 غلاطيّة، 249، 254  
 فرنسا، 332، 335  
 فلسطين، 73، 88، 112، 130، 133،  
 214، 229، 294، 331  
 قرطاجّة، 91  
 قشتالة، 338  
 كليرمونت، 329  
 مدينة ربة، 220  
 مدينة عاي، 222  
 مكسكو، 341  
 مكسيكو، 337  
 نجران، 443، 444  
 نيكاراغوا، 337  
 هولندا، 334  
 هيبو، 91  
 وورتنبرغ، 335

أريحا، 131، 221، 263  
 آسيا، 30، 362  
 إفريقيا، 91  
 الإسكندرية، 90  
 الإمبراطوريتين الفارسية، 361  
 حاران، 139  
 الحبشة، 405  
 السامرة، 82، 111، 218، 219  
 الصين، 362  
 القارة الأمريكية، 335، 336  
 القدس، 63، 67، 86، 91، 109،  
 112، 116، 120، 160، 241،  
 248، 251، 252، 281، 326  
 330  
 القسطنطينيّة، 359  
 الهند، 356، 358، 362  
 الهندوراس، 337  
 أمريكا الجنوبية، 341  
 أمريكا الشمالية، 341  
 أنطاكية، 330  
 أور الكلدانيين، 130، 138  
 أورشليم، 108، 109، 110، 112،  
 167، 240، 241، 249، 263،  
 278  
 أوروبا، 30، 325، 332، 333، 362

## فهرس الفرق والأقوام

الفرس، 112، 219، 405  
 القبط، 405  
 القرّؤون، 82، 83  
 الكاثاريون، 332، 333  
 الكاثوليك، 69، 81، 118، 323، 324،  
 333، 335  
 الكلدانيون، 109، 140  
 الكنعانيون، 115، 130، 131، 132،  
 133، 134، 135، 136، 139،  
 173، 305  
 الملحدون، 84  
 المؤابيون، 239  
 النصاري، 22، 29، 37، 46، 58، 79،  
 81، 85، 86، 91، 100، 101،  
 104، 117، 126، 235، 236،  
 242، 252، 331، 443، 445  
 الهكسوس، 355  
 اليهودية الإصلاحية، 83  
 اليهودية المحافظة، 83، 164  
 اليونان، 31، 354، 358  
 أهل الكتاب، 25، 37، 40، 44، 46،  
 48، 51، 54، 55، 57، 64، 67،  
 92، 100، 352، 393، 414،  
 425، 441، 443

الأرثوذكس، 113  
 الأرثوذكسية، 83، 261، 265، 266،  
 268  
 الإسبان، 335، 336، 337، 338،  
 339، 340  
 الإغريق، 29، 30  
 الإنجليز، 341  
 الأندلسيون، 340  
 البابليون، 108، 167  
 البروتستانت، 80  
 البروتستانتية، 263، 324، 325، 333  
 الترك، 174  
 الحيثيون، 355  
 الروم، 360، 405  
 الرومان، 112، 358، 359، 364  
 السامريون، 82  
 الصدوقيون، 82  
 العبرانيون، 139، 160، 355  
 العرب، 31، 41، 58، 67، 139، 249،  
 356، 358، 362، 363، 364،  
 368، 371، 401، 402، 405،  
 428

## فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

### الكتب المقدسة

2. *Hebrew-English Tanakh: The Jewish Bible*. Skokie-USA: Varda Books, 2009.
3. "Talmud Bavli; the William Davidson Talmud". <https://www.sefaria.org/texts/Talmud/Bavli> .
4. العهد القديم العبري ترجمة بين السطور، الأبوان بولس الفغالي وأنطوان عوكر، الجامعة الأنطونية: لبنان، ط1: 2007م.
5. الكتاب المقدس، ترجمة الرهبانية اليسوعية، دار المشرق: بيروت، ط3: 1994م.
6. الكتاب المقدس، ترجمة سميث وفان دايك، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط: القاهرة، الإصدار 7، ط1: 2007م.
7. الكتاب المقدس، الترجمة العربية الحديثة (كتاب الحياة)، بيبليكا: بيلفاست-المملكة المتحدة، ط: 1988م.

### كتب علوم القرآن

8. أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت 370هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: 1992م.
9. أحكام القرآن، محمد بن عبد الله بن العربي (ت: 543هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط3: 2003م.
10. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت 1393هـ)، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع: مكة المكرمة، ط1: 1426هـ.

11. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، ط: 1974م
12. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن عجيبة (ت 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: حسن عباس زكي: القاهرة، ط: 1419هـ .
13. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ)، الدار التونسية للنشر: تونس، ط: 1984م.
14. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت: 671 هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب: الرياض، ط: 2003م.
15. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري (ت 538هـ)، تحقيق: أحمد عبد الموجود وآخران، مكتبة العبيكان: الرياض، ط: 1: 1998م.
16. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت: 546هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1: 2001م.
17. النبأ العظيم: نظرات جيدة في القرآن، محمد عبد الله درّاز، تحقيق: عبد الحميد الدّخايني، دار طيبة: الرياض، ط: 2: 2000م
18. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: 1: 1418 هـ .
19. تفسير الفخر الرازي، محمد بن عمر الرازي (ت: 606هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، ط: 1: 1981م.
20. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا (ت: 1354هـ)، دار المنار: مصر، ط: 3: 1367هـ.
21. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير (ت 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض، ط: 2: 1999م.
22. تفسير النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي (ت: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب: بيروت، ط: 1: 1998م .



23. تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان البلخي (ت: 150هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث بيروت، ط1: 1423هـ .
24. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط1: 2002م.
25. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر: مصر، ط1: 2001م. .
26. حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، أبو محمد القاسم بن فيره الشاطبي (ت 590هـ)، تحقيق: أيمن رشدي سويد، مكتبة ابن الجزري: دمشق، ط1: 2013م.
27. روح المعاني، شهاب الدين السيد محمود الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1: 1415 هـ.
28. زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (ت: 597هـ)، المكتب الإسلامي: بيروت، ط: 1983م.
29. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد أبوزهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي: القاهرة، ط: 2001م.
30. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق: القاهرة، ط32: 2003م.
31. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الخازن (ت: 741هـ)، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1: 1415 هـ.
32. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1: 1418 هـ.
33. مفردات غريب القرآن، عبد الحميد الفراهي، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط1: 2002م.

## كتب السنة والسيرة

34. الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: 458هـ)، عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادى: جدة، ط1: 1993م.
35. البحر الزخار المعروف بمسند البزار، أحمد بن عمر البزار، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، ط1: 2009م.
36. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة: بيروت، ط1: 1422هـ .
37. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية: بيروت، ط3: 2003م.
38. السنن، محمد بن يزيد بن ماجة (ت: 273هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية: دمشق، ط1: 2009م.
39. السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، تحقيق: سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير: دمشق، ط3: 2004م .
40. السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام (ت: 213هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي: بيروت، ط2: 1990م .
41. الكافي الوافي في أصول الفقه الإسلامي، مصطفى سعيد الخن، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط1: 2002م.
42. الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط2: 1415هـ .
43. المبسوط، محمد بن أحمد السرخسي (ت: 483هـ)، دار المعرفة: بيروت، ط: 1993م.
44. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: أبو قتيبة نظر الفريابي، دار طيبة: الرياض، ط1: 2006م.

45. المسند، أحمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط1: 2001م.
46. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت: 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية: القاهرة، ط2: د.ت.
47. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي (ت: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط2: 1392هـ .
48. الموطأ، مالك بن أنس، دار ابن حزم: بيروت، ط1: 2011م.
49. تخریج أحاديث إحياء علوم الدين، العراقي (ت: 806 هـ) وآخرون، دار العاصمة: الرياض، ط1: 1987 م .
50. تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط14: 1985م.
51. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط27: 1994م .
52. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية: بيروت، ط1: 2009.
53. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت: 279هـ)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف: الرياض، ط1، د.ت.
54. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: مختار الندوي، مكتبة الرشد: الرياض، ط1: 2003م.
55. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة: بيروت، ط: 1379هـ.
56. فقه السنة، السيد سابق، مكتبة الرشد: الرياض، ط1: 2001.
57. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: 728هـ)، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء: المنصورة، ط3: 2005م .

58. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس: بيروت، ط6: 1987م. .
59. محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، أحمد بن عثمان المزيدي، مدار الوطن للنشر: الرياض، ط1: 2010م. .
60. معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مجموعة مؤلفين، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية: الرياض، ط2: 2017م. .
61. نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ)، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار ابن الجوزي: الرياض، ط1: 1427هـ. .
62. وإنك لعل خلق عظيم، صفى الرحمن المباركفوري وآخرون، الرواد للإعلام: جدة، ط: 2006م.

### كتب عامة

63. آثار الحرب في الفقه الإسلامي: دراسة مقارنة، وهبة الزحيلي، دار الفكر: دمشق، ط3: 1998م.
64. الإسلام والآخر، صابر طعيمة، مكتبة الرشد: الرياض، ط1: 2007م.
65. الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب، هاني المبارك وشوقي أبو خليل، دار الفكر: دمشق، ط1: 2004م. .
66. الأنا والآخر من منظور قرآني، السيد عمر، دار الفكر: دمشق، ط1: 2008م. .
67. الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس: عمان، ط6: 1995م.
68. السلام روح الإسلام، كرم حلمي فرحات، الدار الثقافية للنشر: القاهرة، ط1: 2006م.
69. السياسة، أرسطو طاليس، ترجمة: أحمد لطفي السيد، الدار القومية للطباعة والنشر: القاهرة.
70. الصور الذهنية والإعلامية: عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير، أيمن منصور ندا، المدينة برس: مصر، ط1: 2004م.
71. العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي: القاهرة، ط: 1995م.
72. العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، محمد الناصري، دار الهادي: بيروت، ط1: 2009م.

73. الفاتيكان والإسلام: أهي حماقة أم عدااء له تاريخ، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، ط1: 2007م
74. المسلم والآخر في بلدان الأقليات المسلمة، مجمع الفقه الإسلامي بالهند، دار الكتب العلمية: بيروت، ط1: 2007م.
75. المشترك الإنساني: نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، راغب سرجاني، مؤسسة اقرأ: القاهرة، ط1: 2011م.
76. صورة الإسلام في العالم الغربي: دراسات ألمانية، هوبرت هيركومرو جيرنوت روتر، ترجمة: ثابت عيد، نهضة مصر: القاهرة، ط: 1999م
77. صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ريتشارد سودرن، ترجمة: رضوان السيد، دار المدار الإسلامي: بيروت، ط2: 2006م.
78. صورة الإنسان في الحديث النبوي الشريف، كامل حمّود، دار الفكر اللبناني: بيروت، ط1: 1993م.
79. عالمية الإسلام ورسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء، عبد الوهاب طويلة ومحمد حلواني، دار القلم: دمشق، ط1: د.ت.
80. عالمية الخطاب القرآني: دراسة تحليلية في السور المسبحات الخمس، مصطفى جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: فرجينيا، ط1: 2012م.
81. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة: القاهرة، ط4: 2005م.
82. فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن للنشر: الرياض.
83. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، دار الجيل: بيروت.
84. مبادئ التعايش السلمي في الإسلام منهجا وسيرة، عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار الفتح للإعلام العربي: القاهرة، ط: 1996م.
85. مجموعة الرسائل المدنية، عطية محمد سالم، دار الجوهرة: المدينة المنورة، ط1: 1426هـ.
86. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر الزرعي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط1: 1999م.

87. منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي، تهاني عفيف يوسف جابر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: فرجينيا، ط1: 2015م.
88. مواطنون لا ذميون، فهي هويدي، دار الشروق: القاهرة، ط1999م.
89. موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام، مروان إبراهيم القيسي، ط: 2014م.
90. نحو فقه للاستغراب: مقارنة نظرية وتاريخية، محمد البنعيادي، مجلة الأمة: قطر، العدد: 132، عام 1430هـ .

### كتب مقارنة الأديان

91. أبحاث في الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، دار القلم: دمشق، ط1: 1987م.
92. بحوث ودراسات في مقارنة الأديان، محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل: بيروت، ط2: 1990م.
93. أخلاق الإنجيل دراسة سوسولوجية، ألبيرباي، ترجمة عادل العوا، دار الحصاد: دمشق، ط: 1997م.
94. استعادة النص الأصلي للإنجيل، سامي عامري، مركز الفكر الغربي للنشر والتوزيع: الرياض، ط1: 2017.
95. إظهار الحق، رحمة الله الهندي، تحقيق: محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية: الرياض، ط1: 1989م.
96. الآخر في التلمود ترجمة باب العبادات الأجنبية في التلمود، شيماء مجدي حسن، دار العلوم للنشر والتوزيع: القاهرة، ط1: 2007م.
97. الأدب اليهودي في المرحلة التلمودية، المشنا: تاريخها وأقسامها وأهم عقائدها الدينية، مصطفى عبد المعبود منصور، رواج للإعلام والنشر: القاهرة، ط1: 2005م.
98. الأسفار القانونية الثانية: الكتب اليونانية من الترجمة السبعينية، جمعية الكتاب المقدس في لبنان، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط: القاهرة، ط3: 2013م.
99. الإسلام والآخر: من يعترف بمن؟ ومن ينكر من؟، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، ط3: 2002م.

100. الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة العامة المصرية للكتاب: القاهرة، ط: 1998م.
101. الإسلام والمسيحية، أليسكي جورافسكي، مجلة عالم المعرفة، الكويت، العدد: 215، نوفمبر 1996م
102. الإسلام واليهودية: دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين (رسالة دكتوراه)، عماد علي عبد السميع حسن، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: 1: 2004م.
103. الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، غازي كامل السعدي، دار الجليل للنشر: عمان، ط: 1: 1994م
104. الأغيار في الثقافة اليهودية، يوسف يوسف، دار القلم: دمشق، ط: 1: 200م.
105. الاقتباس الخاطئ عن المسيح، بارت ايهرمان، ترجمة: فادي مرعشلي، شعاع للنشر والعلوم: حلب، ط: 2009م.
106. البحث عن يسوع، كمال الصليبي، دار الشروق: عمان، ط: 1998م
107. البدع و الهرطقات لماذا وكيف ظهرت في فجر المسيحية؟ عبد الله الفادي، شركة كتاب للنشر الإلكتروني، ط: 2015م. .
108. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، وليم وهبة وآخرون، شركة ماستر ميديا: القاهرة، ط: 1: 1997 .
109. التفسير الحديث للكتاب المقدس: إنجيل متى، ر. ت. فرانس، ترجمة: أدبيه شكري، دار الثقافة: القاهرة، ط: 1: 1990م.
110. التفسير الكامل للكتاب المقدس، متى هنري، مطبوعات إيجلز: القاهرة، ط: 1: 2002م.
111. التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس: بيروت، ط: 8: 2002م.
112. التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة سهيل ديب، دار النفائس: بيروت، د.ت.
113. الجانب المظلم في التاريخ المسيحي، هيلين إيليري، ترجمة: سهيل زكار، دار قتيبة: دمشق، ط: 2: 2014.

114. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت 728هـ)، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة: الرياض، ط2: 1999م.
115. الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، إسرائيل شاحاك، ترجمة رضا سلمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر: بيروت، ط4: 1997م.
116. الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شاحاك، ترجمة: حسن خضر، سينا للنشر: القاهرة، ط1: 1994م.
117. رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سبينوزا، ترجمة: حسن حنفي، دار التنوير: بيروت، ط1: 2005م.
118. العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، العربي للإعلان والنشر: دمشق، ط2: د.ت.
119. الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهلنج وشارل لوران، ترجمة يوسف حنا نصر الله، مكتبة النافذة: الجيزة، ط1: 2003م.
120. الله ليس كذلك، زيفريد هونكه، غريب محمد غريب، دار الشروق: القاهرة، ط2: 1996م.
121. المحبة قمة الفضائل، ضمن سلسلة: الإيمان والرجاء والمحبة، البابا شنودة الثالث، د.ط.
122. المحبة والرحمة في الكتاب المقدس والقرآن الكريم، جورج تامر، مجلة أديان، مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان، الإصدار1، 2011م.
123. المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم، الخوري بولس الفغالي، المكتبة البولسية: بيروت، ط1: 2003م.
124. المدخل إلى الكتاب المقدس، الخوري بولس الفغالي، منشورات المكتبة البولسية: بيروت، ط1: 1995.
125. المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية: القاهرة.
126. المدخل لدراسة التوراة، محمد علي البار، دار القلم: دمشق، ط1: 1990م.
127. المسيح في مصادر العقيدة المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة: القاهرة، ط2: 1988م.



128. المسيحية في أخلاقياتها، مجلس أساقفة كنيسة ألمانية، ترجمة: كيرلس سليم بسترس، منشورات المكتبة البولسية: بيروت، ط1: 1999م.
129. المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبير، ترجمة: عبد الحليم محمود، المكتبة العصرية: بيروت، د.ت.
130. المسيحية والسياف، برتولومي دي لاس كازاس، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، د.ت. .
131. المسيحية، أحمد شلي، مكتبة النهضة المصرية: القاهرة، ط10: 1998م.
132. المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية، الأب أس مرمجي الدومنيكي، مطبعة الآباء الفرنسيين في القدس: القدس، ط: 1937م
133. الموقف من الديانات الأخرى، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، ط1: 2005م.
134. الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية، عبد المنعم الحفني، مكتبة مذبولي: القاهرة، ط1: 1980م.
135. الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق، محمد عزت الطهطاوي، دار القلم: دمشق، ط1: 1993م.
136. الوجه الآخر للمسيح، فراس السواح، دار علاء الدين: دمشق، ط1: 2004م.
137. الوصايا العشر في اليهودية دراسة مقارنة في الإسلام والمسيحية، رشاد عبد الله شامي، دار الزهراء للنشر: القاهرة، ط: 1993م
138. اليد الخفية دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق: القاهرة، ط2: 2001م.
139. اليهود وأكاديمهم، مارتن لوثر، ترجمة: محمود النجيري، مكتبة النافذة: الجيزة/مصر، ط1: 2007م.
140. اليهود والغيرية: غير اليهود في منظار اليهودية، ألبيرتو دانزول، ترجمة: ماري شهرستان، الأوائل للنشر والتوزيع: دمشق، ط1: 2004م
141. اليهود واليهودية، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر: القاهرة، ط6: 2008م.

142. اليهودية والحركات الحديثة في اليهودية: عرض تاريخي، عرفان عبد الحميد فتاح، دار البيارق: بيروت، ط1: 1997م.
143. اليهودية: بين النظرية والتطبيق مقتطفات من التلمود والتوراة، علي خليل، منشورات اتحاد الكتاب العربي: دمشق، ط: 1997م
144. أوهام التاريخ اليهودي، جودت سعيد، الأهلية للنشر والتوزيع: عمان، ط1: 1998
145. تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، دارقباء: القاهرة، ط1: 1998م
146. تاريخ الكنيسة، جون لومير، ترجمة: عزرا مرجان، دار الثقافة: القاهرة، ط1: 1990م.
147. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، الدار القومية للطباعة والنشر: القاهرة، د.ت.
148. تحريف التوراة وسياسة إسرائيل التوسعية، محمد علي البار، دار القلم: دمشق، ط1: 1998م..
149. ترجمان الأديان، أسعد السحمراني، دار النفائس: بيروت، ط1: 2009م.
150. تطور الإنجيل، إينوك باول، ترجمة: أحمد إيبش، دار قتيبة: سوريا، ط1: 2003م.
151. تفسير العهد الجديد: رسالتا كورنثوس، وليم باركلي، ترجمة: باقي صدقة، دار الثقافة: القاهرة، ط2: 1979م.
152. تفسير العهد الجديد: متى ومرقس، وليم باركلي، ترجمة: فايز فارس وفهيم عزيز، دار الثقافة: القاهرة، ط1: 1993م
153. تفسير العهد الجديد، جمعية الكتاب المقدس: بيروت، ط2: 1877م.
154. تكوين الأناجيل الأربعة، الأب سيداروس اليسوعي، دار المشرق: بيروت، ط1: 1990م.
155. حديث القرآن عن التوراة، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار العلوم للنشر والتوزيع: عمان، ط: 2004م.
156. حقوق الإنسان في المسيحية واليهودية والإسلام، خالد بن محمد الشنير، مكتب البحوث والدراسات لمجلة البيان: الرياض، ط1: 1434هـ.

157. حقول الدم: الدين وتاريخ العنف، كارين أرمسترونغ، ترجمة أسامة غاوجي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر: بيروت، ط1: 2016.
158. دائرة المعارف الكتابية، وليم وهبة بباوي وآخرون، دار الثقافة: القاهرة، ط2: 1999م.
159. دلالة الحائرين، موسى بن ميمون، تحقيق: حسين آتاي، مكتبة الثقافة الدينية: القاهرة، د.ت.
160. سفر التاريخ اليهودي، رجا عبد الحميد عرابي، دار الأوائل: دمشق، ط2: 2006م.
161. سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم من آدم إلى إبراهيم، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار العلوم: عمان، ط1: 2004م.
162. شريعة الملك: شريعة قتل الأغيار، الحاخام يتسحاق شايرا والحاخام يوسف إيتسور، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة، ص1: 2011م.
163. علاقة الإسلام باليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع: القاهرة، ط: 1988م.
164. قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، دار الثقافة: القاهرة، ط1: 1995م.
165. قراء سياسية للتوراة، شفيق مقار، رياض الريس للكتب والنشر: لندن، د.ت.
166. قصة الاضطهاد الديني في المسيحية الإسلام، توفيق الطويل، الزهراء للإعلام العربي: القاهرة، ط1: 1991م.
167. كل المعجزات في الكتاب المقدس، هيربرت لوكير، ترجمة: إدوارد وديع عبد المسيح، دار الثقافة: القاهرة، ط1: 1999م.
168. محاضرات في النصرانية، محمد أبوزهرة، دار الفكر العربي: القاهرة، ط3: 1966م.
169. مختصر تاريخ الكنيسة، أندرو ملر، ترجمة: ناشد ساويرس، مكتبة الإخوة: الاسكندرية، ط4: 2003م.
170. مدخل إلى التلمود، أدين شتاينسالتز، ترجمة: فينيتا بوتشيفا الشيخ، دار الفرقد: دمشق، ط1: 2006م.
171. مدخل إلى دراسة التلمود، ليلي أبو المجد، الدار الثقافية للنشر: القاهرة، ط1: 2010م.

172. معاملة غير المسلمين، محمد علي البار، دار القلم: دمشق، ط1: 2004م.
173. مفصل العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة، دار الوراق: بيروت، ط1: 2014م.
174. مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، رقية علواني وآخرون، تحرير: منى أبو الفضل ونادية مصطفى، دار الفكر: دمشق، ط1: 2008م.
175. من قضايا التوراة دراسة وتحليل، محمد شلبي شتيوي، دار السحاب: القاهرة، ط1: 2008م.
176. من هو اليهودي، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق: القاهرة، ط1: 1997م.
177. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الموجزة، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق: القاهرة، ط5: 2009م.
178. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب محمد المسيري، دار الشروق: القاهرة، ط1: 1999م.
179. موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، حسن خالد، معهد الانماء العربي: بيروت، ط: 1986م.
180. موقف الإسلام من كتب اليهود والنصارى، مصطفى أحمد الرفاعي، المطبعة السلفية: القاهرة، ط: 1353هـ.
181. نظرة المسيحي إلى المسلم: الأسس والواقع المعاصر، جريجوريوس زياكاس، منشورات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية: عمان، العدد: 199، سنة: 2000م.
182. نقد العهد القديم: دراسة تطبيقية على سفري صموئيل الأول والثاني، شريف حامد سالم، مكتبة مدبولي: القاهرة، ط1: 2010م.
183. نقض دعوى عالمية النصرانية، فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية: القاهرة، ط1: 2004م.
184. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت 751هـ)، تحقيق محمد أحمد الحاج، دار القلم: دمشق، ط1: 1996م.
185. هل العهد الجديد كلمة الله؟ منقذ بن محمود السقار، دار الإسلام للنشر والتوزيع: مصر، ط1: 2007م.

## المعاجم والقواميس العربية

186. الشامل: قاموس مصطلحات العلوم الإجتماعية، مصلح الصالح، دار عالم الكتب: الرياض، ط1: 1999م.
187. الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط2: 1998م.
188. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني: بيروت، ط: 1982م.
189. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بمصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية: القاهرة، ط: 1983م.
190. المعجم الفلسفي، مصطفى حسية، دار أسامة: عمان، ط1: 2009م.
191. الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غريال وآخرون، دار القلم: القاهرة، ط: 1965م.
192. الموسوعة العربية، مسعود بوبو وآخرون، دار الفكر: دمشق، ط1: 1998م.
193. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (1145-1205هـ)، تحقيق: إبراهيم التريزى، مطبعة حكومة الكويت: الكويت، ط: 1982م.
194. قاموس عبري عربي، يحزقيال قوجمان، دار الجيل: بيروت، ط: 1970م.
195. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (ت 711هـ)، دار صادر: بيروت، ط3: 1414هـ.
196. معجم أعلام المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين: بيروت، ط1: 1992م.
197. معجم الحضارات السامية، هنري س. عبودي، جروس برس: طرابلس-لبنان، ط2: 1991م.
198. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل: بيروت، ط1: 1991م.
199. موسوعة بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات، داليا محمد إبراهيم وآخرون، دار نهضة مصر: القاهرة، ط1: 2012م.

## المقالات العلمية العربية

200. الحرية الدينية وعقوبة الردة: مناقشات وردود، عثمان علي حسن، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (جامعة قطر)، عام 2004م.
201. الموقف من الرأي الآخر، محمد بن شاكر الشريف، مجلة البيان، العدد: 206، نوفمبر 2004.
202. قضية الآخر: في كتابات المثقفين العرب، محمد يحيى، مجلة البيان، العدد: 75، أبريل 1994م.
203. مبدأ تكريم الإنسان في ضوء أحكام التوراة والإنجيل والقرآن، فرمزي فتحي جوهر، مجلة كلية العلوم الإسلامية (جامعة الموصل)، المجلد: 8، العدد: 2/15، سنة: 2014م.
204. مجلة دائرة المعارف الإسلامية: مصر، ج1، العدد 5، يونيو 1934م.
205. "مفهوم الآخر: بين المعنى السلبي والمعنى الإيجابي، زكي الميلاد، جريدة بيّنات، العدد: 323." [http://arabic.bayynat.org.lb/nachratbayynat/makalat/makalat\\_323.htm](http://arabic.bayynat.org.lb/nachratbayynat/makalat/makalat_323.htm).
206. مفهوم وموارث العدو في ضوء عملية التوحيد والسياسات الأوروبية، فيلهو هارلي، ضمن: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، الطاهر ليبب، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، ط1: 1999م.
207. "منهج جديد لتفسير المصطلحين القرآنيين التحريف والتبديل في ضوء اتجاهات نقد التوراة، أحمد محمود هويدي، مجلة المعيار، كلية أصول الدين- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، المجلد 17، العدد 33، سنة 2013."

## قائمة المصادر والمراجع الأجنبية

208. Abbott, L. *An Illustrated Commentary on the Gospel According to Matthew*. 1875.
209. Achtemeier, P.J., et al. *The Harpercollins Bible Dictionary: Revised Edition*. HarperCollins, 1996.
210. Adna, J., and H. Kvalbein. *The Mission of the Early Church to Jews and Gentiles*. Coronet Books Incorporated, 2000.
211. Alles, Robert S. Ellwood and Gregory D. *The Encyclopedia of World Religions*. New York: Facts On File, 2007.
212. Allison, D.C. *Matthew: A Shorter Commentary*. Bloomsbury Academic, 2005.
213. Armato, S. *The Bible and Western Culture*. AuthorHouse, 2014.
214. Avalos, H. *Fighting Words: The Origins of Religious Violence*. Prometheus Books, Publishers, 2005.
215. Avery-Peck, A., and J. Neusner. *The Routledge Dictionary of Judaism*. Taylor & Francis, 2004.
216. Barclay, W. *Bible Commentaries the Revelation of John*.
217. Barton, J., and J. Muddiman. *The Oxford Bible Commentary*. OUP Oxford, 2007.
218. Bellinzoni, A.J. *The New Testament: An Introduction to Biblical Scholarship*. Wipf & Stock Publishers, 2016.

219. Biale, D. *Blood and Belief: The Circulation of a Symbol between Jews and Christians*. University of California Press, 2008.
220. Boadt, L., R.J. Clifford, and D.J. Harrington. *Reading the Old Testament: An Introduction*. Paulist Press, 2012.
221. Brady, B.V. *Christian Love*. Georgetown University Press, 2003.
222. Braudel, Fernand. *Grammaire Des Civilisations*. Paris: Flammarion, 1993.
223. Brett, M.G. *Ethnicity and the Bible*. Brill Academic Publishers, 1996.
224. Brettler, Marc Zvi. *How to Read the Bible*. Philadelphia: The Jewish Publication Society, 2005.
225. *Britannica Concise Encyclopedia*. Chicago: Encyclopaedia Britannica, 2006.
226. Bucaille, Maurice. *La Bible, Le Coran Et La Science: Les Ecritures Saintes Examinées A La Lumière Des Connaissances Modernes*. Paris: Seghers.1990 .
227. Byrne, P., L. Houlden, and P.L. Houlden. *Companion Encyclopedia of Theology*. Taylor & Francis, 2002.
228. Calmet, A. *Calmet's Dictionary of the Holy Bible*. Crocker & Brewster, 1856.
229. Cardoza-Orlandi, C.F., and J.L. González. *To All Nations from All Nations: A History of the Christian Missionary Movement*. Abingdon Press, 2013.
230. Cardozo, N.T.L. *The Written and Oral Torah: A Comprehensive Introduction*. Jason Aronson, Incorporated, 1998.
231. Charlesworth, J.H. *The Old Testament Pseudepigrapha*. Hendrickson Publishers, 2010.



232. Cohen, S.J.D. *From the Maccabees to the Mishnah*. Westminster Press, 1987.
233. Cohn-Sherbok, D. *Judaism and Other Faiths*. Palgrave Macmillan UK, 1994.
234. Cohn-Sherbok, D. *Judaism*. Routledge, 1999.
235. Collins, J.J. *Introduction to the Hebrew Bible: Second Edition*. Fortress Press, 2014.
236. Comfort, P.W. *New Testament Text and Translation Commentary: Commentary on the Variant Readings of the Ancient New Testament Manuscripts*. Tyndale House Publishers, Incorporated, 2008.
237. Dowley, T., and K. Publications. *The Kregel Bible Atlas*. Kregel Publications, 2004.
238. Driver, S.R. *A Critical and Exegetical Commentary on Deuteronomy*. New York: Scribner, 1916.
239. Dubay, E. *The Atlantean Conspiracy (Final Edition)*. Lulu Enterprises Incorporated, 2013.
240. Duff, Paul Brooks. "The Mind of the Redactor: 2 Cor. 6:14-7:1 in Its Secondary Context." *Novum Testamentum* 35 2 (1993): 160-180.
241. Ehrman, D. *Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why*. HarperCollins, 2005.
242. Ehrman, D. *The Triumph of Christianity: How a Forbidden Religion Swept the World*. Simon & Schuster, 2018.
243. Eisenberg, R.L. *Dictionary of Jewish Terms: A Guide to the Language of Judaism*. Taylor Trade Publishing, 2011.

244. Elkins, D.P., and A. Treu. *The Bible's Top 50 Ideas: The Essential Concepts Everyone Should Know*. SPI Books,U.S., 2005.
245. Fonrobert, C.E., and M.S. Jaffee. *The Cambridge Companion to the Talmud and Rabbinic Literature*. Cambridge University Press, 2007.
246. Fredrickson, Christopher. *The Rabbinic Gospel of Mark*. Lapid Publications, 2017.
247. Goldenberg, D.M. *The Curse of Ham: Race and Slavery in Early Judaism, Christianity, and Islam*. Princeton University Press, 2009.
248. Gravett, S.L., K.G. Bohmbach, and F.V. Greifenhagen. *An Introduction to the Hebrew Bible: A Thematic Approach*. Westminster John Knox Press, 2008.
249. Grenke, A. *God, Greed, and Genocide: The Holocaust through the Centuries*. New Academia Publishing, LLC, 2005.
250. Grosby, S.E. *Biblical Ideas of Nationality: Ancient and Modern*. Penn State University Press, 2002.
251. Gullotta, Daniel N. "Among Dogs and Disciples: An Examination of the Story of the Canaanite Woman (Matthew 15:21-28) and the Question of the Gentile Mission within the Matthean Community." *Neotestamentica* 48 2 (2014): 325-340.
252. Gurkan, S.L. *The Jews as a Chosen People: Tradition and Transformation*. Taylor & Francis, 2008.
253. Hayes, C.E. *Gentile Impurities and Jewish Identities: Intermarriage and Conversion from the Bible to the Talmud*. Oxford University Press, 2002.

254. Hendrie, E. *The Greatest Lie on Earth: Proof That Our World Is Not a Moving Globe*. Great Mountain Publishing, 2016.
255. Hendrie, E., and T. Marrs. *Solving the Mystery of Babylon the Great*. Great Mountain Publishing, 2011.
256. Henry, M., and J.B. Williams. *Exposition of the Old and New Testament*. James Nisbet, 1860.
257. Heschel, A.J., and G. Tucker. *Heavenly Torah: As Refracted through the Generations*. Continuum, 2005.
258. Hoffman, M. *Judaism Discovered*. Independent History & Research Company, 2008.
259. Hofreiter, C. *Making Sense of Old Testament Genocide: Christian Interpretations of Herem Passages*. Oxford University Press, 2018.
260. Hunwick, A. *Richard Simon Critical History of the Text of the New Testament: Wherein Is Established the Truth of the Acts on Which the Christian Religion Is Based*. Brill, 2013.
261. Iverson, K. *Gentiles in the Gospel of Mark: 'Even the Dogs under the Table Eat the Children's Crumbs'*. Bloomsbury Academic, 2007.
262. Jackson, G. *Have Mercy on Me: The Story of the Canaanite Woman in Matthew 15:21-28*. Bloomsbury Academic, 2002.
263. Johnson, R.A. *Peacemaking and Religious Violence: From Thomas Aquinas to Thomas Jefferson*. Wipf & Stock Publishers, 2009.
264. Jones, L. *Encyclopedia of Religion*. Thomson Gale, 2005.

265. Juster, S. *Sacred Violence in Early America*. University of Pennsylvania Press, Incorporated, 2016.
266. Kadushin, M. *The Rabbinic Mind*. Global Publications, 2001.
267. Keener, C.S. *The Gospel of Matthew: A Socio-Rhetorical Commentary*. Eerdmans Publishing Company, 2009.
268. Keener, C.S. *The Historical Jesus of the Gospels*. Eerdmans Publishing Company, 2009.
269. Kent, Stephen A. "Deviant Scripturalism and Ritual Satanic Abuse Part One: Possible Judeo-Christian Influences." *Religion* 23 3 (1993): 229-241.
270. Krasnov, P.N., E. Law-Gisiko, and E. Couriss. *From the Two-Headed Eagle to the Red Flag*. Brentano's, Limited, 1923.
271. Kretzmer, D., F.K. Hazan, and F.E. Stiftung. *Freedom of Speech and Incitement against Democracy*. Springer Netherlands, 2000.
272. Kuburić, Zorica. "On the Possibilities for Dialogue and Religious Tolerance in Protestantism." *RELIGIOUS DIALOGUE IN THE BALKANS: THE DRAMA OF UNDERSTANDING*: 197.
273. Küng ,H. *Islam: Past, Present and Future*. Oxford: Oneworld, 2007.
274. Laney, J.C. *Answers to Tough Questions: A Survey of Problem Passages and Issues from Every Book of the Bible*. Wipf & Stock Publishers, 2010.
275. Leviant, C. *Masterpieces of Hebrew Literature: Selections from 2000 Years of Jewish Creativity*. Jewish Publication Society, 2008.

276. Lloyd, Gareth Jones. "Sacred Violence: The Dark Side of God." *Journal of Beliefs & Values* 20 2 (1999): 184-199.
277. Ludwig, Q. *Comprendre Le Judaïsme*. Paris: Eyrolles, 2003.
278. MacArthur, J.F. *The Macarthur Bible Commentary*. Thomas Nelson, 2005.
279. Malherbe, Michel. *Encyclopédie Des Religions De L'humanité*. Paris Fleurus, 1997.
280. March, W.E. *Great Themes of the Bible*. Presbyterian Publishing Corporation, 2006.
281. Margival, H. *Essai Sur Richard Simon Et La Critique Biblique Au Xviie Siècle*. Genève :Slatkine, 1970.
282. McCane, Byron R. ""Let the Dead Bury Their Own Dead": Secondary Burial and Matt 8:21-22." *The Harvard Theological Review* 83 1.43-31 :(1990)
283. McGuckin, John Anthony. *The Encyclopedia of Eastern Orthodox Christianity*. Oxford: Blackwell, 2011.
284. Mills, W.E., and R.A. Bullard. *Mercer Dictionary of the Bible*. Mercer University Press, 1990.
285. Mood, Robert W. *The New Testament in Question*. Saudi Arabia :world assembly of muslim youth-eastern province.
286. Morris, L. *The Gospel According to Matthew*. Inter-Varsity Press, 1992.
287. Morrison, M.A., S.F. Brown, and J. O'Brien. *Judaism*. Chelsea House, 2009.
288. Muddiman, J., and J. Barton. *The Gospels*. OUP Oxford, 2010.

289. Munoz, L. *Birth, Criminal History and Judgment of the Roman C. Church*. Palibrio, 2013.
290. Neusner, J. *The Classics of Judaism: A Textbook and Reader*. Westminster/John Knox Press, 1995.
291. Noll, K.L. *Canaan and Israel in Antiquity: A Textbook on History and Religion: Second Edition*. Bloomsbury Publishing, 2012.
292. Orlin, E. *Routledge Encyclopedia of Ancient Mediterranean Religions*. Taylor & Francis, 2015.
293. Patro, S.K. *A Guide to Religious Thought and Practices*. Augsburg Fortress, 2015.
294. Pigou, A. C. "The Ethics of the Gospels." *International Journal of Ethics* 17 3 (1907): 275-290.
295. Rausch, T. *Eschatology, Liturgy and Christology: Toward Recovering an Eschatological Imagination*. Liturgical Press, 2012.
296. Reference, Holman. *Holman Illustrated Pocket Bible Dictionary*. B&H Publishing Group, 2007.
297. Renault, J.E. *La Loi Et La Croix: L'écriture De La Croix Dans L'écriture De La Loi*. Faculté de théologie de Lugano, 2009.
298. Rodkinson, M.L. *The History of the Talmud: From the Time of Its Formation, About 200 B. C., up to the Present Time*. New Talmud Publishing Company, 1903.
299. Russell, B., and P. Edwards. *Why I Am Not a Christian: And Other Essays on Religion and Related Subjects*. Touchstone, 1957.

300. Schneier, R.M., et al. *Sons of Abraham: A Candid Conversation About the Issues That Divide and Unite Jews and Muslims*. Beacon Press, 2013.
301. Sicker, M. *The Convocation at Sinai: A Study in Biblical Interpretation*. New York: iUniverse, 2008.
302. Sim, D.C., and J.S. McLaren. *Attitudes to Gentiles in Ancient Judaism and Early Christianity*. Bloomsbury Publishing, 2014.
303. Singer, Isidore. *The Jewish Encyclopedia A Descriptive Record of the History*. New York Funk & Wagnalls, 1901-1906.
304. Skolnik, F., and M. Berenbaum. *Encyclopaedia Judaica*. New York: Thomson Gale, 2007.
305. Sohn, S.T. *The Divine Election of Israel*. Wipf & Stock Publishers, 2001.
306. Strack, H.L., and Günter Stemberger. *Introduction to the Talmud and Midrash*. Fortress Press, 1991.
307. Swartley, W.M. *The Love of Enemy and Nonretaliation in the New Testament*. Westminster/John Knox Press, 1992.
308. Tempelman, Sasja. "Constructions of Cultural Identity: Multiculturalism and Exclusion." *Political Studies* 47 1 (1999): 17-31.
309. Van Seters, J. *The Edited Bible: The Curious History of the "Editor" in Biblical Criticism*. Penn State University Press, 2006.
310. Wallace, D.B. *Revisiting the Corruption of the New Testament: Manuscript, Patristic, and Apocryphal Evidence*. Kregel Publications, 2011.

311. Yarden, Ophir. "Recent Halakhic Discourse in Israel Encouraging Racism and Violence." *Religious Stereotyping and Interreligious Relations*. Eds. Svartvik, Jesper and Jakob Wirén. New York: Palgrave Macmillan US, 2013. 221-231.
312. Young, Norman H. "The Commandment to Love Your Neighbor as Yourself and the Parable of the Good Samaritan (Luke 10: 25-37)." *Andrews University Seminary Studies (AUSS)* 21 3 (1983): 10.
313. Zuersher, B. *Seeing through Christianity: A Critique of Beliefs and Evidence*. Xlibris US, 2014.

### المدونات والمواقع الإلكترونية

314. "Bart D.Ehrman; Curriculum Vitae".  
<<https://www.bartdehrman.com/curriculum-vitae>>.
315. "Daniel B. Wallace, Biography". <<https://danielbwallace.com/cv>>.
316. "Gentile". <<https://www.merriam-webster.com/dictionary/gentile>>.
317. Cohen, Kenneth. "Her Son Not Your Son ."AUGUST 5, 2017.  
<<http://blogs.timesofisrael.com/her-son-not-your-son>>.



## فهرس الموضوعات

|                                                                            |     |
|----------------------------------------------------------------------------|-----|
| المقدمة.....                                                               | 6   |
| الفصل الأول: مفاهيم حول مصطلحات البحث.....                                 | 25  |
| المبحث الأول: الدلالة الاصطلاحية لصورة التّخر.....                         | 26  |
| المبحث الثاني: مفاهيم أساسية حول التوراة والإنجيل.....                     | 33  |
| المطلب الأول: منزلة التوراة والإنجيل في القرآن الكريم.....                 | 33  |
| المطلب الثاني: تحريف التوراة والإنجيل في القرآن الكريم.....                | 40  |
| المطلب الثالث: تحريف التوراة والإنجيل في الفكر الغربي.....                 | 57  |
| المبحث الثالث: التعريف بالتوراة والإنجيل والقرآن الكريم.....               | 65  |
| المطلب الأول: التعريف بالتوراة.....                                        | 65  |
| المطلب الثاني: التعريف بالإنجيل.....                                       | 85  |
| المطلب الثالث: التعريف بالقرآن الكريم.....                                 | 92  |
| الفصل الثاني: صورة "الآخر" في التوراة.....                                 | 103 |
| المبحث الأول: مفهوم "الأنا" ومصطلح "التّخر" في التوراة.....                | 104 |
| المطلب الأول: مفهوم "الأنا" في التوراة.....                                | 104 |
| المطلب الثاني: مصطلح "الآخر" في التوراة.....                               | 119 |
| المبحث الثاني: صورة "التّخر" في التوراة من خلال عقيدة "الشعب المختار"..... | 129 |
| المطلب الأول: صورة "الآخر" من خلال مباركة سام ولعن كنعان.....              | 129 |
| المطلب الثاني: صورة "الآخر" من خلال التأسيس لعقيدة "الشعب المختار".....    | 137 |
| المطلب الثالث: صورة "الآخر" من خلال مفهومي العهد والاختيار.....            | 149 |
| المبحث الثالث: صورة "التّخر" في التوراة من خلال أحكام السّلم والحرب.....   | 188 |
| المطلب الأول: أحكام التعامل مع "الآخر" في السلم.....                       | 188 |
| المطلب الثاني: أحكام التعامل مع "الآخر" في الحرب.....                      | 210 |
| الفصل الثالث: صورة الآخر في الإنجيل.....                                   | 234 |
| المبحث الأول: العالمية والمحبة في الإنجيل من خلال الرؤية المسيحية.....     | 235 |
| المطلب الأول: الانغلاق اليهودي الموروث والعالمية المسيحية الجديدة.....     | 235 |

|                                                                       |     |
|-----------------------------------------------------------------------|-----|
| المطلب الثاني: المحبة في الإنجيل من منظور مسيحي.                      | 255 |
| المبحث الثاني: صورة "التّخر" في نصوص الإنجيل بين القبول والتّنفي.     | 271 |
| المطلب الأول: قبول "الآخر" في الإنجيل من خلال مبدأ المساواة في الخلق. | 272 |
| المطلب الثاني: نفي "الآخر" في نصوص الإنجيل.                           | 282 |
| المبحث الثالث: تضارب القيم في الإنجيل بخصوص التعامل مع "التّخر".      | 291 |
| المطلب الأول: بعض الشواهد الإنجيلية لتضارب القيم في حق "الآخر".       | 293 |
| المطلب الثاني: بعض الشواهد التاريخية لرفض "الآخر".                    | 322 |
| الفصل الرابع: صورة "الآخر" في القرآن الكريم.                          | 348 |
| المبحث الأول: صورة "التّخر" في القرآن الكريم ضمن السياق التاريخي.     | 350 |
| المبحث الثاني: "التّخر" في القرآن الكريم إنسان مكرم.                  | 370 |
| المبحث الثالث: "التّخر" وعالمية الخطاب القرآني.                       | 396 |
| المبحث الرابع: "التّخر" وقيم التعايش في القرآن الكريم.                | 416 |
| الخاتمة.....                                                          | 452 |
| ملحق النصوص الأجنبية.....                                             | 457 |
| الفهارس العامة.....                                                   | 503 |
| فهرس الآيات القرآنية.....                                             | 504 |
| فهرس الأحاديث والآثار.....                                            | 509 |
| فهرس نصوص الكتاب المقدس.....                                          | 511 |
| فهرس الأعلام.....                                                     | 523 |
| فهرس الأماكن.....                                                     | 529 |
| فهرس الفرق والأقوام.....                                              | 530 |
| فهرس المصادر والمراجع.....                                            | 531 |
| فهرس الموضوعات.....                                                   | 557 |